من نحن؟ الجزء التاسع

دُرَّةُ المَعْرِفَةِ المَحْجُوبَة

مَنْبَعُ أُصُولِ الحِكْمَةِ



علاء الحلبي





درّة المعرفة المحجوبة

منبع أصول الحكمة

من نحن؟ الجزء التاسع

درّة المعرفة المحجوبة

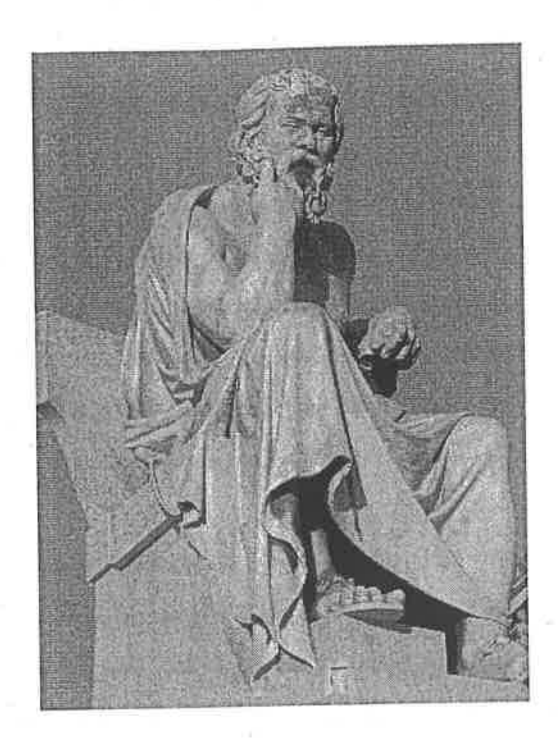
منبع أصول الحكمة

علاء الحلبي

الطبعة الأولى
2015

الكتاب : درة المعرفة المحجوبة - من نحن الجزء التاسع
تأليف : علاء الحلبي
الناشر : دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع
شارع بور سعيد - هاتف : ٢٢٤٨٥٩٩ - جوال : ٠٩٣٢٢٣٦٢٨٩٦
فاكس : ٢٢١١٠٢٢
س.ت : ٧٦٤٣ - ص.ب : ٥٣٧٢
بريد إلكتروني : dardimashq1954@gmail.com

الفلسفة عبر التاريخ المكتوب



الفلسفة هي علم تقدير القيمة الفعلية للأشياء. يتم تقدير تفوّق أي حالة أو مادة على أخرى بواسطة الفلسفة. من خلال قدرتها على تحديد ما هو رئيسي بعد إزالة كل ما هو ثانوي، تصبح الفلسفة الكاشف الحقيقي لما هو ذو أولوية أو أهمية في مجال الفكر التنظيري. إذاً المهمة الأساسية للفلسفة هي توطيد وبرهنة العلاقة بين الأشياء المتجلّية ظاهرياً وطبيعتها الأساسية الممتدة إلى العالم الخفي حيث يكمن سببها الأول. كلمة فلسفة PHILOSOPHY جاءت من أصل يوناني وهي كلمة مركّبة تعني حب الحكمة (philein حب وsophia حكمة).

الفروع الرئيسية الستة التي صُنفت وفقها الأنظمة الفلسفية هي: [١] الميتافيزيقيا metaphysics، التي تتعامل مع مواضيع مجرّدة مثل نشوء الكون واللاهوت وطبيعة الكينونة. [٢] المنطق logic، ويتعامل مع القوانين التي تحكم التفكير العقلاني أو كما أشاروا إليها بـ"مذهب المغالطات". [٣] الأخلاق ethics، وهو علم الفضيلة والمسؤولية الشخصية والسمات الفردية، وهو مجال يتعلّق بشكل رئيسي بالاجتهاد نحو تحديد طبيعة "الخير". [٤] علم النفس

psychology، وهو مكرّس لتصنيف والتحقيق في أشكال مختلفة من الظواهر العائدة لأساس عقلي. [٥] علم المعرفيات epistemology، وهو علم مخصص بشكل رئيسي لتناول طبيعة المعرفة بذاتها وإمكانية وجودها بشكل مجرّد. [٦] علم الجماليات esthetics، وهو علم يتناول طبيعة الجمال والانفعالات التي يثيرها الشيء الجميل والمتناغم والنبيل والأنيق.

اعتبر أفلاطون بأن الفلسفة تمثّل أكبر خير منحه الخالق للإنسان. لكن في العصر الحديث أصبحت الفلسفة عبارة عن تركيبة معقدة ومملّة من الأفكار الاعتباطية والمذاهب المتناقضة، وكل من هذه المذاهب تقيم دليلها على مسلّمات غير قابلة للجدل. يعود سبب السطحية التي اتسم بها الفكر الفلسفي الحديث إلى انجرافه المصرّ نحو العلمانية المادية. عندما سأل "نابليون" عالم الفلك والرياضيات "لابلاس" Laplace عن سبب عدم ذكر الله في كتابه الذي يتحدث فيه عن الكون، أجاب العالم: *".. ليس هناك حاجة لهذه الفرضية.."* !

في أطروحته حول موضوع الإلحاد، يلخّص "فرانسيس باكون" Francis Bacon هذه الحالة بإيجاز قائلاً: *".. القليل من الفلسفة يرجّح عقل الإنسان نحو الإلحاد، لكن التعمّق في الفلسفة يجلب عقول الناس نحو الدين.."*. يفتتح أرسطو عمله في موضوع الميتافيزيقيا بالعبارة التالية: *".. جميع الناس لديهم رغبة طبيعية في المعرفة.."*. من أجل إشباع هذه النزعة العامة استطاع الفكر المتنامي لدى الإنسان استكشاف أقاصي الفضاء الخارجي وأعماق النفس الداخلية، ساعياً إلى تقييم العلاقة بين الواحد والكثير، وبين السبب والنتيجة، وبين الطبيعة وميدان عملها، وبين العقل ومصدر العقل، وبين الروح ومادة الروح، وبين الوهم والحقيقة.

قال أحد الفلاسفة القدامى يوماً: *".. الذي ليس لديه معرفة بالأشياء العامة يُعتبر بهيماً بين البشر، والذي لديه معرفة دقيقة بالمسائل الإنسانية وحدها يُعتبر إنسان بين البهائم، لكن الذي يعلم كل ما يمكن معرفته بواسطة القوى الذهنية يُعتبر إله بين البشر.."*. بالتالي فإن مرتبة الإنسان في العالم تُحددها نوعية تفكيره. من الناحية الفلسفية، الذي يكون عقله مستعبداً من قبل غرائزه الحيوانية ليس أفضل مكانة من البهيمي. الذي تكون ملكاته العقلية مشغولة بالمسائل الإنسانية يُعتبر إنسان، لكن الذي يرتقي فكره إلى تناول الواقع الإلهي السامي يُعتبر شبه إله، لأن كيانه ينهل من النور الذي انغمر به فكره. خلال ثناءه للفلسفة في عمله الذي بعنوان "علم العلوم"، يقول "سيسيرو"

Cicero: ".. يا فلسفة، يا مُرشدة الحياة!.. يا باحثة عن الفضيلة ونابذة للرذيلة! كيف تكون حالتنا في غيابك؟ لقد أنتجتِ المدن وجمعتي بين الناس المتفرّقة ومنحتيهم بهجة الحياة.."

لم يعُد لكلمة فلسفة في هذا العصر معنى كبير إلا إذا ترافقت مع مصطلح آخر يمنحها أهمية. لقد تشظّى الجسم الفلسفي إلى أفرع ومدارس عديدة متخاصمة بدرجة أكثر أو أقلّ، وقد أصبحت تكرّس مجهودها لدحض سفسطة ومغالطات بعضها البعض، أما المسائل الجوهرية التي من المفروض أن تنشغل بها مثل آلية عمل النظام الإلهي وقدر الإنسان ومصيره فقد تم تجاهلها بشكل يُرثى له. الوظيفة المثالية للفلسفة هي عملها كسلطة موازنة في مجال الفكر البشري. بفضل طبيعتها الجوهرية من المفروض أن تمنع الإنسان من اشتراع قوانين غير عقلانية في الحياة. حتى بعض الفلاسفة أنفسهم أساؤوا للفلسفة وحرّفوا أهدافها السامية وذلك بسبب الجهل أو سوء الفهم أو الوهم، فعملوا على تظليل تلك العقول غير المُدرّبة التي من المفروض أن يرشدوها عبر الدرب الضيّقة للتفكير العقلاني.

من الصعب ذكر كافة المدارس الفلسفية في هذه المقدمة بسبب ضيق المساحة، لكن يمكننا الاكتفاء بتناول المدارس الأكثر أهمية والتي خلفت أثر كبير في مجال الفكر الإنساني عبر القرون الستة والعشرين السابقة. كان للمدرسة الفلسفية الإغريقية استهلاليتها من خلال سبع مفكرين خالدين وهم أول من نُسب إليهم لقب "سوفوس" Sophos أي الحكماء. وفقاً للفيلسوف "ديوجينيس لايرتيوس" Diogenes Laertius كان هؤلاء الحكماء: ثاليز Thales وسولون Solon وتشيلون Chilon وبيتاكوس Pittacus وبياس Bias وكليوبولوس Cleobulus وبيرياندر Periander. اعتبر الفيلسوف "ثاليز" بأن الماء يمثّل المبدأ أو العنصر الرئيسي للوجود بحيث تطوف عليه الأرض كما السفينة على مياه البحر، وكانت الزلازل تنتج من حصول اختلاجات في هذا البحر الكوني. بما أن "ثاليز" كان "آيوني" الأصل (من "آيونا" في آسيا الصغرى) أصبحت مدرسته تُسمى المدرسة الآيونية Ionic school. توفي "ثاليز" في العام ٥٤٦ ق.م وخلفه الفيلسوف "أنكسيماندر" Anaximander الذي خلفه "أنكسيمينيز" Anaximenes ثم "أنكساغوراس" Anaxagoras ثم "أرشيلاوس" Archelaus الذي شهد عهده نهاية المدرسة الآيونية. بخلاف سيده "ثاليز"، أعلن "أنكسيماندر" بأن اللامحدود الغير قابل للقياس أو التعريف هو المبدأ الرئيسي الذي انبعث منه الخلق. أما "أنكسيمينيز" فقد أصرّ على أن الهواء هو العنصر الرئيسي الذي انبعث منه الكون، وأن كل الأرواح والإله بذاته مكونة من هذا العنصر. أما "أنكساغوراس" (الذي تتضمن تعاليمه

نكهة النظرية الذريّة) فقد اعتبر الخالق [عز وجل] بأنه عقل لامحدود ذاتي الحركة، وأن هذا العقل الإلهي اللامحدود، المتضمن داخل كل الأجسام، هو السبب الفعلي لكل الأشياء. مع انبثاقها من المادة الأولية اللامحدودة مما يجعلها تتألف من نفس المكوّن، كافة الأشياء جُعلت بطريقة متوافقة مع فصيلتها من قبل العقل الإلهي الذي نظمها بعدما كانت في حالة فوضوية. أما "أرشيلاوس" فقد صرّح بأن مبدأ كل الأشياء مؤلف من قسمين: العقل (غير المادي) وعنصر الهواء (المادي)، وتخلخل هذا العنصر الأخير وتكاثفه أدى إلى خلق عنصري النار والماء بالتتابع. اعتبر "أرشيلاوس" بأن النجوم عبارة عن أماكن حديدية محترقة. أما الفيلسوف "هيراقليطوس" Heraclitus (٥٣٦ــ ٤٧٠ ق.م، ويُعتبر أحياناً من أتباع المدرسة الآيونية) فقد أكد في تعاليمه حول التغيير والتدفّق الأزلي للوجود بأن النار هو العنصر الأول ويمثل أيضاً الحالة التي يعود ويتلاشي عبرها العالم في نهاية المطاف. اعتبر بأن نفس العالم هي عبارة عن زفير منبعث من أجزاءه الرطبة، وأعلن بأن مدّ وجزر البحار سببها الشمس.

أما المدرسة الفيثاغورثية التي أوجدها "فيثاغوراس" الساموسي Pythagoras of Samos (فيثاغورث) فمن بين أبرز أتباعها نجد: "أمبيدوكليز" Empedocles و"أبيشارموس" Epicharmus و"أرشيتاس" Archytas و"ألكمايون" Alcmæon و"هيباسوس" Hippasus و"فيلولاوس" Philolaus و"يودوكسوس" Eudoxus. رأى "فيثاغورث" (٥٨٠ ــ ٥٠٠؟ ق.م) بأن الرياضيات هي أكثر العلوم قدسية ودقّة، وطلب من كل الذين تتلمذوا في مدرسته بأن يكونوا على إلمام بعلم الحساب والموسيقى والفلك والهندسة. منح أهمية كبرى للحياة الفلسفية بصفتها شرط أساسي لإحراز الحكمة. كان فيثاغورث أحد المعلمين الأوائل الذين أسّسوا جمعية بحيث يكون أعضائها متكافلين ومتساعدين بهدف إحراز العلوم السامية. كما أنه أدخل نظام التفكير الاسترجاعي بالماضي بصفته عمل جوهري لتطوير العقل الروحاني. ويُقصد من النظام الاسترجاعي عودة الشخص في نهاية النهار (أو الشهر أو السنة) ويقيّم تصرفاته وأفعاله وسلوكه من خلال تحديد ما كان خاطئ وما كان صائب. يمكن اختصار المذهب الفلسفي الفيثاغورثي بأنه نظام تنظير ميتافيزيقي يتناول العلاقات القائمة بين الأرقام (الأعداد) والقوى السببية للوجود. بالإضافة إلى أن هذه المدرسة هي أوّل من وضع نظرية الأنغام الجرمية أو موسيقى النجوم. لم يعلّم فيثاغورثز شيئاً لتلاميذه قبل إتقانهم نظام الصمت، حيث الصمت أو السكون هو المدخل إلى التأمّل والتفكّر. في عمله الذي بعنوان "السفسطائي" Sophist، يعيد أرسطو الفضل اكتشاف علم البلاغة والبيان إلى "أمبيدوكليز". أخذ كل من فيثاغورث وأمبيدوكليز بنظرية تناسخ الأرواح (التقمص) حيث قال

الأخير في أحد أعماله: ".. كنت غلام، ثم أصبحت امرأة، ثم نبتة ثم سمكة ثم سبحت في البحر الواسع..". وكان فضل اختراع البرغي (مسمار حلزوني) والرافعة إلى "أرشيتاس"، وقد صرّح هذا الأخير بأن المتعة (الملذات الدنيوية) هي وباء لأنها تناقض اعتدال العقل الذي يضبط النفس. اعتبر الإنسان الخالي من الخداع نادر جداً كما ندرة السمك الخالي من الحسك.

تأسس المذهب "الإلياتي" Eleatic على يد "كزينوفانيز" Xenophanes (٥٧٠ ـ ٤٨٠ ق.م) الذي اشتهر من خلال تهجّمه على القصص الرمزية لكل من "هومر" Homer و"هسيود" Hesiod المتناولة لنشوء الكون وأنساب الآلهة (مثل "الإليادة" و"الأوديسا"). صرّح "كزينوفانيز" بأن الخالق هو واحد وغير مادي، وهو دائري الشكل بمحتواه وشكله، وبالتالي هو لا يشبه الإنسان بأي شكل من الأشكال. هو كلّي البصر وكلّي السمع لكنه لا يتنفّس، وأنه يشمل كل الأشياء، هو العقل والحكمة، ليس متوالداً بل خالد وأبدي، هادئ لا يتأثّر بل يؤثّر، ثابت لا يتغيّر، وعقلاني. آمن "كزينوفينيز" بأن كل الأشياء المتجلّية هي خالدة وأن العالم ليس له بداية ولا نهاية، وأن الأشياء المتوالدة هي معرّضة للفساد. عاش "كزينوفينيز" حياة مديدة وقيل بأنه دفن أبناءه بيديه. تتلمذ "بارمنيدز" Parmenides على يد "كزينوفينيز"، لكنه لم يؤيّد تعاليمه كلياً. أعلن بأن الحواس غير جديرة بالثقة والعقلانية والحجّة هما معيار الحقيقة. أكّد بأن كوكب الأرض دائري الشكل كما قسّم سطحه إلى مناطق حارة وأخرى باردة.

"مليسوس" Melissus الذي ينتمي أيضاً إلى المدرسة "الإلياتية" Eleatic اشترك مع "بارمنيدز" بالكثير من الأفكار. قال بأن الكون غير قابل للحركة لأنه بسبب احتلاله كل مكان بالتالي ليس هناك مكان ليتحرك إليه. كما أنه رفض نظرية الفراغ في الفضاء. "زينو" Zeno أيضاً أخذ بفكرة أنه لا يمكن للفراغ أن يوجد. بعد رفضه لنظرية الحركة، أكّد بأنه لوجود سوى لإله واحد خالد وهو كائن والد لكنه غير مولود. ومثل "كزينوفانيز"، تصوّر الخالق بأنه دائري الشكل. أما "ليوسيبوس" Leucippus فقد أكد بأن الكون مؤلف من قسمين: الأول ممتلئ والثاني فارغ. من القسم الممتلئ بالمحتوى الإلهي غير المحدود تساقطت نثرات من الجسيمات الدقيقة إلى القسم الفارغ حيث عبر مرحلة من الهيجان المستمر نظمت نفسها وتحولت إلى أشياء مادية.

عظّم "ديموقريطوس" Democritus من شأن النظرية الذريّة التي وضعها "ليوسيبوس". قال بأن مبادئ كل الأشياء هي من قسمين: الذرات والفراغ. أكد بأن كليهما لانهائيين وغير محدودين، أي

عدد الذرات غير نهائي ومساحة الفراغ غير محدودة. بالتالي كل الأجسام تتألف من ذرات وفراغ. الذرت تحوز على خاصيتين: الشكل والحجم، وهتين الخاصيتين متنوعتين بشكل لانهائي. وقد رأى "ديموقريطوس" بأن بنية النفس مؤلفة من ذرات وقابلة للتلاشي مع الجسد. وقد رأى العقل بأنه مؤلف من ذرات روحية. قال أرسطو بأن "ديموقريطوس" أستنبط نظريته الذرية من تعاليم فيثاغورث حول الميحاد Monad. من بين الفلاسفة الذين برزوا في المدرسة "الإلياتية" نجد كل من "بروتاغوراس" Protagoras و"أناكسارشوس" Anaxarchus.

"سقراط" (٤٦٩ ــ ٣٩٩ ق.م) مؤسس المذهب السقراطي Socratic sect، والذي كان شكوكياً في الأساس، لم يفرض أرائه على الآخرين بل عن طريق التساؤلات التي تحفّز الشخص على التعبير عن فلسفته الخاصة. وفقاً لــ"بلوتارش" Plutarch، نظر سقراط إلى كل مكان بأنه مناسب للوصول إلى حقيقة أن العالم هو مدرسة للفضيلة. رأى بأن النفس موجودة قبل الجسد، وقبل اندماجها به تكون موهوبة بكل المعرفة، وعندما تدخل النفس في الجسد المادي تصبح مُخدّرة (أو شبه صاحية)، لكن من خلال إقامة المحادثات والمناقشات المتناولة للأشياء المحسوسة يتم إيقاظ النفس مجدداً من سباتها فتسترجع معرفتها الكلية. على هذا الأساس اعتمدت وسيلته في استثارة قوة النفس بواسطة السخرية من الأشياء أو إخضاعها للمنطق الاستدلالي. قيل بأن الغاية الأساسية لفلسفة سقراط هي الإنسان. قال بأن الفلسفة تمثّل الطريق للسعادة الحقيقية وغايتها مؤلفة من قسمين: [١] التفكّر بالخالق، و[٢] تجريد النفس من تأثير الحواس الجسدية. رأى بأن مبادئ الأشياء ثلاثة: الله [جلّ جلاله]، المادة، والفكر. قال عن الله [عزّ وجلّ]: ".. لا أعلم ماذا يكون.. لكن أعلم ما لا يكون..". وقد عرّف المادة بأنها موضوع توالد وفساد، وعرف الفكر بأنه محتوى غير قابل للفساد.. وهو محتوى الخالق [جلّ وعلا]. اعتبر بأن الحكمة تمثّل مجموع الفضائل. من بين الأعضاء البارزين في المذهب السقراطي نجد "كزينوفون" Xenophon و"أيسشينيز" Æschines و"كريتو" Crito و"سيمون" Simon و"غلاوكو" Glauco و"سيماياس" Simmias و"سيبيس" Cebes.

المسائل التي كان يتناولها الفلاسفة في تنظيراتهم ومناقشاتهم كانت أكثر عمقاً مما أظهرته المراجع المنحدرة إلينا من ذلك الزمن البعيد. بعد أن تعرفنا في الجزء السابق على قصة الخلق كاملة مكمّلة، أصبح بإمكاننا معرفة وتمييز ما كان يتناوله الفلاسفة الإغريق في تفكّراتهم ومناقشاتهم المختلفة. لم تعد الفلسفة الإغريقية تبدو لنا كما السابق، أي مجموعة من التنظيرات العشوائية التي تتناول مسائل مختلفة تعتمد على مزاجية الفيلسوف وتوجهه الفكري. إذا أجرينا

مقارنة سريعة بين ما تعرفنا عليه في قصة الخلق وما كان يقصده الفلاسفة الإغريق من مسائل ومواضيع تبدو للوهلة الأولى متناقضة نجد أن تلك المسائل والمواضيع المختلفة تتمحور حول واقع واحد رئيسي يشبه تماماً ذلك الواقع الموصوف في قصة الخلق والمذكور في الجزء السابق.

فمثلاً، اعتبر الفيلسوف "ثاليز" بأن الماء يمثّل المبدأ أو العنصر الرئيسي للوجود بحيث تطوف عليه الأرض كما السفينة على مياه البحر، و"أنكسيمينيز" أصرّ على أن الهواء هو العنصر الرئيسي الذي انبعث منه الكون، و"أرشيلاوس" فقد تحدث عن تخلخل عنصر الهواء وتكاثفه أدى إلى خلق عنصري النار والماء بالتتابع، و"هيراقليطوس" فقد أكد بأن النار هو العنصر الأوّل في الوجود. التخبّط واضح بين الفلاسفة منذ البداية، إذ جميعهم يحاولون وصف طبيعة الوجود معتمدين على لغة أو رموز لم يعرفوا أو لم يفهموا معانيها الفعلية. حيث بعد العودة إلى مبدأ الأطوار الأربعة في الجزء السابق نجد أنه يمثّل أساس مفهوم العناصر الأربعة والمألوفة في الأدبيات السحرية والفلسفية المعروفة جيداً حول العالم وكان يمثّل مفهوم علمي أساسي في العالم القديم. أما كيف توصّل القدماء إلى هذه الصيغة من الرموز فما علينا سوى العودة إلى مبدأ الأطوار الأربعة للحركة وقمنا بفصلها عن بعضها وجعلنا كل طور قائم بذاته سوف يصبح لدينا العناصر الأربعة التي يقول القدماء بأنها تمثّل المكونات الأساسية لكل شيء في الطبيعة، وأشاروا إليها بالأسماء التالية: نار [اندفاع]، هواء [تسارع]، ماء [عطالة]، تراب [توقف].

دفع	حركة	عطالة	توقف
نــــار	هــــواء	مــــاء	تــــراب
الاندفاع، الانطلاق، الإرادة، التحفيز، الهيمنة.. إلى آخره.	الحركة، التسارع، النشاط، الحيوية، الاتصال.. إلى آخره.	المحتوى، الاحتواء، الاحتضان، التلقّي، الكبح.. إلى آخره.	الجمود، الثبات، الثقل، التكتّل، مجموع الحركات السابقة..

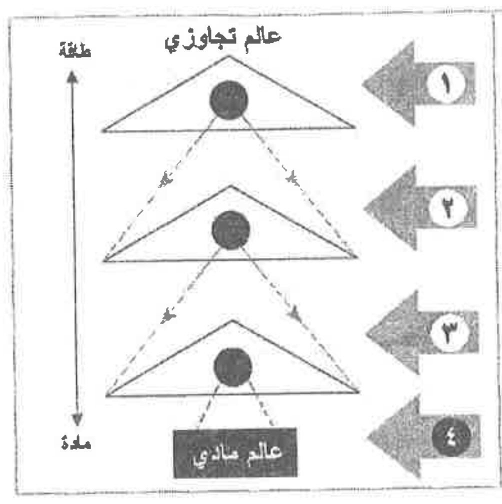
يمكن التعبير عن عمل العناصر الأربعة وفق مخطط شجرة الحياة الذي وصف مراحل التجسيد المادي. توصف المثلثات المرقّمة على الشكل التالي:

[١] الاندفاع، الانطلاق، الإرادة، التحفيز، الهيمنة، وبالتالي يرمز له بعنصر النار. كما يمثّل العالم التجاوزي.

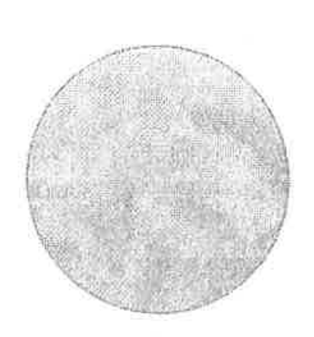
[٢] الحركة، التسارع، النشاط، الحيوية، الاتصال، وبالتالي يرمز له بعنصر الهواء.

[٣] المحتوى، الاحتواء، الاحتضان، التلقّي، الكبح، وبالتالي يُرمز إليه بعنصر الماء.

[٤] الجمود، الثبات، الثقل، التكتّل، وبالتالي يُرمز إليه بعنصر التراب، ويمثّل مجموع العناصر الثلاثة السابقة. كما يمثّل العالم المادي.

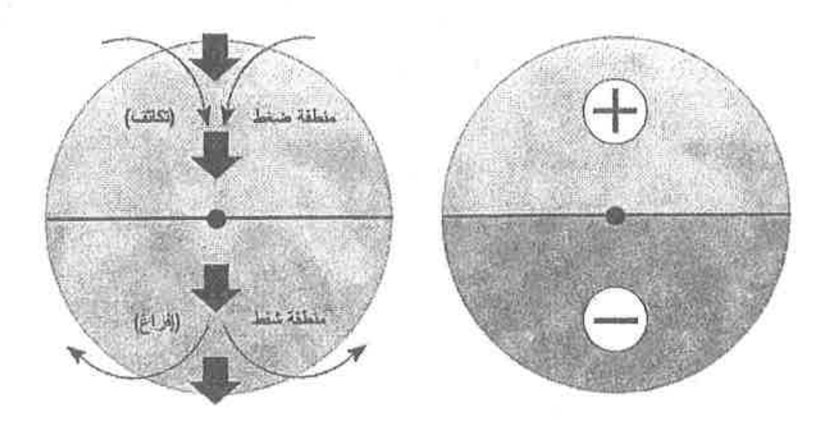


وفقاً لمفهوم العناصر الذي وضحته الشروحات المصوّرة السابقة أصبحنا نعلم ماذا يقصده الفلاسفة عندما تحدثوا عن النار والهواء والماء والتراب. لكن بعد أخذهم لهذا المفهوم بطريقة غير سليمة راحوا يعتمدون على معرفتهم المحدودة وخيالهم الخصب ليخرجوا بما يعتقدون أنه الحقيقة.

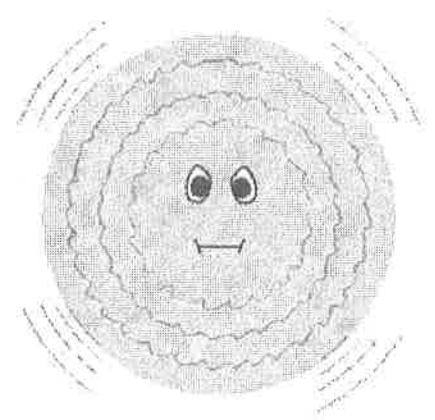


صرّح "كزينوفانيز" بأن الخالق هو واحد وغير مادي، وهو دائري الشكل بمحتواه وشكله، وبالتالي هو لا يشبه الإنسان بأي شكل من الأشكال. لقد صدق بهذا الوصف، وهذا ما تعرفنا عليه في الجزء السابق (البيضة الكونية) لكن يبدو واضحاً أن طريقة فهمه للأمر ليس سليماً. الكائن الكوني الدائري الشكل هو الدميويغ وليس الخالق [جلّ جلاله].

أما "ليوسيبوس" فقد أكد بأن الكون مؤلف من قسمين: الأول ممتلئ والثاني فارغ. عندما نعود إلى مبدأ القطبية في الجزء السابق (انقسام الكرة الكونية إلى قسمين) ندرك حينها عن ماذا يتكلم، لكن هل كان يفهم "ليوسيبوس" الصورة بشكل جيّد؟



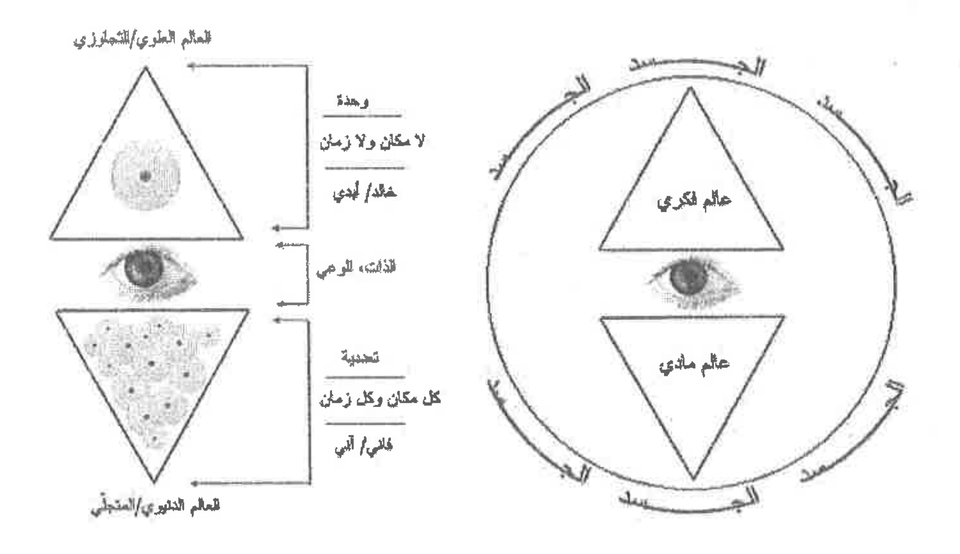
قال "مليسوس" بأن الكون غير قابل للحركة لأنه بسبب احتلاله كل مكان بالتالي ليس هناك مكان ليتحرك إليه. كما أنه رفض نظرية الفراغ في الفضاء. وهكذا كان رأي "زينو" الذي تصوّر الخالق بأنه دائري الشكل، وأخذ بفكرة أنه لا يمكن للفراغ أن يوجد، بعد رفضه لنظرية الحركة. ربما فهم هؤلاء الفلاسفة مبدأ الحركة بشكل خاطئ حيث كل شيء في حالة حركة في الكون (الذبذبة والتردد والإيقاع والدورية.. إلى آخره) يبدو أنه لم يكن لديهم صورة واضحة عن طبيعة الكون، إذ رفضهم لفكرة الحركة يثبت هذه الحقيقة.



ليس ضرورياً أن يتحرّك الكائن الكوني من مكان إلى آخر، كما يزعم "مليسوس" و"زينو" وغيرهما من الفلاسفة خلال رفضهم لفكرة الحركة، إذ بقائه ثابتاً في مكانه لا يمنعه من الذبذبة والاهتزاز.

قال "ديموقريطوس" بأن مبادئ كل الأشياء هي من قسمين: الذرات والفراغ. أكد بأن كليهما لانهائيين وغير محدودين، بالتالي كل الأجسام تتألف من ذرات وفراغ. ربما أساء فهم نظرية الميحاد Monad التي استنبطها من فيثاغورث ولأنه لم يستوعب الطبيعة التراكبية (الهولوغرافية) للكون بحيث يوجد الميحاد في كل مكان وكل زمان وبكافة الأحجام، لم يستطع تكوين صورة واضحة عن مبدأ الذرات.

عندما تحدث سقراط عن أن المبادئ الثلاثة للأشياء: الله [جلّ جلاله] والمادة والفكر، كان يقصد الكرة الكونية المؤلفة من قسمين: عالم فكري (علوي) وعالم مادي (دنيوي)، اعتبر بأن الكرة الكونية تمثّل الخالق [عزّ وجلّ] لكن هذا خطأ كبير اقترفه الفيلسوف العظيم (أو من ترجم أعماله) إذ تمثّل في الحقيقة "الديميورغ" أي الكائن الكوني، أي المخلوق وليس الخالق، وهذا المفهوم الخاطئ هو الذي يشكّل أساس الفكر الحلولي.



لكن قبل أن أظلم هؤلاء الفلاسفة الكبار دعونا نضع فرضية أخرى وراء التخبط والغموض الذي اتسمت به فلسفاتهم. ربما كانوا يعلمون عن ماذا يتحدثون ولديهم صورة واضحة عن الطبيعة الحقيقية للكون لكن الذين نقلوا أعمالهم عبر الأجيال (شفهياً أو كتابةً، أو ترجمة من لغة إلى أخرى) أساؤوا فهم تلك الأعمال وراحوا يصححونها لكي تتوافق مع مستوى تفكيرهم المحدود.

أكبر دليل على هذا التخبط الذي عانته المدارس الفلسفية خلال سعيها نحو الحقيقة النهائية هو ظهور مدارس شكوكية وإصلاحية وساخرة ترافقت مع توجه شعبي عام لم يعد يستسيغ أو يستوعب الأفكار التي نادت بها المدارس الفلسفية التائهة في تنظيراتها المتضاربة. لقد شردت المدارس الفلسفية كثيراً عن الحقيقة. فيما يلي بعض العينات لهذا التوجّه.

من بين أبرز المذاهب التي تفرعت من مدرسة سقراط نجد المذهب "الإيلي" Elean sect نسبة إلى مؤسسها "فايدو الإيلي" Phædo of Elis. بعد "فايدو" خلفه "بليسثينيز" Plisthenes الذي خلفه "مينيداموس" Menedemus. أصبح المذهب فيما بعد يُسمى المذهب الأريتري Eretrian. نادى أتباع هذا المذهب بشجب كل الفرضيات السلبية والنظريات المعقدة والغامضة بحيث فقط الأفكار الإيجابية والبسيطة تمثّل الحقيقة.

وهناك أيضاً المذهب "الميغاري" Megarian sect الذي أوجده "يوكليد الميغاري" Euclid of Megara الذي كان من أشدّ المعجبين بسقراط. بعد الموت الفظيع لمعلمهم هرب تلاميذ سقراط خوفاً من نفس المصير إلى "ميغيرا" Megara حيث استقبلهم "يوكليد" بتشريف كبير. تقبلت المدرسة الميغارية فكرة أرسطو القائلة بأن الفضيلة هي الحكمة بذاتها، وأضافت إليها مفهوم المذهب "الإيلي" القائل بأن الخير هو الوحدة المطلقة وكل تغيير هو وهم الحواس. بعد موت "يوكليد" (ربما عام ٣٧٤ ق.م) خلفه "يوبيلايديس" Eubulides الذي كان من بين تلاميذه كل من "ألكزينوس" Alexinus و"أبوليونوس كرونوس" Apollonius Cronus و"يوفانتوس" Euphantus و"ديودوروس" Diodorus.

من بين المذاهب المهمة التي أسسها أحد تلاميذ سقراط نجد المذهب "الساخر" Cynic الذي أوجده "أنتيسثينيز" Antisthenes الأثيني (٤٤٤ ــ ٣٦٥ ق.م). يمكن وصف هذا المذهب بأنه يمثّل فردانية متطرفة إذ يعتبر الإنسان بأنه موجود لنفسه ولوحده والمحيطون به من البشر يغمرونه بعدم الانسجام والعذاب وغيرها من عوامل تدفعه للانسحاب هروباً إلى طبيعته الحقيقية. تنكّر هذا المذهب لكل المقتنيات المادية وشجع على العيش بحالة متطرفة من الزهد ونكران النفس. لهذا السبب يُشار إليه عموماً بالمذهب "الكلبي". من بين أبرز أتباعه نجد "مونيموس" Monimus و"أونسيكريتوس" Onesicritus و"كراتس" Crates و"متروكليز" Metrocles و"هابارتشيا" Hipparchia و"مانيبوس" Menippus و"مينيديموس" Menedemus.

مقابل المذهب السابق المتطرف في زهده نجد ظهور مذهب متطرف من الجهة الأخرى أي في البحث عن المتعة الدنيوية، وهو المذهب "السيريني" Cyrenaic sect الذي أوجده "أريستيبوس" Aristippus السيريني (٤٣٥ ــ ٣٥٦ ق.م) وقد نشر ما يُسمى عقيدة اللذّة hedonism. يمكن تلخيص تعاليم هذا المذهب على الشكل التالي: كل ما ندركه فعلياً بخصوص الشيء أو الحالة يعتمد على الشعور الذي توقظه في طبيعتنا. معروف في علم الأخلاق بأن كل ما يوقظ المشاعر الأكثر مسرّة يُعتبر أكثر الأشياء خيراً. تم تصنيف الانفعالات العاطفية بأنها: محببة ولطيفة وقاسية ومتوسطة (عادية). غاية العواطف المحببة هي المتعة، وغاية العواطف القاسية هي الحزن، وغاية العواطف المتوسطة هي لا شيء. في الواقع، المتعة (المسرات الحسيّة) هي الغاية الحقيقية من الوجود المادي وتتجاوز بدرجات كبيرة المسرات الفكرية والروحية. بالإضافة إلى أن المتعة الحسيّة محصورة ضمن اللحظة الحالية. الآن هو الوقت الوحيد. الماضي لا يمكن استرجاعه دون ندم والمستقبل لا يمكن مواجهته دون هواجس، بالتالي لا يمكن اختبار المتعة في أي منهما. وجب على الإنسان أن لا يستسلم للحزن، فالحزن هو أشدّ الأمراض خطورة. الطبيعة تسمح للإنسان بأن يفعل كل ما يرغب به ولا يمكن أن يحدّه سوى القوانين والأعراف. لهذا السبب رفع "أريستيبوس" الانغماس في الملذات إلى مستوى الفضيلة. من بين أبرز أتباع هذا المذهب نجد "هيجيسياس" Hegesias و"أنيسيريس" Anniceris و"ثيودوروس" Theodorus و"بايون" Bion.

أبرز المذاهب الجديّة التي برزت في تلك الفترة والتي ارتقت بتعاليمها إلى مستويات فكرية راقية كانت المدرسة الأفلاطونية. لم يعتمد أفلاطون على ما نهله من المدارس الإغريقية بل سافر بعيداً حتى وصل مصر ومن هناك جاء بأفكاره التجاوزية الرائعة التي خلّدت اسمه.

مذهب "الفلاسفة الأكاديميين" Academic philosophers الذي أسسه "أفلاطون" Plato (٤٢٧ ــ ٣٤٧ ق.م) مقسوم إلى ثلاثة أقسام رئيسية: الأكاديمية القديمة، والأكاديمية المتوسطة، والأكاديمية الحديثة. من بين الأكاديميين القدامى هناك "سبوسيبوس" Speusippus و"زينوكراتيس" Zenocrates و"بوليمان" Poleman و"كراتيس" Crates و"كرانتور" Crantor. "أركيسيلاوس" Arcesilaus أسّس الأكاديمية الوسطى، و"كارنياديس" Carneades أسّس الأكاديمية الحديثة. يعتبر أفلاطون بأن سيّده الرئيسي هو سقراط. سافر أفلاطون كثيراً وبعيداً وقد انتسب إلى إحدى المدارس السريّة المصرية واطلع على أعماق الفلسفة الهرمزية. كما أنه استخلص الكثير من تعاليم فيثاغورث. وصف

"سيسيرو" التركيبة الثلاثية للفلسفة الأفلاطونية بأنها تشمل علم الأخلاق ethics والفيزياء physics والجدل المنطقي dialectics. وصف أفلاطون الخير بأنه ثلاثي: الخير في النفس ويتم التعبير عنه من خلال الفضائل، الخير في الجسد ويُجد لنفسه تعبيراً في التناظر والتكوين السليم لأجزائه، والخير في العالم الخارجي المحيط بالفرد ويُعبر عنه من خلال المرتبة الاجتماعية والصحبة. وصف الخالق [جلّ جلاله] بأنه كائن يعيش خالداً من خلال نفسه وحده، مكتفياً بنعمته، المحتوى الأزلي الذي يمثّل مصدر خيره. وفقاً لأفلاطون، "الواحد" هو أنسب مصطلح لتعريف الخالق [عزّ وجلّ] حيث الكل يسبق الأجزاء، والتنوّع يعتمد على الوحدة لكن الوحدة لا تعتمد على التنوّع. "الواحد" يأتي قبل الكينونة، حيث أن يكون هو صفة أو حالة "للواحد"، وبالتالي لا يمكن للصفة أن تسبق الموصوف.

تستند الفلسفة الأفلاطونية على التسليم بثلاثة حالات للكينونة: [١] الذي يُحرِّك لكنه لا يُحرَّك، [٢] الذي يتحرّك ذاتياً، و[٣] الذي يُحرَّك. الذي يُحرِّك لكنه لا يُحرَّك هو السابق anterior للذي يتحرّك ذاتياً، وبالتالي هو السابق للذي يُحرَّك. الشيء الذي تكون الحركة متأصلة فيه لا يمكن فصله عن القوة التي تحرّكه، وبالتالي هو غير قادر على الانحلال. هذه هي طبيعة الخالدين. أما الشيء الذي مُنح الحركة من شيء آخر فيمكن فصله من مصدر تحريكه (أو إحياءه) وبالتالي فهو معرّض للانحلال والفناء. هذه هي طبيعة الكائنات الفانية. الحالة الأسمى من الخالدين والفانين معاً هي تلك التي تُحرِّك على الدوام لكنها لا تُحرَّك. بصفته أنبل وأرقى مرتبة من الحركة الذاتية، يُعتبر المُحرِّك الذي لا يُحرَّك الأرقى منزلة. يعتمد النظام الفلسفي الأفلاطوني على النظرية القائلة بأن التعلّم هو في الحقيقة عملية تذكّر معرفة سابقة وليس اكتساب معرفة جديدة. أي هو عملية استحضار موضوعي لمعرفة تم اكتسابها سابقاً من قبل النفس في حياة سابقة. بعد موت أفلاطون انفصل تلاميذه إلى مجموعتين، المجموعة الأولى تمثّل الأكاديميين Academics والذين استمروا في الاجتماع في الأكاديمية التي ترأسها أفلاطون، والمجموعة الثانية تمثّل المشائيين Peripatetics الذين انتقلوا إلى قاعة المحاضرات الحكومية Lyceum وكانت بقيادة أرسطو.

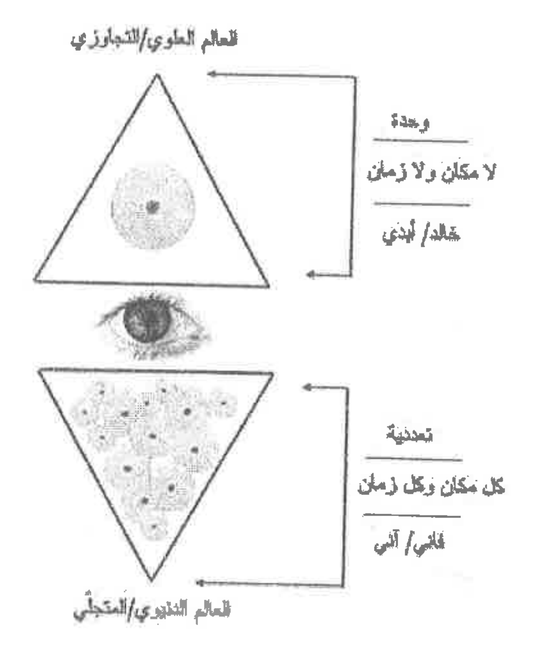
الفلسفة بالنسبة لأرسطو Aristotle (٣٨٤ ــ ٣٢٢ ق.م) مقسومة إلى قسمين: عملي ونظري. الفلسفة العملية تشمل علم الأخلاق والسياسة. الفلسفة النظرية تشمل الفيزياء والمنطق. أما الميتافيزيقيا فقد اعتبرها علم متعلق بالمواد التي يتأصّل فيها كل من مبدأ الحركة والسكون معاً. النفس بالنسبة لأرسطو هي تلك التي بواسطتها يستطيع الإنسان أن يحيا ويشعر ويفهم. بالتالي

نسب للنفس ثلاث وظائف: وظيفة غذائية، وظيفة حسية، ووظيفة فكرية. كما اعتبر النفس . قسمين: القسم العقلاني والقسم اللاعقلاني. وفي بعض الأحيان كان يرفع مستوى الإدراك الحسّي فوق مستوى العقل. عرّف أرسطو الحكمة بأنها علم الأسباب الأولى. الأقسام الأربعة الرئيسية لفلسفته هي: الجدال المنطقي dialectics، الفيزياء physics، الأخلاق ethics، والميتافيزقيا metaphysics. عرّف الخالق [عزّ وجلّ] بأنه المحرّك الأوّل، أفضل الكائنات، محتوى غير قابل للتحريك، منفصل عن الأشياء المحسوسة، مجرّد من الكتلة المادية، خالي من الأجزاء ولا يمكن تجزئته. المذهب الأفلاطوني يستند على الاستدلال البديهي، بينما المذهب الأرسطوي يستند على الاستدلال الاستقرائي. من أبرز تلاميذه نجد: "ثيوفراستوس" Theophrastus، "ستراتو" Strato، "ليسو" Lyco، "أريستو" Aristo، "كريتولاوس" Critolaus، و"ديودوروس" Diodorus.

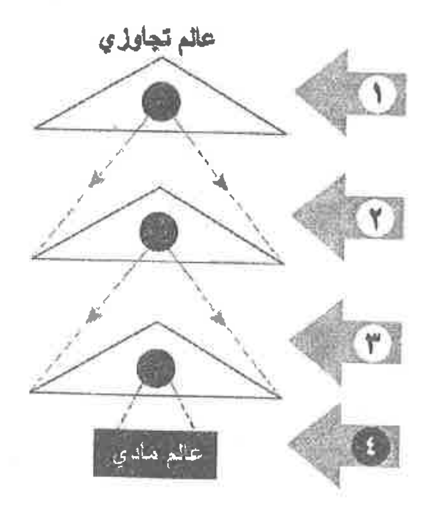
مثّل انشقاق أرسطو عن مدرسة أفلاطون نقطة تحوّل كبيرة في مسار الفلسفة، وحتى مسار الفكر الإنساني عبر القرون التي تلتها. العنوان الأنسب لهذا الحدث المهم والحاسم هو: بداية ترجيح الفلسفة المادية على حساب الفلسفة التجاوزية. وجب العلم بأن أرسطو لم يكن مادياً بالمفهوم الذي نألفه اليوم، لكنه أوّل من وجّه الفلسفة نحو هذا المسار إلى أن انتهى بها الأمر متخذة الشكل المادي المتشدد الذي نعرفه اليوم. ما فعله أرسطو هو التخلّي عن عالم المثل الروحية الباطنية لسيده أفلاطون واتخذ منحى أكثر واقعية وعلمية (وهذا عمل سليم). بدلاً من وصف العالم الروحي بأنه أكثر واقعية من العالم المادي، تحدث أرسطو عن وجود قوة حيوية تحثّ الكائن نحو التجلّي والتعبير عن ذاته. وصف هذا التحفيز أو النزعة بأنه الواقع النهائي للجسد لكنه آني ومؤقت. هذه الفكرة سليمة وليس فيها عيوب إذ تمثّل الحقيقة دون شكّ، كما تمثّل فكرة أفلاطون الحقيقة أيضاً، كلاهما وصفا الشيء ذاته لكن من جوانب مختلفة، وبالتالي ليس هناك اختلاف بمعنى الاختلاف وهذه حقيقة لا يفهمها الفرد إلا إذا كان مطلعاً على التعاليم السرية.

إذا عدنا إلى أحد مخططات بنية الكون الواردة في الجزء السابق نجد الكون مؤلف من عالمين: تجاوزي ومتجلّي (الشكل التالي):

كانت فلسفة أفلاطون توصف العلاقة بين العالم التجاوزي والعالم المتجلّي، ومنح أهمية كبرى للعالم التجاوزي إذ أكّد بأنه يمثّل الواقع الحقيقي. قال بأن عالم الأفكار (التجاوزي) هو واقعي بنفس واقعية عالم الأشياء المحسوسة (المتجلّي).

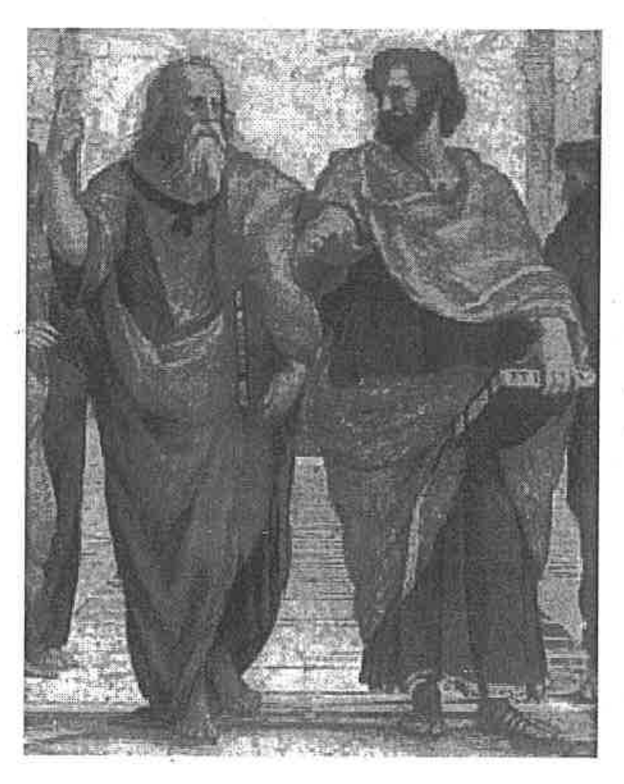


أما فلسفة أرسطو فقد سلّمت بوجود عالم تجاوزي تقبع فيه كافة الأنماط الأوليّة للأشياء المتجلية مادياً، لكن أرسطو سعى إلى معرفة ووصف الآلية التي حصلت خلالها عملية التجلّي هذه. بناء على هذا التوجّه خرج بأحد أعظم الأعمال الفلسفية التي طال تأثيرها عدد كبير من الفلاسفة الإغريق والعرب والأوروبيين الكنسيين، وتسمى الميتافيزيقيا Metaphysics.



ركّز أفلاطون اهتمامه على القسم العلوي والقسم السفلي من الشجرة (أي المستوى رقم [١] و[٤])، بينما أرسطو وجّه اهتمامه نحو كامل الشجرة بحيث تكتمل الصورة بخصوص آلية التجلّي من مستوى تجاوزي إلى مستوى مادي (أي كافة المستويات: [١] و[٢] و[٣] و[٤]).

بالنسبة للإنسان العادي (وأقصد الإنسان غير المطلع على التعاليم السرية) الخلاف الذي حصل بين الفيلسوفين العظيمين يكمن في نظرية الأشكال theory of Forms التي وضعها أفلاطون واطلع عليها أرسطو خلال تتلمذه في المدرسة الأكاديمية. يقول أفلاطون بأن الأنماط (أو الأفكار) المجرّدة (أي ليس لها أساس مادي) القابعة في العالم التجاوزي هي التي تمثّل الواقع الأصلي وليس الأشياء التي نراها من حولنا في العالم المادي والمتغيّر على الدوام. إذاً، أصبح لدينا نظرتين مختلفتين للواقع: النظرة الأولى تصوّر عالم تجاوزي يمثّل الواقع الحقيقي ويقبع فيه أنماط أوليّة وهي أبدية غير متغيّرة، والنظرة الثانية تصوّر عالمنا الذي نألفه وهو متحرّك ومتغيّر على الدوام. هذه النظرة المزدوجة بين عالمين منفصلين تماماً دفعت أرسطو إلى البحث عن وسيلة منطقية توفّق بينهما. كانت النتيجة خروجه بتركيبة فلسفية تجمع بين واقعية العلم التجريبي وباطنية أفلاطون المثالية، وهذه الفلسفة الميتافيزيقية حكمت عقول العالم الغربي لأكثر من ألف سنة. إذاً، الذنب ليس ذنب أرسطو بل الذين أساؤوا تفسير توجهه الفلسفي مما أدى إلى تجاهل العالم التجاوزي الأفلاطوني ومثله العليا.



تم التعبير عن الاختلاف الكبير بين فلسفة أفلاطون التجاوزية وفلسفة أرسطو المادية بشكل واضح في لوحة رفائيل الجدارية (مدرسة أثينا) حيث تصوّر أفلاطون المتصوّف والمثالي يشير بإصبعه إلى الأعلى، بينما أرسطو الواقعي والمادي يومي بيده نحو الأسفل.

رغم أن تلك الفترة شهدت فلاسفة كبار لكن لازالت تشهد بقسمها الأعظم حالة من التخبط والضياع عانته المدارس الفلسفية التائهة في تنظيراتها المتضاربة خلال سعيها نحو الحقيقة النهائية. الجميع أصبح يزعم حوزته على الحقيقة رغم الاختلاف الكبير في وجهات النظر. هذا الوضع أدى إلى طغيان الفكر الشكوكي الذي لم يعد يستسيغ أو يأخذ بأي من الفلسفات السائدة. فيما يلي بعض العينات من المذاهب الفلسفية المختلفة التي برزت في تلك الفترة، والتي يبدو واضحاً توجهها المادي.

يقول مذهب "الشكوكية" *Skepticism* الذي أوجده "بيرو الأليسي" Pyrrho of Elis (٣٦٥ ــ ٢٧٥ ق.م) و"تيمون" Timon بأنه على الذين يسعون أن ينجحوا في النهاية بإيجاد غايتهم، وإلا عليهم الاعتراف بأنهم فشلوا في إيجادها أو عجزوا عن إيجادها. الذين يفترضون بأنهم وجدوا الحقيقة يُسمون "الاعتقاديين" Dogmatists. الذين يدركون بأن الحقيقة غير مفهومة أو غير قابلة للاستيعاب يُسمون "الأكاديميين" Academics. الذين لا زالوا يبحثون عن الحقيقة هم "الشكوكيون" Skeptics. وفقاً للفيلسوف "سكستوس أمبيريكوس" Sextus Empiricus يمكن تلخيص نظرة الشكوكيين تجاه ما هو مُدرك ومعروف كما يلي: القاعدة الأساسية للشكوكية هي أن كل سبب له سبب نقيض له، وهذا يمنعنا من الاعتقاد الجازم (كما يفعل "الاعتقاديون"). كان الشكوكيون شديدي العدائية للاعتقاديين لأنهم كانوا يقبلون بشكل أعمى النظريات المتعلقة بالخالق [جلّ جلاله] مع أنها كانت متناقضة وغير قابلة للإثبات. تساءل الشكوكيون: كيف يمكن أن نقبل بفرضيات غير قابلة للنقاش عن الإله الأعلى دون معرفة مادته أو شكله أو مكانه، حيث طالما بقي الفلاسفة يتجادلون باختلافاتهم المتعارضة حول هذه النقاط لا يمكننا الأخذ باستنتاجاتهم واعتبارها مسلّمات وحقائق غير قابلة للجدل. طالما أن المعرفة المطلقة تعتبر مستحيلة الإحراز، أعلن الشكوكيون بأن الغاية النهائية لنظامهم الفلسفي هي: عدم التمسك بآراء جازمة، عدم الإرباك والتضارب في الآراء، عدم الاندفاع في الاستنتاج والأخذ بالآراء النهائية، الاعتدال، عدم القلق والإرجاء.

تأسّس المذهب الرواقي Stoics على يد "زينو" السيتي Zeno the Cittiean (٣٤٠ ــ ٢٦٥ ق.م) الذي درس تحت إشراف "كراتس" Crates المترئس للمذهب "الساخر" Cynic، حيث من هذا المذهب الأخير تفرّع المذهب الرواقي. خلف "زينو" في رئاسة المذهب كل من "كلينثيز" Cleanthes و"كريسيبوس" Chrysippus و"زينو التارسيسي" Zeno of Tarsis و"ديوجينيز" Diogenes و"أنتيباتر" Antipater و"بينايتوس" Panætius و"بوسيدونوس" Posidonius. من بين أبرز

الرواقيين الرومان نجد "ماركوس أوريليوس" Marcus Aurelius و"أبيكتتوس" Epictetus. كان الرواقيون ذوي توجّه حلولي pantheist، حيث زعموا بأنه طالما لم يوجد شيء أكثر خيراً من العالم ككلّ فهذا يجعله يمثّل الله بذاته [عزّ وجلّ]. أعلن "زينو" بأن سبب وجود العالم منتشر فيه كما البذور. أكّد "كريسيبوس" بأن الخير والشر قوتين نقيضتين لكن وجودهما معاً ضروري للمحافظة على استمرارية الوجود (هذه طريقتهم في شرح مفهوم القطبية الهرمزي أو الـ"ين/يانغ" الصيني). اعتبروا النفس بأنها جسم روحي موزّع في كامل أنحاء الجسد المادي ومعرّضة للانحلال معه. كانوا ينظرون للأشياء على أنها مادية أو روحية. وعرّفوا الطبيعة بأنها الله ذاته [جلّ وعلا] مندمجاً مع محتوى العالم المادي.

تأسس المذهب "الأبيكوري" Epicurean sect على يد "أبيكوروس" الساموسي Epicurus of Samos (٣٤١ ــ ٢٧٠ ق.م) وهو يشبه إلى حد كبير المذهب "السيريني" Cyrenaic sect لكنه أكثر رقياً في معاييره الأخلاقية. وقد أخذ "أبيكوروس" بنظرية "ديموقرطوس" حول طبيعة الذرة وجعلها أساس لأفكاره الفيزيائية. يمكن تلخيص هذا المذهب وفق أربع قوانين: [١] لا يمكن خداع الحواس، وبالتالي كل حسّ وكل إدراك لأي ظاهرة هو صحيح. [٢] الرأي يستند على الحواس ويُضاف إليه بعدها المشاعر، ويمكن أن يكون إما خاطئ أو صائب. [٣] كافة الآراء المُصادق عليها أو التي لا تناقضها الإدراكات الحسية هي صحيحة. [٤] الرأي المتناقض مع الإدراك الحسّي هو خاطئ. من بين أبرز أتباع هذا المذهب نجد "مترودوروس" Metrodorus و"زينو الصيداوي" Zeno of Sidon و"فايدروس" Phædrus.

يمكن تعريف المذهب "الانتقائي" Eclecticism (أو الاصطفائي) بأنه عملية اختيار التعاليم المختلفة من المدارس المتضادة واستخدامها لصياغة فلسفة متناغمة ومتكاملة وفقاً لوجهة نظر الفيلسوف الانتقائي. لا يمكن اعتبار "الانتقائية" بأنها فلسفة قائمة بذاتها، لأنها تأخذ باستنتاجات المدارس الأخرى والتي تم التوصّل إليها بجدالات وبراهين وحجج مختلفة، لهذا السبب اعتُبر المذهب "الانتقائي" مذهب الإنسان العادي. ونلاحظ بأنه في عهد الإمبراطورية الرومانية لم تنل النظريات الفلسفية اهتمام كبير، وبالتالي نرى أن معظم المفكرين الرومان كانوا من النوع "الانتقائي". كان "سيسيرو" Cicero أبرز مثال على هذا النوع من المفكرين الانتقائيين، إذ كتاباته هي مجموعة من المقتطفات الخليطة والمتنوعة المأخوذة من مدارس فكرية وفلسفية سابقة.

يبدو أن هذا النوع من التفكير شهد ولادته عندما بدأ الناس يشكّون في إمكانية اكتشاف الحقيقة النهائية. وجدوا أن ما تُسمى معرفة قد لا تمثّل حقائق بل مجرّد آراء في أحسن حالاتها. بالتالي فإن الوسيلة الأكثر حكمة هي الأخذ بما يمكن أن يبدو الأكثر عقلانية بين التعاليم المختلف للمدارس المتنوعة. من هذا التوجّه ظهرت حالة انفتاح على كل التوجهات الفكرية، لكن هذا الانفتاح كان سطحياً لأنه مجرّد من العمق والدقّة التي اتسم بهما الفكر الفلسفي الحقيقي.

وجب عدم إهمال العامل السياسي من هذه الحالة التي سادت في تلك الفترة. كانت الامبراطورية الرومانية المترامية الأطراف امبريالية التوجّه، وجمعت ضمن حدود سيطرتها عدد كبير جداً من الأعراق والمذاهب الدينية والفلسفية والتقاليد والأعراف الشعبية وغيرها من تصنيفات متنوعة، وبالتالي ما كان عليها سوى مسايرة الجميع، لذلك اتبعت سياسة التساهل مع المختلفين معها فكرياً واعتقادياً وليس فرض آراءها بالقوة. لهذا السبب تم التشجيع على التوجه "الانتقائي" في التفكير، أي أخذ الجيّد من كل مذهب لتكوين منطق عام يوحّد الجميع.

لكن هذه الحالة العلمانية السطحية (لأسباب سياسية) لم تدم طويلاً إذ راحت المدارس الفلسفية القديمة تظهر من جديد، خصوصاً في الإسكندرية بمصر والتي شهدت في القرن الأول ميلادي نشوء مجموعة من المدارس الفكرية العظيمة، سأتناول فيما يلي أبرزها.

نشأت المدرسة الفيثاغورثية المستحدثة Neo-Pythagorean في الإسكندرية في القرن الأوّل من الحقبة المسيحية. أبرز الفلاسفة الذين ارتبطت أسماءهم بهذه المدرسة هم "أبوليونوس التياني" Apollonius of Tyana و"مودراتوس الغيدي" Moderatus of Gades. تمثّل المدرسة الفيثاغورثية المستحدثة صلة وصل بين الفلسفات القديمة والأفلاطونية المستحدثة. كما المدارس القديمة، شملت الكثير من العناصر الفكرية الدقيقة المستخلصة من فيثاغورث وأفلاطون. وكما الأفلاطونية المستحدثة، شددت على التنظير الميتافيزيقي وعادات الزهد والتنسّك. لقد أولت اهتمام خاص في سرّ الأعداد ومن الممكن أن الفيثاغورثية المستحدثة حازت على معرفة أوسع عن تعاليم فيثاغورث مما هو متوفّر اليوم. حتى في القرن الأول ميلادي كان فيثاغورث يُعتبر إله أكثر من إنسان، وإعادة إحياء فلسفته قد تمت على أمل أن يحفّز اسمه على الاهتمام في الأنظمة التعليمية الأكثر عمقاً مما كان سائداً في حينها. لكن في الحقيقة، الفلسفة الإغريقية قد تجاوزت فترة ذروتها وما من شيء كان يمنع انحدارها. كانت البشرية تنحرف نحو نوع جديد من الحياة، حيث كان

الاهتمام منصب على الشؤون الدنيوية. لقد حاول الكثير من الفلاسفة منع هذا الانحدار الفكري المريع لكن ما من جدوى. لقد تأجّل هذا الانحدار بفضل ظهور مدارس فلسفية قوية لكنه لم يتوقف أبداً. استمرّ الانحدار الروحي للإنسان إلى أن تجلّى بأبهى صورة مع ظهور العلمانية المادية وسيطرة السوق المالية في القرن العشرين.

أشهر المدارس التي مثّلت أمل كبير في تلك الفترة للعودة إلى أمجاد الماضي كانت الأفلاطونية المستحدثة Neo-Platonism، ويُقال بأن ظهورها عطّل الانحدار المتسارع الذي أصاب البشرية في تلك الحقبة. رغم أن الاعتقاد سائد بأن "أمونيوس ساتشوس" Ammonius Saccus هو مؤسّس الأفلاطونية المستحدثة لكن جذورها الحقيقية نشأت بفضل الفيلسوف "بلوتينوس" Plotinus (أفلاطونين، ٢٠٤ ــ ٢٦٩ ميلادي). أبرز فلاسفة الأفلاطونية المستحدثة في كل من الاسكندرية وسوريا وروما وأثينا نجد "بورفيري" Porphyry و"إيامبليكوس" Iamblichus و"سالوستيوس" Sallustius والامبراطور "جوليان" Julian و"بلوتارش" Plutarch و"بروكلوس" Proclus. مثّلت الأفلاطونية المستحدثة المجهود الأكبر والأخير للعالم القديم لأن ينشر ويحفظ للأجيال القادمة أسرارها الرائعة المحفوظة في عقيدتها السريّة. لقد وجدت المثالية القديمة أفضل تعبير لها في تعاليم هذه المدرسة. اهتمت الأفلاطونية المستحدثة بشكل حصري تقريباً بالمسائل الميتافيزيقية السامية.

تحدثت الأفلاطونية المستحدثة عن وجود عقيدة سريّة بالغة الأهمية انحدرت من ماضي عريق ضارب في القدم، حيث ازدهرت الحضارات الذهبية، لكنها محجوبة في الطقوس والرموز والحكايا الرمزية لكافة الأديان والفلسفات. بالنسبة للذين يجهلون أفكارها الجوهرية، قد تبدو الأفلاطونية المستحدثة مجموعة من التنظيرات الموبوءة بأوهام جامحة بعيدة عن الواقع. هذه النظرة تتجاهل تلك المؤسسات التعليمية الرائعة التي حضنت يوماً العقيدة السرية وما رافقها من تعاليم مذهلة سادت يوماً في عهد عريق، والتي انتسب إليها معظم الفلاسفة القدامى ونهلوا من بقايا فتاتها.

عندما انهار الجسد المعرفي للعالم القديم بدأت محاولات جدية لاستعادة بقاياه المتلاشية ونفخ الحياة فيه من خلال كشف ونشر بعض الحقائق الكونية العظيمة، لكن كان ذلك دون جدوى حيث باءت هذه المحاولة الأخيرة بالفشل. بالرغم من العدائية الشديدة بين المسيحية البدائية والأفلاطونية

المستحدثة لكن الكثير من أفكار المدرسة الأخيرة أُدخلت إلى الأولى ودُمجت مع "الفلسفة الأبوية" Patristic philosophy أي فلسفة آباء الكنيسة الأوائل. يمكننا وصف الأفلاطونية المستحدثة باختصار أنها شيفرة فلسفية تعتبر كل عقيدة ظاهرية بأنها قشرة خارجية لحقيقة باطنية يمكن اكتشافها عبر التأمّل وغيره من ممارسات ذات طبيعة باطنية. بالمقارنة مع الحقائق الروحية والباطنية التي تحتويها، تُعتبر القشور الخارجية للأديان والفلسفات عديمة القيمة. لهذا السبب لم تهتم الأفلاطونية المستحدثة كثيراً بالعلوم المادية.

يُستخدم المصطلح "أبوي" Patristic للإشارة إلى فلسفة الآباء الأوائل للكنيسة المسيحية القديمة. الفلسفة الأبوية Patristic philosophy مقسومة إلى مرحلتين رئيسيتين: ما قبل اجتماع نيقيا ante-Nicene، وما بعد اجتماع نيقيا post-Nicene *(حصل اجتماع نيقيا الشهير في العام ٣٢٥م وتم خلاله الاتفاق على المبادئ الرئيسية التي تشكّلت على أساسها المسيحية الكنسية التي نعرفها اليوم)*. فترة ما قبل اجتماع نيقيا كانت مكرّسة للهجوم على التعاليم القديمة (التي لازلنا نسميها حتى اليوم "وثنية") والدفاع عن المسيحية. شهدت هذه الفترة ملاحقة والقضاء على كل ما له صلة بالفلسفة القديمة وراحت الإملاءات الدينية العمياء التي تُفرض بالحديد والنار تأخذ مكان التفكير المنطقي الحرّ. لكن في بعض الأحيان كانت تُبذل جهود لإدماج بعض حقائق التعاليم القديمة مع أدبيات الوحي المسيحي. من بين الآباء المسيحيين الذين برزوا في فترة ما قبل اجتماع نيقيا نجد: "القديس إرنيوس" St. Irenæus و"كلمنت الاسكندراني" Clement of Alexandria و"جوستن مارتر" Justin Martyr.

شهدت فترة ما بعد اجتماع "نيقيا" post-Nicene period اهتمام أكثر بنشر الفلسفة المسيحية وفق مسارات الأفلاطونية والأفلاطونية المستحدثة، فنتج من ذلك ظهور مخطوطات غريبة عجيبة ذات طبيعة غامضة وملتبسة بحيث كانت طويلة ومملة وتحمل أفكار مشتتة ليس لها أي جدوى فلسفية. من أبرز الفلاسفة الأبويين في تلك الفترة نجد: "أثاناسيوس" Athanasius و"غريغوري النيسي" Gregory of Nyssa و"سيريل الاسكندراني" Cyril of Alexandria. تميّزت المدرسة الأبوية The Patristic school بتشديدها على تفوّق الإنسان على باقي المخلوقات في الكون أجمع. كان الإنسان يُعتبر مقدساً مما يميّزه عن باقي المخلوقات. اعتُبر الإنسان الإنجاز النهائي للخالق [جلّ جلاله] وبالتالي هو حالة استثنائية لا تطالها سلطة قوانين الطبيعة. بالنسبة لأتباع هذه المدرسة، لا يمكن تصوّر وجود مخلوق آخر أنبل أو أكثر حظاً أو أقدر من الإنسان، حيث من أجله خُلق الكون أجمع وكل ما فيه من طبيعة ومخلوقات، وهي مكرّسة جميعاً لخدمته.

بلغت الفلسفة الأبوية ذروتها مع ظهور "الأوغسطينية" Augustinianism التي يمكن وصفها بأنها أفلاطونية مسيحية. مع معارضة عقيدة "بيلاغيوس" Pelagius (٣٦٠ ــ ٤٢٠ م) القائلة بالإرادة الحرّة للإنسان وهو الذي يقرّر خلاصه، قامت "الأوغوسطينية" برفع الكنيسة وعقائدها الجازمة إلى مرتبة معصومة مطلقة، وهي مرتبة حافظت عليها الكنيسة بنجاح طوال قرون مديدة حتى عصر النهضة.

مذهب "الغنوصية" Gnosticism (العرفانية المسيحية) وهو نظام يتمحور حول نظرية الانبعاث emanationism، ترجم التعاليم المسيحية وفق مصطلحات ومفاهيم ميتافيزيقية إغريقية ومصرية وفارسية، وقد ظهر في القسم الأخير من القرن الأوّل الميلادي. كافة المعلومات المتعلقة بهذا المذهب العرفاني وتعاليمه تم تشويهها ووصمها بالهرطقة والإلحاد من قبل أبوات الكنيسة في فترة ما قبل اجتماع نيقيا، خصوصاً كتابات "القديس إرنيوس" St. Irenæus.

في القرن الثالث ميلادي ظهر مذهب "المانوية" Manichæism وهو نظام ثنائي من أصل فارسي، إذ علّم بأن الخير والشرّ يتصارعان للأبد من أجل نيل السيادة على الكون. لقد أسيء تفسير تعاليم هذا المذهب بحيث اتهمه رجال الكنيسة بأنه كافراً لأنه اعتبر المسيح ممثلاً لمبدأ الخير بينما سيدنا يسوع، الرجل العادي يمثّل الشرّ. مع أن ليس هكذا قصدت التعاليم "المانوية" بل كانوا يتحدثون عن الذات الحقيقية والذات الدنيوية.

مع موت الفيلسوف "بوثيوس" Boethius في القرن السادس الميلادي (أُعدم بتهمة الخيانة، وهذا مصير معظم الفلاسفة على أي حال) تكون آخر مدرسة فلسفية مسيحية/إغريقية قد فارقت الحياة. شهد القرن التاسع عشر ظهور مدرسة فلسفية دينية Scholasticism أسسها مجموعة من رجال الدين بهدف توفير أساس عقلاني للإيمان الديني وذلك من خلال إعادة النظر في أعمال الفلاسفة الإغريق. أي بمعنا آخر، سعت إلى التوفيق بين الفلسفة واللاهوت. وقد كان اهتمامها منصباً على أعمال الفيلسوف "أرسطو". من بين أفرعها الرئيسية المذهب "الانتقائي" Eclecticism الذي أوجده "جون ساليسبوري" John of Salisbury، والمذهب الباطني Mysticism الذي أوجده كل من "برنارد دي كلارفوكس" Bernard of Clairvaux و"القديس بونافنتورا" St. Bonaventura، والمذهب "العقلاني" Rationalism الذي أوجده "بيتر أبيلارد" Peter Abelard، والمذهب "الباطني الحلولي" pantheistic Mysticism الذي أوجده "مايستر أكهارت" Meister Eckhart.

وجب أن لا ننسى بأن هذا النوع من الفكر الديني الذي يتمحور حول عقائد جازمة غير قابلة للنقاش قد ساد في البلاد العربية أيضاً وبالتالي كما محاولات مفكرين أوروبيين في العودة إلى الفلاسفة القدامى (أهمهم أرسطو) نجد أيضاً بعض المفكرين العرب مثل ابن سينا وابن رشد قاموا بنفس المحاولات وقد اهتموا كثيراً بأعمال الفيلسوف أرسطو (أرسطوطاليس).

بلغت المدرسة الفلسفية الدينية Scholasticism ذروتها مع مجيء "ألبرتوس ماغنوس" Albertus Magnus وتلميذه الشهير "القديس ثوماس أكويناس" St. Thomas Aquinas، وقد أسّس هذا الأخير المذهب "الثومي" Thomism نسبة لاسمه حيث كان يُلقّب "أكويناس" أرسطو المسيحي. سعى هذا المذهب الأخير إلى التوفيق بين كافة أفرع المدرسة الفلسفية الدينية Scholasticism. كانت المدرسة "الثومية" في الأساس ذات توجهٌ "أرسطوي" Aristotelian (نسبة للفيلسوف أرسطو) مع إضافة مفهوم أن الإيمان هو إبراز للمنطق العقلاني.

نشأ المذهب "السكوتي" Scotism أو "النزعة الاختيارية" Voluntarism على يد الراهب الفرنسيسكي "جوهانز دونز سكوتوس" Joannes Duns Scotus الذي شدّد على قوة وفعالية الإرداة الفردية، وهي فكرة مناقضة للمذهب "الثومي".

في نهاية الأمر يمكن تلخيص السمة الأبرز للمدرسة الفلسفية الدينية Scholasticism وهي مجهودها الحثيث على حشر الفكر الأوروبي العام في قالب الفلسفة الأرسطوية (نسبة للفيلسوف أرسطو). لكن ما حصل في نهاية المطاف هو أن أتباع هذه المدرسة الفلسفية الدينية هبطوا إلى مستوى التقليد الحرفي الأعمى لأعمال أرسطو لكن مع صبغة دينية، إذ انتقوا كلمات أرسطو واستخدموها جميعاً في أعمالهم دون أن يتركوا كلمة واحدة، لكنها في النهاية كانت فارغة المعنى والمضمون. إلى هذه المدرسة بالذات، والتي استخدمت المصطلحات الأرسطوية الطنانة لكنها فارغة المضمون الفلسفي، وجّه "فرانسيس باكون" Francis Bacon انتقاداته اللاذعة وتعليقاته الساخرة.

لم تتحرّر الفلسفة من شرك اللاهوت الديني غير العقلاني سوى في بدايات عصر النهضة، وقبل هذا التاريخ شهدت الإنسانية والطبيعة عموماً أبشع حقبة تاريخية يمكن أن تنزل على البشر والحجر. لقد استحقت تسميتها عصر الظلمات. لم يبقى من الحكمة الأصيلة شيئاً ذو أهمية أو

جدوى. لقد ضاعت الحقيقة كلياً في خضم مرحلة طويلة من السفسطة والتنظير غير العقلاني والأكاذيب والافتراءات والأفكار التي لا نجد لها وصف سوى أنها مريضة. والذي زاد الأمر سوءاً هو تحولها جميعاً إلى مسلّمات غير قابلة للنقاش. قوة البطش التي رافقت فرض هذه المعتقدات كانت مهولة بما يكفي لتطويع الحجر! فما بالك البشر!

لكن مع تحرّر الفلسفة من شرك اللاهوت الديني كانت قد اتخذت شكل وتوجّه مختلف تماماً. حتى الإنسان المستيقظ من سباته العميق الذي استمرّ قرون طويلة لم يعد تكوينه العقلي والروحي والجسدي كما كان في السابق. ومع استلام العلمانية المادية زمام الأمور، إذ تربعت على عرش عالم المعرفة، بدلاً من أن تشهد الفلسفة عودة سهلة وميسّرة إلى الأصل راحت تشهد المزيد من التدهور والانحلال حتى تلاشت الحقيقة تماماً من مجال الرؤية. لهذه الحالة المزرية سبب وجيه. الحقد الذي كنه العلمانيون تجاه الدينيين كان كبيراً وبالتالي لم يعد بمقدورهم تحمّل أي فكرة ماورائية أو غير عقلانية أو خارجة عن مجال المرئي والملموس. فكانت اجتهاداتهم تتوجّه كلياً نحو إثبات وجهة نظر مناقضة تماماً لوجهة نظر الدينيين. وبكل تأكيد، الضحية الوحيدة التي سقطت خلال هذه المعركة الفكرية الشرسة كانت "الحقيقة".

لقد سعت الطريقة "الباكونية" Baconian (نسبة لـ"فرانسيس باكون"، وتمثّل نظام عقلاني استدلالي) إلى تمهيد الطريق أمام المدارس العلمية العصرية. وفقاً لهذه الطريقة، لا يمكن المصادقة على حقيقة معيّنة سوى عن طريق البحث والاختبار التجريبي. خلف "باكون" تلميذه (وسكرتيره لفترة معينة) "توماس هوبز" Thomas Hobbes الذي أكّد بأن الرياضيات تمثّل العلم الأكثر دقّة ورأى بأنه حتى الفكر يمثّل جوهرياً عملية رياضياتية! أعلن "هوبز" بأن المادة هي الواقع الحقيقي الوحيد، والبحث العلمي محصور في دراسة الأجسام المادية والظواهر المتصلة بمسبباتها المحتملة والنتائج التي تصدر منها تحت ظروف وشروط متنوعة. لقد شدّد "هوبز" على أهمية استخدام المصطلحات الصحيحة، إذ قال بأن عملية الفهم والاستيعاب تعتمد أساساً على إدراك العلاقة بين الكلمات والأشياء التي تمثلها.

مع تحررها من المدارس اللاهوتية وأفكارها الدينية، شهدت الفلسفة العصرية نمواً هائلاً وتفرعت إلى مذاهب عديدة ومتنوعة. وفقاً لمذهب الفلسفة الإنسانية Humanism يُعتبر الإنسان مقياس كل الأشياء. الفلسفة العقلانية Rationalism جعلت الملكات العقلية أساس كل المعارف. الفلسفة السياسية Political Philosophy تقول على الإنسان أن يفهم امتيازاته الطبيعية والاجتماعية

والوطنية. المذهب التجريبي Empiricism صرّح بأنه لا يمكن اعتبار أي شيء حقيقي سوى إذا تم إثباته عبر التجربة والاختبار. المذهب الأخلاقي Moralism شدّد على ضرورة السلوك الصحيح بصفته مبدأ فلسفي أساسي. مذهب المثالية Idealism أكّد على أن عوالم الكون ذات طبيعة خارقة للمادة إن كان في مجال العقل أو المادة. لكن مذهب الواقعية Realism يصرّ على عكس هذه الفكرة السابقة. مذهب الظاهراتية Phenomenalism قيّد المعرفة ضمن حدود الحقائق أو الأحداث التي يمكن وصفها أو شرحها علمياً. مذهب السلوكية Behaviorism يقدّر الخصائص الجوهرية للفرد عبر الدراسة التحليلية لسلوكه. مذهب الواقعية المستحدثة Neo-Realism يمكن تلخيصها بالإلغاء الكامل للمثالية.

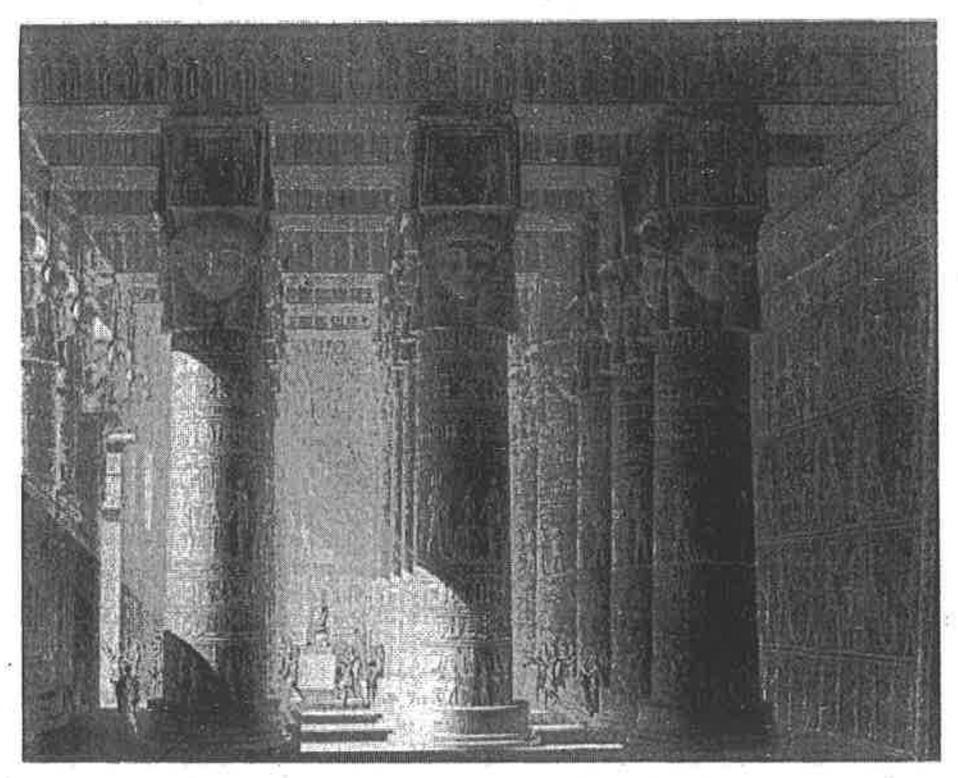
بعد إلقاء نظرة سريعة على مسيرة التطور الفلسفي من بدايات الفلسفة الإغريقية إلى العصر الحديث، من الواجب توجيه انتباه القارئ الكريم إلى المنشأ الذي خلق الظروف المناسبة لنشوء التفكير الفلسفي. رغم أن الإغريق أثبتوا جدارتهم في التعامل مع المبادئ الفلسفية بشكل سليم لكن هذا لا يجعلهم الأوائل في إيجاد الفكر الفلسفي. صحيح أن بعض اليونانيين تحمسوا في إنساب هذا العلم (علم العلوم) إلى وطنهم لكن المثقفين بينهم يعلمون جيداً أن الفلسفة التي يُزعم بأنها ولدت في بلاد الإغريق وتطورت حتى بلغت أوجها لم تكن كذلك إطلاقاً، بل ظهرت فجأة وبكامل روعتها وكأنها جاءت من مكان آخر، رفعت اليونان إلى عصر ذهبي مجيد لكنها راحت تشهد انحدار وتدهور بنفس السرعة التي ظهرت بها. المؤسسات التعليمية المجيدة التي ازدهرت يوماً في كل من مصر والهند ومابين النهرين هي المنشأ الأساسي لهذا العلم الجليل، هذه الحكمة، علم العلوم، وبالتالي يعود إليها الفضل الأول في نشوء الفلسفة اليونانية. الفلسفة التي ازدهرت في اليونان كانت مجرّد ظلال شاحب للجسد الحقيقي الذي ازدهر في "ألورا" و"أور" و"ممفيس" فتلقف شذراته شعب خرج تواً من طور البدائية فرفعته عالياً خلال عقود قليلة. الجميع يعلم بأن كل من "ثاليز" و"فيثاغورث" و"أفلاطون" وخلال تجوالهم في مصر وبلاد الشرق انتسبوا إلى مدارسها السرية (المعابد) واطلعوا على علومها وجلبوها معهم إلى موطنهم.

الفلسفة ما قبل التاريخ المكتوب

منذ طفولتنا تعلمنا بأن اليهود هم أوّل من أوجد علم اللاهوت والدين، وحتى معرفتنا بالله [جلّ جلاله] أعدنا فضلها لليهود. وتعلّمنا بأن الإغريق هم أوّل من أوجد الفنون والعلوم التطبيقية والفلسفة، وإلى حدّ ما كل شيء تمثله كلمة "الحكمة". وتعلمنا أيضاً بأن الفضل يعود للرومان في إيجاد كل ما يتعلق بالنظام والقوانين والتشريعات. لكن إذا دققنا في هذه المزاعم التي غرسوها في أذهاننا كحقائق مسلّم بها، ووسّعنا نظرتنا قليلاً بحيث تشمل مناطق أخرى وزمن آخر سابق لهذه الفترة التي ظهر فيها اليهود والإغريق والرومان الذين يُزعم بأنهم تعاونوا لإنشاء الحضارة الإنسانية، نجد مجموعة من الحضارات العريقة التي ازدهرت قبل اليهود والإغريق والرومان بآلاف السنين، مثل الحضارة المصرية التي تعود إلى الوراء في الزمن لدرجة يستحيل تحديد تاريخ نشوءها. أصبح معروف عموماً اليوم بأن اليهود أتوا بمعرفتهم من المصريين، وبالتالي نستنتج أنه حتى الأديان التي نألفها اليوم تعود إلى أصول مصرية.

في الوقت الذي كانت الحضارة المصرية والهندية تحوز على أرقى الأنظمة الفلسفية/الدينية كان الإغريق لازالوا غارقين في ظلمة الجهل والتخلّف ومحكومون بالخرافات اللاعقلانية، واستمرّت الحال كذلك حتى حصل حدث تاريخي مهم جداً، هذا الحدث مثّل الشرارة الأولى لانطلاق الحضارة اليونانية من أدنى مستويات التخلّف إلى ذروة الازدهار بوقت قصير جداً، وأصبحت القوة العظمى في العالم المعروف حينها حيث تفوقت على الجميع من الناحية العسكرية والتجارية والفكرية معاً. الحدث التاريخي الذي أتكلم عنه هو فتح المرافئ المصرية أمام الشعوب الأخرى في العام ٦٧٠ ق.م. كان المصريون قبل هذا التاريخ منعزلين تماماً عن العالم الخارجي، وبالتالي لم يكن هناك أي اتصال أو تبادل معرفي أو تجاري مع أوروبا والبلاد المحيطة بالبحر المتوسط بشكل عام. وكان التشديد على هذه الحالة أكبر بكثير من ذلك الذي فرضه ملوك الصين واليابان على بلادهم في الماضي القريب. كانت مصر تعتبر بالنسبة للإغريق بلاد الغموض والعجائب، وقد عبر عن هذه الحالة بوضوح كل من "هومر" Homer و"هسيود" Hesiod في كتاباتهم. مجرّد أن رُفع الحضر عن البلاد المصرية، والذي ساد لآلاف السنين، لم يمضي وقت طويل قبل أن تحصل تغييرات جذرية في أوروبا إذ شهدت تقدماً سريعاً ومفاجئاً. أوّل ما طال تأثير الثقافة المصرية اليونان، ثم إيطاليا (روما)، ثم باقي العالم. لقد ساهمت هذه الثقافة في زوال كل المعتقدات الخرافية البدائية ووفرت الظروف المناسبة لولادة الفلسفة الإغريقية.

هناك نقطة مهمة وجب التنويه إليها بخصوص الأساطير الإغريقية التي رافقت نشوء حضارتها. قد تبدو هذه الأساطير للوهلة الأولى مجموعة من القصص الخرافية غير عقلانية، لكنها في الحقيقة تمثّل حكايا رمزية تخفي في طياتها حقائق كونية عظيمة. المسألة هي إذا كان الإغريق قد تلقوها بصيغة قصص خرافية مجرّدة من المفاتيح التي تكشف عن حقائقها الخفية أو أنهم حازوا على المفاتيح، فالأمر لازال مجهولاً. لكن في جميع الأحوال، هذا يكشف عن حقيقة حضور المدارس السرية (بثقافتها المصرية) في اليونان قبل ظهور الفلسفة الإغرقية بزمن بعيد. التطابق بين التعاليم التي ترمز لها تلك الأساطير في كل من اليونان ومصر والشرق يكشف عن حقيقة وجود تواصل ديني بين تلك البلاد قبل حصول التواصل السياسي والتجاري والفلسفي. كانت المدارس السريّة تهاجر من بلد إلى أخرى وتزرع لها فروعاً في كل مكان بهدف التبشير ونشر الحضارة.



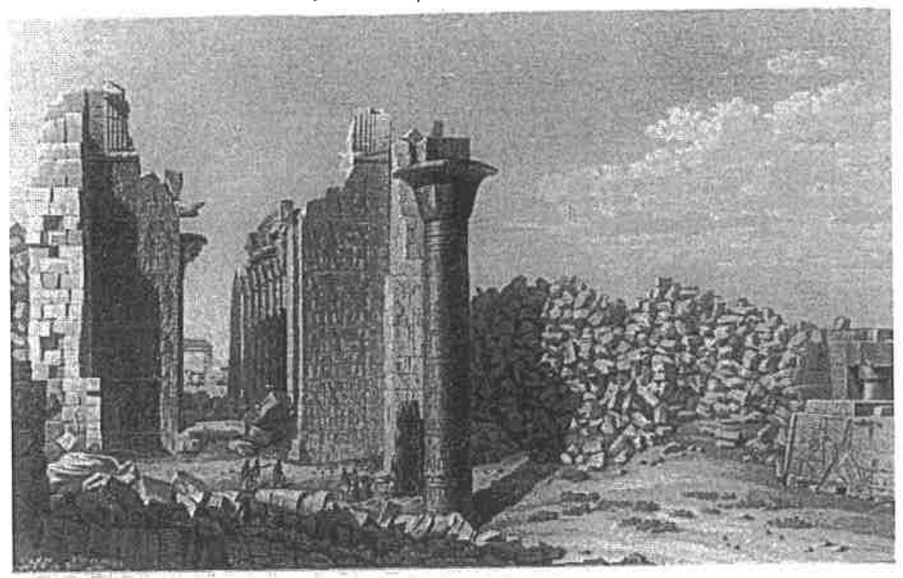
إذا كانت اليونان المنشأ الأوّل للفلسفة، لماذا بُنيت هذه المعابد العظيمة التي ازدهرت قبل الحضارة الإغريقية بألفيات عديدة؟

الحقيقة إذاً ليست كما يسود الآن في عالم المعرفة، حيث يُزعم بأن مصر هي التي استمدّت ثقافتها من اليونان، بل العكس هو الصحيح. أولئك المبهورين بالمنهج التقليدي للمعرفة لدرجة أنهم يعجزون عن إدراك وجود حقائق كونية باطنية محجوبة بين سطور القصص الخرافية الظاهرية لا يمكن لهم أن يستوعبوا فكرة إنه في أحد الأزمنة الغابرة سادت في هذا العالم معرفة راقية تتجاوز حدود خيالهم الضيّق، وفي حوزتها كافة أسرار الوجود. يمكننا رؤية بقايا التطبيقات العملية لهذه المعرفة في مواقع أثرية عظيمة موزعة حول العالم، خصوصاً في مصر والهند والصين وأمريكا الجنوبية. وسبب التشابه الكبير بين التعاليم المختلفة حول العالم يعود إلى انتشار هذه المعرفة في إحدى الفترات الغابرة على مستوى عالمي، وقد خضعت في كل منطقة إلى تغييرات وتعديلات تناسب المستوى الفكري للسكان المحليين. ربما يعود سبب انحلالها التدريجي من الثقافة الشعبية إلى تقهقر مستوى الكائن البشري نحو حالة مزرية من الانحطاط الروحي والفكري مما يجعله عاجزاً عن إدراك الحقيقة وتكريسها لخدمته. أو يعود السبب إلى سحب هذه المعرفة بشكل مقصود من التداول الشعبي بهدف صونها وحمايتها من سوء الاستخدام لأن الكائن البشري لم يعد بمستوى أخلاقي مناسب للتعامل مع القوى الكونية المكرّسة لخدمة الحائز على هذه المعرفة، فانحسر وجودها في حرم المعابد والحلقات الكهنوتية الضيّقة وما أصبحنا نعرفها اليوم بـــ"المدارس السرية" Mysteries التي تعمل في الخفاء.

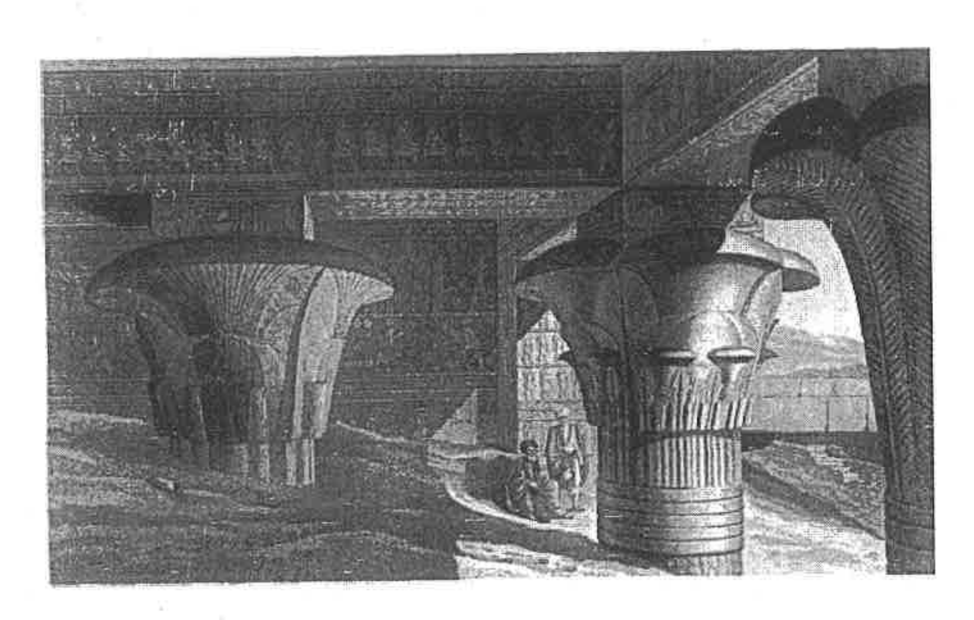
هذه الحقائق التاريخية السابقة والغير قابلة للجدل تثبت دون أدنى شكّ بأن ما نعرفه بـــ"الفلسفة" خرج من حرم المعابد التي تمثّل مراكز المدارس السريّة في العالم القديم. خرجت هذه الحكمة الكونية من محافل الكهنة الذين كانوا في ذلك الزمن الغابر يمثلون المجتمع العلمي الرسمي، وليس كما حالهم اليوم، مسوّقين للخرافات الغير عقلانية! كانت هذه المعرفة ذات صبغة دينية، والدين بمعناه الأصيل يمثّل المعرفة الحقيقية بالخالق [جلّ وعلا]. إذاً، هذه الحكمة الكونية هي أساساً معرفة دينية/فلسفية/علمية. لم تنفصل الفلسفة عن الدين أو العلم عن الفلسفة أو الدين عن العلم سوى بعد انهيار المؤسسات التعليمية المجيدة واحتلت مكانها المعابد الوثنية المسخة التي تديرها عصابات كهنوتية منحطّة.

على كل من يستطيع استيعاب أعماق الفكر الفلسفي أن يطلع جيداً على تعاليم أولئك الكهنة الأوائل الذين حازوا على الكشف المقدّس وتوكّلوا بصونه وحراسته. تزعم المدارس السرية بأنها حارسة المعرفة التجاوزية التي هي عميقة جداً لدرجة أن ألمع العقول الفكرية اليوم تعجز عن استيعابه،

والعيب لا يكمن في القوة الذهنية بل في القوة النفسية، إذ لا يمكن كشفها بأمان سوى للذين تخلوا تماماً عن طموحاتهم الدنيوية الأنانية وكرسوا حياتهم للخدمة الإنسانية المتفانية.



لأي حضارة تعود هذه الخرائب العملاقة التي كانت بهذه الحال حتى قبل ظهور الحضارة الإغريقية والرومانية؟ هل يُعقل أن الذين استطاعوا تشييد هذه الصروح العظيمة كانوا مجرّدين من أي إلمام بالدين والفلسفة والعلم؟!



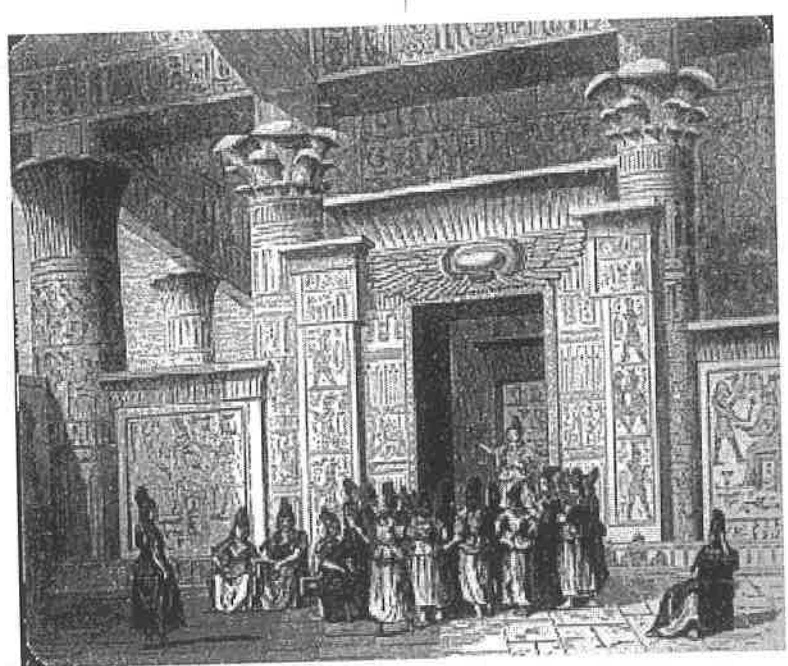


لمن تعود هذه الآثار العملاقة التي كانت بهذه الحالة المزرية قبل ظهور الفلاسفة الإغريق بفترة مديدة؟

لقد تم إثبات مدى روعة هذه المؤسسات وصحة ادعاءها بحوزتها الحكمة الكونية وذلك على لسان أبرز فلاسفة الزمن القديم، والذين كانوا أنفسهم منتسبين إلى مدارسها واطلعوا على خفايا أعماق تعاليمها السرية وكانوا شهوداً على جدواها العملية. قد يتساءل البعض، وهو سؤال وجيه: إذا كانت هذه المدارس السرية العريقة بهذه الدرجة من العظمة والأهميّة لماذا لم تتوفّر معلومات عامة تتعلّق بها وبالأسرار الكونية التي تزعم حوزتها؟ الجواب سهل وبسيط: المدارس السريّة هي عبارة عن جمعيات سريّة منغلقة على نفسها وتُلزم أعضاءها بالسريّة التامة وعقاب كل من ينتهك هذه الحرمة المقدسة هو الموت تعذيباً وبالألم الشديد.

رغم أن هذه المدارس مثّلت مصادر الإلهام الحقيقية للتعاليم المتنوعة التي نشرها الفلاسفة القدامى، إلا أن المصدر الرئيسي لهذه التعاليم لم يُكشف أبداً للدنيويين المدنّسين. بالإضافة إلى

ذلك، أصبحت تلك التعاليم على مرّ الزمن ملتصقة بأسماء ناشريها من فلاسفة وأولياء وبالتالي تم تجاهل مصدرها الحقيقي بالكامل.



لا يمكن تصوّر مدى روعة المعابد (الجامعات) المصرية في ذروة ازدهارها. الصورة تبين مدرسة مخصصة للنساء. نعم! المرأة ساهمت بشكل كبير في إنشاء مبادئ وقوانين الحكمة الكونية.

لازالت نسبة مُعتبرة من هذه المعرفة السريّة ماثلة أمامنا بوضوح وفي كل مكان من حولنا لكننا لا نراها! وعدم قدرتنا على رؤيتها هو السبب الآخر المهم في عدم إدراكنا بوجود هكذا معرفة أصلاً. هي وسيلة بارعة لجأ إليها الحكماء القدامى لإبقاء شعلة هذه المعرفة قائمة لكن بنفس الوقت تبقى محجوبة عن الناس إلى أن يتطور جانبهم الروحي إلى مستوى يجعل بصيرتهم ترى الحقيقة بوضوح. هذه الوسيلة التي برع بها القدماء هي "التشفير". لقد حُفظ قسم كبير من هذه المعرفة من خلال استخدام الرموز، وهذه الوسيلة تجعل تلك المعرفة الثمينة محفوظة بشكل جيّد وعلى مرأى الجميع! لقد جسّدوها على شكل هياكل وصروح عملاقة، أو حجبوها بين سطور النصوص المقدّسة أو بطنوها في الروايات الخرافية للأساطير، وبهذه الطريقة تبقى محجوبة عن

الجميع بسبب طبيعتها المشفّرة ولا يمكن فكّ رموزها سوى من قبل المطلعين على التعاليم السرّية بدرجة معيّنة.

".. الرمزية هي لغة المدارس السرّية. هي ليست لغة العلوم الباطنية والفلسفية فحسب بل لغة الطبيعة ككل، حيث كل قانون وقوّة نشطة في الكون تم تجسيدها بطريقة تناسب الإدراك البشري المحدود من خلال طريقة الترميز والتشفير. كل شكل من أشكال الوجود في هذا الكون المتنوّع يمثّل رمز للنشاط الإلهي الذي خلقه. من خلال الرموز، استطاع الإنسان أن يعبر عن أفكار تتجاوز حدود اللغة المكتوبة. بعد رفض اللهجات التي يستخدمها الناس العاديين بصفتها تافهة وغير ملائمة وغير جديرة بتخليد الأفكار المقدّسة، قرّر حراس "الحكمة الكونية" استخدام الترميز كوسيلة بارعة ومثالية لحفظ معرفتهم التجاوزية. يمكن لشكل واحد بسيط (رقم أو صورة أو نموذج) أن يكشف أو يحجب، حيث بالنسبة للحكيم يبدو الرمز واضحاً، بينما للشخص الجاهل يبدو الشكل غامض وغير مفهوم. وجب على كل من يسعى إلى الكشف عن التعاليم السرية العريقة أن لا يبحث في صفحات الكتب التي قد تقع في أيدي التافهين غير الجديرين، بل في الباطن الذي حُجبت فيه أصلاً، أي بين السطور التي تحويها صفحات تلك الكتب.."

".. كم كان القدماء بعيدي النظر. لقد تنبهوا إلى حقيقة أن الدول والأوطان تأتي وتذهب، وأن الإمبراطوريات لا بد من أن تنهار، وأن العصور الذهبية للفنون والعلوم والمثل العليا يتلوها دائماً العصور المظلمة حيث الجهل والتوحّش والخرافات. مع هوسهم بشكل أساسي بضرورة إيجاد أخلاف وسلالة صالحة لإكمال المسيرة، تجاوز عقلاء الزمن القديم أقصى الحدود للتأكد من أن معرفتهم محفوظة بأمان. حفروها على وجوه الجبال وأخفوها في مقاسات الصور والتماثيل العملاقة، وكل منها كان بالفعل أعجوبة هندسية بحد ذاتها. أخفوا معارفهم بالكيمياء والرياضيات في الأساطير والروايات الخرافية بحيث يخلّدها الجهلاء، أو في جسور القناطر التابعة لمعابدهم التي لم يمحوها الزمن أو يطمسها طوال هذه المدّة. لقد كتبوها بطريقة تجعلها حصينة من التخريب البشري وقسوة العوامل البيئية المدمّرة.."

".. يحدّق الإنسان اليوم باحترام ومهابة وتبجيل إلى الصروح الجبارة القابعة وحيدة وسط رمال مصر، أو الهرم المدرّج في "بالانك" (المكسيك). جميعها تمثّل شواهد صامتة على فنون وعلوم

الماضي الضائعة. وجب على هذه الحكمة أن تبقى محجوبة، إلى أن يتمكن هذا العرق البشري من قراءة اللغة الكونية... "الرموز"..."

مانلي بالمر هول

التعاليم السرية لكل العصور

إذاً، في الرموز والشعارات والحكايا الرمزية والأساطير والطقوس التي انحدرت إلينا من الماضي البعيد تكمن معرفة محجوبة تتناول أسرار الحياة العميقة، وهذه المعرفة قد حُفظت بالكامل في يد مجموعة صغيرة من العقول المختارة منذ بداية العالم. وبعد مغادرتهم الحياة، خلف هؤلاء الفلاسفة المتنورون منهجهم بحيث يستطيع غيرهم أيضاً فهمه واستيعابه. لكن من أجل تجنّب وقوع هذا المنهج في أيدي غير متحضّرة حيث يتم تحريفها، بقيت هذه المعرفة العظمى مخفيّة بحجاب الرموز والحكايات الخرافية. كل من تمكن اليوم من اكتشاف مفاتيحها الضائعة يستطيع من خلالها فتح المخزن المحتوي على كنز الحقائق الفلسفية والعلمية والدينية.

الطريق إلى المعرفة

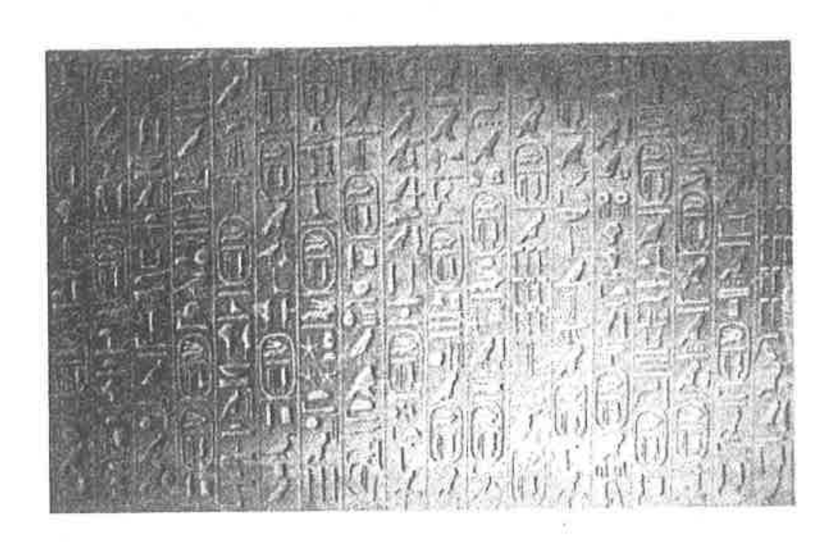
وفق منهج التعاليم السرية

وفقاً لما تعرفنا عليه سابقاً، أصبح واضحاً بالنسبة لكل من يسعى إلى الحقيقة التي تخفيها التعاليم السرية عليه أولاً التعرّف على المنهج الذي اتبعه الحكماء لصياغة تعاليمهم بهدف حجب الحقيقة، وقد فعلوا ذلك ببراعة كبيرة مستخدمين عاملين مهمّين: علم الرموز وعلم الأساطير. أما طبيعة المعرفة التي اجتهدوا في حجبها فتتألف من ثلاثة مكونات: الفلسفة الحقيقية التي يتبعها المريد لاستكشاف حقيقة الوجود. والعلم الباطني الذي يساعد المريد على فهم الطبيعة الماورائية لآليات ووظائف الوجود. والفن الباطني الذي يساعده على الاندماج فعلياً مع هذه الآليات والوظائف القابعة ماوراء التجسيد المادي للعالم الظواهري.

طريق المعرفة في ضوء التنوّر الداخلي يهدف إلى إدراك الحقيقة المطلقة. ***الفلسفة*** توفّر الأساس، هي الدرب الذي على الطامح توطيد نفسه عبره خلال سعيه نحو هدفه. الفلسفة تمثّل الأرض المرتفعة التي يمكنه أن يطلّ منها لكي ينجح في رؤية وإدراك وتمييز ومعرفة ومقارنة وربط المظاهر المختلفة للحقيقة. أما ***علم الرموز*** Symbology، فهو يكشف من كافة الجوانب عن مشهد شامل وثابت للمعاني الداخلية التي تتكشّف أكثر وأكثر أمام الطامح في ضوء الفلسفة. يلمح الجمال بالإضافة إلى الحقيقة، وكذلك التناغم والإنسجام بالإضافة إلى الوحدة. أما ***علم الأساطير*** Mythology، فهو يوقض قواه الحدسيّة وبصيرته الفطرية، فتسخّرها جميعاً في عملية البحث عن الحقيقة.. فيرقى به إلى مرتفعات الأسرار الإلهية غير المتوقعة وتغوص به إلى أعماقها المدهشة والعجيبة. وأخيراً، ***العلم الباطني وفنون تطبيقه*** يقود الطامح إلى أبواب المشاركة الباطنية التي يتم عبرها تحويل ما هو دنيوي إلى ما هو علوي (تحويل الطبيعة الدنيوية إلى طبيعة علوية).

في الفصول التالية سوف نتعرف على تفاصيل هذه المكونات والعوامل التي تشكّل المنهج الفعلي للتعاليم السرية. هو ذاته المنهج الذي على المريد معرفته إذا كان يسعى فعلياً إلى الحقيقة.

علم الرموز
Symbology



المبــــدأ

يعتمد مبدأ علم الترميز والتشفير في التعاليم السريّة على الفرضية القائلة بأن كل شيء متجسّد في العالم المادي هو تعبير بطريقة معيّنة عن اللامتجسّد في العالم التجاوزي. المجسّد المقدّس [جـلّ وعلا] هو أكبر مرمّز. إنه هو الذي *".. يعبّر في المشهد الكوني العام عن الحكمة الـسماوية.."*، *"..يعبّر عن الكائن الأسمى الذي يستحيل على العقل البشري تصوّره أو استيعابه.."*. إنه هو الذي يجلّي حالة الافتكار والتصوّر إلى حالة مادية ملموسة، يحوّل حالة الإمكانية إلى حالة فعليّة، وهو الذي بكل تأكيد يدفع المتجسّد إلى الانبعاث من اللامتجسّد إلى حالة الكينونة.

يشكّل مبدأ الترميز أساس كل من قوانين [التعبير] و[التماثل] و[التناسب]، حيث تُكتب أفكار الإلـــه الأعلى [جل جلاله] في عالم الأشكال، وكل من يرغب أن يقرأها يمكنه أن يقرأ.

عالم الأشكال المادية هو عبارة عن شيفرة رمزية كُبرى تخفي بداخلها فكرة الخالق [جلّ جلالــه] عن كل شيء في الكون والطبيعة والإنسان. الأجسام الظاهرية لها معانيها الباطنية، وحتى ذلـك الذي في الأسفل يعتبر بطريقة ما نموذجاً منعكساً لذلك الذي في الأعلى.

الإنسان بصفته رمز بحد ذاته يُعتبر تحفة الخالق، حيث في داخله يكمن مفتاح كل الألغاز في الوجود. هو ليس وهم مؤقّت يدوم لعدة سنوات في هذا العالم الدنيوي، بل يكمن ماوراء وفوق وخلف طبيعته الدنيوية الزائلة نموذجاً للإنسان المثالي الذي قُدر له أن يحقق الهدف الأسمى في إحراز مرتبته السامية في نهاية المطاف. ظاهرياً يبدو الإنسان كائناً عادياً، لكن باطنياً هو ذو طبيعة إلهية مقدّسة.

تحدّد القيمة الباطنية للرمز من خلال جلالة الفكرة المراد تقديمها عبره، وكذلك من خلال درجة إمكانية تحقيق تلك الفكرة وكفاءة تعبيرها. أما القيمة الظاهرية للرمز فتُقدر بناءً على مدى عمق ونبل العقل الذي يستخدمه. قد يبدو الرمز عديم المعنى بالنسبة لعقل ما، بينما يبدو لعقل آخر مفعماً بالأسرار العظيمة المتعذّر وصفها بكلمات.

يمثّل الرمز الحقيقي صورة حيّة للحقيقة. هو يتكلم بطلاقة إلى كل من يسمع ويفهم. الطبيعة هي نظام رمزي عملاق وصوتها هو صوت حيّ وذكي. الطبيعة هي كتاب الله البيّن للجميع. من يتبحّر بمعرفتها يصبح فقيهاً في كتاب الله [جلّ جلاله]. وكلما تبحّر الفرد بالفلسفة السريّة يصبح هذا الكتاب أكثر وضوحاً وجلاء. الإنسان، بصفته رمز، يقبع وسط فسيفساء هائلة وغامضة من الرموز التي يربطه معها عدد غير محدود من الصلات الخفيّة لكنها صميمية. كلما زاد إدراكه لهذه الحقيقة كلما اقترب من معرفة نفسه.

الميتافيزيقيا وحدها لا تعني شيئاً للعقل إلا إذا تم تعزيزها وتضخيمها بواسطة الرموز، إما عبر التعبيرات المجازية أو القصص الرمزية أو الشخوص الأسطورية أو غيرها من وسائل ترميز. يعتمد تذكّر وتمييز الأشياء المادية الملموسة على قدرة ذهنية تعمل على تحويلها إلى رموز ذهنية. الأشياء المختلفة التي حولنا لا يمكنها الدخول فعلياً إلى ذهننا عندما ندركها، بل ما نفعله هو إيجاد انطباعات رمزية (صور ذهنية) تمثّل هذه الأشياء ومن ثم تجد لنفسها مكاناً في نطاق الوعي لدينا. بهذه الطريقة يُقال بأن مخزوننا المعرفي يزداد. عندما نفكر بشيء كل ما نفعله هو استحضار صورته الذهنية (رمزه) إلى مسرح إدراكنا. مستحيل أن يحصل التفكير الواعي دون حضور الرموز (الصور الذهنية)، وعند استخدامها بهذه الطريقة تحوي هذه الرموز نوع من اللغة التي تترجم الأفكار إلى تعبيرات مفهومة. يمكن لهذه اللغة أن تدنو نحو التجريد أو قد تكون واضحة تماماً، يعتمد ذلك على قوة العقل الذي يستخدمها أو مدى تعمقه في تناول الأمور.

كل اللغات تتألف بالضرورة من أفكار وصور وشخوص رمزية، وهذا بالتالي يجعل دراسة علم الرموز دراسة شيّقة تتناول تلك الأحجيات الذهنية التي استخدمها الإنسان عبر العصور.

تصنيف الرموز

يمكن تصنيف الرموز بطرق مختلفة. هناك مثلاً رموز يستخدمها الإنسان في كافة مجالات نشاطاته إن كانت فكرية أو عمليّة، مثل الرموز التي نألفها في مجال العلم والفن والفلسفة والدين والصوفية والسحر والرياضيات والتكنولوجيا والموسيقى والتجارة والرياضة وعلم الاجتماع.. وهكذا إلى آخره.

هناك تصنيف آخر أكثر شمولية وهو مؤلف من قسمين: [١] رموز عمومية دائمة، و[٢] رموز اعتباطية مؤقتة. الرموز العمومية هي أكثر أو أقلّ بديهية وواضحة ومبيّنة عن ذاتها، بالإضافة إلى أن دلالتها الأساسية ثابتة وغير قابلة للتغيير. أما الرموز الاعتباطية فهي معرّضة للتغيير وفق الصيغة التي تُستخدم فيها.



تُعتبر الرموز الرقمية مثال جيد على صنف الرموز العمومية. رقم [ثلاثة] مثلاً، أو المثلّث، الذي يكشف عن ثلاثية الأطوار لكل الوجود والطبيعة الثالوثية للأشياء.



شعار الماسونية

الرموز الاعتباطية هي متنوعة بشكل كبير من حيث طبيعتها ودلالاتها، فمثلاً يمكن أن تمثّل طريقة إلقاء التحيّة أو التصافح بين شخصين، أو يمكنها أن تكون شعارات مختلفة يستخدمها الأشخاص لتمثّلهم أو تمثّل منظماتهم بصيغة الأختام أو التواقيع. لكن حتى الرموز الاعتباطية تكون مرتبطة أحياناً بالرموز العمومية مهما بدت العلاقة بينهما بعيدة.

ــ التصنيف الرباعي للرموز هو الأكثر كفاءة، وأقسامه هي:

١ــ الرموز الشكلية (صور)

٢ــ الرموز الصوتية

٣ـ رموز الألوان والروائح والأذواق

٤ـ رموز الحركة

كل من هذه الرموز ثنائية الجانب: [١] طبيعية و[٢] بشرية. الرموز الطبيعية هي تلك التي نراها في الطبيعة من حولنا، وهي التي تؤلّف تلك المجموعة الهائلة من الرموز الغامضة للخالق [عزّ وجلّ].. المهندس الأعظم. أما الرموز البشرية فهي تلك التي يصنعها الإنسان في كل أعماله. مجال الفن بكامله مؤلف من رموز بشرية، كما الحال مع الطبيعة التي هي مؤلفة من رموز الإله الأكبر [جلّ وعلا].

يُعتبر رمز الشمس مثالاً رائعاً للرموز الشكلية، إذ تكشف عن المركز الهائل لنظامنا الشمسي والذي ينبعث منه موجات لانهائية من النور والحرارة والقوة التي تحافظ على بقاء عالمنا. الصور والأرقام والأحرف، مهما كانت صيغتها: صورية أو هندسية أو هيروغليفية، تنتمي جميعاً إلى صنف الرموز الشكلية.

☿ ♅ ♆ ♀ ♂ ♄ | ☽ ☉ ♃ ♇



♑ ♈ ♋ ♌ ♎ ♐ ♏ ♉ ♍ ♊ ♓ ♒

الرموز الفلكية تمثّل أبجدية القوى الكونية ولها دلالات عميقة جداً

الرموز الصوتية أيضاً مقسومة إلى قسمين: طبيعية وبشرية. نجد في الطبيعة مثلاً تلك التي أشار إليها فيثاغورث بموسيقى الكواكب، والتي دلّ عليها بواسطة مواقع مختلفة من سلّم آلته الموسيقية أحادية الوتر. وهناك الأصوات المختلفة للأم العظيمة (الطبيعة) وكل أولادها (الكائنات الحية).

الكلمات أو الأسماء المحكية تمثّل رموز لأفكار معيّنة. الإنسان هو عبارة عن تجسيد لكلمة الخالق [عزّ وجلّ]، هو عبارة عن اسم. الصيغة اللغوية المُستخدمة، وكذلك نبرة الصوت، تمثّل دليل قوي على مزاجية المتكلّم. كل اللغات هي رمزية أصلاً، بعضها أنيق والبعض فخم والبعض باطني والبعض ذو صيغة ترتيلية.. إلى آخره. معروف أن الكلمات هي أدوات لنقل الأفكار وكذلك رموز للمشاعر. هناك كلمات فيها حب وكلمات فيها حكمة وكلمات فيها قوة ومهابة، وهناك كلمات نارية وكلمات مجنّحة وكلمات مقدسة وكلمات تقليدية مفعمة بالقوة والقداسة والغموض.

بخصوص الرموز اللونية نجد ألوان الطيف الرئيسية وعلاقتها المتبادلة مع التقسيم السباعي لجوانب مختلفة من الوجود. بالإضافة إلى الأصباغ اللونية الأخرى المستخدمة في مجال الفن عموماً والتي تُستخدم كرموز لأشياء مختلفة.

الروائح والأذواق المختلفة لديها أيضاً دلالات رمزية مختلفة، كأنواع البخور مثلاً والتي تمثّل قوى وكائنات وحالات مختلفة. أما بخصوص الرموز الحركية، فهناك أمثلة كثيرة عليها. حركة الأجرام السماوية مثلاً ومسارها الدوري في الفضاء، أو جريان نهر، أو تحليق عصفور في السماء، أو تصرفات الإنسان الإيحائية ونشاطاته المختلفة، جميعها أمثلة جيدة على الرموز الحركية.

التطبيق والاستخدام

يمكننا استنباط بعض الدلالات على مدى إمكانية تطبيق واستخدام الرموز من خلال النظر إلى المعاني الرمزية للفئات العشرة التي أسند عليها الفيلسوف أرسطو مكونات الأشياء:

١ـ المحتوى: الرموز الممثّلة للمحتوى توفّر أساس أو قاعدة التجسيد. في الأدبيات الأفلطونية المستحدثة نجد أن الأشياء تتألف من "محتويات" روحية تجاوزية إلى جانب "محتويات" مادية الملموسة.

٢ـ النوعية: يمكن تقدير خصائص كل الأشياء فقط عبر الرموز. الخصائص بذاتها تكمن في جوهر الأشياء، إن تم تمييزها أو لا، لكن لا يمكن تقييمها بشكل جيّد إلا إذا استُخدمت الرموز

لتمثّلها بطريقة صحيحة. مثلاً، يُعتبر الذهب رمز مناسب لخاصية "الطهارة" لأنه معدن يتميّز بأعلى درجة من "الصفاء".

٣ـ الكمية: النظريات الرياضية والقياسات الكمية تعتمد جوهرياً على استخدام الرموز المناسبة. كان الرياضياتي الهندسي اليوناني إقليدس Euclid ضليعاً في استخدام الرموز (مع العلم أنه كان من أتباع المدرسة الأفلاطونية). ربما تُعتبر الرموز الرياضياتية الأكثر عمقاً وعلمياً.

٤ـ العلاقة: يتضمن الوعي بالذات إدراك واضح للعلاقات القائمة بين العارف والشيء المعروف. خلال توسعه، يدخل هذا الوعي في علاقات رمزية أوسع وأقرب مع كل الكائنات، وأخيراً مع المطلق ذاته.

٥ـ المكان: إن ما يوجد هنا يرمز إلى ما هو موجود هناك. كافة المواقع والمستويات لديها رموزها التماثلية. يُعتبر كل من الجنة والجحيم من الأمكنة الرمزية أكثر من كونها واقعية.

٦ـ الزمان: الماضي والمستقبل موجودان فقط كرموز بسيطة أو مركّبة في الوعي (الإنساني أو الكوني). الحاضر يرمز إلى "الآن الأبدي". كافة الأنظمة والتسلسلات الزمنية هي رمزية.

٧ـ الحالة: تُستخدم الرموز للإشارة إلى استعدادات أو شروط أو استمرارية الخصائص أو آنيتها. بالإضافةِ إلى التغييرات الحاصلة في الخصائص الكيماوية والخيميائية أو غيرها.

٨ـ الموقع: الترتيب التسلسلي يشير رمزياً إلى مواقع الأشياء.

٩ـ النشاط: رموز القوى والوظائف والطاقات،.. إلى آخره.

١٠ـ الكمون: كل الأشياء هي إما إيجابية أو سلبية، رمزياً او فعلياً. يمكن للشيء أن يكون إيجابي بالنسبة لتلك الأقل نشاطاً، لكنه يكون سلبي بالنسبة لتلك الأكثر نشاطاً. الشمس مثلاً تُعتبر رمز سلبي بالنسبة للخالق [جلّ جلاله] لكنها إيجابية بالنسبة للكواكب.

خلال ترجمة أي رمز هناك ثلاثة مراحل على الأقل، تقود من المعنى الخارجي المحدود إلى المعنى الداخلي اللامحدود، وهي:

١ـ المعنى المادي الملموس: تناول الخواص الظاهرية والواضحة والمتميّزة للشيء. مثلاً، الشمس، نشاطها وصفاتها وديمومتها.. إلى آخره.

٢ـ المرحلة التحولية: التوسّع في المعنى المادي الملموس من خلال الاستنتاج والاستدلال، وذلك من خلال معاملة الرمز وكأنه معادلة أو نظرية تتطلّب التفسير عبر التسلسل المنطقي بحيث نخرج في النهاية بمجموعة من البديهيات. مثلاً، خصائص الشمس، المعنى وراء شكلها وموقعها، وكذلك نشاطها وإشعاعها، وعلاقتها مع الكواكب.. إلى آخره.

٣ـ المعنى المجرّد: التوصّل إلى المعنى الباطني الحقيقي الذي يكشف عن الفكرة الكونية الجوهرية والذي من خلال التماثل والمقارنة والتناسب نتمكن من الاختراق إلى ماوراء الظاهر. مثلاً، الشمس، معناها الروحي بصفتها رمز يمثّل الإله الأعلى، لأنها تحوز على خواصه الثلاثية الرئيسية، وانبعاثاته المتعددة، وسبب الحياة على الأرض.. وهكذا إلى آخره.



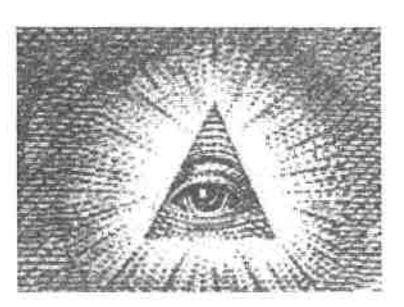
أحد الشعارات التي تمثّل فيه الشمس صفة ألوهية، حيث المثلث الدال على الطبيعة الثالوثية للكائن الكوني، والأفعى التي تعضّ ذيلها رمزاً للحياة الأبدية، وكذلك للحركة والنشاط. وفقاً لما تعرفنا عليه سابقاً، لم يعد غامضاً علينا رؤية العناصر الرئيسية لمبدأ الثالوث (العقل، الحركة، المحتوى) الشمس هي الوعي الذي ينشأ من حركة العقل، والكينونة هي المساحة الدائرية التي تحيطها الأفعى وتحييها بحركتها المستمرة. بالإضافة إلى أن الشعار عموماً يرمز إلى الصفات الإلهية

الثلاثة: [١] كلّي المعرفة (العين في قمة المثلث)، [٢] كلّي القدرة (الشمس الساطعة)، [٣] كلّي الوجود (الشكل الدائري الذي تصنعه الأفعى حول المثلث).

الطريقة السابقة ذات المراحل الثلاثة تستخدم ما هو مادي ملموس لترجمة ما هو مجرّد، أي تعتمد على الظاهري لترجمة الباطني، أو استخدام المحسوس للكشف عن الفكري، أو استخدام النسبي لاستشعار المطلق. وجب معرفة أن هذه الطريقة وحدها غير كاملة، حيث المحدود لا يمكنه أن يمثّل اللامحدود، ولا نحن بحاجة للدخول في متاهة من الجزئيات للتوصل إلى الحقيقة الكونية، وطالما أن ما هو في الأدنى يمثل شاهداً لما هو في الأعلى فالأمر لا يتطلّب مجهود كبير لتسلّق سلّم الحقيقة.

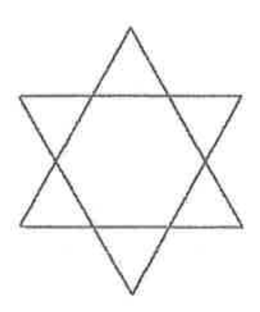
أمثلة مختلفة

فيما يلي بعض الرموز الأمثلة، وتجنباً للتعقيد سوف أجعلها تمثّل المعلومات التي تعرفنا عليها سابقاً بخصوص الطبيعة الثلاثية للإله الأعلى بالإضافة إلى القسمين الرئيسيين للكون المتجلي.



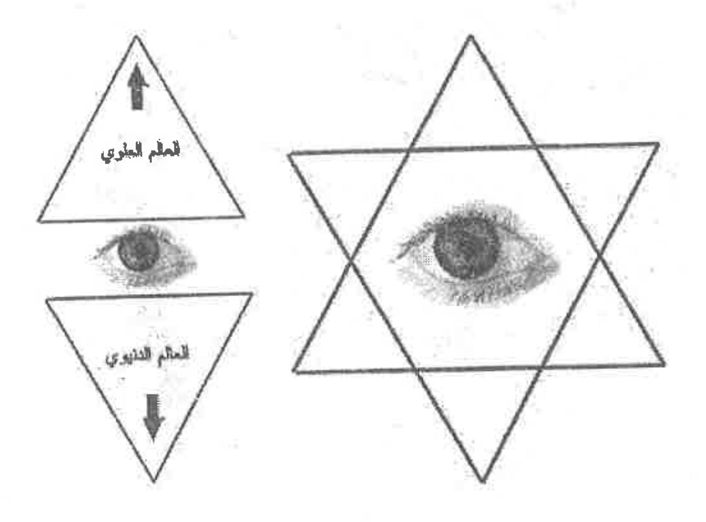
العين القابعة وسط المثلث تمثّل العنصر العقلي، ويحتل زاويته العليا عنصر الإرادة [الاندفاع]، ويحتل زوايا قاعدته عنصري النشاط [الحركة] والمحتوى [العطالة]. هذا الرمز يمثّل الكثير من الأمور التي وجب أن تكون بديهية بالنسبة للمطلعين على الحكمة السرية.

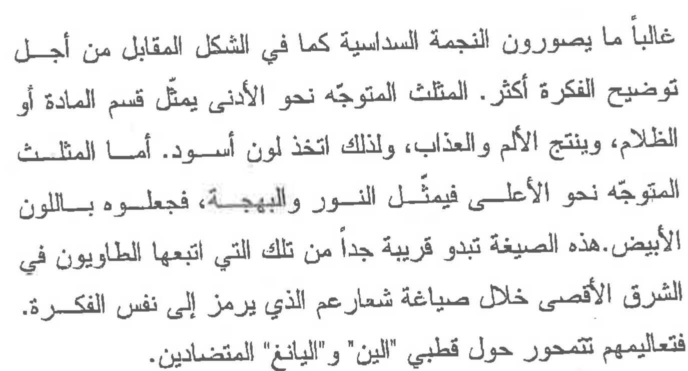
النجمة السداسية



هذه النجمة السداسية التي تُعرف باسم نجمة داوود أو خاتم سليمان كانت تُستخدم منذ القدم في مُعظم المدارس الفلسفية والباطنية القديمة، وقد استُخدمت بأشكال عديدة كشعار أو طلسم أو رمز. فالسومريون مثلاً استخدموها رمزاً للشمس. وهي مألوفة اليوم بصفتها شعار لدولة إسرائيل. لكن ما هو المعنى الحقيقي لهذا الشكل؟

لقد تعرفنا في الجزء السابق على القسمين الرئيسيين للكون، العالم العلوي والعالم الدنيوي. يعتبر العالم العلوي المجال الرحب للمجريات الإلهية ويتميّز بمحتواه الفكري والحياة الأبدية، بينما العالم الدنيوي يمثّل التعبير المحسوس والمؤقّت لما هو في الأعلـى. أصـبح لـدينا قطبـين يمـثلان الازدواجية أو المعاكسة الأبدية في الطبيعة: العلوي والسفلي، السماوي والأرضـي، السامي والدنيوي، الأبدي والزائل، الفكري والمحسوس، الروحي والمادي، التجاوزي والملموس... إلـى آخره. لذلك رمزوا إلى هذه التركيبة الثنائية للكون بمثلثين متداخلين، الأول يمثّل القطب الموجب (فاعل) والثاني يمثّل القطب السالب (منفعل). والعين في الوسط تمثّل النـور الإلهيـة أو النـار السماوية التي تنتج من تفاعل القسمين (الدوامتين) العلوي والسفلي، هي الابن المقدّس أو الـوعي المركزي أو تمثّل الذات في التركيبة الثلاثية للإنسان أو الكائن المراد دراسته. (الشكل التالي)





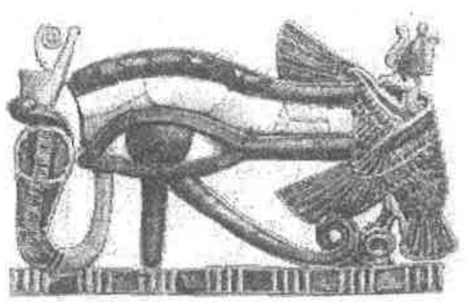
غالباً ما يصورون النجمة السداسية كما في الشكل المقابل من أجـل توضيح الفكرة أكثر. المثلث المتوجّه نحو الأدنى يمثّل قسم المادة أو الظلام، وينتج الألم والعذاب، ولذلك اتخذ لون أسـود. أمـا المثلـث المتوجّه نحو الأعلـى فيمثّـل النـور والبهجـة، فجعلـوه بـاللون الأبيض.هذه الصيغة تبدو قريبة جداً من تلك التي اتبعها الطاويون في الشرق الأقصى خلال صياغة شعارعم الذي يرمز إلى نفس الفكـرة. فتعاليمهم تتمحور حول قطبي "الين" و"اليانغ" المتضادين.







أحد الرسومات القديمة التي تصوّر النجمة السداسية ممثلة لطبيعة الإنسان الثنائية: [١] المثلث الموجّه للأعلى يمثّل الطبيعة الروحانية للإنسان، و[٢] المثلث الموجّه للأسفل يمثّل الطبيعة الدنيوية الشريرة للإنسان.



عين حورس أو عين رع أو عين أوزيريس. مهما اختلفت التسميات إلا أن المعنى يبقى ذاته. هي العين القابعة في المركز، النور الإلهية، الابن المقدس، الوعي المركزي أو تمثّل الذات في التركيبة الثلاثية للإنسان أو الكائن المراد دراسته. لاحظ روعة التمثيل للمعاني المُبطّنة في هذا الشعار. قد يختلف كلياً من حيث المظهر والشكل عن رمز النجمة السداسية لكنه متطابق معه تماماً في المعنى الباطني. النسر يمثّل العالم العلوي والأفعى تمثّل العالم الدنيوي، والعين تقبع بين الاثنين. لقد استخدم المصريون لاحقاً رمز النسر كإشارة إلى مصر العليا ورمز الأفعى للإشارة إلى مصر الدنيا. العارفون كانوا يعلمون ماذا يفعلون عندما نسبوا هذه الرموز إلى القسم العلوي والدنيوي لمصر.

الرمز الحقيقي له استخدامات عديدة. هو يمثّل مفتاح يمكن تدويره في القفل مرّة بعد مرّة. يمكنه أن يحمل ثلاثة معاني أو سبعة أو عشرة او اثناعشر. يمكن لمعناه في احد المستويات أن يكشف عن معناه في مستوى آخر. من خلال استخدام الرموز، يمكن للأفكار أن تتناسق والخواطر تتوحّد والمفاهيم المبهمة تتوضّح. الرمزية هي عملية تفكّر مركّز. يعتمد وضوح الفكرة على قدرة خلق رمز واضح وحقيقي لها، ويكون نقياً من أي شوائب أو عناصر غريبة. الرموز تصوّر الأفكار والمثل العميقة جداً لدرجة أنه يصعب التعبير عنها بكلمات عادية. الرموز تستحضر في الذهن مشاعر وخواطر سامية يصعب التعبير عنها. ما أروع تلك التركيبات الشكلية والصورية واللونية المختلفة التي تُجمع من أجل التعبير عن ما يعجز عن لفظه الصوت البشري. كم هي عديدة تلك المشاعر المتعذر وصفها والذكريات اللامحدودة والمثل السامية التي يمكن استحضارها من العالم اللامتجسّد إلى المتجسّد بواسطة الرموز.

ملاحظة: سوف نتعرف على المزيد من الامثلة حول الرموز في مواضيع مختلفة من الكتاب.

علم الأساطير



الغـــاية

يوجد ثلاثة أساليب رئيسية اتبعها المعلمون الكبار في سبيل تقديم الحقيقة للبشرية: [١] عقائـدياً، [٢] علمياً، و[٣] باطنياً. هذه الأساليب المختلفة هي متكافلة، أكثر أو أقلّ، لكن مـع ذلـك هنـاك أوقات، ولأسباب معيّنة، يكون أحدها طاغياً على الأسلوبين الآخرين. إن التأكيد بشكل جازم على حقيقة أن مملكة السماء تقبع في داخلنا يجعلها حقيقة مسلّم بها، وهذا يجعلها بالتالي عقيدة جازمة غير قابلة للنقاش. إذا تم تفسير وشرح هذه الحقيقة المسلّم بها بطريقة فلسفية أو غيرها من وسائل تجعلها أقرب للمنطق فسوف تصبح حقيقة علمية. لكن هذه الحقيقة، رغم تأكيدها بطريقة جيدة، إذا كان لها أكثر من معنى أو دلالة ظاهرية وبالتالي وجب شرحها رمزياً أو مجازياً فهذا يحولها إلى حقيقة باطنية.

الحقيقة المطلقة هي طبعاً لامحدودة وبالتالي لا يمكن استيعابها بطرق وأساليب محدودة. يـستطيع الإيمان أن يتقبّل عقائدها الجازمة، ويستطيع المنطق أن يدرك حقائقها العلمية، ويستطيع الحـدس أن يتلقى أسرارها الغامضة، لكن الحقيقة المطلقة بذاتها تبقى فوق الوصف رغم أن الكون بكامله صيغ بطريقة تجعل الحقيقة مكشوفة ومدركة.

إن إدراك الحقيقة أو تقبلها لا يفيد بشيء إلا إذا صنع تأثيراً منتجاً. يمكن الاعتماد على الحقيقـة العقيدية الجازمة بسبب تأثيرها المعنوي على الإرادة. يمكن الاعتماد عملياً على الحقيقة العلميـة

بسبب تأثيرها المنطقي على العقل. لكن الحقيقة الباطنية، بصفتها قوة باعثة، عند إدراكها بديهياً تكون أكثر فاعلية من الحقيقتين السابقتين، لأنها تضفي جمالها الحقيقي الذي لا يُقاوم على النفس وترقى بالأشياء إلى مستويات أعلى وأكثر تأثيراً.

لهذا السبب تُعتبر الأساطير والحكايا الرمزية وسائل مهمة لتقديم الجوانب الباطنية للحقيقة. فهي قصص العجائب والجمال، وتحتوي صوراً ومشاهد لما تتعطش له النفس وتتوق إليه. جمالها هو الشيء الوحيد الذي لا يُنسى أبداً. وبسبب المثل الخالدة التي تحويها، لازالت هذه الأساطير التي تتناول "... العصر الذهبي القديم..." تستحوذ على كل محبي الجمال. لقد حققت الأساطير، ولاتزال، الغاية الأساسية من صياغتها والتي هي ثلاثية الجوانب: حجب، حفظ، وكشف الجوانب الباطنية للحقيقة كما تم تقديمها في الأساطير والتقاليد الدينية.

إن أساطير المدارس السريّة هي المتعلقة بتقاليدها وتعاليمها السريّة، والتي انبعثت أصلاً من مصر ثم توجهت إلى جميع الجهات في العالم، أشهرها هي تلك التي مرّت عبر كلدانيا وصولاً إلى اليونان، وعبر بابل وصولاً إلى الشرق. لهذا السبب نرى التشابه الكبير بين أساطير الحضارات القديمة حول العالم.

الأسطورة أو الحكاية الرمزية هي حجاب يمكن رفعه رويداً رويداً حسب مستوى إدراك معناها المجازي الباطني. لأن معنى الأسطورة ليس ظاهراً، هناك أحياناً ميل إلى اعتبارها لغز أو أحجية تم تصميمها قصداً لإخفاء حقيقة معيّنة، لكن هذه في الحقيقة ليست الغاية الأساسية. الحقيقة ليست بيّنة بذاتها إلا إذا قُدمت بطريقة مناسبة إلى قدرات ذهنية تستطيع إدراكها. عندما يتم إحراز الرؤية الصحيحة سوف تُدرك الحقيقة كيفما كانت محجوبة. لذلك رغم أن الأساطير تخفي الحقيقة إلا أنها لا تحجبها تماماً بل بدلاً من ذلك هي تحضّر عيون النفس لرؤية تلك الأشياء التي قد تعميها بسبب زيادة نورها إذا لم تكن مُحضّرة مسبقاً.

يحتوي نظام الأساطير في العصور القديمة على مخزون هائل من الحقائق الكونية، والتي تُعتبر الإرث المشترك لكل البشرية. هي تشكّل عموماً تقليد عالمي يحفظ الأقوال المُلهمة لعُظماء كبار، إذ أن الأساطير والحكايا الرمزية تدخل في كافة المذاهب الفلسفية والدينية حول العالم. بناء على ذلك، من البديهي القول أن المبادئ الأساسية لكل مذهب وتقليد متجسّدة في الأساطير العائدة لهما.

لذلك حتى لو تم تحريف المذهب أو التقليد فسوف تساهم أساطيره في حفظ مبادئه الأساسية مما يمكنه من تصحيح نفسه والانتعاش من جديد بين الحين والآخر. بالإضافة إلى ذلك، الأسطورة أكثر قابلية للتداول شعبياً عبر الأجيال وأسهل للترجمة من لغة إلى أخرى بالمقارنة مع الأطروحات الفلسفية والميتافيزيقية. من الصعب نقل المعنى الكامل للمبدأ الفلسفي محافظاً على نقاوة مصدره الأصلي، بينما قصة الأسطورة أو الحكاية الرمزية سهلة النقل والتداول حتى من قبل أولئك الذين لا يفهمونها، ومع ذلك تبقى محافظة على معانيها كاملة.



مع انتشار هذا التقليد المتراكم المُفعم بالأساطير والحكايا الرمزية والخرافات والاستعارات المجازية بشكل واسع حول العالم وبلغات متعددة، أصبحت بالتالي تمثّل تقليد عالمي وهذا عزّز المعايير والعوامل المؤدية إلى الحقيقة على مستوى عالمي. تتمتع هذه الأساطير بحيوية متأصّلة ضمنياً مع قابلية دائمة للانتعاش رغم أن أصولها مجهولة لأنها فُقدت في غياهب الزمن السحيق. لا بد من وجود سبب وجيه لاعتبار الأساطير بأنها أكثر الأشياء المكتوبة صدقاً، حيث يمكنها الكشف عن حقائق عميقة يمكنها أن تبقى مخفية للأبد إذا تم تقديمها بوسائل أخرى غير الأساطير.

بالإضافة إلى أنه على الحقيقة المخفية ضمن نصوصها أن تُرى بدلاً من أن يُجادل حولها منطقياً أو يُسلّم بها بشكل أعمى.

تتحدث أساطير التعاليم السريّة عن انبعاثات الواحد الأعلى [جلّ جلاله] أي الآلهة الخالدون، وتتحدث أيضاً عن تجسيد مبدأ العقل الإلهي أو الروح الإلهية في العالم المادي، وغالباً ما يُشار إليه بـ"المسيح"، وتحدثت أيضاً عن هبوط "النفس" إلى العالم المتجسّد وعن خلاصها النهائي وعودتها إلى الارتقاء بعد تهذيبها حتى درجة الكمال. كما كررت الحديث وبصيغ مختلفة عن نشوء العالمين الأكبر(الكون) والأصغر (الإنسان) وبطريقة أسطورية لكنها صحيحة. ويتداخل مع هذه الحكايا السحرية الغامضة أفكاراً لها معاني عميقة لا يسبرها غور، وزوايا الرؤية التي يمكن مقاربتها عبرها هي غير محدودة، وتأثيرها شامل.

تستقي منها الأديان من أجل تشخيص مبادئها المقدسة، والتي من خلال العبادة يمكن أن تقود المفاهيم المادية المحدودة إلى المفاهيم المجرّدة غير المحدودة. الفلسفة أيضاً تتبنى المصطلحات الأسطورية مجرّد أن ابتعدت عن المادي والعملي ودخلت عالم المثاليات. كان أفلاطون، وهو سيد المثاليين، يلمّح دائماً إلى الأساطير الهومرية (نسبة إلى هومر) والأورفية (نسبة إلى أورفيوس). واستعاراته المجازية أيضاً كانت أمثلة واضحة على جدارته في فن صياغة الأساطير. أما الفن فلا يمكنه الاستغناء عن علم الأساطير، فالشعراء والرسامين والنحاتين والموسيقيين جميعهم يرجعون إلى الأساطير كمصدر لإلهامهم.



من المؤكّد أن زمن صناعة الأساطير والاستعارات المجازية قد ولّى، لكن سوف تبقى تخدم غايات مفيدة طالما استمر الإنسان يتكلم بصيغة الاستعارات والرموز. لكن بكل تأكيد، إذا حُرمت اللغة من هذه المنتجات الخيالية فسوف تتجرّد من تلك العناصر التي تمنحها ليس فقط قوتها وجمالها بل الكثير من قوة جاذبيتها للبديهة وكذلك الحس الداخلي بالحقيقة وتذوّق الجمال.

الأسطورة الحقيقية هي قصة كاملة بذاتها، هي رواية لكن تخفي معنى محجوب. العالم المرئي يبدو كاملاً بذاته لكن هو أيضاً يخفي أسرار محجوبة. قال أحد الكتاب القدامى يوماً: *".. يمكننا اعتبار العالم بكامله أنه أسطورة، فهو يحوي أجسام وأشكال مرئية، لكنه يحوي أيضاً أرواح بصيغة مخفية.."*.

الترجمة والتفسير

المبادئ الكامنة وراء علم الأساطير في المدارس السرية تدخل عموماً في تأويل وترجمة الأساطير والحكايا الرمزية. يمكن وضع بعض المبادئ الإرشادية العامة التي تشمل: [١] إنشاءها و[٢] معانيها و[٣] تطبيقها وتطويرها.

١ـ ***الإنشاء***: يوجد تشابه بين جميع الأساطير تقريباً من حيث استخدام [الأماكن] (التاريخية أو الخرافية) للإشارة ليس فقط إلى مواقع بل مستويات أو عوالم مختلفة في سلّم الوجود. كما تُستخدم [الشخوص] بأسماء ومصطلحات مناسبة لها رمزياً، بالإضافة إلى أن [الأحداث] تُروى بطريقة غير عادية وقابلة للترجمة بأكثر من طريقة وبالتالي فهي متعددة التفسيرات.

٢ـ ***المعاني***: هنا أيضاً يمكن ملاحظة مراحل مشابهة في كشف الحجاب في جميع الأساطير تقريباً. الحجاب الأول يُكشف من خلال التوصّل إلى التفسير الحرفي والاستخلاص المناسب للأسماء الأصلية وكذلك المصطلحات الأساسية المُستخدمة. الحجاب الثاني يُكشف من خلال إعادة إنشاء الرواية على ضوء هذه المعاني الحرفية والموحى بها. الحجاب الثالث يُكشف تدريجياً بمساعدة التأمّل والتفكّر العميق في المعاني التي تم استخراجها واستنباطها. يمكن تمديد هذه العملية أكثر حتى يبدأ الحدس يتلقى ومضات معلوماتية بديهية تمثّل لمحات عن الحقيقة المطلقة.

٣ـ ***التطبيق والتطوير***: إن تطبيق الأساطير يعني استخدامها لكي تقدم أو تفسّر مظاهر معيّنة من الحقيقة. إن أغلبية الأساطير الأصيلة قابلة للتطبيق من نواحي كثيرة، طبيعيـة وفنيـة، أخلاقيـة وأدبية، فلسفية وميتافيزيقية، دينية ولاهوتية، صوفية وسحرية. بالإضافة إلى أنه يمكن اعتبارهـا تمثّل العالم الأكبر (الكون) أو العالم الأصغر (الإنسان) إذ يمكن تحديد التشابهات فيما بينهما.

وهكذا من مجرّد قصة بسيطة تحمل معاني حرفية محدودة، ينتهي بنا المطاف مرحلة بعد مرحلة إلى استيعاب حقيقة كونية لامحدودة مع إمكانية تطبيقها في جميع مستويات الوعي وعوالمه. هذه القصص الغامضة هي مصادر إيحائية لا تنضب. في أوقات مختلفة نجد أنهـا تحمـل رسـائل مختلفة، بالإضافة إلى أنه إذا نظرت إليها عيون مختلفة في وقت واحد فسوف ترى فيها رسـائل مختلفة. وكما حالة ازدياد شدة رؤية الجمال الخارجي مع ازدياد إدراك الجمال الداخلي، نلاحـظ أيضاً أن الجمال المُبطّن في الأساطير قابل للإدراك أكثر وأكثر مع تكشّف جمال [الـنفس] أكثـر وأكثر.

الأسطورة لا تكشف عن السرّ ذاته للجميع. فهي تعكس فقط المقدار الذي تستطيع عيون [الـنفس] تقبله وتحمّله، كما حالة الطبيعة التي رغم وضوحها للعيان إلا انه لا يمكن رؤيتها بوضوح سوى من قبل العيون التي تراها بمحبة واحترام.



مثــــال

أسطورة أوزيريس وإيزيس



موجز القصة

في العصر الذهبي الأسطوري لمصر القديمة، حكم أوزيريس وإيزيس البلاد كملك وملكــة. لــم يكونان حاكمين للرعايا فحسب بل معلمين أيضاً. لم يكونان مثل عامة الناس بل قيل أنهما انحدرا من سلالة الآلهة. والديهما كانا [سيب] و[تفنوت].

لفترة من الوقت كانت الأمور تجري بشكل سليم وكان يعمّ السلام في البلاد. وفي أحد الأيام، بينما كان أوزيريس بعيداً في إحدى أرجاء مملكته النائية، انقلب عليه أخوه "تايفون" واغتصب العــرش وأخذ إزيس زوجة له. وعند عودة أوزيريس من رحلته البعيدة استخدم "تايفون" الخديعــة ليــنجح أخيراً في ذبحه ثم قطعه إلى ١٤ قطعة وبعثرها في جميع أرجاء أرض مصر المقدســة. بعــدها

بدأت مناحة إيزيس وبحثها الطويل عن زوجها المفقود. تنقلت كثيراً ومديداً، وكلما وجدت قطعة من جسد زوجها المقدس دفنتها وشيّدت في أماكن الدفن أضرحة ومعابد.

أخيراً رُزقت بابن اسمه حورس، والذي تمكن فيما بعد من التغلب على "تايفون" واستعادة عرش والده. فقام أوزيريس مجدداً من الموت وصعد إلى السماء وبعد انبعاثه تحوّل إلى مخلّص لكل من ماثل نفسه معه.

هذه صيغة مختصرة من الأسطورة وبالتالي لا تكشف عن كامل روعتها التي لا تتجلى إلا بعد قراءة كامل تفاصيل الأحداث، هذه الروعة التي تميّزت بها التعاليم السريّة المصرية.

المعنى الديني الباطني

ـ غالباً ما تُستخدم مصر في الأساطير للدلالة إلى مسرح الإجراءات الإلهية الحاصلة في النفس، والتي تخفي أسرار مقدسة على وشك الكشف في نهاية تلك الإجراءات. حتى في قصة يوسف الصديق استُخدمت مصر للغاية ذاتها.

ـ يمثّل أوزيريس التجسيد المقدس لفكرة الخالق، وفي هذه الحالة أقصد الإنسان النموذجي الكامل. هو يمثّل المبدأ الذكري في الكرة الكونية، والمثلث العلوي في مخطط شجرة الحياة.

ـ تمثّل إيزيس الكينونة، أي القسم الدنيوي في مخطط شجرة الحياة. هي المبدأ الأنثوي في الكرة الكونية والتي كانت طاهرة في البداية (قبل سقوطها إلى العالم الأرضي) لكنها تعرّضت للاختطاف من قبل "تايفون" الذي يمثّل العالم المادي المظلم فتلوثت بصفاته الأرضية المدنسة.

ـ تايفون يمثّل العالم المادي المظلم، العالم الأرضي الذي ذُبح فيه الإنسان النموذجي (أوزيريس: القسم الروحي من الإنسان) ووقعت الكينونة (إيزيس) تحت سطوة الإنسان الأرضي المقيت (تايفون: القسم الجسدي/الغريزي من الإنسان.. الطبيعة الحيوانية.. الشيطان).

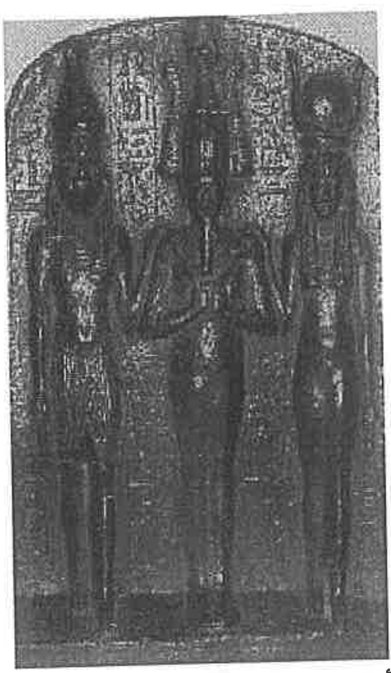
ـ تقسيم جسد أوزيريس إلى ١٤ قطعة يرمز إلى مستويات التجسيد المادي التي تتألف من ١٤ مستوى وفقاً للمفهوم القديم. هو مخطط التكوين التجاوزي لأي شيء متجسّد بصيغة مادية في

الكون، ويتألف من الثالوث المقدس والكواكب السبعة والعناصر الأربعة (مجموعها ١٤)، وهو التقسيم ذاته الذي أخذ به فيثاغورث وكذلك تقسيم الكون وفقاً لمخطط بطليموس، وهذا ما سوف نتعرف عليه في الفصل المتعلق بعلم الفلك.

ـ يمثّل حورس الذات المعلّقة في مركز الكرة الكونية بين القسم الدنيوي والقسم العلوي. هو الشمس المركزية، الوعي المركزي في كينونة الفرد. تعرفنا في الجزء السابق كيف تكون هذه الذات المركزية بمثابت [الإبن المقدس] وكيف تكوّنت خلال عملية الخلق، إذ هي خليط بين المبدأ الذكري والمبدأ الأنثوي.

تعتبر المدارس السرية حورس بأنه المرتبة التي يحرزها الإنسان المنتسب إلى المدارس السريّة (خضع لتدريبات صارمة) وتخرّج منها متحرراً من أغلال العالم الأرضي وإغراءاته (أي تحرّرت ذاته من القيود الوهمية للدنيا الزائلة]. يصبح بعدها المسيح الذي ينبعث منه نور الإله. مع العلم أن كلمة "حورس" هي المرادف الإغريقي للكلمة المصرية الأصلية "حيرو" وتعني حرفياً "الحر" أي الذي تحرّر من قيود الدنيا. يُعتبر حورس بأنه ذاته أوزيريس بعد قيامته من الموت، أي أن المريد المنتسب إلى المدرسة السرية قد أحرز أخيراً مرتبة الإنسان النموذجي المثالي بعد قتل الإنسان الحيواني بداخله وبالتالي أصبح مولود من جديد.

كان حورس يُعتبر تشخيص للانبعاث الإلهي، هو ابن "أوزيريس" الروح الكامنة في داخلنا ".. التي ذبحتها طبيعتنا الأرضية.."، حورس هو ابن الإله الأعلى الكامن في الإنسان، ابن السماء وفتى الأرض. عندما يحرز المريد تلك المرتبة التي تجعله متماثلاً مع "حورس" يقول كهنة الهرم بأنه "تقدّس" (تألّه) في صالة "سيب". دون "حورس" لا يمكن أن يكون هناك ولادة من جديد، ولا كمال، لكن بوجوده كان وسيبقى هناك حياة أبدية.

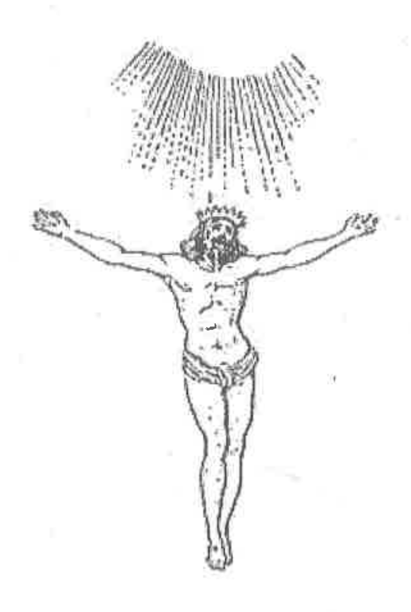


أوزيريس، إيزيس، وحورس في الوسط

ملاحظة: يوجد الكثير من الصيغ المختلفة لأسطورة أوزيريس وإيزيس وحورس، وتختلف تفاصيل أحداثها مع اختلاف العصور التي توالت على مصر القديمة. لقد أدخلت تعديلات كثيرة إلى أحداث القصة وقد تم تغيير الأسماء وحتى أدوار الأبطال الرئيسيين، ومعظمها لأسباب سياسية (أهمها فترة احتلال الهيكسوس لمصر) حيث تغيّر اسم تايفون إلى "سيت" Set ويُشار إليه باللغة اللاتينية "ساتان" Satan ومرادفه بالعربية "شيطان". وهناك أسباب لاهوتية أيضاً حيث تم تعديل القصة أكثر من مرّة تزامناً مع الانقلابات المتعددة داخل النظام الكهنوتي المسيطر على المعابد، لكن التعديل الأشهر جاء مع إدماج الديانة المصرية مع علم الفلك وسيادة عبادة الشمس التي أصبح يمثلها حورس في الأسطورة.

لكن الأمر الأهم هو أن أسطورة أوزيريس وإيزيس وحورس (الأصلية أو المحرّفة أو الفلكية) لم تبقى محصورة ضمن الثقافة المصرية بل انتشرت في كافة حضارات العالم القديم حيث لازال العشرات من هذه القصص المتشابهة قائمة في المراجع التاريخية، وحتى بعض الأديان الكبرى القائمة اليوم تتمحور حول ذات القصة. هذا ما سنكتشفه في الصفحات التالية.

أعظم قصّة على مرّ العصور

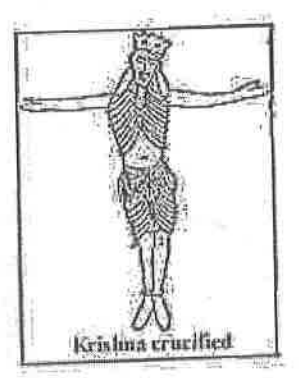


".. ولد من عذراء حبلت به بلا دنس من خلال تدخل الروح القدس، وذلك تحقيقاً لنبوءة قديمة. عبده الناس لأنه المخلّص، واتسمت حياته بالتواضع، وصنع معجزات شتى، فشفى المرضى، وجعل الأعمى يبصر، وأحيى الموتى، وطرد الأرواح الشريرة، غير أنه تعرّض للخيانة ومات مقتولاً لكنه قام من جديد بعد فترة وصعد إلى السماء.."

لقد أصبحت هذه القصة المغروسة بعُمق في وجداننا من بين البديهيات التي لا يُمكن أن يخطئ أحد إطلاقاً في تمييزها وتحديد هويتها. إذا سألك أحدهم: عن من تتكلّم هذه القصة؟ فلا بدّ من أن جوابك سيكون حاضراً وسريعاً: إنها قصة سيدنا يسوع المخلّص. لكن هل أنت واثق من ذلك؟ ماذا لو علمت بأن هذه القصّة هي ذاتها التي تناقلها مُعظم شعوب العالم الوثني القديم! عشرات القصص المطابقة بشكل مُذهل والتي تتحدّث عن مخلّص وُلد من عذراء ومات مقتولاً نتيجة مؤامرة ثم أحيي من جديد وصعد إلى السماء في اليوم الثالث!

إنها ذاتها قصة الإله المخلّص "كريشنا" Krishna الهندوسي الذي ظهر قبل ١٢٠٠ سنة من ولادة المسيح! وكذلك "بوذا ساكيا" Buddha Sakia في الهند (٦٠٠ قبل الميلاد)، و"فيريشنا"

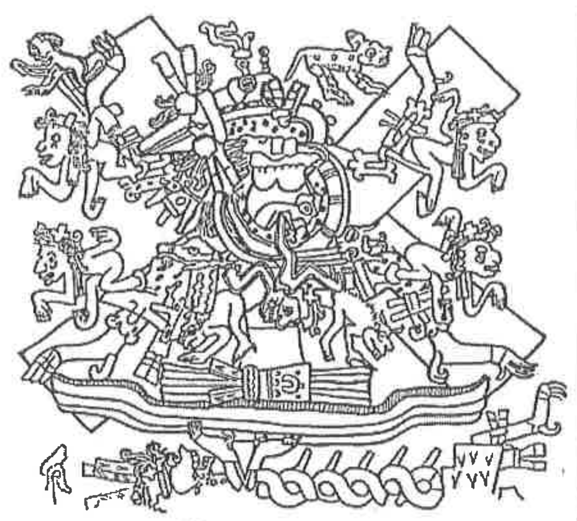
Virishna (١٢٠٠ قبل الميلاد)، و"كرايت" Crite الكلداني (١٢٠٠ ق.م)، و"إندرا" Indra في التيبت (٧٤٥ ق.م)، و"بالي" Bali من أفغانستان (٧٢٥ ق.م)، و"جاو" Jao من نيبال (٦٣٢ ق.م)، و"ويتوبا" Wittoba البلنغوني (٥٥٢ ق.م)، و"تاموز" Tammuz السوري/البابلي (١١٦٠ ق.م)، و"أتيس" Attis الفريجي (١١٧٠ ق.م)، و"هيسوس" Hesus أو "إروس" Eros عند كهنة الدرويد (٨٣٤ ق.م)، و"جينتاوت" Gentaut و"كويتزالكوتل" Quetzalcoatl في المكسيك (٥٨٧ ق.م).



كريشنا مصلوباً

و"إكزيون" Ixion و"كويرينوس" Quirinus في روما (٥٠٦ ق.م)، و"بروميثيوس" Prometheus من القوقاز (٥٤٧ ق.م)، و"ميثرا" Mythra الفارسي (٦٠٠ ق.م)، والقائمة تطول كثيراً كثيراً.. حيث هناك أيضاً "دايونيس/باخوس" Dionysus/Bacchus، و"ساليفاهانا" Salivahana من جزيرة برمودا، و"حورس" Horus من مصر، و"أودين" Odin من سكاندينافيا، و"زردشت" Zoroaster من فارس، و"بعل" Baal و"تاوت" Taut عند الفينيقيين، و"كزامولكسيس" Xamolxis من ثراسيا، و"آداد" Adad من آشور، و"ديف تات" Deva Tat و"سامونوكادام" Sammonocadam من سيام، "ألسيدس" Alcides من ثيبز، "ميكادو" Mikado و"بادرو" Beddru من اليابان، و"ثور" Thor من بلاد الغال، و"قدموس" Cadmus في اليونان، و"إسشي" Ischy من فرموزا، و"فوهي" Fohi و"تيان" Tien في الصين، و"أدونيس" Adonis في اليونان، ابن العذرا "لو"... إلى آخره، إلى آخره..





هل هذا سيدنا يسوع؟.. لا، إنه دايونيس/باخوس Dionysus/Bacchus معلّقاً على الصليب، قبل يسوع بقرون عديدة (على اليمين). والصورة على اليسار تبيّن "كويتزالكوتل" Quetzalcoatl معلقاً على الصليب في المكسيك (القرن الخامس ق.م)

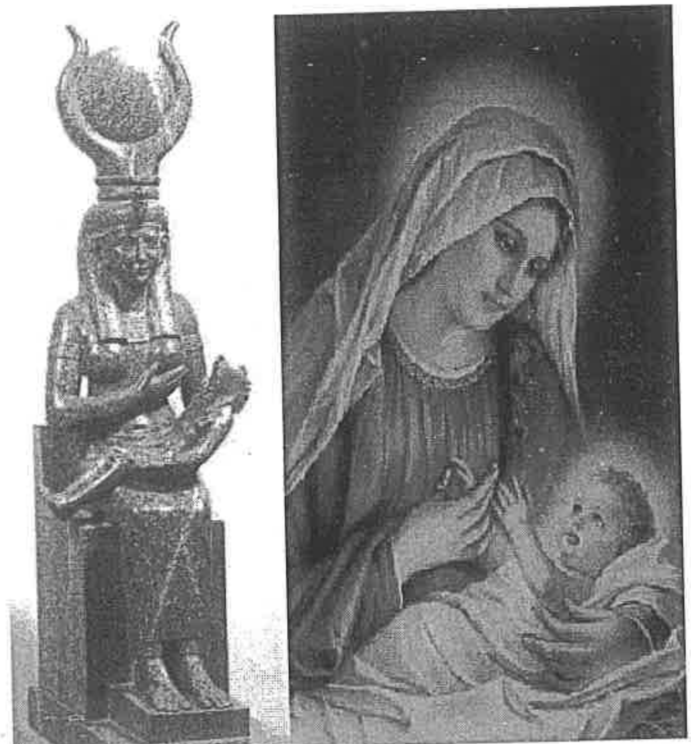




السيّدة إيزيس العذراء التي أنجبت حورس المخلّص وإبن الله.. والسيّدة مريم العذراء التي أنجبت يسوع المخلّص وإبن الله..



مريم العذراء ويسوع المخلّص، إزيس العذراء وحورس المخلّص



مقارنة أخرى: مريم العذراء ويسوع المخلّص، إزيس العذراء وحورس المخلّص



هناك عدد كبير من التماثيل التي لم تطالها يد التدمير والطمس، جميعها تمثّل أمهات عذراوات وأطفال مخلّصين

مقارنة بين نصوص مقدّسة لعدة ديانات مختلفة تتناول قصّة المخلّص

ربما تظنون أن الأمر يعتمد على مقاربات ومقارنات غير دقيقة مما جعل الروايات التي تناولت الشخصيات التاريخية المذكورة سابقاً متطابقة إلى هذا الحدّ. هل هي مصادفة، أم أنها فعلاً روايات متطابقة إلى هذا الحدّ؟ دعونا نكتشف ذلك بأنفسنا. سوف نجري فيما يلي مقارنة سريعة بين بعض التفاصيل التي ذُكرت في الروايات المقدّسة التي تناولت كل من قصة سيدنا يسوع وبوذا وكرشنا وحورس، وسأترك الأمر لكم لتحكموا كما يحلو لكم.



ديفاكي وكريشنا، مريم ويسوع، إزيس وحورس، مايا وبوذا

مقارنة بين يسوع وحورس

يسوع المخلّص	حورس المخلّص
يسوع مولود في بيت لحم، منزل الخبز	حورس مولود في آنو، مكان الخبز
يوحنا المعمدان	آنوب المعمدان
يسوع الراعي الجيّد مع الحمل على كتفيه	حورس الراعي الجيّد مع المحجن على كتفيه
الصيادين السبعة على متن المركب مع يسوع	السبعة على متن المركب مع حورس
يسوع كما الحمل	حورس كما الحمل
يسوع كما الأسد	حورس كما الأسد
يسوع كما الولد الصغير الأسود	حورس كما الطفل الأسود
يُعرف يسوع من خلال الصليب	يُعرف حورس من خلال المحجن أو الصليب
يسوع ابن العام الثاني عشر	حورس ابن العام الثاني عشر
يسوع ابن الثلاثين عام عند عمادته	حورس ابن الثلاثين عام عند عمادته
يسوع هو المسيح Christ	حورس هو المسيح Krst
يسوع إبن الله المتجلي	حورس إبن الله المتجلي
أمان للطفل يسوع وهما أخوات	أمان للطفل حورس وهما أخوات
يسوع والشيطان هما توأمان متضادان	حورس و"شيط" هما توأمان متضادان
يسوع ناثر البذور الجيّدة والشيطان ناثر البذور البيقة	حورس المزارع و"شيط" هو المدمّر في حقل الحصاد
يسوع والشيطان يتباريان على الجبل	"شيط" وحورس يتباريان على الجبل
النجم في الشرق يشير إلى مكان ولادة يسوع	النّجم يعلن عن الطفل حورس
يسوع المُعذّب	حورس المُعذّب
يسوع ذو الحياة الأبدية	حورس ذو الحياة الأبدية
يسوع الذي جاء ليبسط القانون	حورس الذي جاء ليبسط القانون
يسوع الذي جاء مع الماء والدم والروح	حورس الذي جاء مع الماء والدم والروح
يسوع صاحب الأرضين	حورس صاحب الأفقين

يسوع يمشي على الماء	حورس يمشي على الماء
أبناء يسوع	أبناء حورس
دخل يسوع جبل عند الغروب ليتحدث مع والده	دخل حورس جبل عند الغروب ليتحدث مع والده
يسوع يتجلى على الجبل	حورس يتجلى على الجبل
الأرغفة السبة التي أطعمها يسوع للحشود المستلقية على العشب	سبعة أرغفة من الخبز أطعمها حورس للحشود الراقدة في حقول "آنو" الخضراء
أتباع يسوع الاثني عشر المعروفون بالرُسل الإثنا عشر	أتباع حورس الاثني عشر المعروفون بـ"هار خوتي"
أسرار التعاليم السريّة كُشفت من قبل يوحنا	أسرار التعاليم السريّة كُشفت من قبل "تاهت آن"
اليوحنيين هما الشاهدان على يسوع	"أنوب" و"آن" هما الشاهدان على حورس
يسوع هو نجمة الصباح	حورس هو نجمة الصباح

مقارنة بين يسوع وكريشنا

يسوع المخلّص	*كريشنا المخلّص*
وُلد يسوع من عذراء طاهرة وعفيفة	وُلد كريشنا من عذراء طاهرة وعفيفة
في اللحظة التي وُلد فيها يسوع، كان هناك نور عظيم في الكهف، بحيث لم تستطيع عينا يوسف والقابلة تحمّله	في اللحظة التي وُلد فيها كريشنا، امتلأ الكهف بكامله بنور رائع، وراحت ملامح والده وأمه تشعّ نور المجد
تم الاعتراف بالطفل المقدّس يسوع وتقديسه من قبل رعاة الغنم الذين سجدوا أمام الطفل المولود من السماء	تم الاعتراف بالطفل المقدّس كريشنا وتقديسه من قبل رعاة البقر الذين سجدوا أمام الطفل المولود من السماء
وُلد يسوع في الزمن الذي كان فيه "يوسف"،	وُلد كريشنا في الزمن الذي كان فيه "ناندا"،

والده بالتبنّي، غائباً عن المنزل، حيث جاء إلى المدينة لدفع الضريبة أو الفريضة السنوية للحاكم	والده بالتبنّي، غائباً عن المنزل، حيث جاء إلى المدينة لدفع الضريبة أو الفريضة السنوية للملك
رغم أن يسوع وُلد في حالة متواضعة ومذلّة، إلا أنه كان منحدر من سلالة ملكية	رغم أن كريشنا وُلد في حالة متواضعة ومذلّة، إلا أنه كان منحدر من سلالة ملكية
تم تحذير والد يسوع، في حلم راوده خلال نومه، ليأخذ الطفل وأمه ويهرب إلى "مصر"، حيث أن الحاكم أراد النيل من حياته	تم تحذير والد كريشنا، من قبل صوت سماوي، ليهرب مع الطفل إلى "غاكول" عبر النهر "جومنا"، حيث أن الملك أراد النيل من حياته
بعد تبليغ حاكم البلاد التي وُلد فيها يسوع بأن الطفل المقدّس قد وُلد، سعى إلى تدميره. من أجل تحقيق هذا الغرض، أمر بذبح كل الأطفال في بيت لحم وكافة السواحل	بعد تبليغ حاكم البلاد التي وُلد فيها كريشنا بأن الطفل المقدّس قد وُلد، سعى إلى تدميره. من أجل تحقيق هذا الغرض، أمر بذبح كل الأطفال الذكور في كافة الولايات والذين وُلدوا في نفس ليلة مولد كريشنا
إحدى أوّل المعجزات التي أنجزها يسوع عند بلوغه كانت تتمثّل بشفاء مريض بالجذام	إحدى أوّل المعجزات التي أنجزها كريشنا عند بلوغه كانت تتمثّل بشفاء مريض بالجذام
صُلب يسوع، ويُمثّل بوضعية امتداد يديه مُعلّقاً على صليب	صُلب كريشنا، ويُمثّل بوضعية امتداد يديه مُعلّقاً على صليب
هبط يسوع إلى العالم الأرضي	هبط كريشنا إلى العالم الأرضي
بعد أن أُعدم يسوع، قام ثانيةً من الموت	بعد أن أُعدم كريشنا، قام ثانيةً من الموت
صعد يسوع بجسده إلى السماء، وشهد على صعوده الكثير من الأشخاص	صعد كريشنا بجسده إلى السماء، وشهد على صعوده الكثير من الأشخاص
سوف يعود يسوع ثانية في الأيام الأخيرة، وسيظهر بين الخالدين كمحارب مدجج بالسلاح، ويركب حصان أبيض. عند اقترابه، سوف تسود العتمة كل من الشمس والقمر، وسترتعد الأرض، والنجوم ستتساقط من السماء	سوف يعود كريشنا ثانية في الأيام الأخيرة، وسيظهر بين الخالدين كمحارب مدجج بالسلاح، ويركب حصان أبيض. عند اقترابه، سوف تسود العتمة كل من الشمس والقمر، وسترتعد الأرض، والنجوم ستتساقط من السماء

مقارنة بين يسوع وبوذا

يسوع المخلّص	بوذا المخلّص
وُلد يسوع من العذراء ماري، والتي حبلت به دون اتصال جنسي	وُلد بوذا من العذراء مايا، والتي حبلت به دون أي اتصال جنسي
كُتب بأن تجلّي يسوع حصل بعد نزول القوة المقدّسة المُشار إليها بـــ"روح القدس" على العذراء ماري	كُتب بأن تجلّي بوذا حصل بعد نزول القوة المقدّسة المُشار إليها بـــ"روح القدس" على العذراء مايا
عندما نزل يسوع من مقعده السماوي ودخل جسد العذراء ماري، اتخذ رحمها شكل بلورة صافية وشفافة، وظهر فيها يسوع جميلاً كالزهرة	عندما نزل بوذا من مرتع الأرواح ودخل جسد العذراء مايا، اتخذ رحمها شكل بلورة صافية وشفافة، والتي ظهر فيها بوذا جميلاً كالزهرة
تم الإعلان عن مولد يسوع في السماوات من قبل نجمته التي شوهدت وهي تصعد في الأفق. ربما من المفروض أن تُسمى "نجمة المسيح"	تم الإعلان عن مولد بوذا في السماوات من قبل نجمة شوهدت وهي تصعد في الأفق. وتُسمى "نجمة المسيح"
ابن العذراء ماري، والذي حسبما يقول التقليد، هو روح القدس المتجسّد، قيل بأنه وُلد في يوم عيد ميلاد المسيح	ابن العذراء مايا، والذي حسبما يقول التقليد، هو روح القدس المتجسّد، قيل بأنه وُلد في يوم عيد ميلاد المسيح
تم زيارة يسوع من قبل رجال حكماء والذين رؤوا في هذا الطفل الرائع كافة ميزات القدسية، ولم يكاد يرى النهار قبل أن حيّوه ونادوا به كإله الآلهة	تم زيارة بوذا من قبل رجال حكماء والذين رؤوا في هذا الطفل الرائع كافة ميزات القدسية، ولم يكاد يرى النهار قبل أن حيّوه ونادوا به كإله الآلهة
عندما كان يسوع لازال طفلاً في سريره، تكلّم مع والدته قائلاً: أنا يسوع ابن الله	عندما كان بوذا لازال طفلاً حديث الولادة، تكلّم مع والدته قائلاً: أنا الأعظم بين الرجال
عُمّد يسوع المخلّص على يد يوحنا في نهر الأردن، وخلال هذه المناسبة، كان روح الله حاضراً، ليس فقط الإله الأعلى، بل أيضاً روح	عُمّد بوذا المخلّص، وخلال هذه العمادة بالماء، كان روح الله حاضراً، ليس فقط الإله الأعلى، بل أيضاً روح القدس الذي عبره تجلى غوتاما

القدس الذي عبره تجلى يسوع نتيجة نزول هذه القوة المقدّسة على العذراء ماري	بوذا نتيجة نزول هذه القوة المقدّسة على العذراء مايا
من خلال الصلاة باسم يسوع، يتوقّع أتباعه أن يتلقوا مكافئات الجنّة	من خلال الصلاة باسم بوذا، يتوقّع أتباعه أن يتلقوا مكافئات الجنّة
عندما مات يسوع وتم دفنه، انحلّ الكفن الذي يلفّ جسده تلقائياً، وفُتح غطاء قبره بفعل قوى ماورائية	عندما مات بوذا وتم دفنه، انحلّ الكفن الذي يلفّ جسده تلقائياً، وفُتح غطاء تابوته بفعل قوى ماورائية
صعد يسوع بجسده إلى المناطق السماوية، بعد إنجاز مهمته على الأرض	صعد بوذا بجسده إلى المناطق السماوية، بعد إنجاز مهمته على الأرض
يسوع هو "ألفا" و"أوميغا"، ليس له بداية أو نهاية، الكائن الأعلى، السرمدي.	بوذا هو "ألفا" و"أوميغا"، ليس له بداية أو نهاية، الكائن الأعلى، السرمدي.
سوف يعود يسوع ثانيةً في الأيام الأخيرة، مهمته هي إعادة النظام والسعادة للعالم	سوف يعود بوذا ثانيةً في الأيام الأخيرة، مهمته هي إعادة النظام والسعادة للعالم

أنظر في قسم المراجع، حيث أوردت مجموعة كبيرة من الكتب التي يُنصح بالاطلاع عليها من أجل التعرف على الكثير من الحقائق الأخرى المحجوبة، والأمر لا يقتصر عند حد التشابهات بين الروايات.

العلم الباطني وفنون تطبيقه

في المدارس السرية

تعريفات

العلم الباطني هو الوصف الدقيق للمبادئ والصياغة المضبوطة للقوانين الرئيسية التي تشكّل اساس المذهب الباطني وكل ما يتعلق به. أما الفن الباطني فهو التطبيق الصحيح لهذه المبادئ والقوانين لتحقيق أو إحراز غايات صوفية باطنية. يتصل الدين بشكل وثيق مع العلم والفن الباطني بحيث يستحيل فصله عنهما.

العلم الباطني يمثّل ذروة ذلك الجانب من الدين الذي يهدف إلى إقامة علاقة وثيقة بين ما هو خارجي وما هو داخلي، وبين الجزئي والمتكامل. أما الفن الباطني فهو إتمام ذلك الجانب من الدين الذي يوصل الطبيعة البشرية مع الجانب الإلهي. إنها عملية يتم خلالها التعبير عن مُثُل روحية ومعارف إلهية سامية بوسائل دنيوية محسوسة.

وجب على العلم أن يسبق الفن كما حال المعرفة التي عليها أن تسبق التطبيق العملي، حيث العلم يستكشف الوسائل والفن يطبقها عملياً لإحراز الغاية المنشودة. إذاً، على العلم الحقيقي أن يكون تنويري، وعلى الفن الحقيقي أن يكون مكمّل (غايته الكمال). العلوم التخصصية أو الجزئية تبحث في الأسباب والتأثيرات الخارجية. أما علم المدارس السرية فهو يكشف تجانسها وجلاءها الداخلي.

الفنون التطبيقية تشغل نفسها بما تفسّره العلوم التخصصية، فتتوجه نحو تحقيق غايات مفيدة. العلم المطلق هو اكتشاف الكائن الحقيقي، والفن الكامل هو الاتحاد الإرادي والفعلي مع هذا الكائن الحقيقي. وبالفعل، من وجهة نظر بشرية، الكمال هو أقصى درجات التعبير عن الكائن الحقيقي.

المبادئ

المبدأ الذي يستند عليه العلم الباطني وفنونه هو ذاته الذي يشكّل أساس كل من قوانين [التعبير] و[التماثل] و[التناسب]. هناك توافق صميمي بين العالم الأصغر (الإنسان) والعالم الأكبر (الكون)، الفكري والمحسوس، الداخلي والخارجي. يوجد صلة روحية عميقة ليس فقط بين الوحدة الإلهية

والثالوث الإلهي في الإنسان وفي "الكل"، بل أيضاً بين التعدد الإلهي والملكات المتعددة للإنسانية جمعاء.

من خلال العلم الباطني للتعاليم السرية يتم التوفيق والربط بين مبادئ الكون وقوانينه بينما يتم كشف توافقها وتفاعلاتها المتبادلة على المستوى الإنساني والكوني معاً. من خلال الفن الباطني للتعاليم السرية، يتم تظهير تلك المبادئ والقوانين الكونية والتعبير عنها بطريقة سليمة ومتكاملة.

يخترق نور العلم الباطني حجاب التعددية ويستكشف الأعماق الميتافيزيقية للكون ويسلط ضوءه المنير على كل الأشياء بحيث يمكن في النهاية رؤية النظام الإلهي الكامل المتكامل. أما الفن الباطني، الكامن في هذا النظام الإلهي، فيجتاز الفجوة التي فتحها نور العلم الباطني ويجسّد ترتيب وتعبير جميل لكل ما كان سابقاً مستتراً وفي حالة غير متجسّدة.

هذه العملية المتبادلة بين العلم والفن التي تجري على مستوى الكون هي التي تشغل اهتمام منظومة العلم الباطني وفنونه في المدارس السرية. فالعلم يكشف عن الكنوز المحجوبة في مركز الكون (الذي يمثلونه على شكل كرة دائرية) بينما الفن يظهرها بطريقة جميلة إلى محيط الدائرة وعلى شكل تجسيدات عديدة مختلفة.

المعرفة الباطنية المشوّهة

قبل السير قدماً في شرح المزيد عن العلم الباطني وفنونه علينا أولاً تناول موضوع مهم جداً ساهم بشكل كبير في تشويه معرفتنا وطريقة تفكيرنا على مدى آلاف السنين. السؤال الكبير الذي لازال يحيّر كل من اهتمّ بهذا المجال هو: إذا كانت معارف الحضارات القديمة متطورة إلى هذا الحد، فلماذا إذاً نرى شعوب الماضي مهووسين بأفكار خرافية طفولية وعبادة الأصنام وممارسة السحر والشعوذة (غالباً ما تكون متوحّشة) وانعدام الأخلاق وغياب المُثُل العليا وغيرها من مظاهر تجعل عصور الماضي تتسم بالانحطاط أكثر من الرقي والتقدّم؟

هذا سؤال وجيه ويتطلب الشرح الوافي لأن القصة طويلة، لكن يمكن القول باختصار أنه منذ عدة آلاف من السنين الماضية مرّ الإنسان بفترة من الانحطاط، وكان ذلك بعد انهيار الحضارات الذهبية، وهذا الانهيار كان لعدة أسباب مفترضة، هناك أسباب بيئية (كارثة كونية) وأسباب سياسية (عندما سقطت الأرض في أيدي الأبالسة.. أي الانقلاب الكبير داخل الحلقة الكهنوتية) وأسباب لها علاقة بقانون الإيقاع الكوني (كل صعود وارتقاء يقابله حتماً سقوط وانحطاط) وغيرها من أسباب منطقية نوهت إليها في إصدارات سابقة، لكن المهم أنه بعد انهيار الحضارات الذهبية مرّت البشرية بفترة طويلة من الانحطاط المريع وهذا ما يرويه لنا كل ما انحدر إلينا من الماضي.

قبل تاريخ الميلاد بحوالي عشرة آلاف سنة سادت فترة زمنية مظلمة وكانت خلالها العلوم بأنواعها تتعرّض للقمع والتدمير. كانت اللوائح تُحطّم والمخطوطات تُحرق والنصب التذكارية تنهار وتندثر.. كل أثر يحمل مظهر يتعلّق بعظمة الحضارات السابقة كان يُطمس ويختفي بالكامل. لم يبقى سوى بعض السكاكين النحاسية ورؤوس الأسهم المُتقنة الصنع ورسومات رائعة على جدران الكهوف، والتي حملت دليلاً شاحباً على وجود تلك الحضارات السابقة لعصور التدمير والطمس والإخفاء. ولازالت تقبع هنا وهناك بعض من الصروح الحجرية الجبارة التي صمدت عبر العصور، مثل قلعة بعلبك وأهرام الجيزة، أو التماثيل العملاقة في جزيرة "إيستر" النائية حيث مثّلت دلائل واضحة على الفنون والعلوم الضائعة لتلك الأعراق البشرية المندثرة.

حتى اليوم، في هذا العصر، لازال الانحدار قائماً، حيث إذا أجريت مقارنة بين عظمة الإنجازات الهندسية والمعمارية في الماضي البعيد وما أنجزته الحضارة الحالية تدرك مباشرة أن حضارتنا لم ترقى إلى مستوى الحضارات الذهبية الغابرة. الأمر ذاته ينطبق على باقي العلوم والمعارف. وحتى الإنسان العصري لا يشبه ذلك الكائن البشري الذي عاش قبل آلاف السنين.

إذاً، الحكمة السرية التي أتناولها لا تعود إلى عصور الانحطاط والتخلف بل إلى ما قبلها بكثير. ما وصل إلينا من عصور الانحطاط هي التفسيرات المظللة للحكمة الأصيلة والممارسات المنحرفة لتعاليمها الرائعة والتشريعات المشوّهة لمبادئها الجليلة. لهذا السبب، قبل متابعة مسيراتنا في استكشاف هذه المعرفة الرائعة علينا أولاً التوقف عند موضوع مهم جداً لا بد من معرفته. وجب علينا إعادة النظر في كل ما انحدر إلينا من ممارسات منحرفة وتشريعات مشوّهة

وتفسيرات مظلّلة نشأت في عصور الانحطاط ومن ثم تقييمها بطريقة سليمة، ربما نستطيع حينها تقبّل واستيعاب الحقيقة النهائية التي قد تكون منافية لكل ما آمنا به من معتقدات وسلّمنا به من أظاليل.

سوء تفسير الأساطير والرموز

الفكرة الأولية التي كوناها بخصوص التعاليم السرية هي أنها عبارة عن قوانين ومسلمات لاهوتية صارمة تتمحور حولها طقوس عبادية معيّنة، وغالباً ما يكون انطباعنا الأوّل بخصوص المدارس السرية هو أنها سوداء ومظلمة وتضم مجموعة من السحرة والماورائيين الشاذين، لكننا سنكتشف في هذا الكتاب بأنها بعيدة كل البعد عن التصورات السلبية التي طالما حكمت عقول الكثيرين. بعد التعرّف على مبادئها بصيغتها النقية والصافية والخالية من كل شائبة فكرية أو اعتقادية مظللة سوف تكتشف بأن التعاليم السرية، بصيغتها الأصيلة، تمثّل منهج علمي يتميّز برقي فلسفي وجدوى كبيرة من الناحية الروحية (تنوّر) والدنيوية (استخدامات عملية).

لطالما خُلطت هذه المبادئ مع ممارسات وطقوس وشعائر ليس لها أي علاقة مثل عبادة الأصنام وتحضير الكائنات الخفية وغيرها من ممارسات تتعامل مع سكان العالم الماورائي، رغم أن تلك الممارسات كانت تجسّد تأثيرات ملموسة فعلاً، لكن الفرد يجهل حقيقة أن هذه الممارسات تنتمي إلى مفهوم آخر يختلف تماماً ويمكننا الإشارة إليه بعملية "خلق الآلة العقلية" وتستند على ظاهرة عجيبة تتعلّق بقدرة الإنسان على تجسيد تأثيرات ملموسة بالاعتماد على قدرات خاصة يتمتع بها العقل (كينونات فكرية، وعي ديناميكي، PK .. إلى آخره).

الإنسان يجهل مدى قوته الحقيقية، يجهل بأن لديه قدرة تمكنه من صنع العجائب، وهذه الحالة كانت سلاحاً مجدياً في يد الكهنة المنافقين، إذ استخدموه لصنع العجائب (عبر الشعائر المختلفة) وجعلوا الإنسان يصدق بأنها من صنع الكيان الخفي الذي عبدوه! فزاد إيمان الرعايا بهذا الكائن الخفي وزادت سلطة الكهنة على الرعايا! قد تمثّل هذه الحالة معادلة غامضة يصعب فهمها وبالتالي يُستبعد وجودها لكن ماذا تتوقع أن يحصل بعد وقوع معرفة متطورة جداً تتمحور حول قدرات الإنسان في يد مجموعة من الكهنة المنافقين، وذلك بعد حصول انقلاب كبير داخل المنظومة الكهنوتية في المعابد (حيث مثلت نقطة تحوّل حاسمة في حياة الإنسان.. وعُرفت باليوم

الأسود الذي سقطت فيه الأرض بأيدي الأبالسة). ومع نشوء دول مركزية مترامية الأطراف مما يتطلب رعايا خانعين لا حول لهم ولا قوة، أصبحت وظيفة الكهنة التظليل والقمع وتبرير كل ما يقترفه الحكام من معاصي وموبقات.

"الآلة العقلية" هي عبارة عن جهاز افتراضي (من صنع العقل/الخيال) يستطيع تجسيد كل التأثيرات المرجوة منه، وذلك من خلال الالتزام بممارسات ممحدّدة (طقوس، شعائر، تقاليد،.. إلى آخره). هناك ظواهر كثيرة ذكرتها في الأجزاء السابقة والتي تنتمي إلى هذا المفهوم. حتى الماسونيين عندما يقيمون طقوس من أجل تحضير أحد الكائنات الخفية (إبليس أو مولوك أو غيره من كائنات شريرة) هناك من بينهم من يعلم جيداً بأن ما يفعلونه عبر تلك الممارسات هو خلق "كينونة فكرية" أو تفعيل "آلة عقلية" رغم أنها تتخذ شخصية الكائن المراد استحضاره. مع العلم أن "مولوك" الذي يحضرونه في طقوسهم ليس له وجود على أرض الواقع، إنه شخصية وهمية ورد ذكرها في القصص الرمزية (يرمز إلى الجانب الدنيوي من الإنسان)، وما يحضر خلال استدعاءه هو عبارة عن كيان فكري صنعته الطقوس التي يجريها أولئك الشيطانيون، وتأثيراته هي بكل تأكيد شريرة (تتطابق تماماً مع صفات "مولوك" الواردة في النصوص).



الأبطال والآلهة والملائكة وغيرها من الكائنات المذكورة في الأساطير والقصص الرمزية ليست شخوص واقعية ولا يوجد لها أساس تاريخي أصلاً، وبالتالي فإن استدعائها أو استحضار قواها التي تميزت بها (بأي وسيلة من الوسائل) لا يعني أن لها أساس مادي بل يعود السبب إلى مفهوم

مختلف تماماً يعتمد على ظاهرة تتعلّق بقدرة الإنسان على تجسيد تأثيرات ملموسة بالاعتماد على قدرات خاصة يتمتع بها العقل (كينونات فكرية، وعي ديناميكي، PK .. إلى آخره).

لكن هذا لا يمنع حقيقة أن تحضير الكائنات الخفية يستند على أساس علمي وله إيجابياته كما سلبياته، وكانت ممارسته تُعتبر أمراً طبيعياً بالنسبة للقدماء، كما أي حرفة أخرى سادت في ذلك الزمن القديم. لهذا السبب نجد الكثير من المراجع والنصوص التاريخية تحدثت عن فلاسفة وغيرهم من عظماء الفكر الإنساني الذين مارسوا هذه الحرفة الماورائية.

كانت ممارسة استحضار الكائنات الخفية مألوفة جيداً بين جميع شعوب العالم القديم، وقد تحدثت عنها في مناسبات عدة في الأجزاء السابقة، لكن يبدو أن هذه الممارسة تشمل أنواع مختلفة من الاستحضار، إن كان من حيث نوع الكائنات الخفية أو طريقة استحضارها أو الوسيلة التي تُحضّر من خلالها أو غيرها من جوانب مختلفة تتعلق بهذه الممارسة.

الفكرة المألوفة بخصوص هذه الممارسة هو أنها عملية الحصول على معلومات غيبية من خلال استحضار كائن خفي. وأصبح مألوف أيضاً أن هذه الممارسة خطيرة جداً بالنسبة لمن يتعامل بها دون أن يكون لديه إلمام واسع بهذا المجال (تناولت الموضوع في اكثر من مرة عبر الأجزاء السابقة). هذه الممارسة قديمة جداً وكانت منتشرة بشكل واسع بين السحرة والمشعوذين في كافة حضارات العالم القديم، وطالما أدانتها الجهات الرسمية في تلك الحضارات القديمة، خصوصاً الفلاسفة والمشرّعين، لأنها تُعتبر ممارسة شاذة نشأت بعد تحريف الممارسة الأصيلة التي ابتكرها الحكماء الروحيين الأوائل لأسباب وغايات تختلف تماماً عن تلك التي سعى إليها المشعوذون.

تهدف الممارسة الأصيلة إلى استحضار والاندماج مع القسم الإلهي الكامن في كل إنسان (النفس العليا). اطلق عليها الفيلسوف "إيامبليكوس" Iamblichus اسم "تيورجي" Theurgy أي "استدعاء القدرة الإلهية"، وهي عملية التواصل مع الآلهة، إما بواسطة الاستدعاء (الآلهة الداخلية) أو الاستجداء (الآلهة الكونية). تتضمن هذه الممارسة عملية تطهير الروابط النفسية/التجاوزية بين العقل ونظيره الكامن في القسم الإلهي، مما يمكّن الممارس من التواصل الواعي من النفس العليا لديه وبالإضافة إلى كيانات سماوية أخرى.

أشهر المدارس التي نشأت في بدايات الحقبة المسيحية هي تلك التي أوجدها "إيـامبليكوس" مـع رفاقه الأفلاطونيين في الاسكندرية، لكنها لم تكن البداية بل مثّلت تلك الحقبة نهايات هذه الممارسة التي ازدهرت بين كهنة المعابد منذ الماضي السحيق. كانت مدرسة "إيامبليكوس" مجرّد محاولـة لإعادة إحياءها من جديد، بعد أن سادت وازدهرت بين كهنة مصر وبابل وأشور وكلدانيا واليونان الذين كانوا يستحضرون الآلهة خلال الاحتفالات الدينية وغيرها من مناسبات تستدعي هذا الأمر.



صورة معبّرة لتحضير كائن خفي، وهي الصورة التي أصبحنا نألفها جميعاً، لكنها لا تمثّل الواقع الفعلي لهذه الممارسة.

كانت الكائنات الخفية تظهر بجلاء أمام عيون الناظر الدنيوي. هذه العملية ليست سهلة الإنجـاز، ولهذا السبب على الممارس أن يكون محترفاً في المجال التجاوزي، أي يحتـل مرتبـة كهنوتيـة عالية في الحرم المقدس للمعبد (المدرسة السرية) مهما كانت الحضارة التي ينتمي إليها.

كان الأفلاطونيون المنتمين إلى مدرسة "إيامبليكوس" يُنعتون بـ"محضري القدرة الإلهية"، حيث كانوا يمارسون ما يمكن تسميتها اليوم "السحر الشعائري" (وهي مألوف حالياً في المحافل الماسونية المختلفة) وكانوا خلال حفلاتهم الشعائرية النشطة يستدعون الـ"سيمولاكرا" أي صور الأبطال القدامى والآلهة، والـ"الدايامونيا" أي الكائنات الروحانية. وفي مناسبات نادرة، حيث يتطلب الأمر حضور الكائنات الروحية بصيغة مادية ملموسة، كان على الممارس أن ينصب أداة غريبة الشكل ثم يضع عليها عيّنة من دماءه أو لحمه ثم يجري ما تُسمى عملية الـ"التيوبايا" أي "خلق الآلهة" وهي عملية معقّدة وغامضة كان يألفها الكهنة القدماء لكنها لازالت مألوفة اليوم بين كهنة التانتريكا والبرهميين في الهند.

ورد في المراجع التاريخية الكثير من الممارسات المختلفة المتعلقة بهذا المضمار والتي يمكنها تحقيق غايات عملية مختلفة وجميعها تُعتبر عجائب ومعجزات. الفكرة الأشهر تتعلق بقدرة المحضّرين وكذلك السحرة على خلق مجسمات وصور لكائنات خفية بواسطة قوى ماورائية. لكن في الحقيقة لم تكن تلك القوى ماورائية بل قوى مألوفة لدى العارفين الذين يعلمون جيداً بأنها عبارة عن عملية خلق "كينونات فكرية" (تناولتها في أجزاء سابقة) والتي يمكنها اتخاذ أي شكل يرغبه الممارس.

لقد عارض الفيلسوف "أفلاطونين" Plotinus ممارسة الاستحضار هذه، وكذلك "بورفياري" Porphyry الذي قال بأنها قد تساهم في تطهير القسم الدنيوي من النفس مما يجعلها قادرة على إدراك الكائنات الخفية الدنيا لكنها غير مجدية في عملية تطهير المبدأ الروحي العام في كينونة الإنسان. لكن "بورفياري" كان مذعناً لتعاليم معلمه "إيامبليكوس" الذي أقنعه بالتسليم بقيمة الاستحضار لكن وفق حدود معيّنة. إذا كان الممارس شخصاً محترفاً بمستوى "إيامبليكوس" قد تكون العملية آمنة لكنها لن تكون كذلك إذا كان شخصاً آخر خصوصاً في غياب معلّم ضليع في هذا المجال مثل "إيامبليكوس". مجرّد أن فُتِح الباب أمام هذا العالم الورائي سوف تتدفق منه أنواع كثيرة من الكائنات الخفية مما يُربك الممارس ويكون عاجز أحياناً عن حماية نفسه.

في المدارس السرية القديمة كان استحضار القوى الإلهية مقسوماً إلى أنواع ودرجات عديدة. في إحدى أنواع الدرجات العليا من الاستحضار كان المريد يقف وجهاً لوجه أمام الكيان الإلهي ذاته، ومن أجل إنجاز هذه العملية كان على المريد أن يستغني عن حيويته ومحتواه الروحي والفكري

لكي يتمكن القسم الإلهي بداخله أن يتجلّى في المستوى الذهني اللامرئي، فيدرك الفرد لفترة مؤقتة أصله الإلهي ويندمج معه. وفي إحدى أنواع الدرجات الدُنيا من عملية الاستحضار كان المريد يستنزف قسماً من مجال الطاقة لديه (الهالة) ليخلق ما يُسمى "كينونة فكرية" فيستخدمها كأداة ليتجسّد عبرها الكائن الروحي بشكل مؤقّت، ويكون بذلك قد استطاع أن يرى ويلمس ويتكلم مع الكائن القادم من العالم التجاوزي والذي لا يمكنه التجسّد في عالمنا المادي سوى بواسطة تيارات القوى الروحية التي يسميها البشر "الإلهام".

يوجد الكثير حول هذا الموضوع في الجزء القادم، خلال الحديث عن مفهوم النفس العليا (أو الـ"كا") لدى الكهنة القدامى وكيف كانوا يتواصلون معها لتحقيق المعجزات، والطريقة التي اتبعها الكاهونا في جزر هاواي لتحقيق ذلك.

معتقدات خاطئة وتقاليد مُحرَفة

النظرة القديمة بخصوص الكون تستند على فكرة أن كل "شيء" في الطبيعة يستحوذ عليه ملاك أو روح، وهذه الفكرة تنطبق أيضاً على الأشياء المُصنّعة. كما فكرة أرواح الموقد مثلاً، أو أرواح أسكفة الباب وغيرها، إذ كان يُعتقد بفرضية أن الملائكة أو الأرواح تهتم بسيف أحد الأفراد أو رمحه. لطالما تحدثت الروايات عن أسلحة معيّنة (غالباً سيوف) تم تصنيعها ليس بأيدي بشرية بل بطريقة سحرية في عالم الجن، وبالتالي مُنحت قوى ماورائية. بعض السيوف المشهورة اكتسبت ألقاب وأسماء خاصة بها، وغالباً ما كانت الإشارة إليها بصيغة أنها كائنات حيّة لها شخصيتها الخاصة.

من الطبيعي بالتالي أن نستنتج بأنه في الزمن الذي كان فيه التمثيل الكتابي أو التصويري للأفكار متجاوزاً لحدود استيعاب الجميع ما عدا مجموعة قليلة من الناس، وأقصد تحديداً ذلك الزمن الذي كانت الكتابة فيه تُعتبر عمل سحري وكان الناس ينظرون إلى الصور الكتابية (هيروغليفيات) بأنها كائنات حيّة لها شخصياتها وقواها الخاصة. هذا النوع من الإيمان لازال سائداً حتى اليوم رغم اختلاف الصيغة. فمثلاً، بعض الحركات الجسدية الأوتوماتيكية (اللاإرادية) تُنسب غالباً إلى كائنات روحية، كما ظاهرة "قضيب الرمان" (يُستخدم للبحث عن الماء الدفينة) الذي يُعتقد بأن

روحاً تتلبّسه. هذه الفكرة هي ذاتها التي اعتمد عليها الناس خلال وضع "حذوة فرس" على أبوابهم. أو حمل تعويذة أو رمز ديني معيّن للحماية أو جلب الحظ.

لكن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد، حيث هناك بعض المعتقدات التي صنعت أعراف وتقاليد وجب الإلتزام بها تجنباً للأذى، فمثلاً، يسود بين سكان أحد المناطق النائية الأوروبية الإيمان بأنه إذا وضع أحدهم كتاب فوق إنجيل العائلة ينصحون صاحب البيت بأن لا يطلي أبوابه بلون قاتم. السؤال هو: ما الذي يربط اللون القاتم بعملية وضع كتاب فوق آخر؟! هناك كم هائل من الأعراف المتمحورة حول هذا النوع من الاعتقاد. أما مسألة كيفية ظهور اعتقاد معيّن من هذا النوع فلا زالت غامضة وعصيّة عن التفسير منطقياً. يمكن للإنسان العصري أن يستبعد كل هذه الأمور بصفتها معتقدات خرافية نابعة من الجهل والتخلّف، هذا صحيح بجزئية معيّنة من المسألة لكن لا ينطبق عليها كاملاً.

لا يمكن تفسير سخافة هذه المعتقدات بهذه البساطة السطحية. يبدو أنها برزت من العادة غير العلمية المتمثّلة بتعميم فرضية صغيرة على نطاق واسع فتصبح هذه الفرضية حقيقة واقعية ولها تأثير قوي وملموس. أي أن اجتماع مجموعة من الناس حول اعتقاد معيّن سوف يؤدي إلى خلق ما يُسمى "آلة عقلية" (ذكرت هذا الموضوع بالتفصيل في الأجزاء السابقة). فمثلاً، يمكن أن يصادف خروج أحد الصيادين في قرية معيّنة عدة مرات وفي مواعيد يتناسب فيها القمر مكتملاً، فيتعرّض لحادث ويُقتل. فتنتشر هذه الرواية بشكل واسع مُرفقة مع تحليل يعزو إلى أسباب لها علاقة بالقمر المكتمل مربوطاً مع سوء الحظ (خيال الناس واسع كما تعلمون). بعد فترة من الزمن، ومع انتشار الرواية بشكل واسع، تشهد البلاد انتشار مبدأ شعبي عام يقرّ بأن *".. الخروج في ليلة مكتملة القمر يجلب سوء الحظ.."* !

أما بخصوص من صاغ هذا القانون ومدى أهليته، فلا أحد يهتم، المهم أنه أصبح على كل لسان وتغلغل إلى كل وجدان. هذا الإيمان الوجداني يجمع مع مرور الوقت كمية كبيرة من القوة الروحية المتراكمة، فتبدأ بالتجلّي فعلياً وبنفس الصيغة (السيناريو) التي يؤمن بها الناس. فتبدأ بقتل الصيادين الذين يخرجون في ليلة القمر المكتمل. الإيمان بأمر معيّن ولفترة طويلة من الزمن (عبر الأجيال) تجمع قوّة ماورائية كبيرة تجعلها قادرة على تجسيد هذا الأمر على أرض الواقع. لا تستطيع أي قوة أخرى إبطال هذا المفعول "الخفي" إلا في حالات نادرة، وغالباً ما تكون بنفس

الطريقة التي بدأت منها أصلاً، فمثلاً، إذا عدنا إلى حالة الصياد، وصادف في إحدى الفترات بأن مجموعة من الصيادين قتلوا في فترة القمر الهلال، سوف يبرز اعتقاد آخر، ومع مرور الوقت يحتلّ مكان الاعتقاد السابق.

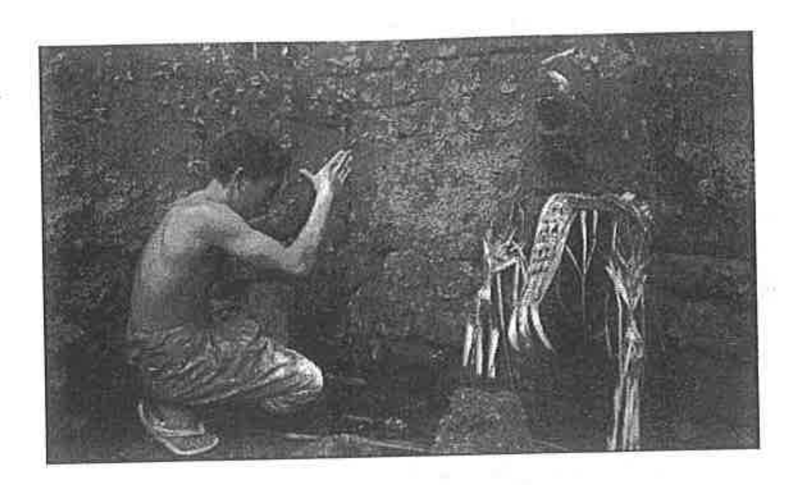
هناك أمثلة معاصرة كثيرة على هذه الظاهرة، كالمثال التالي. في العام ١٨٩٨م، نشر السيد "س.ل. ماثرز" S. L. Mathers كتاباً، وهو عبارة عن ترجمة لمخطوط قديم بعنوان "السحر المقدّس لمشعوذ أبرملين" The Sacred Magic of Abramelin the Mage، وكان الكتاب "طبعة خاصة"، أي محصوراً ضمن حلقة ضيّقة مؤلفة من عدة مئات من الأشخاص. صادف أن مجموعة من الأشخاص المقربين من الكاتب (أي أنه مطلع على أخبارهم) أصيبوا جميعاً بسوء الحظّ. فشاع الخبر بصيغة تدفع الناس إلى تشكيل "اعتقاد" (آلة عقلية). لم تمضي سنة واحدة قبل أن ينتشر إيمان جازم بأنه خطير جداً اقتناء هذا الكتاب المنحوس. هل كانت هذه الفكرة مستندة على إحصاءات استاتيكية؟ من يعلم؟ لكن الأمر العجيب هو أنه في العام ١٩٣٨م، أي بعد عقود من الحادثة، وُجدت نسخة مُهملة مخفية وراء رفوف إحدى المكتبات المنزلية. بعدها مباشرة، بدأت الكوارث تنهال على معظم الأشخاص المتورطين بهذه المسألة، وحتى أنها امتدّت لتطال أصدقاءهم المقربين.

ذكرت في أجزاء سابقة مدى قوة الاعتقاد الجماعي وفاعليته في تجسيد تأثيرات ملموسة على أرض الواقع. وقد تصل قوة هذه التأثيرات إلى درجة يمكنها تجسيد ظاهرة [PK]. إذاً عندما أتحدث عن قشور الأوهام السميكة التي غطّت جوهر التعاليم السرية كان لهذا الجانب المذكور دوراً بارزاً. لقد حصل خلط كبير بين المفاهيم الأصيلة والمعتقدات الشعبية الخارجة تماماً عن سياق هذه المفاهيم.

تكنولوجيا عبادة الأصنام

لقد ذكرت هذا الموضوع أكثر من مرّة في إصدارات سابقة، لكنه يستحق الذكر هنا بسبب مدى أهميته بالدرجة الأولى، وبالإضافة إلى ضرورة توضيح مسألة مهمة تتصل به تحديداً وتناسب إدراجها في فقرة "معتقدات خاطئة وتقاليد مُحرّفة". جميعنا نعلم بأن تقليد عبادة الأصنام كان منتشراً في جميع أنحاء العالم القديم. حتى اليوم نرى هذا التقليد في كل مكان من حولنا لكنه مُقنّع بصيغ مختلفة ووفق تسميات مختلفة مثل المزارات والمقامات وغيرها. نستطيع أن نتحدث عن

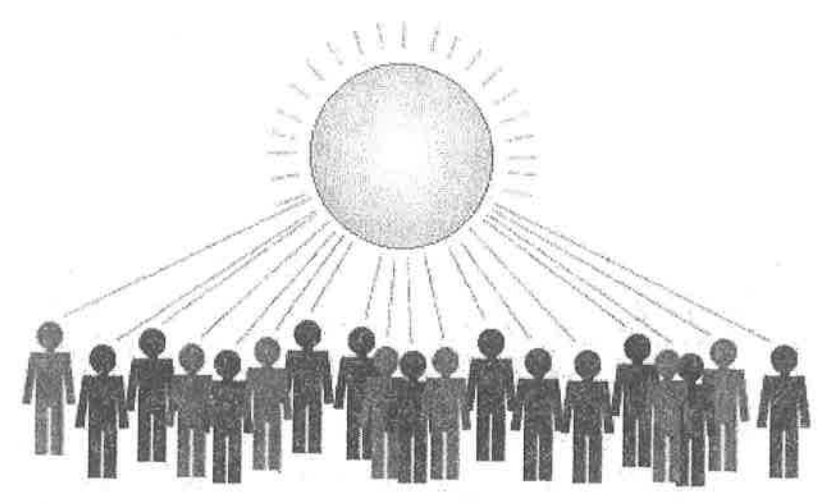
هذا التقليد المَنتشر جداً بين جميع الشعوب والمجتمعات، لكن هذا لن يوصلنا إلى المبدأ الحقيقـــي وراء نشوءه وانتشاره.



مفهوم عبادة الأصنام كان مختلف تماماً لدى الكهنة المنتسبين للحلقات السرية، حيث هي بالنـــسبة لهم مخازن طاقة روحية خاصة. لكن الرعايا لم يفهموا هذه الحقيقة ونظروا إليها بطريقة تبجيلية، أي وفق التعليمات التي فرضها عليهم الكهنة، أي أصبحت بالنسبة لهم "فرائض دينية".



بعد الاطلاع على موضوع الوعي الديناميكي في الجزء الخامس لا أعتقد بأن مفهوم عبادة الأصنام سيبدو غامضاً بالنسبة للقارء الكريم.

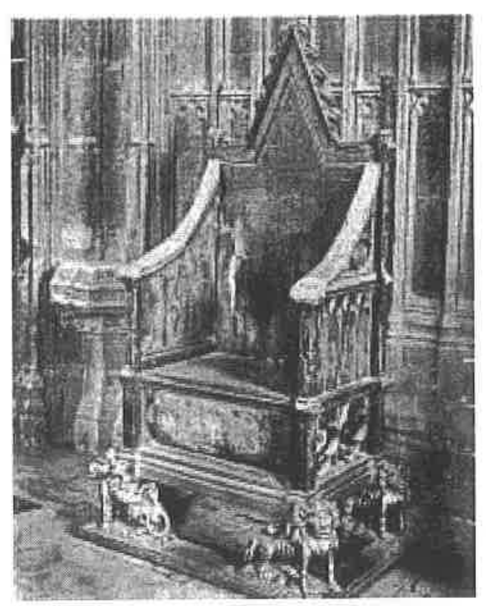


إذا ركّزت مجموعة بشرية معيّنة تفكيرها (أو انتباهها) على هدف واحد (قد يكون شيء أو حالة أو كائن) فإن هذا الشيء يتلقى كمية كبيرة من الطاقة العقلية/الروحية المبرمجة بمعلومات وأوامر متوافقة مع معتقدات المجموعة البشرية وتوقعاتها. تذكّر أن الإنسان يحوز على قوّة خلق لا تختلف عن قدرة الخالق الأعلى [جلّ جلاله] سوى بالدرجة فقط.

يمكن استنتاج مدى أهمية الأصنام (البطاريات) بالنسبة للحكام من خلال عادة الاستيلاء على الأصنام (وليس تدميرها) التي سادت عبر التاريخ، وحتى في أمريكا الجنوبية كانت هذه العادة قائمة بقوة. أي كان الغزاة يأخذون الأصنام ويضعوها تحت وصايتهم ويسمحون بنفس الوقت لعابديها (حتى لو كانوا أعدائهم) أن يحجّوا إليها بتسامح كامل مع ممارستهم الدينية. لقد تُرجم هذا التسامح بأنه كرم أخلاق من المغتصبين لكن الحقيقة هي أن العارفين يعلمون بأن العابدين المؤمنين هم مصدر الطاقة التي تُخزّن في الأصنام (البطاريات) وبالتالي لا بد من التسامح مع ممارساتهم لكي يستمر تدفق الطاقة الروحية إلى تلك البطاريات. لكن إذا تم تدمير هذه الأصنام من قبل الغزاة، فهذا يعني أن مفاتيحها (أي الوسيلة التي تمكنهم من الاستفادة من طاقتها) ليست متوفرة لديهم، وبذلك يكونوا قد حرموا المستفيدين كما حُرموا هم منها.

اليوم نشاهد أكبر مخزن طاقة من هذا النوع لازال قائماً في إحدى البلاد المقدسة وتتوجه إليه مئات الملايين من العقول المتعبّدة، ويجهل هؤلاء المؤمنون الصادقون الساذجون بأن الطاقة الروحية التي يساهمون في تنشيطها وتخزينها في مجمع الطاقة تذهب كلياً إلى حوزة الأبالسة

القابعين في بلاد أخرى. ما يُسمى "حجر يعقوب" الذي يقبع تحت عرش الملكة في بريطانيا مأخوذ من ذلك المكان المقدّس وبالتالي كل الطاقة التي توجّه إليه تذهب إلى هذا الحجر الذي بحوزة العرش البريطاني. يُعتقد بأن هناك قطع حجرية أخرى في حوزة العائلات المسيطرة على العالم والقابعة بين أوروبا وأمريكا.



عندما يُحتفل بتتويج الملك في بريطانيا، يجلس الملك على ما يُسمى عرش التتويج Coronation Chair، وهو ذاته الكرسي الذي جلست عليه الملكة الأخيرة في حفل تتويجها عام ١٩٥٣، وتحته مباشرة يقبع ما يُسمى "حجر القدر" Stone of Destiny (أو "وسادة يعقوب" Jacob's Pillow) وهو حجر أسود اللون جُلب من الشرق الأوسط ويرافق الأسر المسيطرة خلال انتقالها من مكان إلى آخر حتى انتهى به المطاف في حوزة العرش البريطاني عام ١٢٤٦م (وهي الفترة التي حلّت فيها البركة على هذا العرش بحيث شهد بدايات مجده). يوجد العديد من القطع الشقيقة لهذا الحجر ومأخوذة من نفس المكان المقدس وهي متواجدة في كافة مراكز القوة حول العالم مثل الفاتيكان والمركز المالي العالمي في نيويورك.

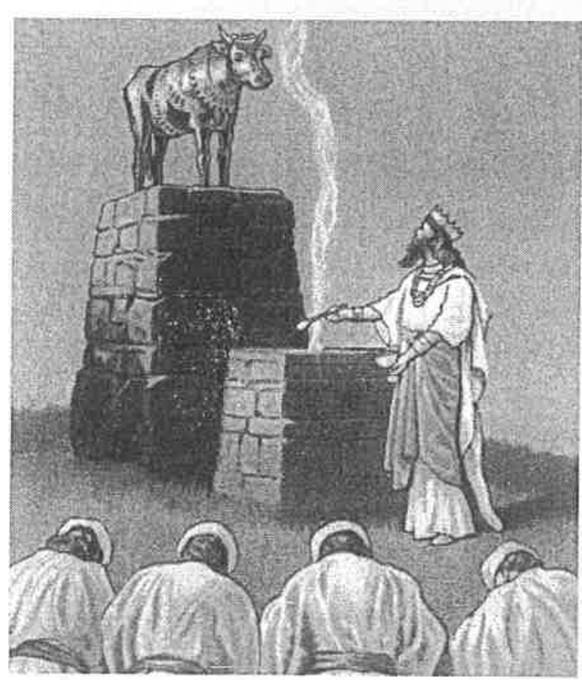
إذاً، نحن نتحدث عن تكنولوجيا متطورة تستثمر الطاقة الروحية المنبعثة من العابدين الساذجين لتتجمع في بطاريات خاصة نسميها اليوم مقامات ومزارات وأصنام فيستفيد منها العارفون بهذا المجال، لكن ما تلقيناه من معلومات تاريخية حول هذه الممارسة هو الظاهر فقط وليس الباطن. نحن لا نعلم سوى عن ممارسة العبادة التقليدية من جهة الرعايا الجاهلين لكننا لم نتعرف عليها من وجهة نظر العارفين بهذه التكنولوجيا والمستفيدين منها.

سوء فهم الأساطير والحكايا الرمزية

ذكرت سابقاً أن الأسطورة الحقيقية هي رواية خرافية تخفي معاني تجاوزية محجوبة. الأسطورة أو الحكاية الرمزية هي حجاب يمكن رفعه رويداً رويداً حسب مستوى إدراك معناهـا المجـازي الباطني. الحقيقة ليست بيّنة بذاتها إلا إذا قُدمت بطريقة مناسبة إلى قدرات ذهنية تستطيع إدراكها. عندما يتم إحراز الرؤية الصحيحة سوف تُدرك الحقيقة كيفما كانت محجوبة.

الأساطير إذاً هي مجرّد روايات رمزية تهدف إلى شرح وتفسير سلوكيات ووظائف القوى المختلفة في الطبيعة. لكن كما حال جوانب كثيرة من التعاليم السرية، وبسبب التحريف الذي تعرّضت له خلال انحدارها عبر الأجيال أصبحت هذه القوى فيما بعد لا تمثّل سوى آلهة صنمية يستخدمها الكهنة لابتزاز الرعايا أو كائنات ماورائية تتمحور حولها مجموعة كبيرة من المعتقدات والتقاليد الشعبية الخاطئة.

مثلاً، بناء على المبالغة في التمجيد الرمزي لبرج الثور الفلكي في أحد العصور التاريخية، وكانت الشعوب في تلك الفترة تشهد انحطاط فكري وأخلاقي (بفعل عوامل كثيرة أهمها السيطرة الكهنوتية السياسية) وبفعل سوء ترجمة وتفسير التعاليم الأصيلة، نشأ دين كامل متكامل يتمحور حول عبادة "البقرة" وكان له كهنته ولاهوته وشعائره الخاصة وشهد انتشاراً واسعاً لأسباب سياسية/عسكرية أكثر من كونها أسباب فكرية ملهمة (هكذا هي حال معظم العقائد الأخرى).



عبادة "البقرة" أو "الثور"
استندت أساساً على حكايا رمزية توصف نشاطات فلكية معيّنة

مثال آخر يتعلق بالتعاليم التي تتحدث عن تنشئة الناس لأولادهم بطريقة تمكنهم من النجـاح فـي الحياة الدنيوية، وقد رمزوا لهذه التعاليم في الحكايا الرمزية على أنها عملية منح الناس أولادهـم إلى إله العالم الأرضي الذي يُسمى "مولوك" (بينما العالم العلوي يمثله الإله "شيموش" في التقليـد العبري القديم)، لكن الذي حصل هو أن الرعايا بدؤوا يطبقون هذه القصص الرمزية حرفياً حيث نشأ تقليد ديني يفرض على الناس التضحية بأولادهم البكر للإله "مولوك" فعلياً. كـانوا يرمـون بأولادهم البكر في النار المستعرة أمام صنم "مولوك"، إله العالم الأرضـي (أي الـشيطان وفـق مفاهيمنا الدينية الحالية)! فعلوا ذلك بقل صدر رحب!.. فقط من أجل نيـل رضـا إلـه الأرض الدنيوية الذي سيمنحهم مسرّات الحياة الدنيوية الفانية! هذا ما حصل في بـلاد كنعـان ومنـاطق أخرى مختلفة حول العالم في إحدى الحقب التاريخية المظلمة التـي شـهدت انحطـاط روحـي وأخلاقي مريع.



تقديم الأولاد البكر للإله "مولوك"، وذلك عن طريق رميهم في النار!
وهو تقليد ديني كان سائداً بالفعل في بلاد كنعان حوالي القرن الثامن قبل الميلاد

يوم فقدت المرأة عرشها

تعتبر المرأة (أو الأنثى عموماً) أكبر ضحايا التفسيرات المنحرفة لمبادئ التعاليم السريّة خلال فترة الانحطاط المريع الذي تبع العصر الذهبي. لقد حصل خلط كبير في وصف وشرح مبدأ الأنثى لدرجة لم يبقى من هذا المبدأ أي تعليمة صحيحة. لكن بالإضافة إلى الجهل والانحطاط الفكري والأخلاقي، نرى سبب مهم جداً وراء هذه المسألة وهو ذو طبيعة سياسية. لقد تم استهداف المرأة بشراسة منقطعة النظير ودون توقف منذ آلاف السنين! وبقيت هذه الحملة الشعواء على المرأة محافظة على شراستها طوال قرون حتى بدايات القرن الماضي! ما هو السبب يا تُرى؟



لم يبقى من جلالة المرأة المثالية وروعتها أي صورة نموذجية في أذهاننا.
كيف مُحيت هذه الصورة من ذاكرتنا ولماذا؟

عندما نتفحّص بقايا آثار الحضارات التي تعود إلى عصور قديمة (قبل حوالي ٥ آلاف سنة)، خصوصاً تلك المتعلقة بالشعائر الدينية والأساطير الخرافية والمنحوتات والمقتنيات واللوائح.. إلى آخره، نجد حصول تحوّل تدريجي للقوة والنفوذ من المرأة إلى الرجل. في مصر مثلاً، كان يسود مجتمع "أمومي" (أي السلطة بيد المرأة) منذ البدايات الأولى للحضارة حتى بدأ التوازن ينحرف نحو الرجل منذ العام ٣٠٠٠ ق.م تقريباً، حيث بدأت المظاهر الذكورية تطغي على المظاهر

الأنثوية بشكل تدريجي مع ازدياد الغزوات الخارجية على مصر التي تعرضت أكثر من مرّة للاحتلال المؤقت (ذلك بفعل تآمر الطبقة الكهنوتية المصرية)، حيث كانت المجموعات الهمجية تجتاح المدن أكثر من مرّة وتعيث الفساد والخراب والنهب والخطف قبل أن يتم إخراجهم مرّة أخرى. هذه الفترة التي سادها الحروب والصراعات وعدم الأمان مثّلت بيئة مناسبة لطغيان الطاقة الذكورية وبقي هذا التحوّل قائماً إلى أن استقرّت السلطة بالكامل في يد الرجل في بدايات المملكة الحديثة أي حوالي عام ١٥٧٠ ق.م.

كامل منطقة الشرق الأوسط ومحيطها كانت في يوم من الأيام مأهولة بمجتمعات "أمومية" (السلطة بيد المرأة) وليست "أبوية" (السلطة بيد الرجل). هذا ما تكشفه اللُقى الأثرية التي تطغي عليها الآلهة الأنثى. لقد خضعت هذه البلاد (كما باقي بلاد العالم) في إحدى فترات الانحطاط التي تلت الفترة الذهبية إلى حملة لاهوتية/سياسية شعواء أدت في النهاية إلى هذا التحوّل الاجتماعي والسياسي الكبير الذي ساد في كل مكان في العالم.

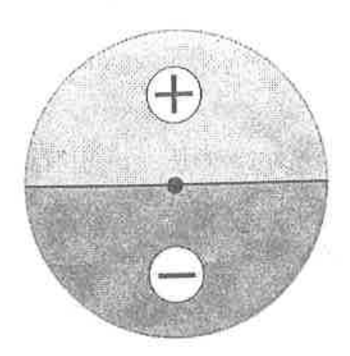
صحيح أنه نادراً ما يتم تناول هذا الموضوع بشكل علني وواسع (لأسباب تتعلّق بمجتمعنا الذكوري المدعوم دينياً) لكنها تمثّل مسألة مهمة جداً بالنسبة لكل من كان صادقاً في سعيه لمعرفة الحقيقة بخصوص الحضارات القديمة وثقافاتها. كتب عن هذه الظاهرة التاريخية المهمة المتمثّلة بـ"سيطرة المرأة على المجتمع" الكثير من الباحثين منذ القرن التاسع عشر مثل "ج. باكوفين" J. Bachofen الذي ألف ثلاثة مجلّدات بعنوان "الخرافة، الدين، وحق الأمومة" Myth, religion, and mother right (١٨٦١) بعد اطلاعه على أعمال الباحث "جوزيف فرنسوا لافيتاو" Joseph-Francois Lafitau (١٦٨١ ــ ١٧٤٦م)، ثم تبعه الباحث "لويس. هــ. مورغان" Lewis H. Morgan الذي تعمق كثيراً في هذا الموضوع. وقد ألهمت كتاباتهم باحثين لاحقين مثل "جاين هاريسون" Jane Harrison و"أرثر إيفانز" Arthur Evans و"والتر بوركت" Walter Burkert و"جيمز ميلارت" James Mellaart وغيرهم من اللذين قدموا مشهد واضح عن المجتمعات القديمة التي كانت محكومة من قبل المرأة.

في مصر مثلاً، كان للملكة سلطة أعلى من الملك فيما يتعلق بالنفوذ السياسي. حتى الزوجات في المنازل تمتعن بسلطة أكبر على أزواجهن. كانت الأميرات ترثن العرش وليس الأمراء، وحتــى على المستوى الشعبي كان حق الميراث للمرأة وليس الرجل. كانت المرأة سيّدة المنزل بكل مــا

تعنيه الكلمة إذ كانت القرارات المصيرية وتلك التي تخص الممتلكات في يد المرأة. حتى طلب الزواج هو دور مفروض على المرأة وليس الرجل، لكن في الفترة الممتدة من العام ١٩٠٠ ق.م حتى العام ١٥٧٠ ق.م، فقدن النساء حقهنّ في اختيار أزواجهنّ بكامل إرادتهنّ، وأصبحت المرأة ملكاً لزوجها الذي يُعتبر سيّدها ومولاها. وفي هذه الفترة بالذات أصبح الأولاد يتبعون سلالة الزوج وليس الأم. وفي هذه الفترة أيضاً فقدت المرأة كيانها بالكامل حيث اعتبرت سلعة تجارية تُباع وتُشترى، إذ بدأت بنات الملوك تُرسلن كهدايا للفرعون. وشهدت هذه الفترة اختفاء كامل للكاهنات من المعابد المصرية. وأصبحت كلمة "فرعون" تُستخدم للإشارة إلى الملك الذكر وليس إلى البيت الملكي. وفي هذه الفترة نشأ تقليد زواج الحكام الذكور من خواتهم الحاكمات (تم تحليل هذه العملية من قبل الكهنة بعد سوء تفسير أسطورة أوزيريس وإزيس الذين كانا أخوة ثم زوجين إذ تم تدنيس هذه الرواية الرمزية التي تهدف أصلاً إلى شرح مبدأ كوني جليل). هذا التحول التدريجي بلغ ذروته في العام ١٣٠٠ ق.م عندما قام "أخناتون" بثورته الدينية وبذلك نجح في ترسيخ المجتمع الذكوري بشكل نهائي بعد فرض مبادئه الدينية الخاصة المتمحورة كلياً حول الإله "رع" الذكر (الذي سماه آتون).

هل هذه الحملة اللاهوتية/السياسية سببها يقتصر على الحقد الذي حمله الرجال على النساء؟ لا طبعاً.. المسألة ليست بهذه البساطة. هناك أسباب كثيرة وراء هذا التحوّل. لكن أهمها هو القضاء على الطاقة الأنثوية التي في غيابها يسود عدم التوازن في المجتمعات. إذا أخذنا هذا السبب الأخير بطريقة سطحية سوف نعجز عن استيعاب الأمر بشكل جيّد. سأتحدث عن هذه النقطة لاحقاً لكننا الآن سنتناول المبررات اللاهوتية التي استندت عليها هذه الحملة على المرأة، وهذه المبررات طبعاً تستند على سوء تفسير التعاليم السرية.

بالعودة إلى قصة الخلق والنظر إلى الكرة الكونية التي انقسمت إلى قسمين، علوي ودنيوي، نجد المبرر الذي اعتمد عليه اللاهوتيون ماثلاً أمامنا.



إذا أنشأنا جدول يقارن بين السمات التي أنسبت للأنثى وتلك التي أنسبت للذكر نعلم حينها من أين جاءت هذه النظرة الدونية تجاه المرأة والتي عزّزها الكهنة ورجال الدين منذ أيام الفراعنة. فيما يلي بعض السمات والخصائص التي يتميّز بها كل من العالم العلوي والعالم المتجلّي، والتي يمكن استنتاجها منطقياً بالاعتماد على ما توصلنا إليه خلال الشروحات السابقة لعملية الخلق:

العالم العلوي	العالم الدنيوي
تجاوزي	متجلّي
ذكر	أنثى
الحقيقة	وهم
مثالية	دونية
روحي	مادي
فكري	عاطفي
كمال	نقص
غير محدود	محدود
صفاوة	شوائب
موجب	سالب
أبدية، خلود	مؤقت، زائل

بعد إنساب الكهنة القسم العلوي للمبدأ الذكري والقسم الدنيوي للمبدأ الأنثوي حصلت الكارثة! مراجعة سريعة على السمات التي أنسبت للأنثى توحي بكل تأكيد إلى أن هذه الأخيرة نالت القسط

الأكبر من الصفات التي نعتبرها وفق مفهومنا العام شريرة أو سيّئة. حتى مفهوم الـ"يـن/يـانغ" الصيني أخطأ في إنساب سمات الـ"ين" للمرأة والـ"يانغ" للرجل، مما عزّز الحملة الشعواء التي قامت ضد المرأة في تلك البلاد أيضاً. (أنظر في موضوع الـ"ين/يانغ)

الأمر الذي لم ينتبه إليه المفسرون الجاهلون هو أن ما نعتبره علوي ودنيوي ليس له أساس في الواقع الفعلي لكن تم شرح المسألة على مخطط نظري رُسم بهدف توضيح الفكرة وتسهيل عملية الشرح (تناولت هذه الفكرة في الجزء السابق). بالإضافة إلى وجود فرق كبير بين المبدأ الأنثوي الخلاق والقسم الدنيوي في الكرة الكونية الذي يمثّل القطب السالب. المبدأ الأنثوي هو المحتوى الإلهي النقي، هو الرحم المبدع الذي انبعث منه الخلق المتنوع، شبّه الحكماء الأوائل المبدأ الأنثوي بالماء النقية الصافية التي مهما تعرّضت للتلويث إلا أنها تبقى بجوهرها محافظة على نقاوتها. الماء التي نعتبرها ملوثة أو حتى قذرة ليست كذلك في جوهرها، نحن نعتبرها قذرة بسبب الرواسب التي عكرتها، الرواسب هي القذرة بينما الماء تبقى محافظة على تكوينها الجوهري، النقاوة. يمكننا إثبات هذه الحقيقة بسهولة بعد تصفية الماء من الرواسب الملوثة فتستعيد بعدها نقاءها. هكذا هي الحال مع مبدأ الأنثى، النفس العذراء، العذراء الكونية التي عكّر صفاوتها النشاط الذكري فتلوثت بالرواسب القذرة بعدما دُفعت عنوة نحو التجلّي المادي. بالإضافة إلى نقاوتها فهي القسم الولّاد في الكائن الكوني. مبدأ الأنثى هو مبدأ الخلق والإبداع، مبدأ الحضانة والأمومة.. مبدأ النمو والتنشئة والرعاية.. مبدأ الحنان والعاطفة والسلام.

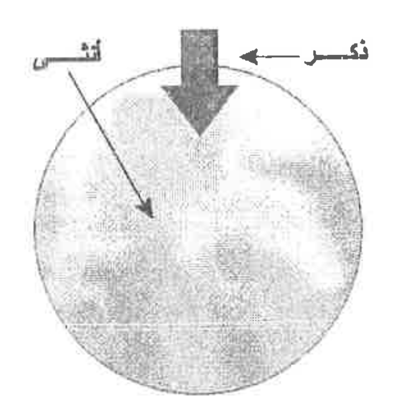
سوء تقييم المبدأ الأنثوي خلال شرح التعاليم السرية

ذكرت في الجزء السابق كيف أنه من المألوف في أدبيات التعاليم الباطنية تقسيم الكون إلى عالمين علوي وسفلي، أو باطني وظاهري، أو تجاوزي ومتجلّي.. إلى آخره، وغالباً ما وردت هذه التقسيمات الثنائية في النصوص الفلسفية المنحدرة إلينا بطريقة اعتباطية يشوبها اللغط والتشويش. العالم العلوي هو ليس القسم الأعلى من الكرة الكونية، بل الثالوث الأعلى من مخطط شجرة الحياة المؤلفة من ثلاثة ثواليث. والثالوث العلوي يمثل العالم التجاوزي، أي المتحرر من عاملي المكان والزمان. بينما العالم الدنيوي يمثله المثلث الأخير وما يليه من تجسيد مادي.

إذاً، ليس هناك فوق وتحت في الكون، لكننا نستخدم هذه المصطلحات لمساعدتنا على تصنيف المواقع في مخطط أو شكل هندسي يمثّل الكون. حتى القانون الهرمزي الشهير "كما في الأعلى كذلك في الأسفل" أسيء تفسيره بشكل كبير، إذ ما يقصده في الحقيقة هو مواقع رمزية في المخطط الذي يعبّر عن سلسلة التجلّي وليس أقسام فعلية في الكون.

بناء على الفكرة السابقة نستنتج بأن المبدأ الأنثوي لا يمثّل القسم الدنيوي من المخطط (لأنه لا يوجد قسم دنيوي فعلياً) بل هو المحتوى الإلهي الذي يملأ كل مكان في الوجود. هو المحتوى الأولي الذي كان يملأ الكرة الكونية قبل أن يتلقى دفعة من الإرادة الإلهية واختلط مع تيارها (الذكري) فأصبحا واحداً ليتكاثفا عند مركز الكرة. هذا يعني أن مبدأ الأنثى يمثّل كل من العلوي والسفلي معاً في مخطط الكون. ليس لمبدأ الجندر أي علاقة بمبدأ القطبية إذ هناك فرق كبير بينهما. الشرح المصوّر التالي سيوضّح الفكرة جيداً:

١ـ توصف التعاليم كيف كانت "البيضة الكونية" في حالتها الأوليّة البيضة العذراء التي لم تُخصّب بعد. هذه البيضة التي اختارها الخالق مسرحاً لعمله تُمثّل المبدأ الأنثوي.



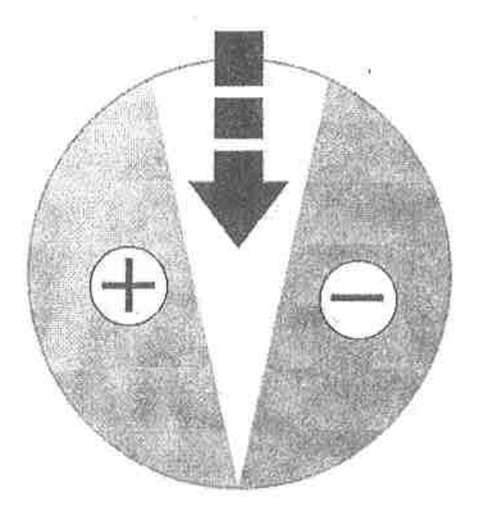
لكن بعد أن يتم تلقيحها من قبل المبدأ الذكري (القوة الروحية التي يُحفّزها المسبّب الأول) تتحول إلى البيضة الكونية التي تُثمر أو تولد أو تُنتج ما يُسمى العالم المادي. وصفت إحدى التعاليم الباطنية هذه العملية من خلال القول: *".. تنطلق القوة الإشعاعية متغلغلة داخل محتوى البيضة العذراء فتهتز وترتعد فتتشكّل في مركزها البذرة المادية التي تتكاثف لتصبح البيضة الكونية.."*

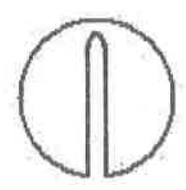


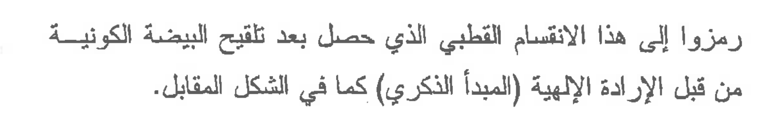
ترمز البيضة الكونية للتناسل والولادة وإعادة الولادة من جديد، إذ انها تمثّل النمط الأكثر شيوعاً لعملية التلقيح والنمو الجنيني لكل كائن حيّ، فقد استُخدمت أيضاً كرمز للأبدية والفضاء الشمولي، وذلك بسبب شكلها الدائري، لذلك رمزوا إليها بدائرة خالية من نقطة مركزية.

٢ـ جميع التعاليم الباطنية حول العالم تحدثت عن القطبية الثنائية التي تشكلت ضمن نطاق "الكرة الكونية" (المبدأ الأنثوي) عند انقسامها إلى قسمين بعد تلقيحها من قبل المبدأ الذكري.

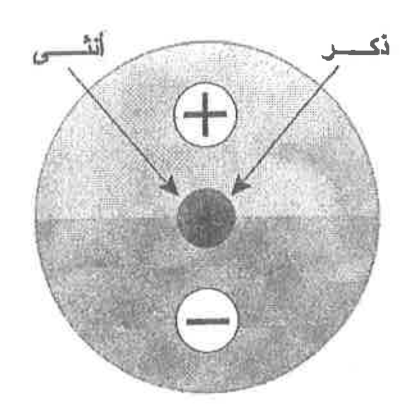
يبدو واضحاً الفرق بين مبدأ الجندر (ذكر/أنثى) ومبدأ القطبية (موجب/سالب) وهـذا مـا تبيّنـه الصورة، حيث الانقسام إلى قطبين حصل بعد عملية التلقيح (مبدأ الجندر). وبالتالي، ليس لمبـدأ الأنثى أي علاقة بالقطب السالب، بل أصبحت تتألف من قطبين: موجب وسالب، والفرق كبير بين المفهومين. (الشكل التالي)



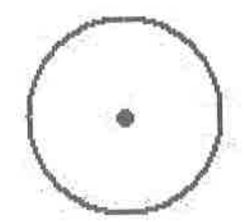



رمزوا إلى هذا الانقسام القطبي الذي حصل بعد تلقيح البيضة الكونيـة من قبل الإرادة الإلهية (المبدأ الذكري) كما في الشكل المقابل.

٣ـ توصف النصوص الباطنية القديمة كيف أسقط الإله الأعلى بذرته في ماء البيـضة العـذراء (التي ترمز للمحتوى الكوني، أي المبدأ لأنثوي) فأصبحت فيما بعد "البيضة الذهبية" (أي البيـضة الملقّحة ببذرة الإله) ومن ثم مكث المحتوى الإلهي في القسم العلوي من تلك البيضة بعد انفصالها إلى قسمين (أي إلى قطبين) علوي وسفلي. بعد إخصابها أثمرت البيضة لؤلؤة قابعة في المركز.

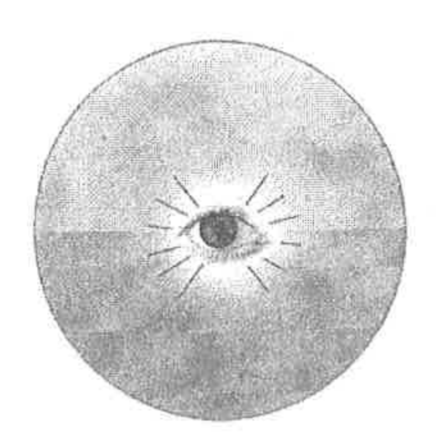


هذه الكتلة المركزية المتشكلة في المركز تتألف من بذرة الإله الأعلى (ذكر) مخلوطة مع المحتوى الإلهي (محتوى البيضة ــ الأنثى) الذي كان منتشراً في البيضة قبـــل أن يتكاثف عند المركز. أي أن الكتلة تتألف من أنثى وذكـــر معاً. نحن لا نتكلّم عن رجل وامرأة، بل عن مبدأ ذكـــري ومبدأ أنثوي، وكلاهما مكونان رئيسيان لعمليـــة الخلـــق. الإله الأعلى [جلّ جلاله] ليس ذكر ولا أنثـــى، إذ لـــيس هناك وجود لهذين المبدأين في ذلـــك المـــستوى الإلهـــي السامي.



يُرمز إلى المتجسّد الأوّل (الكتلة المتكاثفة عند المركز) بدائرة وفي مركزها نقطة. وهو ذاته رمز الشمس التي انبعث نورها من هـــذه الكتلة المركزية بعد ولادة عامل الزمان (التكرار، أي الذبذبة).

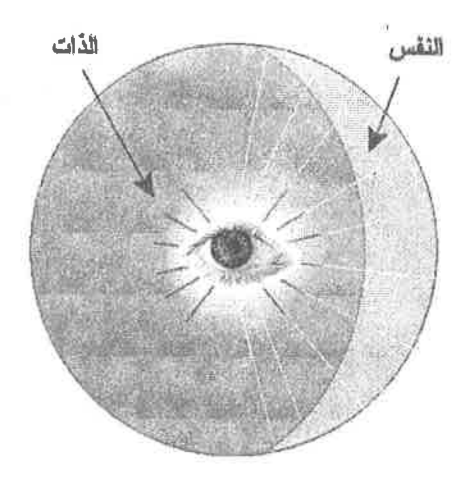
٤ــ عند ولادة عامل الزمن، وبدأت عملية التكاثف في المركز تتكرّر على الدوام، حصلت حالـــة تذبذب أو نبض، فتجلّى النور في كامل أنحاء الكرة الكونية منبعثاً من الكتلة المركزية.



هذه المرحلة شهدت ولادة الإبن المقدس، الشمس، الوعي المركزي، هو ليس ذكـــر ولا أنثـــى، بـــل الاثنين معاً. لكنه يقبع في الوسط بين القسم الدنيوي (الفارغ من المحتوى الإلهـــي) والقـــسم العلـــوي (المليئ بالمحتوى الإلهي).

كما رأينا من خلال الشروحات السابقة، هناك فرق كبير بين مبدأ الجندر [أنثى/ذكر] ومبدأ القطبية [سالب/موجب]، وبالتالي فإن الأنثى لا تمثّل القطب السالب أو أي من السمات السلبية التي تم إنسابها إلى العالم الدنيوي.

لقد بنوا على هذه الفكرة الخاطئة السابقة للخروج بالكثير من الاستنتاجات الخاطئة. لقد خلطوا مثلاً بين رمز القمر الذي يمثل المقام التاسع في مخطط شجرة الحياة (القسم الدنيوي) وهو على شكل هلال، وبين ذلك الشيء الذي يتشكّل على الجدار الداخلي للكرة الكونية والذي يتخذ صورة الهلال. وهو رمز يمثّل "النفس" وهي ذات طبيعة أنثوية كما سنرى لحقاً.



هذا هو ثنائي [الشمس والقمر] الذي يتكرر ذكره في النصوص الباطنية والدينية حول العالم. الشمس (أو الذات) تمثّل القوة الفاعلة، والقمر (أو النفس) يمثّل القوة المنفعلة (سوف نتعرف عليها بالتفصيل لاحقاً). هذا الموضوع يشرح المفهوم الحقيقي لثنائية الوعي واللاوعي. هنا بالذات سنكتشف مدى عظمة وروعة المبدأ الأنثوي في حياة الإنسان.



هكذا هي الصورة النموذجية لمبدأ الأنثى العذراء، كور كوزمو، عشتار، صوفيا، إيزيس، بيرسوفون، مريم.. إلى آخره.. هي عذراء العالم.. المبدأ الأكثر جلالة بين المبادئ المنبعثة من رحاب الخالق [عزّ وجلّ]. كيف تحوّلت صورة هذا المبدأ الأنثوي الجليل في عقول الرعايا من عذراء حسناء مبدعة إلى شمطاء قبيحة غبية يعتبر مسألة غامضة وتدعو للعجب فعلاً!







تقتصر وظيفة مبدأ "الذكر" في الطبيعة على توجيه طاقة فطرية محفّزة نحو مبدأ "الأنثى"، وهــذا المجهود البسيط من قبل الذكر يطلق العنان لسلسلة طويلة من الإجراءات المندرجة ضمن وظيفة

"الأنثى" الخلاقة. مبدأ "الأنثى" هو الوحيد الذي يقوم بالعمل الخلاق، وهذه الحالة هي ذاتها على كافة المستويات في الوجود. الأنثى هي التي تولّد وتحضن وترعى وتنشئ وتبدع الحلول المناسبة وتقوّم الاعوجاج وتصلح الأخطاء.. من هنا جاء مفهوم "الطبيعة الأم" التي ترعى شؤون الخلق.



لولا هذا المبدأ الأنثوي الجليل ورعايته الحنونة المستمرّة للطبيعة لما كان كوكب الأرض صامداً حتى الآن أمام التخريب والتلويث والتشويه الذي يعانيه نتيجة ما يقترفه الوحوش الاقتصاديون من صناعات كيماوية وحفر مناجم وإزالة غابات وغيرها من أعمال تلبّي حاجات المجتمعات الاستهلاكية الغبية التي أنشئوها حول العالم.

هذا ولم نتحدث عن الدمار الهائل الذي ينتج من الحروب والثورات والمشاريع العسكرية وسباق التسلّح وصناعة الأسلحة والتجارب النووية.. إلى آخره.. إلى آخره..

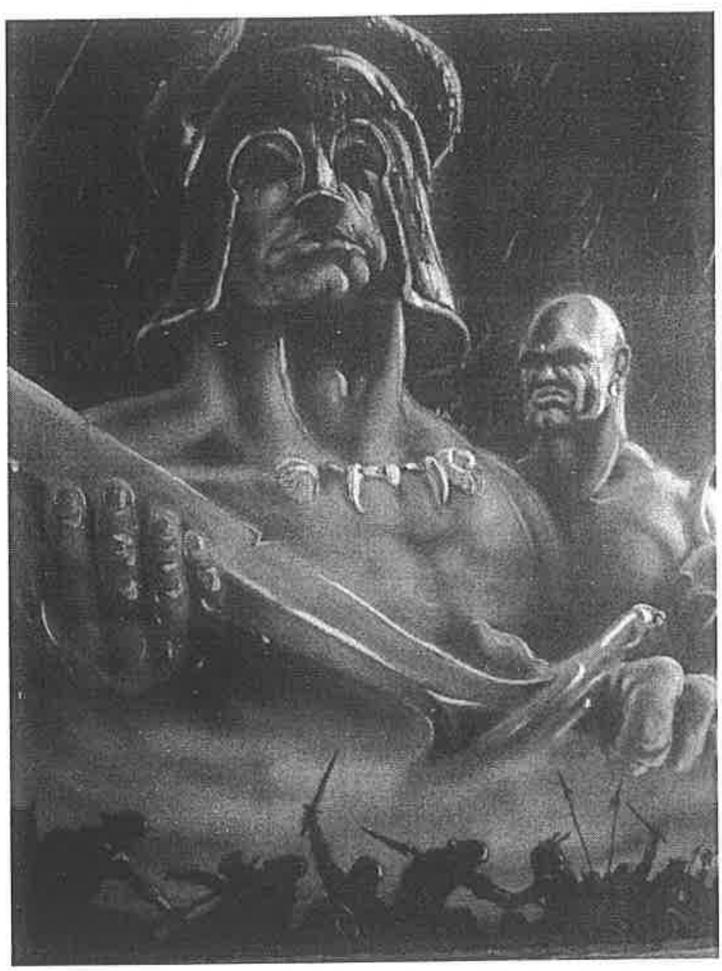
مبدأ الجندر موجود في كل شيء. تفاعل الذكر والأنثى يجري في كل مكان وفي كافة المستويات. هذا صحيح ليس فقط على المستوى المادي بل على المستويات العقلية والروحية أيضاً. يتجلى هذا المبدأ على المستوى المادي بصيغة الجنس الذي نعرفه، بينما يتخذ على المستويات العُليا شكل أرقى لكن المبدأ يبقى ذاته دائماً. في غياب هذا المبدأ لا يمكن لعملية الخلق أن تكتمل على كل المستويات، المادية والعقلية والروحية. يعمل مبدأ الجندر دائماً باتجاه التولّد والتجدّد والخلق. كل شيء وكل إنسان يحتوي على هذين المكوّنين أو المبدأين بداخله. كل شيء ذكر يحتوي على عنصر أنثى داخله. وكذلك الحال، كل شيء أنثى تحتوي على عنصر ذكر داخلها.

ما علينا فعله هو السعي الحثيث لتحقيق التوازن بين المبدأين، لأنه مع هذا التوازن تأتي القوة. المناداة بعودة المرأة إلى المعادلة الاجتماعية بكامل فعاليتها لا يعني المناداة بعودة المجتمعات "الأمومية" حيث السلطة المطلقة في يد المرأة، لأن هذا سيؤدي إلى خلل في التوازن أيضاً. نحن نتكلم هنا عن العودة إلى القانون الطبيعي الأصيل. إلى التكافل المتبادل بين الذكر والأنثى، إلى توازن الـ"ين" والـ"يانغ"، إلى التوازن السليم بين قسمي الدماغ، إلى الاندماج السليم بين الوعي واللاوعي.

لا يمكنك تصوّر مدى الأذى الذي أصاب الإنسانية نتيجة القمع الذي تعرّضت له الأنثى، ليس فقط في المجال الاجتماعي بل في كافة المجالات. تذكّر أنه حتى الجانب الأنثوي من الإنسان (وظائف القسم الأيمن من الدماغ) يتعرّض للقمع المستمرّ. المبدأ الأنثوي ليس موجود عند المرأة فقط بل عند الرجل أيضاً. "طاقة الأنثى" في الكائن البشري (وأي كائن آخر) هي طاقة البديهة والحدس وإعادة الاتصال مع المستوى التجاوزي. حتى الرجال يتمتعون بنفس الدرجة من إمكانية تفعيل قطبيتهم الأنثوية واستخدام قوتها الخلاقة للاتصال مع مستويات حدسيّة عُليا في داخلهم.

لقد فعل المتآمرون كل ما يمكنهم فعله من أجل قمع هذه الطاقة الأنثوية الإلهية. استخدموا الأديان المتشدّدة من أجل الحطّ من قيمة النساء وجعلهنّ خانعات أمام الرجال مع تجريدهن من أي فرصة للتعبير عن أنفسهنّ بمجدهنّ الكامل. في الوقت نفسه، قاموا بقمع قطبية الأنثى عند الذكور، وذلك عبر خلق وتسويق النموذج الذي وجب أن يمثّل الرجل الحقيقي. أي الشخص الرجـولي القاسـي والعدواني والمقدام وعديم الرحمة. هؤلاء "الرجال الحقيقيون" الذين تنتجهم التقاليـد والأعـراف

الاجتماعية هم منفصلون تماماً من طاقة الأنثى لديهم لدرجة تجعل إمكانية تواصلهم مع العالم التجاوزي شبه معدومة.



لقد تم ترسيخ فكرة "البطل المحارب" في وجدان الإنسان لدرجة جعلته ينسى أنه مخلوق مسالم بالفطرة. هو ليس مؤهلاً لهذه الأعمال المتوحّشة. من أوجد الحروب والنزاعات؟ من له مصلحة في كل هذا القتل الوحشي دون مبرّر؟ من أوجد الإسكندر؟ من أوجد هولاكو؟ من أوجد تيمورلنك؟ من أوجد نابليون؟ من أوجد هتلر؟ من أوجد المجموعات الإرهابية المتطرّفة التي تنعث في البلاد كما وباء الطاعون؟ من يدفع الإنسان عنوةً إلى القتال ضد هذه الأعمال اللاإنسانية لكي يدافع عن إنسانيته؟






www.allenscreations.com















كيف تتوقع من المبدأ الأنثوي أن ينشط ويزدهر في هذه الأجواء المتوحشة التي سادت العالم في إحدى العصور المظلمة، ولازال يخلقها المتآمرون بين المجموعات البشرية من حين لآخر؟.. حتى اليوم، في هذا العصر المتطوّر فكرياً وثقافياً وتكنولوجياً.. نرى الفكر المتطرّف يعود من جديد.. يسلب ويدمّر ويسبي النساء ويقتل الأطفال ويثير الرعب في النفوس!.. من يخلق هذه الظروف الخارجة عن سياق المسيرة الحضارية، ولماذا؟

محنة أخرى واجهتها المرأة

بعد سوء تفسير مبدأ "الجندر العقلي"

رغم ذلك كله، هناك نوع آخر من سوء التفسير الذي زاد من قمع المرأة والحط من قيمتها. بعد التعرف على مبدأ "الجندر العقلي" في موضوع الفلسفة الهرمزية الوارد في الجزء السابع نجد أن المبدأ الأنثوي يمثل المكون الأهم في مبدأ الجندر إذ هو القسم الخلاق والمبدع، لكنه منفعل وشديد الحساسية وبالتالي شدّد المعلمون على المحافظة على هذا القسم العقلي المرهف لأنه محتوى طيّع بشكل كبير وبالتالي يسهل الاستحواذ عليه. هذه الفكرة الأخيرة التي شدّد عليها المعلمون أسيء تفسيرها أيضاً من قبل الكهنة المنافقين مما زاد من مأساة المرأة وبؤسها.

يمكن شرح فكرة "الجندر العقلي" بكلمات مختصرة للذين يألفون النظريات العصرية المتعلقة بالعقل الواعي والعقل اللاواعي. المبدأ "الذكري" للعقل يتوافق مع ما يُسمى "العقل الواعي" أو "العقل الفاعل" أو "العقل الإرادي" أو "العقل الصاحي"،.. إلى آخره. أما المبدأ "الأنثوي" للعقل فيتوافق مع ما يُسمى "العقل اللاواعي" أو "العقل المفعول" أو "العقل الاإرادي" أو "العقل باطن" أو "العقل الخامد"،.. إلى آخره.

هذين المظهرين للعقل، مبدأي الأنثى والذكر، وفيما يتعلّق بالظواهر العقلية الخارقة، يُعتبر بأنهما يوفران "المفتاح العمومي" لهذه المجالات الضبابية من التجلّي والعمل العقلي. يقدم مبدأ "الجندر العقلي" كل الحقيقة الكامنة وراء الظواهر المتعلّقة بمجال التأثير العقلي، والتنويم المغناطيسي، وغيرها. ميل المبدأ "الأنثوي" يكون دائماً باتجاه تلقّي الانطباعات والإيحاءات، بينما ميل المبدأ "الذكري" يكون دائماً باتجاه منح الانطباعات والإيحاءات. إن للمبدأ "الأنثوي" مجال عمل أوسع وأكثر تنوعاً من مجال المبدأ "الذكري". المبدأ "الأنثوي" يوجّه عملية توليد الأفكار الجديدة، وكذلك المفاهيم والاهتمامات، كما أن عمله يشمل الخيال أيضاً. أما المبدأ "الذكري" فيكتفي بعملية "الإرادة" في جوانبه المختلفة. لكن رغم هذا القدر اليسير الذي وُكّل به المبدأ "الذكري" في العملية (أي "طرح الإرادة")، وفي غياب هذا العامل البسيط ظاهرياً، سيستمرّ المبدأ "الأنثوي" بإنتاج وخلق الصور العقلية لكن كنتيجة لانطباعات وإيحاءات قادمة من الخارج، وبالتالي لن يكون الخلق العقلي أصيلاً في كينونة الفرد. (يمكن اعتبار هذه العملية بأنها "حالة زنى عقلية").

الأشخاص الذين يوجهون انتباههم وتفكيرهم نحو موضوع معيّن، يفعلون ذلك باستخدام كلا المبدأين العقليين، الجانب "الأنثوي" يتولى عملية الإنتاج العقلي لأنه القسم الخلاق، والجانب "الذكري" يطرح إرادته نحو تحفيز وتنشيط القسم الخلاق من العقل. لكن مُعظم الناس لا يستخدمون المبدأ "الذكري" سوى قدر قليل منه فقط، ويكتفون بالعيش والتصرّف وفقاً للأفكار والإرشادات المغروسة في رحم الجانب "الأنثوي" لديهم من قبل الجانب "الذكري" التابع لعقول الآخرين (زنى عقلي).

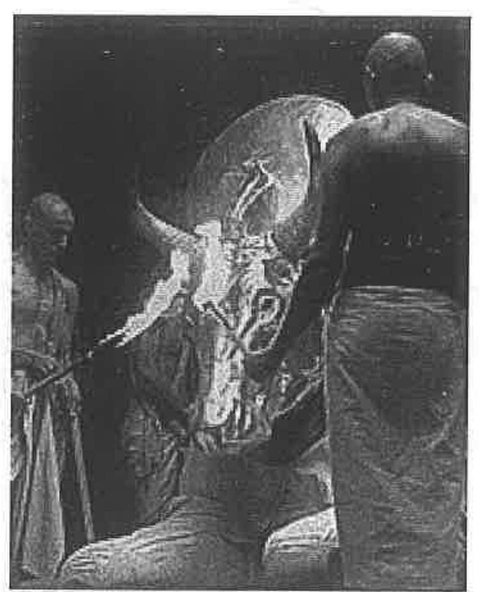
يمكن في ظاهرة التخاطر رؤية كيف تنتقل الطاقة المتذبذبة للمبدأ "الذكري" إلى المبدأ "الأنثوي" للشخص الآخر، فيأخذ هذا الأخير البذرة الفكرية ويسمح لها بالنمو والتطوّر حتى مرحلة البلوغ. وهذه هي الطريقة ذاتها التي تعمل وفقها الإيحاءات الكلامية وكذلك التنويم المغناطيسي. يقوم المبدأ "الذكري" للشخص الموحي بتوجيه حزمة من الطاقة المتذبذبة أو "قوة الإرادة" نحو المبدأ "الأنثوي" للشخص الآخر، وهذا الأخير يتقبّل الإيحاء ويجعله له، فيتصرّف ويُفكّر وفقاً له. الفكرة المزروعة في عقل الشخص الآخر تنمو وتتطوّر، وتُعتبر مع الوقت من بنات أفكار هذا الشخص.

عندما يرد في النصوص المقدسة توصيات إلهية تدعوا إلى قتل الغرباء والقضاء على ذريتهم من أولاد وبنات ونساء... إلى آخره، فهذا لا يعني أن الله [جلّ وعلا] يدعو شعبه إلى اقتراف أبشع المجازر بحق الشعوب الأخرى، بل من أجل اقتلاع كل الأفكار الغريبة وذرياتها التي راحت تتوالد في القسم الأنثوي من العقل. إن هكذا توصيات واردة في النصوص المقدسة حفّزت الكثير من قادة الجيوش [[["المؤمنين"]]] على اتخاذ قرارات غير إنسانية ولاأخلاقية بحقّ الشعوب الأخرى. السبب لا يكمن في النصوص بل في من فسّرها وفقاً لمستوى تفكيره الجاهل وعقليته الهمجية. العيب إذاً ليس في النصوص بل في النفوس!

الصيغة الصحيحة التي تدعو إليها التعاليم السرية هي إحداث تنسيق بين المبدأين "الأنثوي" و"الذكري" في عقل الشخص والتصرّف بانسجام مع بعضهما البعض، لكن لسوء الحظ، المبدأ "الذكري" في الشخص العادي هو كسول جداً وعاجز عن فرض إرادته والنتيجة هي أن هكذا أشخاص يُحكمون بالكامل تقريباً من قبل عقول وإرادات أشخاص آخرين، والذين يسمحون لهم بالتفكير عنهم والإرادة بالنيابة عنهم. نادراً ما يمارس الشخص العادي تصرفات وأفكار أصيلة نابعة منه. أنظر حولك، أليس أغلبية الناس مجرّد ظلال وأصداء للآخرين الذين يتمتعون بإرادات

وعقول أقوى منهم؟ المشكلة تكمن في أن الشخص العادي يقبع غالباً في القسم "الواعي" من عقله ولا يُدرك بأنه يملك شيئاً يُسمى "اللاوعي" وهذا القسم الخفي هو الذي يسيّره بشكل لاإرادي وبالتالي يكون الشخص مُستقطب نحو المبدأ "الأنثوي" من عقله، بينما المبدأ "الذكري" الذي يحتوي على الإرادة يُترك مُهملاً دون تفعيل أو استخدام.

التأثير الغريب الذي يمارسه بعض الأشخاص على الآخرين يستند في المقام الأول على الجندر العقلي. في هذا المبدأ يُكمن سرّ المغناطيسية الشخصية، التأثير الشخصي، الشخصية الساحرة، الإعجاب، الإفتتان، الانجذاب،.. إلى آخره، بالإضافة إلى تلك الظاهرة التي صُنفت بعنوان "التنويم المغناطيسي". وبسبب إلمام الكهنة المنافقين بهذا الموضوع بشكل جيّد قاموا باستخدامه أحسن استخدام للسيطرة على الجموع البشرية.



كهنة عصور الانحطاط كانوا على إلمام جيّد بالمبادئ الأساسية للتعاليم السرية، لكن بدلاً من تكريسها من أجل تنوير الرعايا سخروها لتحقيق غاياتهم الدنيوية عبر القمع الفكري والاستعباد الذي أدى إلى السيطرة المطلقة للحكام.

لطالما شدّد المعلمون الأوائل على الحذر من الكهنة المظللين والذين يستفيدون من النفوذ السياسي والمعنوي الكبير الذي تتمتع به الطبقة الكهنوتية في أي أمّة من الأمم لكي يفرضوا تعاليم مُحرّفة

تخدم غاياتهم ومصالحهم الدنيوية الخاصة (لقد تناولت هذه المسألة باختصار في موضوع "الوعي الديني المزوّر" في الجزء الرابع). مثلهم المعلّمون الأوائل بالكائن الأسطوري المألوف جيداً في الخرافات الإغريقية ويُدعى الإله "بان" Pan. شخصية "بان" ترمز إلى الكاهن أو المعلّم المظلّل الذي يتمتع بدرجة كبيرة من الدهاء وقوة الاستحواذ على الآخرين، وهو الذي أصبح يمثّل اليوم التلفزيون والمدرسة وأجهزة الإعلام وغيرها من وسائل مستحوذة على العقل وطريقة التفكير والهادفة إلى تظليل الشعوب وزيادة انشغالهم بالعالم الدنيوي. لكن مع مرور الوقت تحول هذا الكائن الأسطوري إلى إله فعلي تتمحور حوله تقاليد عبادية خاصة. أصبح "بان" يُعتبر عند الإغريق إله الرعاة والمواشي وكل ما يتعلّق بالرعوية (ترمز المواشي إلى الرعايا، والرعاة إلى الكهنة) وقد أشاروا إليه باسم "لوبركوس" Lupercus أي "الذي يُبعد الذئاب" وهذه الحجة بالذات (الحماية من أذى الشيطان) ساهمت في إحكام قبضة الكهنة على الرعية.

تصفه الأسطورة بأن له وجه متجعّد وذقن بارز جداً، له قرنين على جبهته ويكسو جسمه شعر كثيف، له أرجل وأذنين وقرون مشابهة للماعز. شبهه رجال الكنيسة الأوائل بالشيطان. يستطيع هذا الكائن، بواسطة حنكته ودهائه، أن يبعث الرعب غير العقلاني في نفوس الناس فيدفعهم إلى الهلع. يتصف بشبق جنسي هائل (مبدأ الذكري في العقل) فيصورونه في الأساطير كيف يلاحق الحوريات (المبدأ الأنثوي في العقل) بشكل دائم ومتما سنحت له الفرصة.



"بان" يغتصب إحدى المواشي، وهذه العملية الوضيعة لها دلالات كبيرة تكشف عن الكثير من الموعظة والحكمة. الماشية هنا ترمز للرعية التي يُفرض عليها التعاليم بالغصب

وفقاً للأسطورة، "بان" هو أحد أولاد الإله "هرمز"، وهذه أيضاً دلالة تتعلّق بعملية التعليم أو نـشر المعرفة التي يرمز لها "هرمز"، لكن في ما يتعلق بالإله "بان" فهذه المعرفة تكون مزورة حتماً.



"بان" يعلّم شقيقه "دافنيس" Daphnis العزف على المزمار. وهذه لها دلالة كبيرة، حيث "دافنيس" أيضاً هو أحد أبناء "هرمز" وجمال خلقته ترمز إلى المعرفة الأصيلة غير المشوّهة.



الإله بان (المبدأ العقلي الذكري) يحاول إغواء أفروديت (المبدأ العقلي الأنثوي). المعنى الرمزي لهذا التصوير هو أن الجانب الأنثوي في عقل الإنسان ذو النفس النبيلة والمتزنة (جمال خلقة

أفروديت) لا يمكن أن يتقبّل سخافة الإيحاءات السلبية القادمة من التعاليم الشاذة والمظللة التي يحاول المعلم المُغرض (الإله "بان") غرسها فيه.

بعد الاطلاع على مبدأ الجندر العقلي الذي يتحدث عن قسمي العقل (الذكري والأنثـوي) سـوف تتوضّح لديك الأمور بشكل جيّد. شخصية "بان" تمثّل المعلّم المُظلّــل، وسـلوكه مــع المواشــي والحوريات وغيرها من كائنات أنثوية يمثّل عملية فرض الإرادة الذكورية بــالقوة علــى المبــدأ الأنثوي في عقول الرعايا.

لطالما شدّد المعلمون الأوائل على هذه النقطة. لطالما حذروا الناس من عملية اغتصاب اللاوعي لديهم من قبل الخبثاء المغرضين. كانوا يكررون دائماً المقولات التالية: ".. احمــوا أنثــاكم مــن الآخرين.."، ".. أحجبوا أناثكم عن الذكور الغرباء.."، ".. أحجروا على أناثكم منعــاً لوقــوعهنّ ضحايا في شرك المعتدين.."، وغيرها من أقوال مشابهة. لكن ماذا فعل الرعايا بعد تفسير هــذه التحذيرات بطريقة خاطئة؟ ما كان عليهم سوى التحجير على زوجاتهم وبناتهم وخــواتهم بينمــا أناثهم العقلية التي قصدها المعلمون لازالت مكشوفة للجميــع ومعرّضــة فــي أي لحظــة إلــى الاغتصاب من قبل كل من اشتهى ورغب! دون أي حسيب أو رقيب!

أعتقد بأن الأمثلة السابقة كافية لأن تكوّن صورة عامة تشمل جوانب مختلفة مــن ســوء تفــسير الرموز والأساطير عبر العصور مما ادى إلى عكس ما قصده الحكمــاء الــذين صــاغوا تلــك الأساطير أصلاً، أي بدلاً من مساهمتها في تقريب الناس نحو نور الحقيقة أبعدتهم عنهــا مــسافة كبيرة جداً باتجاه ظلام الجهل والانحراف والبطش والوحشية والطغيان والظلم.

معظم التفسيرات اللاهوتية التي جاءتنا من الماضي هي عبارة عن اجتهادات مفكرين ليس لــديهم الأهلية أو المعلومات الصحيحة للتعامل مع الحقيقة الأصيلة. ربما استقوا معلوماتهم من مــصادر محرفة أو جهات مغرضة، لكن المهم أنها كانت باطلة ولا تصلح لأن تمثّل ممارسة دينية سليمة. لقد مرّت هذه التعاليم عبر عصور طويلة من الانحطاط الأخلاقي والفكري والحضاري.. زمــن متوحش بكل ما تحمله الكلمة من معنى. زمن الغزوات والاحتلال والقتــل والظلــم والاســتبداد والسيطرة المطلقة والعقائد الشمولية وغيرها من عوامل لا توفر جو مناسب للتفكير الــسليم. آن الأوان للتسليم بهذه الحقيقة. إنها خطوة أساسية وجب اتخاذها في درب الممارسة الدينية السليمة.



سوف يأتي اليوم الذي يتحرر فيه المبدأ الانثوي من الأغلال التي تقيّده وتمنعه من التعبير عن طبيعته الحقيقية، فيستعيد مكانته المجيدة ويعود بعدها التوازن إلى حياة الإنسان والمجتمع والحضارة الإنسانية والطبيعة بشكل عام.

من بين العلوم التي أسيء تفسيرها رغم أنها ساهمت بشكل كبير في قولبة الفكر الإنساني عبر العصور الماضية هو علم الفلك. لقد كان تأثير هذا التوجه الفكري عظيماً لدرجة جعلت عبادته وممارسته الدينية تتخذ صبغة فلكية. علم الفلك بالنسبة للقدماء لم يكن مجرّد طريقة مجدية لاستشراف المستقبل كما نعرفه اليوم بل يتجاوز ذلك بأشواط عديدة. كافة الأديان التي انحدرت إلينا من الماضي لها أساس فلكي أصلاً، وتتمحور حول عبادة الشمس.

من أجل استيعاب هذه الفكرة بشكل جيّد سوف نتعرف على موضوع علم الفلك مبتدئين من المستوى التي نألفه اليوم عن علم الفلك ثم نتقدم في هذا المجال حتى نصل إلى جوهر الموضوع الذي تمحورت حوله الممارسة الدينية القديمة. فنكتشف أن المفهوم الفلكي القديم يختلف تماماً عن المفهوم العصري إذ هو أكثر عمقاً وشمولاً مما نتوقعه.

علم الفلك



".. الطريقة السرّية التي يتبعها هرمز الحكيم في جميع مشاريعه وأعماله هي أنه من الضروري جداً للشخص أن يجري دراسة تربط بين ما ينوي فعله وبين المواقع الزمنية والمكانية للكواكب إذا أراد النجاح وعدم حصول أخطاء أو هفوات في كل ما يشرع إليه مهما كان نوعه.."

هرمز الهرامزة

".. من يرغب البحث في فن الطبابة بشكل صحيح عليه أولاً الأخذ بعين الاعتبار فصول السنة وكيف يكون تأثير كل منها، حيث هي ليست مختلفة فحسب بل يوجد تفاوت كبير في التأثيرات التي تجسّدها.."

الطبيب الإغريقي أبوقراط (٤٠٠ ق.م)

يعتبر موضوع علم التنجيم، والذي يمتد من غياهب العالم القديم حتى الزمن الحاضر، مجالاً شائكاً ويتطلّب الكثير من التوضيح. فهو من ناحية، يُعتبر من قبل العلم المنهجي عبارة عن علم خرافي لا جدوى منه. لكن من ناحية أخرى، فهو تعبير عن توق إنساني مستمرّ لفهم شامل لآلية اندماجنا مع الكون.

إن دراسة حذرة ودقيقة لعلم الفلك قد يكشف عن حكمة عظيمة ومعطيات ناتجة من مراقبة متراكمة عبر آلاف السنوات. لكن رغم ذلك كله، فإن هذا العلم بالذات يتعرّض الآن لسوء الاستخدام وسوء الفهم وسوء التفسير. لقد كسب علم التنجيم (الفلك) الحديث القليل من الاعتراف

العلمي الرسمي في العقود الأخيرة، خاصة بعد أن أثبتت بعض الظواهر الفلكية قدرة تأثيرها على الوعي البشري وسلوكه. تبدو تأثيرات بعض الوضعيات الفلكية واضحة للجميع، مثل تغيير الفصول السنوية التي تتوافق مع موقع الشمس في دائرة البروج. أو تأثير القمر على حالة المد والجزر، وكذلك العلاقة الواضحة للدورات القمرية بحيض الأنثى والتي هي معروفة جيداً. لكن هناك المزيد من المعلومات المهمة التي كشفت عنها الأبحاث العصرية التي تناولت تأثير الشمس والقمر على المجريات العقلية (النفسية) والبيولوجية (الصحية) لدى الإنسان والكائنات الأخرى، بالإضافة إلى التغييرات التي تحدثها في البيئة. من بين أهم الحالات والأعراض الصحية التي أُثبت علاقتها الوثيقة بأطوار القمر هي: حالة الجهاز البولي، حالات تتعلّق بالسكتة الدماغية، الصرع، تمزق في شريان الأبهر، زيادة ملحوظة في دخول المشافي، داء المفاصل، معدل الوفيات، مستوى الإجهاد، ضغط الدم، معدل الخلايا اللمفاوية، السلوك العدواني.. إلى آخره.

من بين أهم الحالات والأعراض الصحية التي أُثبت علاقتها الوثيقة بالدورات الشمسية نجد: معدلات الإصابة بسكتات قلبية، أمراض الرئة، الارتعاج، نشاطات الميكروبات، وباء الخناق، التيفوس، الكوليرا، الجدري، حصول حالات تندّف flocculation وزيادة في نسبة الكريات البيض.. وغيرها.



الأرض تتعرّض دائماً لانتفاضات شمسية تتكرّر بانتظام

وقد أثبت وجود علاقة وثيقة بين الانتفاضات الدورية للشمس (العواصف الشمسية) وبين الحروب، تفشّي الأوبئة، الثورات، نزوح المجموعات البشرية، غزو أسراب الجراد، موت أنواع مختلفة من الأسماك بمجموعات هائلة وفق مواعيد إيقاعية محددة، تغيّر منسوب مياه البحيرات، معدّل منتوج النبيذ وجودته.. حوادث السير والكوارث الصناعية كانهيارات المناجم وحريق المصانع ويبدو واضحاً أن سبب هذه الحوادث هو تأثير النشاطات الشمسية على الوعي البشري بحيث تكثر نسبة الأخطاء التي يقترفها دون قصد أو إدراك مسبق.

لقد علم الحكماء منذ ذلك الزمن البعيد جداً أن الجانب المادي من الكون يخضع لدورات زمنية منتظمة. أي أن الأحداث ذاتها تتكرّر كلما اكتملت الدورة الزمنية عند نقطة حدوثها في الماضي. لقد عرفوا أن الأشياء تخضع لتأثيرات كونية دورية تتكرّر باستمرار. لذلك نلاحظ أنهم كانوا يخصصون أوقات محدّدة للقيام بأعمال محدّدة. كانوا يحدّدون أوقاتاً لكل شيء: لزراعة المحاصيل المختلفة، وكل محصول له وقت مناسب، لإجراء عمليات جراحية، الخضوع للعلاجات المختلفة، للسفر والإبحار.. وغيرها من نشاطات مختلفة كانت سائدة في أيامهم.

أما بخصوص السلوك الإنساني الذي يشمل كافة النشاطات والميول، فقد عرفوا بأن جريان الطاقة القادمة من الكون لا يمكنها إحداث تأثيرات عملية مباشرة لوحدها. فهي ليست مشحونة سلبياً أو إيجابياً بالنسبة للكائن البشري، لكنها بكل بساطة تحثّ الإنسان على القيام بأمر ما. تلعب دور محفّز للنشاطات. فتجعل ميول معيّنة في الإنسان تطفو على السطح، هذه الميول كامنة عميقاً في جوهر طبيعته الغريزية. الإنسان هو الذي يقرّر كيف يعبّر عن هذه الميول عندما تنشط وتتفاعل. وقد عرفوا أن سبب قيام الإنسان بأعمال متهورة أو شرّيرة هو مجرّد تعبير عن ميول غريزية تطفو إلى السطح بشكل سلبي غير مدروس. وإن جهله عن هذه الحقيقة الدورية للفلك، بالإضافة إلى جهله لحقيقة انخفاض درجة الوعي لديه وتغلّب الغريزة الدنيوية على طبيعته الروحانية في فترات معيّنة تعتبر أكبر مصيبة يواجهها. وفي الحقيقة، إن هذا الجهل الذي نعاني منه اليوم، وكانوا يعانون منه في الماضي، هو ما أدى إلى نشوء المشاكل الاجتماعية أو السياسية أو غيرها من مسائل تقود حتماً إلى صراعات وحروب.

تخبرنا المخطوطات الصامدة عبر الزمن كيف كان الكهنة يتنبؤون بالمستقبل عن طريق رصد النجوم. لقد أسندوا تنبؤاتهم على إيقاعات دورية لطاقات كونية معيّنة لها تأثير كبير على كافة

الأشكال الحيّة والجامدة في كوكبنا الأرض. كل من هذه الطاقات لها دورتها الخاصة ونشاطها الخاص. الحسابات الدقيقة تحدّد ليس فقط مواعيد الكوارث المختلفة بل أيضاً مواعيد مناسبة تتعلق بالمجالات الاجتماعية والسياسية والتجارية والزراعية.

هذا العلم الذي كان كاملاً في أحد الأزمنة الغابرة فُقد تماماً عبر القرون، وما بقي منه أصبح ملفوفاً بحجاب الغموض والسريّة وهو محصور ضمن حلقة ضيقة من الأشخاص. رغم مرور أجيال من الباحثين عبر العصور والذين حاولوا دراسة هذا العلم والتعرف على مبادئه الأولية لكنهم عجزوا عن اكتشاف الأسرار الحقيقية التي تقبع ما وراءه، فظهرت اجتهادات كثيرة واستنتاجات عديدة خرج بها ألمع العقول لكن للأسف كانت استنتاجاتهم اللامعة محصورة ضمن معرفتهم المتواضعة وجهلهم التام عن المبادئ الأساسية التي يستند عليها هذا العلم، وبالتالي ما فعلوه هو تضليل الناس أكثر من تنويرهم.

معظم الأنظمة والتقويمات الفلكية المستخدمة اليوم في العالم الغربي تعتمد على أعمال كلاديوس بطليموس Claudius Ptolemy (١١٠ـ١٥١م) الذي عاش في الإسكندرية خلال الحقبة الأفلاطونية الجديدة. كان رياضياتياً قديراً ومراقباً علمياً بارزاً في زمانه. لقد شارك بمساهمات مهمة في علم حساب المثلثات وكذلك رسم الخرائط الجغرافية، ورغم أن نظريته المتعلقة بمركزية الأرض في الكون قد دُحضت في النهاية، إلا أن المنهج العلمي الذي أوجده بالاستناد على هذه النظرية بقي قائماً كحقيقة علمية لمدة ألف عام. كتب ٢١ كتاباً في الفلك والرياضيات والجغرافيا، وكذلك أربعة كتب أخرى ترشد كيف تتحكّم بحياة البشر بواسطة تأثير النجوم. هذه الكتب المعروفة بـ"تيترابيبلوس" Tetrabiblos شكلّت القاعدة الأساسية لعلم التنجيم الحديث. ورغم ذلك، القليل من الفلكيين العصريين قرؤوا أي من أعمال بطليموس أو فهموا ما كان يقصده من كتابة هذه الأعمال والتحذيرات التي وضعها.

اجتهد بطليموس إلى توضيح الكثير من الأسرار الغامضة للعلوم القديمة والتي كانت مشفرة على شكل رموز وحكايا رمزية، لكن رغم ذلك لم يستوعب الباحثون بعده الكثير من المفاهيم التي حاول توضيحها. مثلاً، مخطط الكون الذي وضعه بطليموس (سوف أتناوله لاحقاً) يعتمد على نظرية تم تفسيرها خطأً بحيث اعتبرت الأرض في مركز الكون وأن الشمس والنجوم والكواكب السيارة تدور حولها. لم يقصد بطليموس بهذا المخطط تصوير النظام الشمسي بل يمثّل مخطط

تجسيد المادة، وهذا ما سوف أشرحه لاحقاً، وبالتالي لم يكن بطليموس مخطئ بل من فسّر نظرياته كان المخطئ.

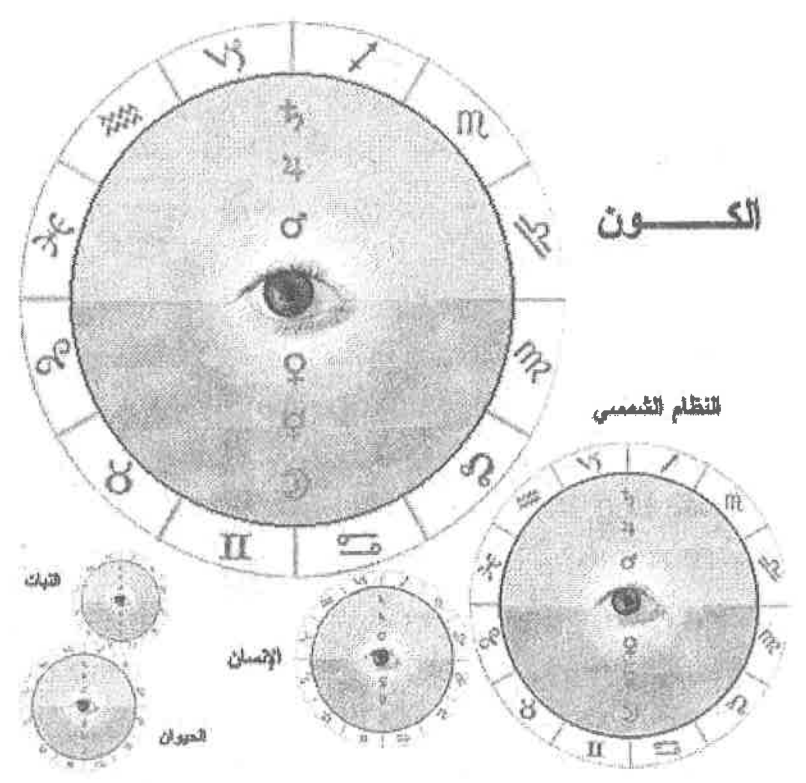
إن أهمية ما يقبع وراء الأسرار العظيمة التي حازها الكهنة القدامى تتجاوز المفاهيم الحالية عن العالم من حولنا وبنية الكون عموماً. التعمّق في هذه الأسرار يوفّر فرص غير محدودة للتأثير على العالم من حولنا وحتى السيطرة عليه. لكن المبادئ الأخلاقية المرافقة لهذه الأسرار تفرض قيود ضابطة للحائز عليها. فهي تحفّزه على إعادة النظر في مسؤولياته الروحية والعواقب المترتبة عليه إذا استخدم معرفته لغايات دنيوية. من بين الأعمال المحظورة عليه هي الإفصاح عن هذه المعرفة أمام الأشخاص غير المؤهلين أخلاقياً أو روحياً والذين يجهلون العواقب الوخيمة لتصرفاتهم الدنيوية الموبوءة بضيق التفكير والعدائية والجهل وعدم البلوغ الروحي.

فيما يتعلق بعلم الفلك، فهو يمثّل صيغة مشفّرة للمعرفة الكونية التي حازها القدماء. تم صياغتها بلغة خاصة مؤلفة من رموز تصويرية وأعداد معيّنة تمثّل المبادئ الأساسية للمعرفة المحجوبة. الرموز التصويرية هي على شكل الكائنات الاثنى عشر التي تشكّل أبراج الدائرة الفلكية، والرموز السبعة التي تمثّل الكواكب، والعناصر الأربعة ومفهوم كل من المثلثات والقطبيات. هذه المكونات هي ذاتها التي تتألف منها المعرفة السرية، إذ تمثّل تركيبة الكون المتجلّي وكل شيء موجود بصيغة مادية، وهي ذاتها المبادئ التي تعرفنا عليها في الجزء السابق خلال شرح عملية الخلق. أي لدينا مبدأ القطبية ومبدأ الثالوث ومبدأ الأطوار الأربعة والمبدأ السباعي والمبدأ الاثنى عشري.

والآن، إذا أضفت إلى هذه المبادئ السابقة كل من مبدأ "الإيقاع" ومبدأ "الدورية" سوف تحصل على مجموعة من الدورات الإيقاعية الزمنية سباعية الأطوار واثنى عشرية الأطوار ورباعية الأطوار وثلاثية الأطوار وثنائية الأطوار. إذا قمنا بإنساب هذه الدورات الإيقاعية الزمنية إلى تأثيرات كل من الشمس (المصدر الفاعل) والقمر (المصدر المنفعل أو العاكس) سوف نخرج بصيغة مختلفة ومجدية لعلم الفلك.

توصلنا في الجزء السابق إلى حقيقة أن الكائن الحيّ هو منظومة شمسية قائمة بذاتها. وبالتالي هو مؤلف من نفس المكوّنات التي يتألف منها الكون. هذه هي الفكرة الحقيقية وراء مقولة ".. خلق

الإنسان بصورة الله.." [جلّ وعلا]، أي أن الكائن الجزئي يمثّل صورة مطابقة للكائن الكلّي.. العالم الأصغر مطابق تماماً للعالم الأكبر. ".. كما في الأعلى كذلك في الأسفل..". بالنسبة للقدماء، وجب استيعاب كل هذه الأفكار حرفياً وبشكل فعلي. أخذ القدماء بفكرة أن الكون هو كائن حيّ عظيم، وهو لا يختلف عن الكائن البشري، وأن كل مظهر أو عمل أو تغيير في الجسد الكوني له تجاوب في كيان الإنسان. إن أكثر مفاتيح الحكمة أهمّية والتي يحرص الكهنة على نقلها للمنتسبين الجدد يتمثّل بما يُسمى قانون التماثل (أنظر في الفلسفة الهرمزية، الجزء السابع). لذلك، بالنسبة للقدماء، اعتُبرت دراسة الفلك علماً مقدساً، لأنهم رؤوا في حركة الأجرام السماوية نشاطات وتأثيرات حاضرة دائماً وأبداً في الكائن الكلّي.. وبالتالي لا بد من أن تأثيرها يطالنا بطرق مختلفة ويلمس جوانب متعددة من كياننا.



الكائن الجزئي يمثّل صورة مطابقة للكائن الكلّي.. العالم الأصغر مطابق تماماً للعالم الأكبر.. كما في الأعلى كذلك في الأسفل. كل كائن في الكون مؤلف من نفس المكونات الطاقية.

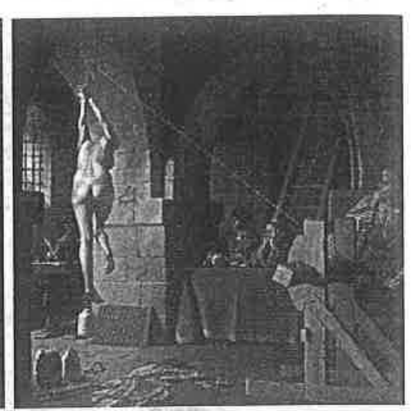
إن المعرفة بحد ذاتها ليست مضرّة أو مفيدة، بل هي مجرّد معرفة، لكن يمكنك تحديد هويتها إن كانت خيّرة أو شرّيرة من خلال طريقة استخدامك لها، حيث يمكن استخدامها بطريقة سلبية أو إيجابية حسب الغاية والهدف. فإذا استخدمت هذه المعرفة بطريقة سلبية، أصبحت مدمرة كلياً.. وهذا ما حصل فعلاً منذ البداية، عندما استولى المشعوذون على الحكمة الكونية واحتكروها لأنفسهم دون غيرهم. وقد أقاموا جمعيات ومحافل سريّة للمحافظة على هذه المعرفة التي يحتكرونها ضمن دوائر ضيّقة جداً، ومع مرور الزمن، استُخدمت هذه الجمعيات السريّة للسيطرة على الشؤون البشرية العامة والخاصة، حيث ساهمت في إنشاء مؤسسات ومنظمات ذات تركيبة هرمية (تسلسل مناصب بشكل هرمي) في كافة الميادين العامة، كالديانات والأحزاب الشمولية، والأنظمة الاقتصادية الاستعبادية، والمؤسسات التعليمية المظلّلة.. إلى آخره، بغية الحؤول دون رواج هذه المعرفة الراقية وانتشارها بين الحشود.

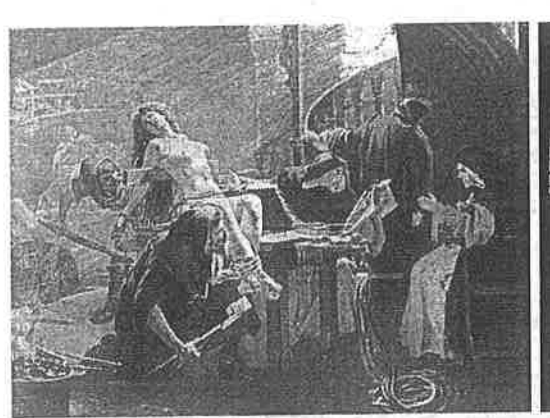
التحريمات التعسفية التي فرضتها ولازالت تفرضها الأديان الشمولية خير دليل على طريقة قمع المعرفة الأصيلة ومنعها من التداول الشعبي. فإذا كنت تعيش وسط مجتمع ديني متشدّد وحاولت التحدث في أمور محرّمة تكون بذلك قد وقّعت على مذكرة موتك، ولا شك أن هذه الطريقة كانت فعالة للغاية عبر العصور الطويلة.

الأديان الشمولية مثلاً تحرّم المعرفة السرية، والتي نعتبرها سحرية (من أعمال الشيطان)، مع العلم أن هذه المعرفة بالذات تمثّل ركيزة تلك الأديان أصلاً لكن بشكل مُبطّن ومحجوب، ولا يُدرك خفاياها سوى المطلعين القابعين في قمة الهرم التنظيمي لتلك الأديان. يوم كانت أوروبا غارقة في عصور الظلام، كانت الكنيسة تحرّم التعامل بعلم الفلك لأنه، كما أقرّت، شعوذة وجدها الشيطان لتظليل الرعايا، مع العلم بأن التعاليم التي تتمحور حوله مُعتقدات الكنيسة هي فلكية أصلاً! أما طريقة فرض التحريم، فلم يكن عن طريق تقديم الحجّة والبرهان والإقناع بالحوار، بل بوسائل أخرى تُعدّ أقبح من أعمال الشيطان بأشواط عديدة!

كانت الأديان المُنظّمة، ولازالت، تُستخدم كأداة أساسية للحؤول دون وصول المعرفة الأصيلة إلى عامة الناس. من الملاحظ أنه عبر التاريخ، كلما سيطرت الأنظمة الدينية الشمولية على بلد أو منطقة معيّنة، تختفي فيها العلوم القديمة أو تتلف. وجد المتآمرون في سياسة منع انتشار المعرفة بأنها الطريقة الأنسب لبرمجة عقول الحشود وإبقائهم في جهل دائم ومستمرّ عن حقيقتهم وحقيقة

الكون من حولهم. وباسم الدين أيضاً تم تدمير معظم النصوص المتعلقة بتاريخ البشرية، فسنح ذلك فرصة مناسبة لابتداع تاريخ جديد أفقد البشرية حلقة الوصل بأصولها الحقيقية. إن التحكم بالتاريخ مسألة في غاية الأهمية لأن برمجة نظرة الناس تجاه الماضي يساهم في التأثير على نظرتهم إلى الحاضر والمستقبل.









ساد تقليد صيد الساحرات وقتلهن تعذيباً في أوروبا على مدى قرون طويلة. كانت وسيلة مجدية للقضاء على طاقة الأنثى عندما تتجلّى في أبهى حلّتها. المصير ذاته يواجهه كل من تعامل بالعلوم القديمة التي كانت تُعتبر من صنع الشيطان!

قبل إكمال مسيرتنا في وصف الصيغة الفعلية لعلم الفلك دعونا نلقي نظرة سريعة على علم الفلك المعروف اليوم ونتفحّص الصيغة الحالية التي يتبناها علماء الفلك العصريين.

المظهر الراهن لعلم الفلك العصري

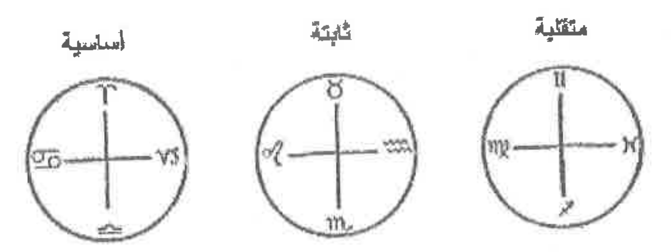
الدائرة الفلكية مؤلفة من ١٢ قسم يُسمى برج وهو ممثل برمز معيّن غالباً ما يمثّل حيوانـــات أو كائنات مركّبة ولهذا يسمونها دائرة الحيوانات (زودياك). تتحرّك هذه الدائرة باســتمرار وبــشكل دوري ابتداء من برج الحمل وانتهاء في برج الحوت ثم تبدأ الدورة من جديد. تبدأ الــدائرة مــع انتعاش الأرض مجدداً في فصل الربيع (الاعتدال الربيعي)، أي في ٢١ نيسان من كل سنة وهي منسوبة لبرج الحمل، فتستمر هذه الفترة حتى ٢٢ أيار حيث تبدأ الفترة التي تُنسب لبرج الثــور.. وهكذا. من الناحية الهندسية، كل برج يحتل ٣٠ درجة تقريباً من الدائرة المؤلفة من ٣٦٠ درجة. لكن الشمس تقبع في كل درجة يوم كامل تقريباً (أي تحتاج ٣٦٥،٢٥ يوم للسفر عبر الــدرجات الــ٣٦٠).



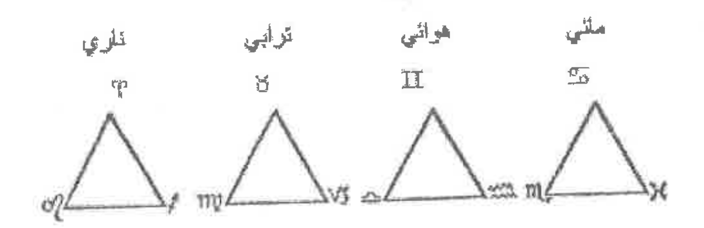
الدائرة الفلكية التي تشكّل حزام وهمي حول كوكب الأرض

كما نعلم جميعاً فإن السنة الشمسية مؤلفة من أربع فصول، وبعد تقسيم دائرة الأبراج إلى أربع أقسام يصبح لدينا ثلاثة أبراج في كل قسم، وبناء على هذا التقسيم وُجد مفهوم الثلاثيات. الذي

يقسم الأبراج إلى ثلاثة أصناف: [١] الأساسية Cardinal. [٢] الثابتة Fixed . [٣] المتقلبة Mutable.



بالإضافة إلى هذا التقسيم يوجد تقسيم آخر رباعي، أي يقسم الأبراج إلى أربعة أصناف: [١] النارية، [٢] الترابية، [٣] الهوائية ، [٤] المائية.



كما أن الدائرة الفلكية تتألف من قطبيات، إذ هي مقسومة إلى ستة أبراج مذكرة وستة أبراج مؤنثة: الحمل [مذكر]، الثور [مؤنث]، الجوزاء [مذكر]، السرطان [مؤنث]، الأسد [مذكر]، العذراء [مؤنث]، الميزان [مذكر]، العقرب [مؤنث]، القوس [مذكر]، الجدي [مؤنث]، الدلو [مذكر]، الحوت [مؤنث].

معاني الأبراج وفق المفهوم الفلكي الحالي

هذه التقسيمات الرباعية والثلاثية للأبراج الفلكية تجعل كل برج متميزاً عن غيره من حيث الخصائص والصفات. فيما يلي وصف مختصر وسريع لمعاني الأبراج الاثنى عشر وذلك من زاوية وصف الأفراد المولودون في فترة تأثيرها:

١ـ الحمل: المولودون في هذه الفترة معروف بالإقدام والطاقة والمبادرة والحماس. في معركة الحياة يلعب دائماً دور القائد والموجّه. يجد سعادته في مواجهة الصعاب ومحاولة تذليلها، شجاعته وثقته بنفسه تجعله رائد في كافة المجالات التي يمتهنها.

٢ــ الثور: معروف بالصبر والعناد والمثابرة والتشبّث والإصرار، محب لعمله حتى لو كان عملاً يدوياً متواضعاً. يتمسك بهدف ولن يتوانى عنه حتى تحقيقه مهما كان الثمن. إصراره الثابت لا يتغيّر عند غضبه حيث يقاتل الخصوم حتى النهاية التي تكون غالباً مدمرة للجهتين، ومجرّد أن ينهار العدو يتملك الثور الحزن والأسف والندم.

٣ــ الجوزاء: يُرمز له بالتوأم أو عمودان موصولان من الأعلى والأسفل وذلك بسبب ازدواجية تركيبته الفكرية والأخلاقية والمزاجية، إذ بداخله كائنان يتصارعان على الدوام. انعدام ثباته على رأي واحد يسبب له المشاكل في الكثير من الأوقات. أحياناً تجده مليء بالحيوية والحماس والطاقة وذكاء متوقّد، وأحيان أخرى تجده باردٍ وكسول وغير متجاوب مع المحيط. سريع الإلمام المعرفي لكنه سريع الملل من البحث في موضوع محدد. حب الأسفار والتنقّل وتغيير المشاهد.

٤ــ السرطان: مولود هذا البرج هو شخص خجول ومتردد لكنه متماسك وعنيد. يمكننا ملاحظة هذه السمات في كل تصرفاته وعاداته حيث الانطواء والتراجع. يبدد وقته في معالجة أمور تافهة بسبب حساسيته العالية. حالم ورومانسي لكنه متحفّظ ولا يظهر انفعالاته. قوة الصبر والإصرار لديه عالية جداً، إذ مجرّد أن قرر تحقيق هدف معيّن، بعد تردد طويل، سوف يلاحقه حتى النهاية.

٥ــ الأسد: يتمتع مولود هذا البرج بالقوة والشجاعة والاعتداد بالذات وموهبة قيادية وحب الظهور والتباهي. طموح عالي وإرادة صلبة. يبدو عليه الفخر والتباهي والجرأة، لكنه أيضاً متعاطف وعطوف ودافئ القلب. يتسم بالإخلاص ونبل الخلق. لا يعرف الخوف وعندما يتم استثارته يقاتل بشراسة. جريء في الكلام وصريح في التعبير عن رأيه ومتصلب في الرأي. سريع الغضب عند المساس بكبريائه.

٦ــ العذراء: يتصف مولود هذا البرج بحدة الذكاء وحسن التمييز، فكر هادئ ومتوازن وعملي، وضوح الرؤية ووضوح الهدف. لا يسمح للعواطف أو المشاعر أن تؤثر على حكمه أو سلوكه. تراه أحياناً يتماشى مع المحيط إلى حد لعب دور الخادم المطيع، لكن كل هذه التصرفات تمثّل خطة آنية تخفي وراءها هدف مجدي. هو ليس محب للكسب، لكن مجرّد أن رغب في شيء سوف يفعل كل ما بوسعه للحصول عليه. بارد جداً في التعبير عن العواطف، لا يغضب بسرعة لكنه كذلك لا يسامح بسرعة. قواه العقلية تغلب خياله لذلك يكون تفكيره منهجي ومنظّم.

٧ـ الميزان: لديه قدرة طبيعية على الموازنة بين الأمور وتقييمها بشكل سليم. رغم عاطفيته إلا أنه لا يسمح لمشاعره التدخل في ما يعتبره صائباً. واسع العقل، متفهّم، متسامح، متهاون مع أخطاء الآخرين. غالباً ما يتخذ الموقف الوسط بدلاً من أي موقف متطرف، يحب السلام والمحيط السعيد والمنسجم. محب للتنقل والسفر وتنوع المشاهد. خياله واسع وخلاق، وفكره يتخذ طابع فلسفي.

٨ـ العقرب: مواليد هذا البرج متناقضون بدرجة كبيرة بحيث يصعب تصنيفهم. مستقطِب بشكل كبير، مفعم بالطاقة، وعواطفه متأججة. رقيق في سلوكه وتفكيره لكن قوة تأثيره على الآخرين كبيرة. بواسطة فصاحة اللسان والأسلوب المنمنم يمكنه قولبة تفكير الآخرين لتتوافق مع إرادته. متعجرف ومتكبر ولاذع في انتقاداته. سوء في الطبع ورغبة في صدم الآخرين بأفعال وأقوال غير متوقعة. تماسك وعناد ومقاومة وصبر. رغم أنه يعيش من خلال عواطفه لكنه لا يظهرها بسهولة.

٩ـ القوس: صريح ومخلص ومتفائل. حس قوي بالعدالة، متسامح، إنساني ومحب للعطاء. يتعاطف مع المآسي الإنسانية، كريم. لديه فضول للتعرف على مشاكل الآخرين ومحاولة حلها، لذلك نراه محب لإعطاء النصيحة، لكنها تؤدي أحياناً إلى التسلّط والسيطرة على الآخرين. اجتماعي جداً وله شعبية في اللقاءات الجماعية. لكنه يزعج رفاقه بصراحته الزائدة. حاضر دائماً لتحمل المسؤولية ويهتم بشؤون من يعمل معه أو تحت إدارته. استقلالية في إدارة شؤونه العملية والحياتية عموماً. يمكنه تغيير موقع سكنه أو عمله أو آراءه في أي لحظة وبطريقة غير متوقعة. يستعرض عمق كبير في التفكير ورؤية واسعة وبعد نظر.

١٠ـ الجدي: صبور، مصرّ، عنيد، وطموح جارف للوصول إلى القمة إن كان في الشؤون الدنيوية أو الروحية. العمل الشاق وتجاهل الذات والإرهاق لا يعني شيئاً بالنسبة له خلال سعيه إلى بلوغ الهدف. طبيعة سريّة ومحافظة وقليلة الكلام. لا يؤثر فيهم الكلام المعسول، ونادراً ما يعبرون عن مفاجئة أو تعجّب أو التعبير عن العواطف. منهجي في كل ما يفعل. مثالي.

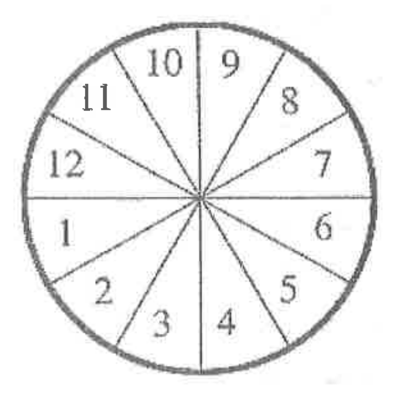
١١ـ الدلو: مثالي، كريم، إنساني، حساس للانطباعات الخارجية حيث يستشعر هالات وأحاسيس الآخرين. يتوق إلى المثالية والإصلاح على المستوى العالمي وليس فقط مستوى مجتمعه المحلّي.

حدس قوي وبعد نظر وتفكير منطقي سليم. متمسك بآراءه. شعبي جداً من الناحية الاجتماعية. انفتاح وسهولة في إقامة العلاقات. متناقض بأكثر من طريقة حيث غالباً ما يفاجئ رفاقه بالتحوّل الدائم في شخصيته. ينوي فعل شيء ما لكنه يفعل شيء آخر تماماً.

١٢ــ الحوت: رؤية شمولية واسعة، وخيال غني جداً. لديه القدرة على استيعاب مخططات معقّدة واسعة وبعيدة المدى لكن عندما يأتي وقت تنفيذها عملياً يتردد ويتراجع ويفقد الثقة بنفسه. رومانسي جداً، طيب القلب، وحساسيته شديدة. عاطفي جداً. يفتقد للثبات والإرادة. يفتقد للطموح العملي ومتراجع ومتردد مما يتطلب التشجيع المستمر للنجاح في الحياة. موهبة في نيل العلوم بسهولة. يحب الحياة الهادئة. قدراته الحدسية والتخاطرية قوية.

مع العلم أن تأثير البرج لا يتوقف عند حد الأفراد المولودون في فترة حكمه بل كل شيء آخر، إذ كل الأحداث والظروف الحاصلة في الفترة الزمنية الواقعة تحت تأثير البرج تُصبغ بخواصه. هناك المزيد عن معاني الأبراج الاثنى عشر. أنظر في "معاني الأبراج وفق المفهوم الجديد" الوارد في موضوع المبدأ الاثنى عشري.

المنازل الاثنى عشر ودلالاتها



تُقسم الدائرة الفلكية إلى ١٢ منزل يمثّل ١٢ جانب أساسي من حياة الفرد. في الحقيقة فإن معنى هذه المنازل رديف لمعاني الأبراج، أي مثلاً المنزل الأول رديف لبرج الحمل الذي يمثل البرج الأوّل في الدائرة الفلكية، والمنزل الثاني رديف لبرج الثور الذي يمثل البرج الثاني.. وهكذا، لكن

الفرق هو أن دائرة المنازل ثابتة وليست متحركة كما دائرة الأبراج، بالتالي قد يختلف ترتيب دائرة المنازل عن ترتيب دائرة الأبراج في الدائرة الفلكية التابعة للفرد المولود في تاريخ معيّن. أي يمكن أن يصادف اصطفاف برج الحمل مع المنزل الخامس مثلاً في تاريخ ولادة الفرد.

أما جوانب الحياة المنسوبة لكل من المنازل فيمكن اختصارها عموماً على الشكل التالي:

١ـ المنزل الأوّل: حياة الفرد، البنية الجسدية، الحيوية والنشاط، المظهر الخارجي، السلوك.
٢ـ المال والممتلكات، بيئة العمل ونوع المردود المادي (المعاش)، المروة والسعي.
٣ـ الأخوة والأخوات، الأقارب، المقربين.
٤ـ الوالدين، عاقبة الأمور، الأساس، المنزل، التأسيس والبناء.
٥ـ الأولاد، الملذات والمسرات، التعبير عن الذات، الرسل والأخبار، الإبداع، الجنس والغرام.
٦ـ الصحة عموماً، الأعلال والأمراض، الهمة، العمل، الخدمة، الحركة، الأهلية الفكرية.
٧ـ الشراكة، الزواج، الأصدقاء والأخصام.
٨ـ الموت والولادة من جديد (التحوّل)، تجديد، المجهول، المسائل الغامضة، المواريث.
٩ـ التوسّع، السفر البعيد، الدين والفلسفة والعلم، الرؤيا، الإلهام، النبوئة.
١٠ـ المنزلة، السلطة، العزّ، النفوذ، السمعة، الشهرة، المظهر الخارجي أمام الناس، الأم.
١١ـ الرجاء في الأمور، النجاح في العمل، الاكتفاء، الأصدقاء المقربين، رفاق العمل.
١٢ـ الخفايا، الأعداء الخفيون، الحساد، النكسات، الإحباطات، الاعتزال، الاختلاء، السجن.

الكواكب التي يستخدمها علم الفلك العصري هي عشرة: القمر، الشمس، عطارد، الزهرة، المريخ، المشتري، زحل، أورانوس، نبتيون، وبلوتو. بينما علم الفلك القديم يستخدم سبعة كواكب فقط وهي: القمر، الشمس، عطارد، الزهرة، المريخ، المشتري، زحل. كل من هذه الكواكب يدور حول الشمس بسرعات مختلفة وبالتالي مع دورانها المستمر عبر أقسام الدائرة الفلكية تحتل مواقع مختلفة على الدوام.

الدائرة الفلكية مؤلفة من ثلاثة عناصر أساسية: الكواكب، الأبراج، والمنازل. الكواكب تبيّن ماذا يحصل، والأبراج تبيّن كيف يحصل، والمنازل تبيّن أين يحصل (في أي جانب من حياتنا).



هذه الدائرة تمثّل خريطة فلكية لمواقع الكواكب والأبـــراج والمنـــازل فـــي لحظـــة ولادة أحـــد الأشخاص. وفقاً للحالة التي تبينها الخريطة الفلكية، المنزل الأوّل يحكمه برج الدلو، وبالتالي فإن توزيع الأبراج بالتسلسل على المنازل يكون مختلفاً من حيث المعنى والتكوين. أمـــا الكواكـــب، فنرى أن كوكب عطارد مثلاً موجود في المنزل الثامن (برج العذراء)، وكـــب المـــريخ والقمـــر مجتمعان في المنزل الحادي عشر (برج القوس)، والشمس موجودة في المنزل الـــسادس (بـــرج السرطان).. وهكذا إلى آخره، وكل من هذه المواقع له قصته الخاصة. وفي النهاية يـــتم التقيـــيم النهائي للبنية الروحية والفكرية للشخص بناء على هذه الخريطة.

هذه مجرّد فكرة مختصرة عن علم الفلك الذي نعرفه اليوم رغم وجود الكثير من الأمور المهمـــة الأخرى مثل مواقع الكواكب بالنسبة إلى بعضها ASPECTS بحيث تشكّل مربعات أو مثلثـــات أو اقترانات أو غيرها من أمور لها معانيها الخاصة. لكن سنكتفي بالشرح المختصر السابق كمدخل إلى الموضوع الرئيسي.

نلاحظ من خلال المعلومات السابقة بأن علم الفلك مؤلف من المبادئ التي تعرفنا عليها في الجزء السابق والتي نشأت خلال عملية الخلق. أي لدينا مبدأ القطبية ومبدأ الثـــالوث ومبـــدأ الأطـــوار الأربعة والمبدأ السباعي والمبدأ الاثنى عشري ومبدأ الإيقاع ومبدأ الدوروية.

لكن يبدو أن هذه المبادئ أسيء تفسيرها بسبب جهل المفسّرين بدورها الحقيقي في العملية. وقد شهدت إحدى العصور القديمة حالة فوضى عارمة في المفاهيم الفلكية وضاعت المعاني الحقيقية للمبادئ الكونية التي استند عليها علم الفلك أصلاً، وفي هذه الفترة تم ربط الثريات والنجوم وما ترمز إليه مع الأبراج الفلكية (دائرة الحيوانات) وبعد فترة حصل الخلط الكبير بين الاثنين لدرجة أصبح اعتماد الثريات النجمية كمواقع ثابتة للأبراج باعتبارها المصدر الأساسي لتأثيرها، بينما هناك من بقي يعتمد فترة الاعتدال الربيعي كنقطة انطلاق الإيقاع الاثنى عشري الممثّل للأبراج الاثنى عشر للدائرة الفلكية. حتى اليوم نجد مدرستين منفصلتين لعلم الفلك، الأولى تعتمد الثريات النجمية لتحديد مواعيد الأبراج الفلكية، بينما الثانية تعتمد الاعتدال الربيعي كنقطة بداية الدورة الفلكية التي تبدأ عند برج الحمل.

بالإضافة إلى نقطة مهمة جداً وجب عدم إغفالها. كامل مفاهيم علم الفلك التي نعرفها اليوم جاءت من سوء تفسير مخطط بطليموس للكون. هذا المخطط يعتمد على نظرية تم تفسيرها خطأ بحيث اعتبر كوكب الأرض في مركز الكون وأن الشمس والنجوم والكواكب تدور حولها. دعونا نتعرف على أهم الهفوات التي وبئ بها علم الفلك خلال انحداره إلينا حتى اتخذ هذه الصيغة الحالية.

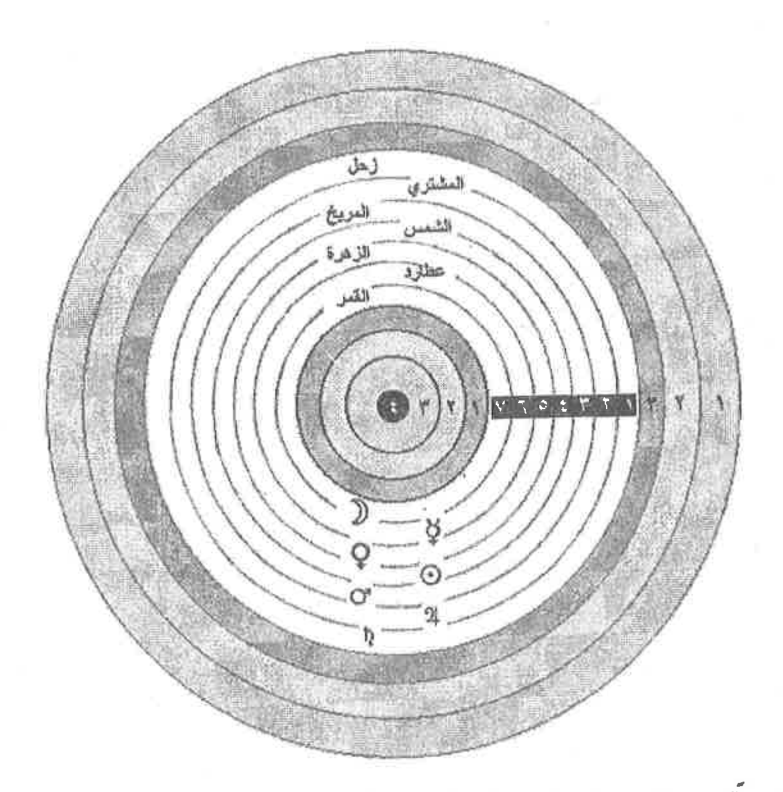
التفسير الخاطئ لنظرية بطليموس

يعود هذا الخلط الكبير الذي يعاني منه علم الفلك التنجيمي إلى النظرية الفلكية التي وضعها الفيلسوف والرياضياتي والفلكي الاسكندراني الشهير "كلاديوس بطليموس" Claudius Ptolemy في القرن الثاني الميلادي والتي فُسرت خطأً بحيث اعتبرت الأرض في مركز الكون وأن الشمس والنجوم والسيارات تدور حولها. هذه النظرية حكمت عقول المفكرين لأكثر من ألف سنة! تصور مدى فداحة الأمر وما ترتب بعدها من تشويش وتحريف ولغط في العلوم المختلفة. لقد تم تحريف كل المفاهيم العلمية القديمة لكي تتناسب مع هذه النظرية الفلكية المجرّدة من أي أساس منطقي.



مخطط بطليموس للنظام الشمسي الذي أسيء تفسيره حيث يمثل مخطط تجسيد الكون المادي

في الوقت الذي يسخر فيه علماء الفلك العصريين من نظرية بطليموس الفلكية لم يكلف أي منهم نفسه في النظر في المفتاح الفلسفي لهذه النظرية. لقد استمروا في النظر إليها من الزاوية الخاطئة التي نظر منها المفكرين/المتخلفين الذين برزوا في عصور الانحطاط. هذا المخطط الذي وضعه بطليموس ليس له علاقة بالنظام الشمسي ولا الكواكب الفلكية أصلاً، بل يمثّل مخطط التكوين التجاوزي لأي شيء متجسّد بصيغة مادية في الكون. هو يبيّن العلاقة بين المكونات التجاوزية والمادية للمخلوق المتجسّد، حيّاً كان أو جامداً.



هذا الشكل يمثّل صيغة موضّحة لمخطط بطليموس، أي بعد إزالة كافة العوامل التي تمنحه مظهر فلكي ورموز الكواكب هنا تمثّل القوى الكونية الرئيسية. يبيّن المستويات التي تقبع ضمنها القوى والطاقات والعناصر المكوّنة للتجسيد المادي. يبدأ المخطط بثلاثة دوائر خارجية (١،٢،٣) تبدو ظاهرياً بأنها دوائر أبراج فلكية لكنها في الحقيقة تمثّل التكوين الروحي الثلاثي للكون. أما ما يبدو أنه مدار الكواكب (١،٢،٣،٤،٥،٦،٧ ذات خلفية سوداء في الشكل) فيمثّل مستويات القوى الكونية السبعة التي تدخل في التكوين المادي للشيء. وينتهي التدرّج بأربع دوائر مركزية تمثّل العناصر الأربعة (نار، هواء، ماء، تراب) التي تمثّل المكونات الرئيسية للمادة.

إذاً، ما قصده بطليموس من هذا المخطط هو تبيان الامتداد التجاوزي للشيء المادي وبالتالي ليس له أي علاقة بالأجرام السماوية أو الفلك عموماً. هذا الامتداد التجاوزي يصلح كمخطط تكوين الإنسان أو النبات أو الحيوان أو الحجر أو أي شيء متجسّد في الكون. يمكن تطبيقه على أي مادة ابتداءً من المستوى الذري وصولاً إلى مستوى المجرات.

من أجل أن نفهم ما قصده بطليموس في مخططه هذا، ما علينا سوى الاطلاع على نظرية فيثاغورث حول تركيبة الكون والتي شرحها بنفس الصيغة لكن باستخدام آلته أحادية الوتر. كتب "بالمر هول" يقول بهذا الخصوص:

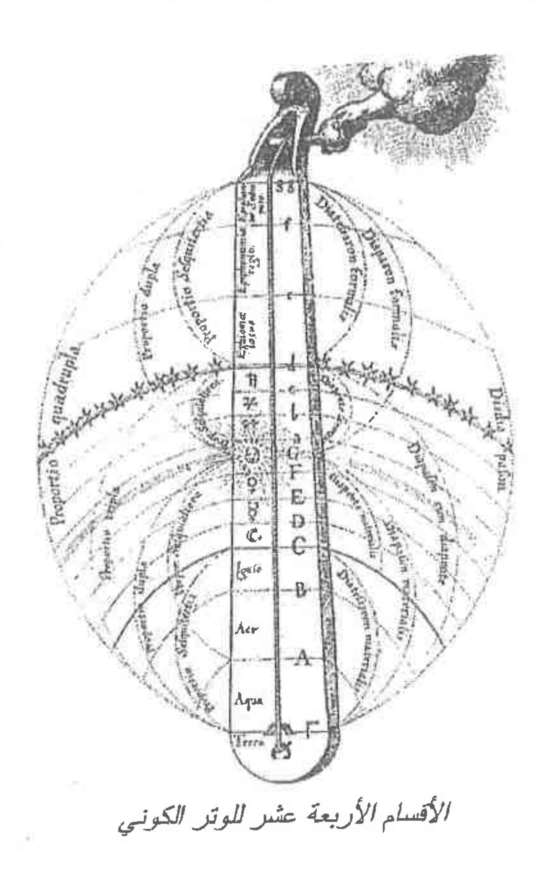
تركيبة الكون وفقاً لفيثاغورث

نظريات فيثاغورث الأكثر سمواً والأقلّ فهماً ووضوحاً هي تلك المتعلقة بما سماه "الإيقاع الموسيقي الفلكي". قيل أنه من بين كل الناس، فقط فيثاغورث استطاع سماع الموسيقى السماوية. *(الحقيقة هي أنه فقط فيثاغورث فهم مبادئها الصحيحة وعرف طبيعتها الحقيقية. أنظر في التوضيح عند نهاية هذا الموضوع)*. من الواضح أن الكلدانيين كانوا من أوائل الذين فهموا ترابط الأجرام السماوية مع الأنشودة الكونية المرافقة لها خلال سفرها الثابت والبطيئ عبر السماء. في الحقيقة، لم يبقى من كتابات فيثاغورث عن نظريته حول هذا الموضوع سوى القليل وغير المفهوم وبالتالي لا يمكننا تكوين صورة واضحة عن القصد الحقيقي من إشارته لها باسم "موسيقى السماوات" إلا من خلال التنظير والافتراض. رأى فيثاغورث الكون بأنه يمثّل آلة أحادية الوتر عملاقة، ووترها موصول في الأعلى بالروح المطلقة وفي الأسفل بالمادة المطلقة، أي بمعنى آخر، الوتر مربوط بين السماء والأرض. مبتدءاً من الأعلى قسّم فيثاغورث هذا الوتر الكوني إلى أربعة عشر قسماً، وهي: القسم الأعلى سمي بالسماء العليا empyrean، أو دائرة النجوم الثابتة، وهي مهجع الخالدين وتتألف من ثلاثة اقسام (العلوي، المتوسط، والأدنى)، بعدها تأتي الدوائر السبعة المنسوبة للكواكب، وهي بالترتيب: دائرة زحل، دائرة المشتري، دائرة المريخ، دائرة الشمس، دائرة الزهرة، دائرة عطارد، ودائرة القمر. ثم يليها دوائر العناصر الأربعة، وتمثّل بالترتيب: النار، الهواء، الماء، والتراب.

انتهى الاقتباس من "بالمر هول"

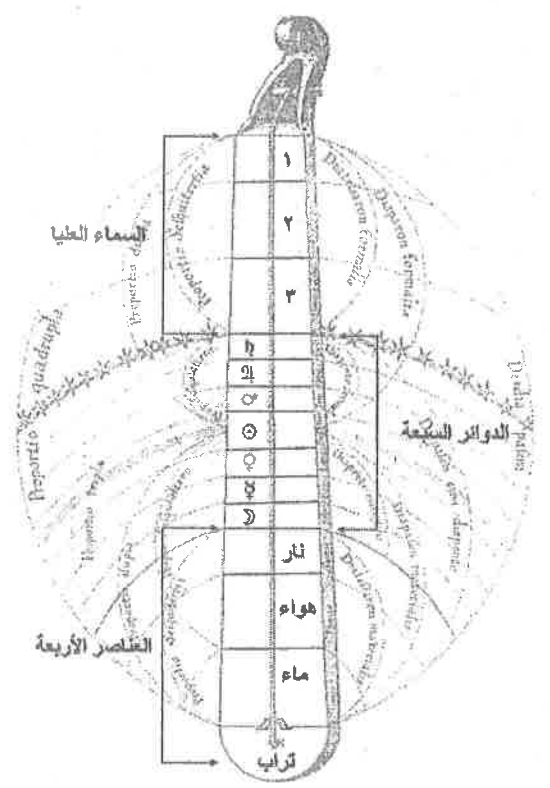
يبدو أن المراجع التاريخية بخصوص تعاليم فيثاغورث تعرضت إلى الكثير من التحريف والتعديل بحيث تتناسب مع العقلية السائدة في حينها. بسبب "الهوس الفلكي" الذي سيطر على عقول العلماء والفقهاء في تلك الفترة بالإضافة إلى جهلهم الواضح بالحقيقة الأصيلة، راحوا ينسبون القوى الكونية السبعة إلى الأجرام السماوية (الكواكب) ولم يكلفوا أنفسهم بالنظر إليها من أي زاوية

أخرى. مثلاً، وفقاً للفيلسوف "ماكروبيوس" Macrobius، الأسماء التـي منحهـا الفيثغورثيـون لمفاتيح السلّم الموسيقي اشتُقت من حساب سرعة وحجم الكواكب السيارة.



الأقسام الأربعة عشر للوتر الكوني

كان يُعتقد بأن كل من هذه الأجرام العملاقة تولّد نغمة معيّنة خلال سفرها وسط الأثير الفـضائي. إن فكرة توليد كل من الأجرام السماوية نغمته الخاصة خلال سفره حول الأرض هي من ابتكـار إغريقي وليس قبل ذلك. فكانوا يقولون مثلاً أن كوكب زحل هو الأبعد مسافةً وبالتالي كان صوت نغمته الأكثر انخفاضاً، بينما كوكب القمر الذي هو الأقرب صوته الأقوى. هذه الأصوات العائـدة للكواكب السبعة، بالإضافة إلى صوت دائرة النجوم الثابتة وكذلك الـدائرة التـي تعلـو الأرض مباشرة (يشيرون إليها باسم Antichthon وترتيبها يأتي أسفل القمر)، تمثّل جميعاً الأقسام التسعة للوتر الكوني الذي أسلفت ذكره (وهذا التقسيم الأخير خاطئ) وهي ذاتها التـي تمثّـل عـرائس الموسيقى التسعة nine Muses التي تتحدث عنها الأسـاطير، وسـمفونيتها المـشتركة تُـسمى "منيموسين" Mnemosyne.



صورة أوضح للأقسام الأربعة عشر الموزعة على وتر فيثاغورث

الدوائر السبعة في رؤيا هرمز

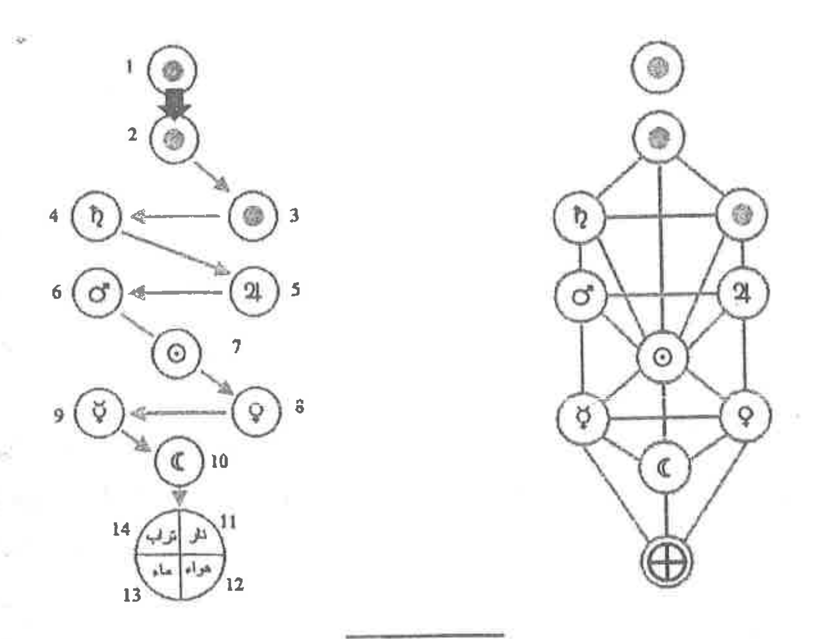
يبدو أن مفهوم "الدوائر السبعة" المنسوبة للكواكب كان سائداً في كل مكان من العالم القديم. يمكننا رؤية ذلك مثلاً في قصة سقوط الإنسان التي وردت في كتاب هرمز الذي بعنوان "الرؤيا" Paimander. يروي كيف أنه عند سقوط الإنسان مر عبر سبع دوائر: زحل، المشتري، المريخ، الشمس، الزهرة، عطارد، القمر (كما سنرى لاحقاً).

العلماء الذين تناقلوا القصص والروايات المختلفة عن حياة فيثاغورث وأعماله (وكذلك هرمز وغيره من حكماء العالم القديم) مهما علا شأنهم ومقامهم العلمي والمعرفي ليس بالضرورة أن يكونوا بدرجة كبيرة من الدقّة. أكبر دليل على ذلك هو طريقة وصفهم في الفقرة السابقة للموسيقى السماوية التي ربطوها بالكواكب، حيث أن القناعة الراسخة في تلك الأيام، كما هي الحال اليوم

أيضاً، تقول بأن التاثيرات الفلكية التي درسها الفلكيون كانت تصدر من الكواكب حصراً. لكن المدارس السريّة تعلم جيداً بأن المصدر الرئيسي هو الشمس ولا شيء سواها. لذلك، كل الكلام عن سماع فيثاغورث لصوت مرور الكواكب وتقديره لنغمتها نسبة لحجمها وسرعتها هو كلام مُختلق وليس له أساس واقعي. لقد فُقدت حقائق فلسفية كثيرة بهذه الطريقة الاعتباطية في نقل العلوم المنحدرة عبر الأجيال.

تركيبة الكون وفقاً لتعاليم شجرة الحياة

مخطط شجرة الحياة مؤلف من ١٤ مستوى أيضاً لكن صيغة توزيعها مختلفة. وفقاً لدرب "السيف" أو "الصاعقة" في تعاليم القبّالة، تبدأ عملية التجلّي من مقام [أين صوف] (آمين)، ثم مقام [كيثر] (التاج)، ثم [تشوكما] (الحكمة)، وهذه المقامات الثلاثة الأولى تمثّل السماء العليا كما أشاروا إليها في وتر فيثاغورث. بعدها يأتي المقامات السبعة التي تمثّل الكواكب التي نعرفها، ثم ينتهي المخطط عند المقام الأخير الذي يمثّل العالم المادي المكوّن من العناصر الأربعة.



المزيد من الأخطاء التي وبئ بها علم الفلك

حول العناصر الأربعة وعلم الفلك

العديد من الكتب الميتافيزيقية والفلكية تعطي انطباع بأن العناصر الأربعة هي أكثر جوهرية من الأبراج الاثنى عشر في الدائرة الفلكية، إذ يمكن تقسيم الأبراج إلى أربع مجموعات تتوافق مع هذه العناصر (نار، تراب، هواء، ماء)، لكن الحقيقة هي أن هذا الربط الخاطئ بين العناصر الأربعة والأبراج الفلكية هو حديث المنشأ ولم يكن قائماً من قبل، وبالتالي ليس هناك أي أساس منطقي وراء ربط برج الحمل والأسد والقوس بعنصر النار مثلاً.

لم يأتي بطليموس على ذكر العناصر الأربعة في أي من مراجعه المتناولة لعلم الفلك. لقد تحدث عن مثلثات trigons أو الثلاثيات triplicites لكنه لم يربطها مع العناصر الأربعة. لقد وصف الكواكب وفق مفهوم الأمزجة الأربعة، أي: حار، بارد، رطب، وجاف. اعتبر كوكب المريخ مثلاً بأنه حار وجاف، ووفقاً للنظام التقليدي تتوافق مع عنصر النار (سوف أشرحها جيداً خلال تناول موضوع العناصر الأربعة). هذا الخلط بين الأمزجة الأربعة والعناصر الأربعة الذي بدأ في زمن بطليموس ترسّخ جيداً في العصور الوسطى حيث ارتبطت الكواكب بالعناصر الأربعة. وفي هذه الفترة بالذات بدأت تظهر المراجع المختلفة التي تربط الأبراج الاثنى عشر بالعناصر الأربعة إذ نراها واضحة في كتابات "نوسترادوموس" Nostradamus. ويبدو أن ربط العناصر بالأبراج لم يكن ثابتاً حيث هناك مرجع ألماني يعود إلى تاريخ ١٤٩٥م يوصف برج الثور والحمل والعذراء بأنها أبراج ترابية. وهناك مراجع تعتبر كوكب الزهرة بأنه كوكب مائي والمشتري كوكب هوائي وهذا ما لا نراه اليوم في المراجع الفلكية العصرية.

سبق وذكرت بأن مفهوم العناصر نشأ من مبدأ الأطوار الأربعة (المراحل الأربعة لحركة المحتوى العقلي)، هذا مع الأخذ بعين الاعتبار نشوء المبدأ الاثنى عشري قبل العناصر الأربعة المنتمية للمستوى المادي، وبالتالي عند إنساب البرج لأحد العناصر الأربعة وجب أخذ العنصر بصيغته الأولية أي اعتباره طور وليس عنصر وهذا يجعله مختلف تماماً من حيث المعنى والمضمون. (أنظر في موضوع المبدأ الاثنى عشري)

الثلاثيات الأربعة

يعود تقسيم الأبراج إلى أربع ثلاثيات إلى زمن قديم جداً إذ ورد هذا التقسيم في المراجع البابلية المتوفرة منذ زمن الفرس حيث قُسمت الأبراج إلى أربعة مثلثات مختلفة أي كل مثلث مؤلف من أربع أبراج، ونُسب كل من هذه المثلثات إلى أحد الرياح الأربعة وليس العناصر الأربعة. أي وكأنهم يتحدثون عن أربع أطوار للحركة، وهذا مفهوم مختلف تماماً عن مفهوم العناصر الأربعة. وفقاً لمفهوم الأطوار الأربعة، الأبراج التي نعتبرها ترابية اليوم تحمل في الحقيقة خصائص هوائية والأبراج الهوائية تحمل خصائص مائية والأبراج المائية تحمل خصائص ترابية. ولهذا السبب نرى في المراجع البابلية مثلاً يُعتبر برج الدلو برج مائي وليس هوائي وهذا وصف منطقي سليم.

في الحقيقة إن هذا التقسيم إلى أربع ثلاثيات (أو ثلاثة رباعيات طورية) يعود إلى زمن قديم جداً ومن الواضح أنه الأقرب إلى المنطق بالمقارنة مع التقسيم الحالي للأبراج. هذا التقسيم القديم يحمل معاني أعمق بكثير من تلك التي يحملها التقسيم الحالي. هناك المزيد عن القوى الاثنى عشر سوف أتناولها في موضوع المبدأ الاثنى عشري.

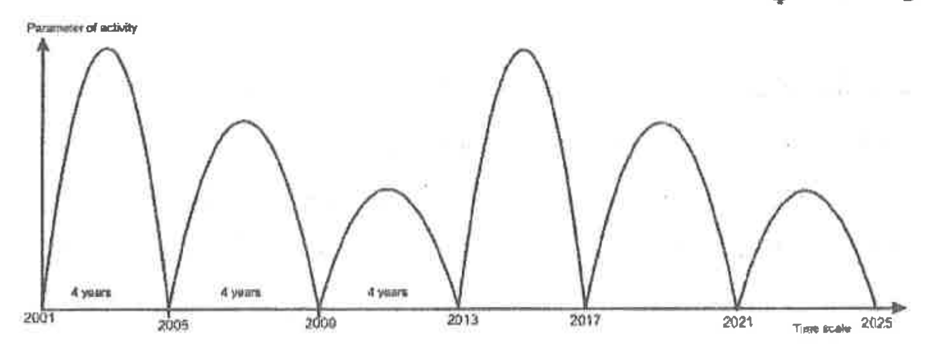
بالإضافة إلى هذا التقسيم الاثنى عشري للدائرة الفلكية نجد تقسيمات أخرى مختلفة تتألف منها وبعضها معروف في علم الفلك الراهن لكن بعضها غير معروف. فمثلاً، إذا أضفنا التقسيم الثلاثي لكل برج على حداه، يصبح لدينا ٣٦ قسم للدائرة الفلكية. وبعد التعرف على طبيعة كل من هذه العشريات نستطيع الحصول على المزيد من المعلومات التفصيلية عن الحدث أو الحالة أو الشيء المراد دراسته.

						♏		
٣	٢	١	٣	٢	١	٣	٢	١

كل برج فلكي مؤلف من ثلاثة عشريات (ديكانات) وهي أيضاً تشكّل ثالوث حركي (اندفاع، نشاط، ضعف)، أي تأثير كل برج هو خاطف وعنيف في "الديكان" الأول، قوي ومتوازن في "الديكان" الثاني، تشتت وسريع الزوال في "الديكان" الثالث.

لكن هذا التقسيم الثلاثي والرباعي لا يقتصر ضمن مجموعات شهرية وعشرية ويومية تتألف منها الدائرة الفلكية، بل يتجاوزها إلى مجموعات سنوية. لقد اهتم القدماء بدورات زمنية مؤلفة من أربع سنوات. كانت هذه الدورة الرباعية مهمة جداً في المنظومة الفلكية ولهذا السبب نرى أن التقويم المصري القديم مدته ١٤٦٠ يوم، وإذا قمنا بتقسيم ١٤٦٠ على ٣٦٥ سنحصل على ٤. وهذا يعني أن المصريين القدماء كانوا يفكرون ويقيسون حياتهم من خلال دورات رباعية السنوات.

لكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، إذ كل أربع سنوات لا تشبه التي تسبقها مباشرة ولا التي تليها مباشرة لأنها تنتمي لمجموعة ثلاثية، أي نتكلم عن دورة اثنى عشرية. بمعنى آخر، بالإضافة إلى تطور الأحداث التاريخية (والطبيعية) كل أربع سنوات، نجد أن أحداثاً أخرى أكثر شمولية تتطور كل ١٢ سنة. وهذه الدورة الاثنى عشرية تتألف من ثلاثة مجموعات رباعية من السنوات، وتكون طبيعتها الإيقاعية على الشكل التالي: تأثير المجموعة الأولى خاطف وعنيف، وتأثير المجموعة الثانية قوي ومتوازن، وتأثير المجموعة الثالثة ضعيف وسريع الزوال. يمكن تصويرها بيانياً على الشكل التالي:



هذا الرسم البياني يشرح الاختلاف في شدة الطاقة لكل مجموعة رباعية من السنوات، وكيف تتكرّر إيقاعياً مع مرور ثلاث مجموعات (أي كل ١٢ سنة)

نستنتج في نهاية المطاف أن الدائرة الفلكية التي نألفها جميعاً في كتب الأبراج التقليدية لا تمثّل الخريطة الفعلية لمسار الكواكب بل مخطط رمزي يصوّر لنا آلية سلوك إيقاعات القوى المنبعثة من الشمس. لكن مهما كان الأمر، من أجل صياغة هكذا دائرة فلكية رمزية تترجم النشاطات

الشمسية السنوية يتطلب الأمر عقول عبقرية/تجاوزية بكل ما تعنيه الكلمة، وهذا لا يتم دون معرفة صحيحة لطبيعة الإيقاع الدوري للنشاطات الشمسية والكونية معاً.

الخطأ الكبير في النظر إلى العالم القديم هو أن انتباه الناظر يتوقّف عند عصر الانحاط الذي شهدته العلوم القديمة ولم يتجاوز تلك المرحلة أبداً إلى ما قبلها حيث ازدهار العلوم وروعتها وعظمتها. فبالتالي، كل المزاعم والادعاءات المتعلقة بتاريخ تطوّر علم الفلك هي خاطئة ولا تستند على أساس سليم. حتى أبرز الباحثين أخطئوا في تحليل السبب وراء الهفوات الموبوء بها علم الفلك. علم الفلك لم يبدأ بأخطاء تم تصحيحها تدريجياً بل بدأ على أسس سليمة منذ البداية، لكن أصبح فيما بعد موبوءاً بالكثير من التحريفات والمفاهيم الخاطئة.

الثريات النجمية لم تمثّل مصدر التأثيرات الفلكية بالنسبة للقدماء بل نقاط علام مكانية للمواعيد الزمنية لتأثيرات القوى الكونية. أي هي ليست كما يؤمن معظم علماء الفلك العصريين: مصادر فعلية للتأثيرات الفلكية. والأبراج الفلكية، التي نُسبت لمجموعة ثريات نجمية، تمثّل صور رمزية لحالات القوى والطاقات المختلفة التي تتجسّد في مواعيد معيّنة.

جاءت كلمة "زودياك" zodiac من الكلمة الإغريقية ζωδιακός (زودياكوس)، وتعني "دائرة الحيوانات". النظرية الشائعة اليوم حول أصل الكائنات التي تمثّل الأبراج تقول بأنها نتاج خيال الرعيان الذين كانوا يمضون مُعظم ساعات لياليهم يحدقون إلى السماء، فراحوا يختلقون الكائنات والأشياء من خلال رسم خطوط بين نجوم السماء. لكن هذه الفكرة بعيدة كل البُعد الحقيقة. السبب الأكثر منطقياً وراء إنساب كائنات محددة للبيوت الفلكية الإثنا عشر هو أنها ترمز لخواص القوى المنبعثة من الشمس خلال فترات إيقاعية معيّنة، وهذا ما سوف نكتشفه لاحقاً. بالتالي فإنّ الثريات النجمية التي نُسبت لحيوانات معيّنة لا تشبه بأي حال من الأحوال هذه الحيوانات مما جعلها رموز مُتفق عليها وتم تبنيها لتمثّل مواقع معيّنة في السماء. من الممكن أن الثريات خُصّصت لتجسيد خواص وميّزات تتمتع بها تأثيرات كونية معيّنة لكنها بكل تأكيد لا تتعلّق بعلم الفلك الذي نعرفه.

الأحداث الزمنية التي أقصدها ليست الحركة الدورية للكواكب السيارة التي يُعتقد بأنها تمثّل مصدر التأثيرات الفلكية أيضاً، بل هي عبارة عن إيقاعات دورية منبعها الشمس والقمر (الجرمان

الوحيدان اللذان أثبتا تأثيرهما المباشر، والقمر مصدر عاكس للقوى النابعة من الشمس). كل نبضة شمسية تتألف من ١٢ قوة و٧ طاقات و٤ أطوار وثلاثة أنماط وقطبين. هذه القوى والطاقات والأطوار تتجلّي عبر مصدرين رئيسيين: الشمس (قوة فاعلة) والقمر (قوة عاكسة). القمر يلعب دور المرآة التي تضخّم قوة النبضات الشمسية وبالتالي تكون أكثر شدّة من نبضات الشمس المباشرة.

الكواكب السبعة

للكواكب في علم الفلك القديم معنى مختلف تماماً عن تلك النظرة التي يتبناها علم الفلك الحديث، حتى انه تم التفريق بين العلمين بمنح اسم تنجيم astrology للأول والاحتفاظ باسم فلك astronomy للثاني. بالنسبة للمنجمين القدامى تمثّل الكواكب إرادة الآلهة وتأثيرهم المباشر على الشؤون الإنسانية، كما أنها تمثّل الدوافع الأساسية أو محفزات النفس. هذه الدوافع تعبر عن نفسها بخصائص مختلفة من خلال الأبراج الاثنا عشر، وفي مجالات مختلفة من الحياة عبر المنازل الاثنا عشر. يختلف المنجمون حول مصدر القوى التي تحوزها الكواكب والخصائص التي تتميز بها. بعضهم يقول بأن الكواكب تفرض طاقتها مباشرةً عبر قوى جاذبية أو عوامل أخرى مجهولة. بينما البعض الآخر يقول بأنه ليس للكواكب تاثير مباشر لكنها تلعب دور المرايا التي تعكس مبادء كونية أساسية متأصلة في الكون. أي بمعنى آخر، الأنماط الأساسية للكون تكرر نفسها في كل مكان وبطريقة تراكبية (أي كما في الأعلى كذلك في الأسفل) وبالتالي فإن الأنماط الطاقية التي تصنعها الكواكب في السماء تعكس مد وجزر الدوافع البشرية الأساسية. مع العلم أن الكواكب وفق علم التنجيم الصيني تمثّل القوى الأساسية في الطبيعة وهذا يقربنا أكثر إلى الحقيقة المتعلقة بمفهوم الكواكب عموماً. وفقاً للتقليد الفلكي الصيني، الكواكب مرتبطة بالقوى الحيوية للـ"ين" والـ"يانغ" والعناصر الخمسة الصينية. أما التقليد الفلكي الهندي، فيُشير إلى الكواكب بأنها الـ"نافاغراها" أي العوالم التسعة، وكل من هذه العوالم له خصائصه التي تميزه. رغم أن المفهوم الهندي يختلف عن المفهوم الغربي بخصوص الكواكب إلا أن هذا الاختلاف فلسفي أكثر من كونه عملي، وفيما يلي جدول يبين عوامل التشابه بين المعنيين الهندي والغربي للكواكب:

الكوكب	الإله الروماني	الإله الإغريقي	الإله الهندي	الدلالة الغربية	الدلالة الهندية
الشمس	أبولو	هيليوس	سوريا	إله الشمس، التجسيد الشمسي	إله الشمس، النور الأسمى
القمر	لونا، ديانا	سيلين، أرتميس	تشاندرا	إلهة القمر، إلهة الصيد، المزاجية	إلهة القمر، الطبيعة غير الصبورة للإنسان
عطارد	ميركوري	هرمز	بودها	رسول الآلهة، الحنكة	الذكاء، التنور، الحكمة
الزهرة	فينوس	أفروديت	شوكرا	إلهة الرومانسية، الحب، الرغبة الجنسية	الخصوبة، الحماس، الهيجان
المريخ	مارس	مارس	منغالا	إله الحرب	القوة، بالبأس
المشتري	جوبيتر	زيوس	بريهاسباتي	زعيم الآلهة	معلّم الآلهة، كاهن
زحل	ساتورن	كرونوس	شاني	إله الزراعة	إله الواجب

الشمس

يُمثل الشمس في الميثولوجيا الرومانية "أبولو" إله النور. فلكياً، تُعتبر الشمس بأنها تمثل الذات الواعية، الأنا وتعبيراتها، القوة الشخصية، الكبرياء والسلطة، خصائص قيادية، وكذلك مبادئ الإبداع والتلقائية والصحة والحيوية ومجموع هذه الأخيرة يُختصر بكلمة واحدة: القوة الحيوية. في التقليد الفلكي الصيني، يمثّل الشمس مبدأ الـ"يانغ" وهو مبدأ الحياة الذكوري النشط والمصرّ. في التقليد الفلكي الهندي، يُشار إلى الشمس باسم "سوريا" وتمثّل الذات، الملوكية، الأشخاص ذوو المرتبة العالية، والأب.

القمر

تُمثل القمر في الميثولوجيا الرومانية "ديانا" إلهة الصيد. فلكياً، يتعلق القمر بالتكوين العاطفي للشخص، وكذلك عاداته اللاواعية وإيقاع انفعالاته ومزاجيته وذكرياته وقدرتها على التفاعل والتكيّف مع المحيطين به. كما أنه مرتبط بالأم والغريزة الأمومية للرعاية، المنزل، الحاجة للأمان، والماضي، خصوصاً التجارب الحياتية المبكرة والطفولة. في التقليد الفلكي الصيني، يمثّل القمر مبدأ الـ"ين"، مبدأ الحياة الأنثوي الهامد والمتلقي. في التقليد الفلكي الهندي، يُشار إلى القمر باسم "شاندرا" أو "سوما" ويمثّل العقل والملكة والأم.

عطارد

يمثل عطارد في الميثولوجيا الرومانية الإله "ميركوري" رسول الآلهة، معروف عن سرعته ورشاقته. فلكياً، يمثل عطارد كل من مبادئ التواصل والذهنية والأنماط الفكرية والمعقولية والاستدلال، وكذلك القابلية نحو التكيّف والتغيير بسرعة. يحكم عطارد مجال التدريس والتعلّم، بيئة الجيران، الأشقاء وأبناء الأعمام والأخوال، السفر لمسافات قريبة، الرسائل وكافة اشكال الاتصالات، والكتابة ونشر الأخبار والمعلومات عموماً، البراعة في الحرفة وكذلك الرشاقة الجسدية. في التقليد الفلكي الصيني، يحكم عطارد عنصر الماء والذي يرمز إلى الدبلوماسية واللطف والبديهة. في التقليد الفلكي الهندي، يُسمى عطارد "بودها" وهو اسم متعلق بكلمة "بودهي" أي الذكاء والتنور ويتمثّل التواصل.

الزهرة

تمثّل الزهرة في الميثولوجيا الرومانية الإلهة "فينوس" وهي إلهة الحب والجمال، واشتهرت في الأساطير بقدرتها على إغواء الآلهة. فلكياً، ترتبط الزهرة بكل من مبادئ الانسجام والجمال والتوازن والمشاعر والعواطف، وكذلك الإلحاح نحو التعاطف والاتحاد مع الآخرين. تتعلق أيضاً بالرغبة في الملذات، والمسرات الحسية والممتلكات، والعيش الرغيد والمترف. هذا الكوكب يحكم العلاقات الرومانسية والزواج وشراكة العمل والجنس والفنون والحياة الاجتماعية عموماً. في التقليد الفلكي الهندي، يرتبط كوكب الزهرة بعنصر المعدن (أو الذهب) الذي هو متين وصلب ودائم. في التقليد الفلكي الهندي، يُسمى "شوكرا" ويمثّل الغنى والملذات والتناسل.

المريخ

يُمثل المريخ في الميثولوجيا الرومانية الإله "مارس" وهو إله الحرب وسفك الدم ورمزه هو الرمح والترس. فلكياً، يرتبط المريخ بالثقة بالذات وتأكيد الذات، وكذلك العدوانية والفحولة الجنسية والطاقة والبأس والطموح والاندفاع. لهذا السبب نرى أن المريخ يحكم الرياضات البدنية بأنواعها وخصوصاً تلك التي فيها منافسة ومبارزة. في التقليد الفلكي الصيني، يحكم المريخ عنصر النار، والذي هو انفعالي ونشيط ومغامر. في التقليد الفلكي الهندي، يُسمى "مانغالا" ويمثّل الطاقة والثقة بالذات والأنا.

المشتري

يمثل المشتري في الميثولوجيا الرومانية الإله "جوبيتر" وهو سيّد الآلهة وحارسهم وحاميهم، وشعاره هو الصاعقة. فلكياً، يرتبط المشتري بكل من مبادئ النمو والتوسع والازدهار والحظ الجيد. يحكم ايضاً الاسفار البعيدة أو الطويلة، وكذلك التعليم العالي والدين والقانون. كما أنه مرتبط بالتوق إلى الاستقلالية والاستكشاف والأدوار الإنسانية والحامية، وكذلك بالمقامرة واللهو. في التقليد الفلكي الصيني، يحكم المشتري عنصر الخشب، والذي يجعل الشخص صبور ومجتهد في العمل والجدير بالثقة. في التقليد الفلكي الهندي، يُسمى "غورو" أو "بريهاسباتي"، ومعروف بالمعلم العظيم.

زحل

يمثل زحل في الميثولوجيا الرومانية الإله "ساتورن"، وهو إله الزراعة ومؤسس الحضارات والنظم الاجتماعية والامتثال. فلكياً، يمثل زحل كل من مبادئ المحدودية والتقييد والحدود والتطبيق العملي والواقعية، والتبلور والهيكلية. يحكم زحل الطموح والمهنة والسلطة والهرمية النظام الاجتماعي المطيع. يتعلق بالإحساس بالواجب والانضباط والمسؤولية، والقدرة على التحمّل الجسدي والعاطفي خلال الصعوبات. كما يحكم التخطيط بعيد المدى. في التقليد الفلكي الصيني، يحكم زحل عنصر التراب ويجعل الشخص دافئ وكريم ومتعاون. في التقليد الفلكي الهندي، يُسمى "شاني" ويمثل المهنة وطول العمر. كما أنه يجلب الحظ السيء والصعوبات.

كافة المراجع التاريخية الأخرى، حتى بقايا فتات النصوص التي تتناول علوم الفلك السومرية والأكادية والبابلية والمصرية تتفق مع الأوصاف الأولية المذكورة سابقاً بخصوص الكواكب السبعة. الجدول التالي يبيّن اسماء الكواكب باللغة الأكادية والسومرية واسماء الآلهة التي تمثلها:

الكوكب	الاسم السومري	الاسم الأكادي	الإله
الشمس	بيشبي	شمَش	شمَش
القمر	أكو	سين	سِن/سوين
المشتري	دابينو	أمون سيغ عوا	مردك/أماروتو
الزهرة	زيب/زيغ	ديلي بات	عشتار
زحل	لو – ليم	لو بَت سغ أُش	نينب/نيرِغ

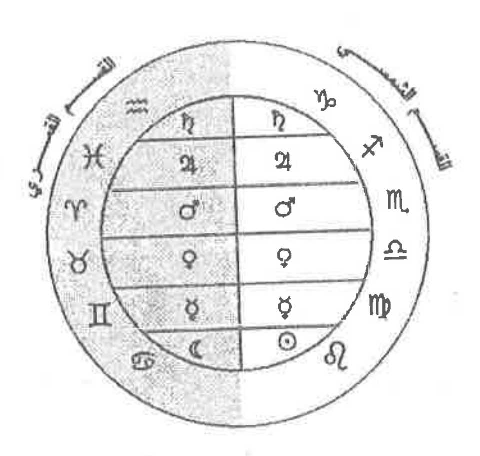
عطارد	بيبو	لوبَت غُد	نبو/نيبو
المريخ	سيموتو	مُستبارو	نرغال

للمزيد من المعلومات أنظر في موضوع المبدأ السباعي (لغز الطاقات السبعة)

علاقة الكواكب بالأبراج

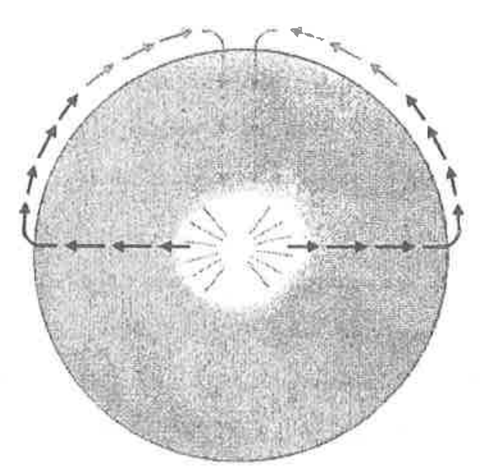
تُعتبر الكواكب اليوم بأن لها تأثير أكبر من الأبراج وبالتالي جعلوها حاكمة للأبراج، لكن هذه الفكرة ليست دقيقة إذ المراجع القديمة لا تمنح الكواكب سلطة على الأبراج بل بالعكس تماماً حيث منحوا الأبراج سلطة أكبر على الكواكب وبالتالي اعتبروا هذه الأخيرة خادمة للأبراج أو مساعدة لها، وهذه نقطة مهمة جداً. فإذا أردت معرفة المزيد عن برج الحمل عليك النظر في موقع المريخ في الدائرة، أو إذا أردت معرفة المزيد عن برج العذراء عليك النظر في موقع عطارد.. وهكذا.

أما عملية ربط كل برج مع كوكب معيّن فتعتمد على تقسيم مهم جداً يتم تجاهله تماماً من قبل الفلكيين العصريين، وهو تقسيم الدائرة الفلكية إلى قسم قمري وقسم شمسي أو القسم الليلي والقسم النهاري، وكل من هذين القسمين مؤلف من ستة أبراج، وكان لهذا التقسيم أهمية كبرى بالنسبة للقدماء ولهذا السبب كان معروف جيداً في الحضارات الغربية والشرقية معاً وورد ذكره في العديد من المراجع القديمة. في هذا التقسيم احتلّ كل كوكب برجين أو منزلين في الدائرة، الأول ذكر والثاني أنثى، ما عدا الشمس والقمر اللذان يحتل كل منهما برج واحد. (الشكل التالي)



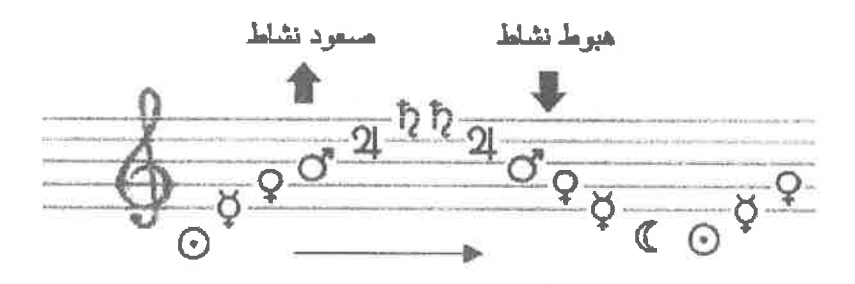
أسباب هذا التقسيم والتفسيرات التي انحدرت إلينا من زمن الانحطاط لم تكن منطقية أو مقنعة، لكن التفسير المنطقي الوحيد الذي يمكننا استنتاجه بالاعتماد على ما تعرفنا عليه خلال "قصة الخلق" المذكورة في الجزء السابق، مضافاً إليها مبدأ الإيقاع والمبدأ السباعي، هو أن الدائرة

الفلكية مقسومة إلى مرحلتين: [١] مرحلة نشطة (صعود إيقاع) و[٢] مرحلة خاملة (نزول إيقاع).
وهذا ما يثبته وتيرة نشاط الشمس المركزية والتي يمكن وصفها من خلال الشكل التالي:



عند ولادة الشمس المركزية يمرّ نشاطها عبر ١٢ مرحلة وصفتها سابقاً، لكن هذا النشطا مقسوم إلى مرحلتين رئيسيتين: [١] مرحلة نشطة صاعدة (الأسهم السوداء في الصورة) و[٢] مرحلة خاملة نازلة (الأسهم الفاتحة في الصورة).

وإذا اعتبرنا الكواكب هنا بأنها تمثّل نغمات موسيقية نجد أنها في حالة صعود وهبوط إيقاعي دائم ومستمر. أي كما في الشكل لتالي:



وفقاً لهذا المفهوم الموسيقي السباعي للكواكب (أنظر في موضوع المبدأ السباعي) لا أعتقد بأن القدماء أخطؤوا في تجاهل الكواكب الأخرى التي أُدخلت لاحقاً إلى منظومة علم الفلك (نبتيون وأورانوس وبلوتو)، إذ يبدو أنهم كانوا يعتمدون على مفهوم مختلف ونظرة بعيدة عن نظرتنا

الحالية للكواكب ولهذا السبب جعلوها سبعة واستثنوا الكواكب الأخرى. نحن نتكلم عن المبدأ السباعي المتجلّي في كل مكان في الكون وليس الكواكب التي تدور حول الشمس والتي تُعتبر مجرّد أدوات لهذا المبدأ السباعي.

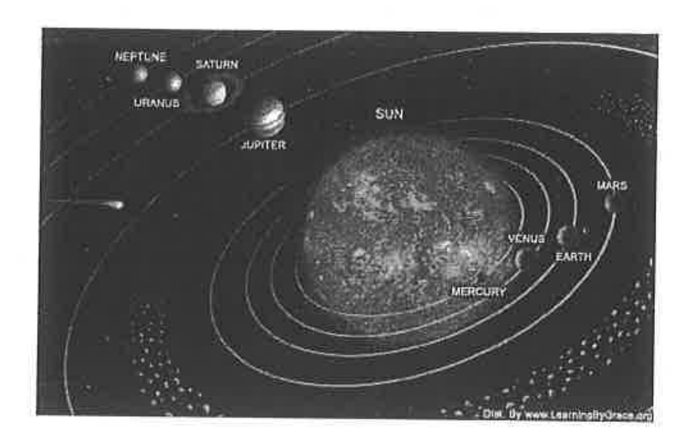
العلاقة بين الأجرام السماوية والقوى الكونية السبعة

بعد الاطلاع على أمثلة كثيرة في موضوع المبدأ السباعي، لا أعتقد بأن القدماء خلال حديثهم عن التقسيم السباعي للأشياء وإنسابه للكواكب السبعة كانوا يقصدون الأجرام السماوية السبعة، إذ لا يمكن إيجاد أي ارتباط منطقي ومباشر بتلك الأجرام السماوية، بل كانوا يقصدون المبدأ السباعي المتجلّي في كل مكان في الوجود. إنه مبدأ كوني مجرّد لكنه يتخذ أشكال مختلفة ومتنوعة خلال تجسيده في الأشياء المختلفة وعلى مستويات مختلفة. لهذا السبب يمكننا إجراء تقسيم سباعي لأي شيء أو حدث أو ظاهرة في الكون دون الاعتماد على مفهوم الكواكب السبعة المحصور ضمن نطاق النظام الشمسي.

لكن السؤال هو: ما الدور الحقيقي للأجرام السماوية السبعة التي تمثل محور رئيسي في علم الفلك، وكيف وافقوها مع مفهوم المبدأ السباعي؟

لطالما آمن الفلكيون القدامى بأن كل من الأجرام السماوية يمثل تجسيد مادي لكيان روحي جليل يمثل وزير للخالق في مملكته الكونية، يسعى دائماً وأبداً إلى تنفيذ إرادته. وهناك من كان يعتقد بأن كل من الكواكب يمثّل مهجع أحد هؤلاء الوزراء المبجّلين السبعة، وكل منهم يفرض تأثيره الخاص ضمن المجال الذي كُلِف بإدارته. هؤلاء الوزراء السبعة هم ذاتهم الذين تحدثت عنهم كافة الأديان والمدارس الباطنية في العالم القديم. هم أسياد الملائكة السبعة في الأديان السماوية، أو الأرواح السبعة أمام عرش الخالق، أو الـ"سابتارشي" Saptarshi وهي مجموعة الـ"ريشي" Rishi السبعة لدى الهندوس، أو الـ"أميشاسبينتا" Ameshaspentas السبعة لدى الفرس القدامى، والـ"دهيان كوهان" Dhyan Chohans السبعة في النصوص السنسكريتية وتعاليم التبت.. وهكذا. لكن العقلية العلمية المعاصرة لا تكتفي بهذا المنطق الماورائي القديم، إذ هي بحاجة إلى المزيد من الأسس المنطقية التي يستند عليها هذا المفهوم. ما علاقة هذه الكيانات الكونية بالكواكب السبعة؟

بعد أن تيقنا من حقيقة تجلى المبدأ السباعي في كل مكان في الطبيعة، والترتيب التسلسلي لعناصره السبعة (أنظر في موضوع المبدأ السابعي) أصبح سهلاً بالنسبة لنا رؤية العامل الذي جعل القدماء يربطونها بكواكب محددة. لا بد من أنهم اعتمدوا على مبدأ رياضياتي مشابه لقانون "بود" Bode's Law الذي تم بواسطته التوصل إلى معرفة بعد مسافات الكواكب عن الشمس بطريقة حسابية، وتبين أن المسافات الفاصلة بين الكواكب تتساوى مع فواصل النغمات السبعة في السلم الموسيقي. لكي نستوعب الموضوع بشكل جيد دعونا نتعرف على قانون "بود" وكيف تم التوصل إليه.



قانون بود

Bode's law

هو عبارة عن قانون عملي يحسب المسافات الدقيقة للكواكب من الشمس. أوّل ما أعلن عنه كان في العام ١٧٦٦م من قبل عالم الفلك الألماني "يوهان دانيال تيتيوس" Johann Daniel Titius لكن شهرته الواسعة كانت ثمرة مجهود الألماني "يوهان ألرت بود" Johann Elert Bode. ينصّ القانون على ما يلي:

إذا كتبنا سلسلة من أرقام [٤] في الصف الأوّل من جدول ثم بدأنا نملأ خلايا الصف الثاني وبصيغة تعاظمية الأرقام: [٣] في الخلية الثانية و[٦] في الثالثة و[١٢] في الرابعة.. وهكذا، أي نضاعف الرقم في كل خلية تالية، سوف نخرج في النهاية بسلسلة أرقام متطابقة تقريباً مع

المسافات الفاصلة بين الكواكب والشمس. لكن ليس كل الكواكب، بل فقط السبعة الأولى الأقرب إلى الشمس. كما هو مبين في الجدول التالي:

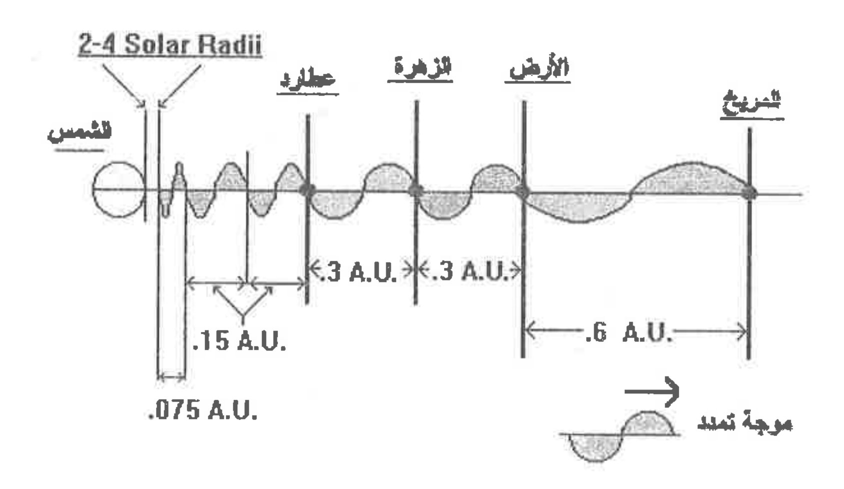
عطارد Mercury	الزهرة Venus	الأرض Earth	المريخ Mars	الكويكبات Asteroids	المشتري Jupiter	زحل Saturn	أورانوس Uranus	نبتيون Neptune
٤	٤	٤	٤	٤	٤	٤	٤	٤
–	٣	٦	١٢	٢٤	٤٨	٩٦	١٩٢	٣٨٤
٤	٧	١٠	١٦	٢٨	٥٢	١٠٠	١٩٦	٣٨٨

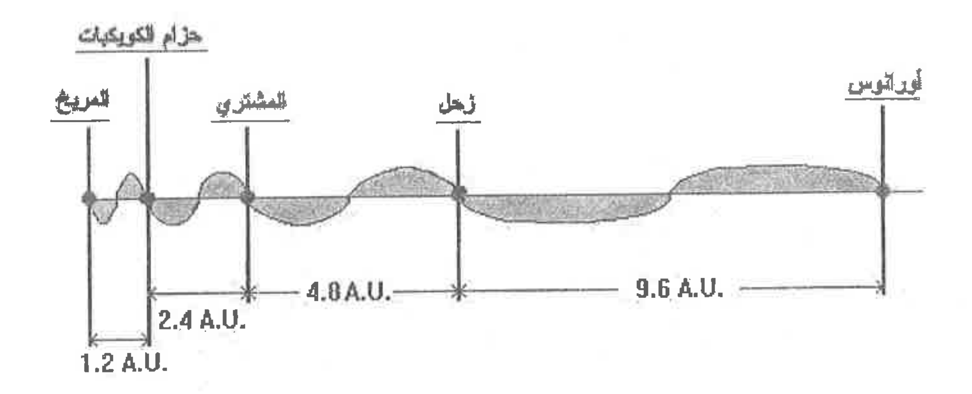
كما هو مبين في الجدول، إذا أضفنا كل من الأرقام التعاظمية في الصف الثاني مع الرقم أربعة في الصف الأول سوف نخرج بأرقام معيّنة في الصف الثالث. إذا قمنا بتقسيم هذه الأرقام الأخيرة على [١٠] سوف نخرج بأرقام مطابقة للمسافات التي تفصل الكواكب عن الشمس. إذا أخذنا الكرة الأرضية وقمنا بتقسيم العدد [١٠] (الناتج من جمع [٦] مع [٤]) على [١٠] يكون الناتج [١]، وسوف نعتبر هذا العدد الأخير المعيار الذي تتقارن معه مسافات الكواكب الأخرى عن الشمس. الجدول التالي يبيّن النسب العددية التي أنتجها قانون "بود" والنسب العددية التي تمثل القيم الحقيقية لمسافات الكواكب عن الشمس.

الكوكب	*قانون بود*	*المسافة الفعلية*
عطارد	٠,٤	٠,٤
الزهرة	٠,٧	٠,٧
الأرض	١,٠	١,٠
المريخ	١,٦	١,٥
الكويكبات	٢,٨	٢,٦
المشتري	٥,٢	٥,٢
زحل	١٠,٠	٩,٥
أورانوس	١٩,٦	١٩,٢
نبتيون	٣٨,٨	٣٠,٠

كما نرى في الجدول السابق، كافة الأرقام التناسبية التي خرج بها قانون "بود" متطابقة تقريباً مع المسافات التناسبية الحقيقية بين الكواكب والشمس، لكن هذا يستثني كوكب نبتيون وما تلاه من كواكب بعيدة. لدينا إذاً سبعة كواكب فقط (بالإضافة إلى حزام الكويكبات) تدخل في هذا التناسب.إذا اعتبرنا بأن الكرة الأرضية تمثّل مركز المدارات الكوكبية بدلاً من الشمس، وجعلنا القمر ينوب عن الكرة الأرضية من حيث الدلالة الفلكية، أصبح لدينا نظام فلكي مجدي وعملي.

وجب العلم بأن هناك الكثير من القوانين الأخرى التي تعتمد على نسب عددية مشابهة وتخرج بأرقام متطابقة مع مسافات الكواكب أو أحجامها أو بعدها عن بعضها أو عن أقمارها أو غيرها من نسب عددية مختلفة. إحدى أشهر النظريات العصرية التي تثبت هذه الحقيقة هي ما تسمى نظرية "ستونكينغ" حول الرنين Stoneking Resonance Theory التي أوجدها عالم الفيزياء "ج.ب. ستونكينغ" مع زميله "راي تومز" Ray Tomes والتي تعتمد على ظاهرة النبض الشمسي. قبل الحديث عن نظرية "ستونكينغ" علينا أولاً التعرف على الحقيقة المتعلقة بالشمس التي تبين أنها تمثّل مولد ذبذبات وتنبض بشكل منتظم وبوتيرة ثابتة. هذا ما أكدته فرق علمية مختلفة في الاتحاد السوفييتي السابق وبريطانيا منذ سبعينات القرن الماضي. خلال كل نبضة يرتفع سطح الشمس إلى مسافة ٣ كيلومتر قبل أن ينخفض مجدداً. النبضات الشمسية تحصل في فواصل وقتية متناغمة مع وحدة زمنية تقدر بـ[خمسة] دقائق بالضبط، لا أكثر ولا أقل، وتتصاعد القيم الرقمية حتى بلوغ رقم تعاظمي يقدر بـ[١٦٠] دقيقة. الصورة التالية تبيّن المخطط الذي وضعه "ستونكينغ" مبيناً الموجات التي تخلقها نبضات الشمس وكيف تتناسب مع مواقع الكواكب:



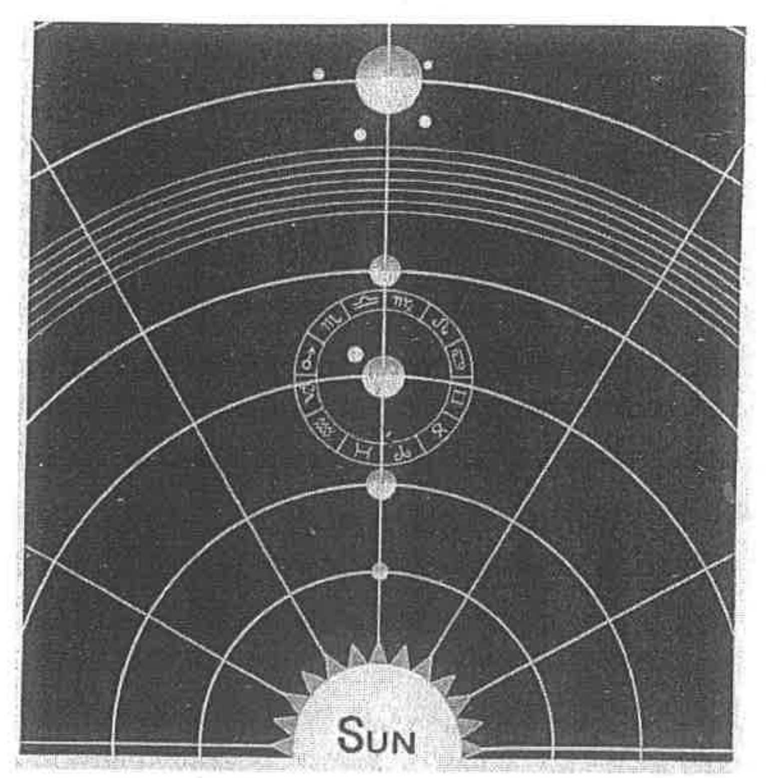


في ورقته العلمية التي قدمها عام ١٩٨٨م، حسب "سونكينغ" أطوال الموجة التي كانت تنتج من كل من الفواصل الزمنية المتناغمة التي أنتجتها الشمس، مثل نبضة [٥] دقائق ونبضة [١٠] دقائق ونبضة [٨٠] دقيقة ونبضة [١٦٠] دقيقة وهكذا إلى آخره. يتم بعدها قياس أطوال الموجة هذه على أنها متموضعة في مسافات محددة عن الشمس. إن حساب أطوال الموجة يمثل مسألة رياضية سهلة يدخل فيها عامل المسافة التي يرتفعها سطح الشمس خلال كل نبضة (٣ كيلومتر)، وعامل الوقت الذي يستغرقه ارتفاع السطح في كل نبضة (٥ دقائق)، وعامل سرعة سفر الموجة وهو مساوي لسرعة الضوء (١٨٦,٠٠٠ ميل في الثانية).

عندما أجرى "ستونكينغ" حساباته وجد أن هناك كوكب في نهاية كل طول موجة حسبها (كما لاحظنا في الشكلين السابقين). أي بمعنى آخر، وجد أن كل مدار كوكبي يقع على أحد التموجات التي يحدثها النبض الشمسي وسط الأثير الكوني (كما حالة التموجات التي يحدثها الحجر على سطح الماء بعد سقوطه فيها). هذه النظرية تثبت وجود علاقة متناغمة بين مواقع الكواكب السيارة حول الشمس.

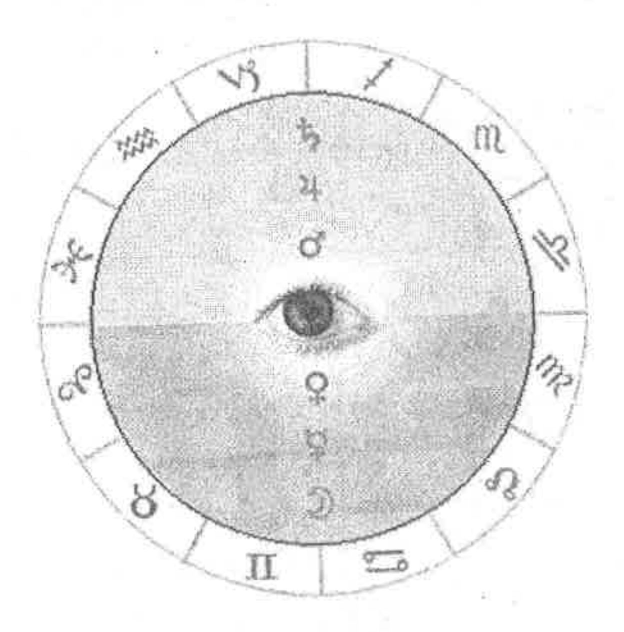
أستطيع الحديث عن أمثلة كثيرة من هذا النوع لكن أعتقد أن ما سبق يكفي لإثبات حقيقة وجود علاقة متناغمة بين الكواكب وهذه العلاقة المتناغمة بالذات هي التي اعتمد عليها القدماء للتوصل إلى قانون رقمي تناسبي معيّن وبنوا عليه المبادئ الفلكية التي نألفها اليوم بخصوص مسار سبع كواكب فقط. وبما أن الكرة الأرضية هي مركز اهتمام الفلكيين لأن المجريات الحاصلة فيها هي الهدف المقصود لأبحاثهم بالتالي جعلوها مركز المدارات الكوكبية الأخرى، ولكي يحصلوا على

نتائج مجدية في حساباتهم الفلكية لا بد من أن تبنوا قوانين محددة تتوافــق مــع هــذه الوضــعية المركزية للكرة الأرضية بدلاً من الشمس.



كان الحكماء القدامى على علم يقين بمركزية الشمس لكن علم الفلك الذي أوجدوه يعتمد على مركزية الأرض.

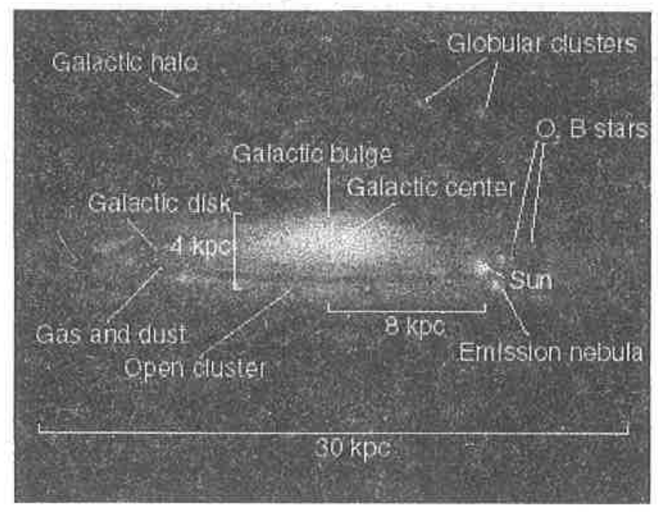
الخلاصة: ليس للكواكب السيارة في نظامنا الشمسي أي علاقة بالطبيعة السباعية للأشياء، فهــذه الأخيرة يحكمها المبدأ السباعي وهو مبدأ متجلّي على مستوى كوني ولا يقتــصر علــى النظــام الشمسي وحده. أي بمعنى آخر، لم يتم صياغة القانون السباعي بالاعتماد على مفهــوم الكواكــب السيارة بل بالعكس، حيث تم صياغة النظام الفلكي الذي يشمل الكواكب السيارة بالاعتماد علــى القانون السباعي الكوني. لا بد من أنهم توصلوا إلى هذه الصيغة الفلكية بطريقة حسابية مجديــة لأن علم الفلك بصيغته الأصيلة هو علم مجدي فعلاً ونتائجه دقيقة وعملية.



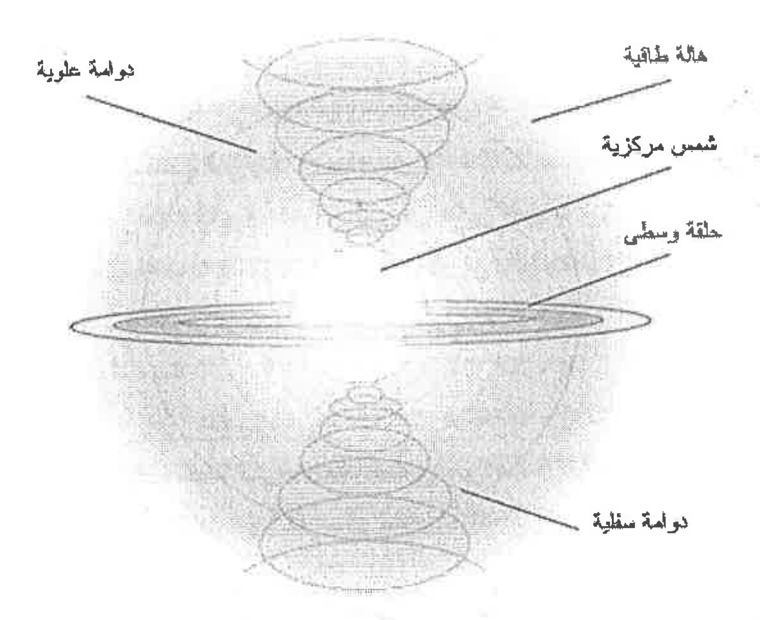
في النهاية، لدينا مجموعة من المفاهيم الرئيسية التي تتألف منها منظومة علم الفلك وجب أن نستوعبها جيداً قبل أن نفهم هذا العلم، أو أي علم آخر قديم، بشكل جيّد. هذه المفاهيم هي: المبدأ السباعي، المبدأ الاثنى عشري، ومبدأ الأطوار الأربعة (أو العناصر الأربعة) ومبدأ القطبية. وهذا ما سوف أشرحه في الفصول التالية. لكن دعونا أولاً نتعرف على بعض الأبحاث العصرية التي أكدت صحّة كل ما وصفته التعاليم السريّة بخصوص بنية الكون وطبيعته.

أبحاث عصرية تؤكّد صحّة التعاليم السريّة

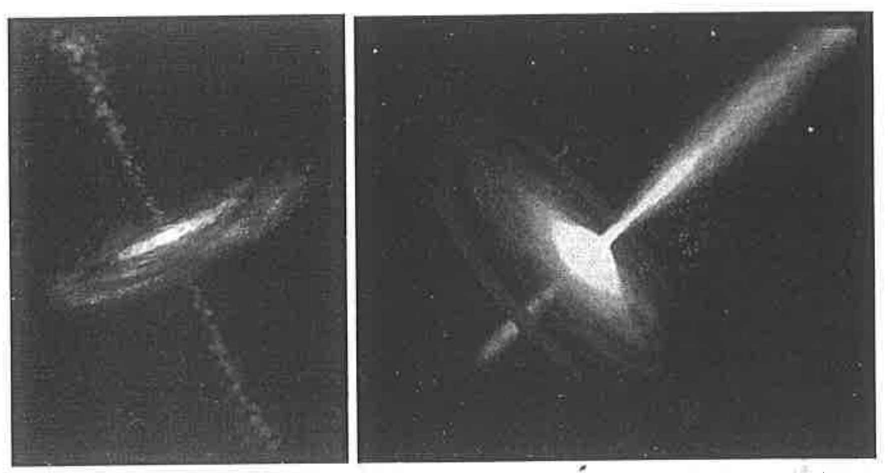
في الصفحات التالية سوف نتعرف لأوّل مرّة على معلومات جديدة تتعلق باكتشافات علمية ثورية، ولو أننا نعيش بالفعل في عالم حرّ وفاضل بحيث يسهل فيه تبادل المعلومات الصحيحة، لساهمت هذه الاكتشافات في قلب المنهج العلمي رأساً على عقب، إذ هي تكشف عن الطبيعة الحقيقية لتركيبة الكون، لكن علّمتنا التجربة بأن هكذا اكتشافات ثورية نادراً ما تثير اهتمام العلم المنهجي البليد. أصبح لدينا إثباتات علمية جازمة على أن الكون بأكمله هو من إنتاج وتصميم عقل عظيم، هذا الكون يتميّز بطبيعة هولوغرافية holographic وخواص هندسية متراكبة fractal (الجزء يشبه الكل) بحيث يتجسّد التشابه بين أصغر جسيم على المستوى الذرّي حتى أكبر جرم على المستوى الكوني. لكن الأمر الأهم هو تلك الحقيقة التي تحدثت عنها التعاليم السرية بخصوص المادة، إذ قالت: ما يسميه الناس "مادة" هو مجرّد عُقد *(مراكز تكاثف)* لانهائية تصنعها "الإرادة" في "المحتوى" عبر مفعول "الحركة". وقد ورد في مكان آخر بأن الوعي هو: حركة محتوى العقل بفعل الإرادة. هذا يعني بأن مراكز التكاثف هي مراكز وعي أصلاً. وكما تعرفنا في الجزء السابق، مراكز تكاثف الوعي التي تحدثت عنها التعاليم السرية هي ذاتها الشموس التي نراها في كل مكان في الكون وعلى كافة المستويات وبكافة الأحجام.



أينما نظرت في الكون تجد ذات النموذ: شموس مركزية تقبع وسط هالات طاقية كروية وتنبض بالطاقة الكهرومغناطيسية



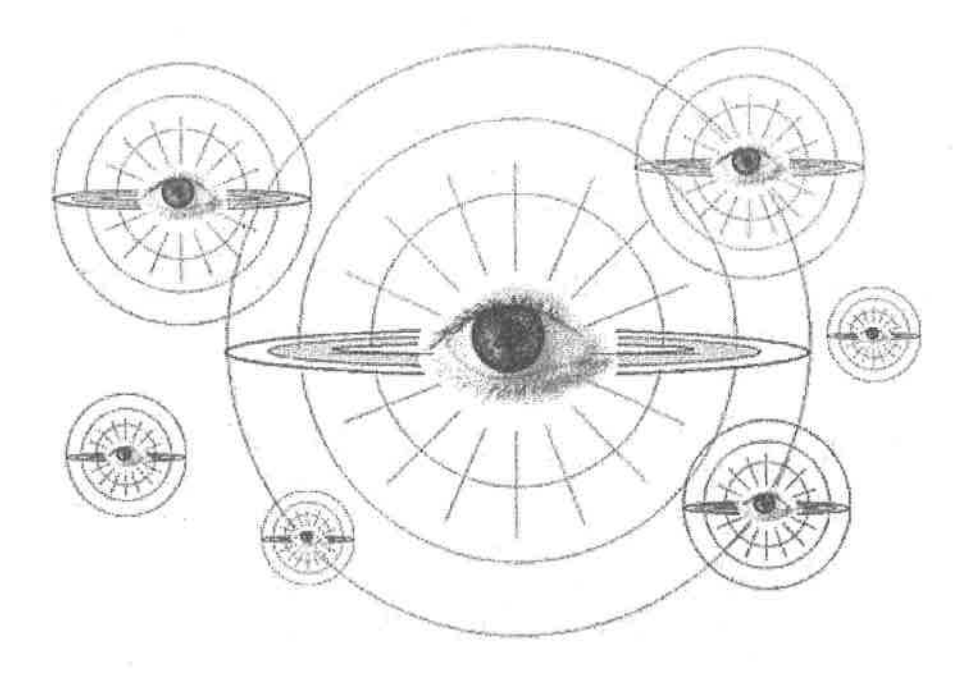
نلاحظ أن كافة الأجرام الفضائية، إن كانت مجرات أو أنظمة شمسية أو حتى كواكب، جميعها تتخذ الصيغة التالية: عبارة عن نواة مركزية تنبض بالنور، محاطة أفقياً بحلقة وسطى، وتقبع داخل هالة كروية تحيطها من جميع الجهات. ويخترقها عمودياً دوامتين محوريتين



انبثاقات محورية تنبعث عمودياً من شمال وجنوب نواة المجرة، وتبدو واضحة في معظم المجرات البعيدة. كما أنها تمثّل نقاط علام مجدية يعتمد عليها العلماء لتحديد مركز المجرّة بدقة وكذلك درجة ميلانها.

شموس مركزية أم مراكز تكاثف الوعي؟

تحدثت سابقاً عن النقطة المهمة التي تشدد عليها التعاليم السريّة وهي أن الكون يكون واعياً فقط عبر وبواسطة مراكز التكاثف التي يتألف منها. ومراكز التكاثف هذه هي مراكز وعي. دون مراكز الوعي هذه، أي أنت وأنا وكل كائن فرداني في الكون (نبات، حيوان، خليّة، ذرّة، جسيم.. شمس، كوكب..)، سوف تغيب المنظومة الكونية عن الوعي. أي ينعدم الوعي في الكون. ما يريدون قوله هو أينما يوجد مركز تكاثف للمحتوى الكوني لا بد من وجود وعي. وبما أن الكون ذو طبيعة هولوغرافية، حيث الكل يمثّل الجزء والجزء يمثّل الكل، هذا يجعل كافة أشكال الحياة "الفردانيّة" عبارة عن مراكز تكاثف للوعي بحيث تمثّل انعكاسات مختلفة لمركز تكاثف كوني واحد أحد. لكن السؤال هو، كيف نأتي بالإثبات العلمي على هذه الأفكار؟ هل يمثّل العلم المنهجي مرجعاً صالحاً يمكن الاعتماد عليه لإصدار حكم عادل ونزيه على صحّة هكذا مزاعم أو بطلانها؟



وفقاً للتعاليم السرية، كافة الشموس في الكون، إن كانت على مستوى مجرات أو أنظمة شمسية أو كواكب أو حتى ذرات، هي مراكز تكاثف للوعي الكوني المتجلي في كل مكان.

إن معظم النماذج العلمية التقليدية يشوبها الثغرات والتناقضات ومع ذلك فهذه المسألة لا تُناقش أبداً في الصحافة العلمية أو أي طريقة علنية واسعة الانتشار. وكنتيجة لهذا كلّه أصبح الفرد ينظر حوله ويصدر حكم مسبق وبكل ثقة على كل ما يراه من أشياء إذ هو على إيمان كامل بأنه تعلّم كل ما وجب تعلمه في المدرسة ويستطيع إصدار حكم صحيح على الأمور، لأنه على ثقة بأن ما تعلمه يمثل حقائق مطلقة لا يمكن ان يشوبها عيوب من أي نوع.

عندما تنظر حولك الآن وتستنتج مباشرة وبكل ثقة بأنك تدرك جيّداً ما الذي تراه فتقول لنفسك: ".. أنا أعرف هذه الأشياء، أنا أعلم كيف صُنعت.." وجب عليك معرفة أن العلم المنهجي التقليدي لا يعلم حتى ما هي حقيقة المادة! وهذا يفرض عليك إعادة النظر في المعلومات التي لقنوك إياها في المدرسة. في الحقيقة، ليس هناك أي نظرية علمية تقليدية تستطيع حلّ أو تفسير التناقضات التي برزتها فيزياء الكمّ quantum physics. قد يدّعي البعض بأنهم يعرفون الجواب، لكن ليس هناك أي نموذج علمي رسمي نجح في حلّ هذا اللغز. والشكر الجزيل للكثير من الأكاديميين الأحرار (المناهضين للمنهج العلمي الرسمي) الذين كتبوا عن هذه المسألة المستعصية محاولين إيجاد حلول مناسبة من خلال إثارتها ومناقشتها على الانترنت، فبفضلهم أصبحنا نعلم مدى العيوب التي تتخلّل النماذج العلمية التقليدية.

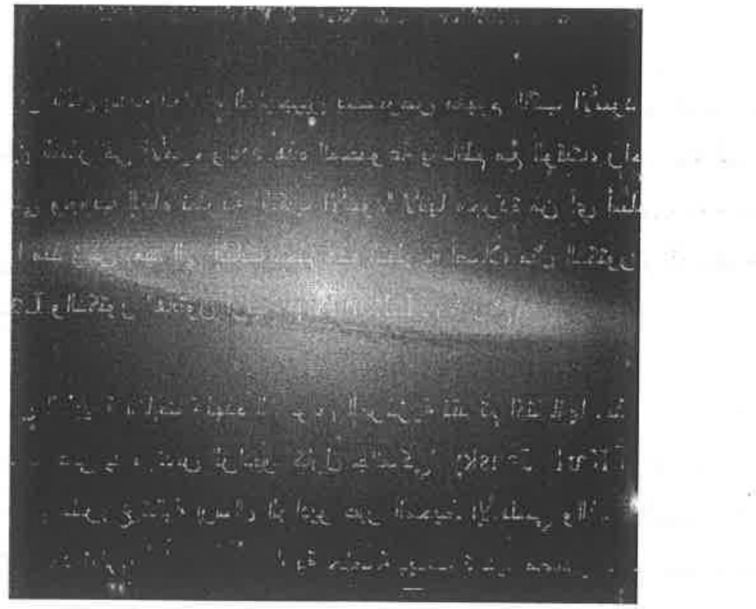
في الصفحات التالية سوف نتعرف على بعض من الاكتشافات الثورية التي تقلب نظرتنا للكون والوجود عموماً رأساً على عقب. إنها نظرية جديدة حول نشوء الكون، طريقة جديدة لفهم الكون المؤلف من المادة واللامادة وكيف تعمل في مسرح الحياة الكونية. سوف نعرف كيف اقترف العلم المنهجي سلسلة طويلة من الهفوات والأخطاء في المئة سنة الأخيرة إلى أن توصل أخيراً إلى نموذج علمي منحرف ويملأه العيوب والثغرات.

سوف نتعرف على الشرح العلمي الحقيقي لمفهوم جديد يوحّد بين الروحي والمادي وحول حقيقة أن الكون يرتكز على خطة شاملة يدخل في تكوينها مجموعة قليلة من المبادئ البسيطة. سوف نكتشف أيضاً بأنه وفقاً لمبادئ الهولوغرام والتراكب (الكل يمثّل الجزء) رغم لامحدودية التعدد في الكون إلا أننا نجد بصمة "الكل" العظيم في كل من هذه التنوعات مهما كان مستواها التجسيدي.

الشمس المركزية

السؤال الأهم الذي وجب طرحه هو هل هناك إثباتات علمية بخصوص مفهوم "الشمس المركزية" المطروح في الجزء السابق؟ هل من اكتشافات علمية تؤكّد وجود مراكز تكاثف للمحتوى الكوني موزعة في رحاب الفضاء الواسع وعلى كافة المستويات؟ هل هي ذات طبيعة نابضة، أي تمثّل مولدات ذبذبة مركزية؟ صحيح أن معظم هذه التساؤلات يمكن الإجابة عليها بالصورة، حيث الصورة أفضل من آلاف الكلمات، لكن نستطيع مناقشة الأمر بالحجة والبرهان أيضاً.

أوّل ما نبدأ به هو مناقشة ذلك الاعتقاد الخاطئ الذي سوقه العلم الأكاديمي بخصوص مراكز المجرات والتي جعلتها تمثّل "ثقوب سوداء" black holes. رغم أننا لم نرى أي صورة فوتوغرافية تثبت هذه الفرضية في أي مجرّة لكن يصرّ العلم المنهجي على وجودها لأنه تم إثباتها بالمعادلات الرياضياتية. مفهوم "الثقب الاسود" هو مجرّد فكرة افتراضية تم استنتاجها بواسطة المعادلات الرياضية بدلاً من المفاهيم الفيزيائية وذلك خلال سعي العلماء إلى فهم طبيعة الكون.



الصورة أفضل من آلاف الكلمات. كل مجرّة في الكون تسطع بنور الشمس المركزية القابعة وسطها. أين الثقب الأسود الذي تحدث عنه العلماء؟!

إن ما نراه في الأدلة العينيّة المبيّنة بوضوح في الصور الفوتوغرافية للمجرات هو مركز متكاثف من المحتوى الساطع، والذي لم يرغب علماء الفيزياء الفلكية تصديق ما يرونه بعيونهم فيزعمون بإصرار أن "الثقب الأسود" موجود في المركز لكنه ربما يقبع خلف المنطقة المضيئة!



رغم الإصرار الذي يبديه العلماء المنهجيين بخصوص مفهوم الثقب الأسود إلا أن مجموعة منهم بدؤوا يعيدون النظر في الأمر، وعدد هذه المجموعة يتعاظم مع الوقت، راحوا يعترفون بالخطأ ويؤكدون على وجوب إلغاء نظرية "الثقب الأسود" لأنها مجرّدة من أي أساس منطقي. بعض العلماء سعوا منذ زمن بعيد إلى إثبات خطأ هذه النظرية أصلاً، مثل الدكتور "بول لافواليه" Paul La Violette والدكتور "هالتون أرب" Halton Arp وغيرهم.

أما بخصوص الطبيعة النابضة لهذه الشموس المركزية فقد تم اكتشافها منذ الثلاثينات من القرن الماضي، وذلك على يد مهندس الراديو "كارل جانسكي" Karl Jansky الذي اكتشفها بالصدفة خلال عمله في مشروع تنقية إرسال الراديو عبر المحيط الأطلسي والذي كان يشوبه نسبة كبيرة من التشويش. بعد تطويره لأجهزة رادارية خاصة بهدف تحديد مصدر التشويش اكتشف بالصدفة وجود مصدر في الفضاء الخارجي ينبعث منه صوت هسهسة منتظمة كانت تظهر يومياً وبنفس الموعد. كان هذا الصوت يزداد عندما يوجه "جانسكي" جهازه الراداري نحو موقع نجمي محدد.

بعد استخدامه خريطة نجمية اكتشف بأن الموجات الصوتية المنتظمة قادمة من مركز مجرّة درب التبانة (أي مجرتنا). ما هو ذلك الشيء الذي يقبع وسط مجرّتنا ويصدر ذلك الصوت الإيقاعي المنتظم؟ بسبب المسافة الفاصلة لذلك الموقع الغامض، والذي يُقدر بحوالي ٢٣ ألف سنة ضوئية، من الصعب تحديد هويته بدقة. بالإضافة إلى المسافة هناك أشياء كثيرة تقف عقبات في الطريق خصوصاً تلك الغيمة الغبارية التي تحجب النواة المركزية للمجرة عن عيون التلسكوبات الصوتية والمرئية معاً.



المهندس "جانسكي" يشير إلى خريطة نجمية محدداً مصدر الأصوات المنتظمة

لقد ساهم هذا الاكتشاف في تطوير مجال بحث علمي جديد وصل إلى ذروته في الستينات من القرن الماضي، حيث بدأ الفلكيون يتأكدون بشكل جازم أن ذلك الشيء القابع وسط المجرّة يصبح نشطاً بشكل إيقاعي منتظم، والأمر ذاته ينطبق على باقي المجرات رغم اختلاف وتيرة وإيقاع الأصوات المتفجّرة التي تصدرها. إذاً، نواة المجرّة تمرّ عبر طورين مختلفين: طور خامل وطور نشط. خلال الطور النشط تتحوّل نواة المجرّة إلى مصدر صوت متفجّر يملأ الفضاء بالتشويش الفوضوي، تطلق وابل من الإشعاعات الكهرومغناطيسية تفوق قوتها آلاف الكواكب Supernova المتفجرة في الفضاء.

يراقب علماء الفضاء اليوم نشاط هذه النواة القابعة وسط المجرّة بشكل يومي، كما يدرسون أيضاً التفجيرات الصبابرة من نواة مجرات أخرى قريبة منا. وفقاً للدكتور "بـول لافواليـه" Paul La Violette فإن ظاهرة التفجّر الإيقاعي لنواة المجرات هي الأكثر نشاطاً بين المجريات الأخـرى الحاصلة في الكون.

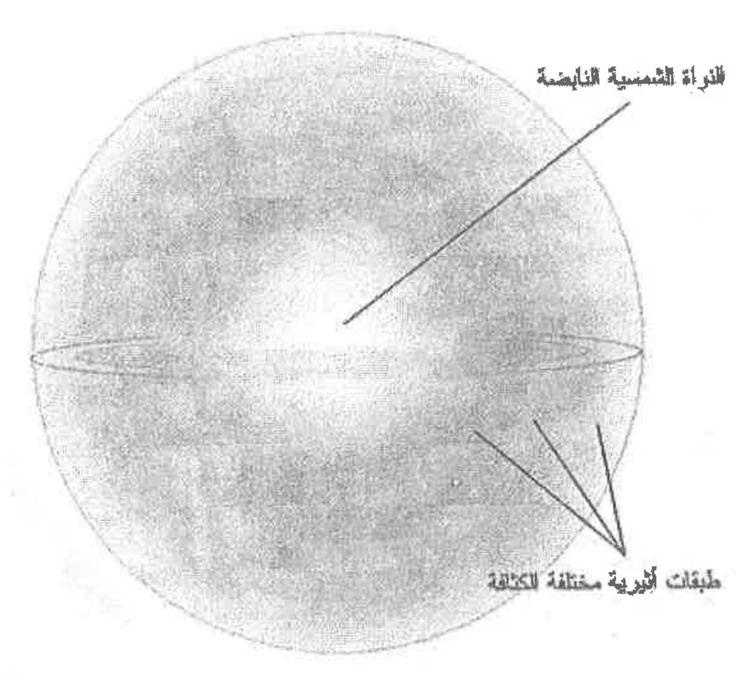
رغم كل ذلك سوف نفترض بأنه ليس لدينا الدلائل العلمية الكافية على أن نواة المجرّات في حالة نبض إيقاعي دائم بسبب عدم توفر الوسائل التي تمكنا من تأكيد هذه الحقيقة. لكن علـى الجانـب الآخر، وفيما يتعلق بمنظومتنا الشمسية، فقد توفرت للعلماء كافة المقومات التي مكنتهم من دراسة هذا المذبذب المركزي الشمسي بشكل كامل. لقد تم التوصل إلى استنتاج كامل تفاصيل آلية عمل هذه الظاهرة من قبل العالِم "أوليفر كراين" Oliver Crane لكن لم تتبلور سوى بعد إدخال أعمال العالِم "راي تومز" Ray Tomes وخصوصاً أعمال العالِم "ج.ب. ستونكينغ" J.B. Stoneking بنظريته حول "الرنين المتناغم" Resonance والتي تعتمد على ظاهرة النبض الشمسي (سـوف أتناول أعمالهما في موضوع آخر). في الحقيقة لقد تم إثبات حقيقة أن الـشمس تمثّـل مذبـذب مركزي لمنظومتنا الشمسية منذ العام ١٩٦٢م، حيث وجـد العـالِم "ر.لايتـون" R. Leighton وزملاءه بأن سطح الشمس ينبض بشكل منتظم. وفي بدايات السبعينات من القرن الماضي أكّدت مجموعات علمية عديدة في كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وبريطانيا بأن الـشمس تتذبذب وفق نبضات إيقاعية ثابتة بحيث يرتفع وينخفض سطحها حوالي ٣ كيلومتر خـلال كـل نبضة. أي خلال كل نبضة يرتفع سطح الشمس إلى مسافة ٣ كيلومتر قبل أن يـنخفض مجـدداً. النبضات الشمسية تحصل في فواصل وقتية متناغمة مع وحدة زمنية تقدر بـــ[خمـسة] دقـائق بالضبط، لا أكثر ولا أقل، وتتصاعد القيم الرقمية مع زيادة مسافة سفر الموجة حتى بلـوغ رقـم تعاظمي يقدر بـــ[١٦٠] دقيقة. كافة الشكوك حول هذه الظاهرة تلاشت تماماً بعد تجمّع فريق من العلماء الفرنسين والأمريكان والسوفييت في القطب الجنوبي لمراقبة وقياس الشمس لمدة خمـسة أيام. لقد نجحوا في ملاحظة الفاصل الوقتي للذبذبة والذي قدره [١٦٠] دقيقة كما لاحظـوا مـدى ارتفاع سطح الشمس خلال نبضها ويقدر بثلاثة كيلومترات.

إذاً، أصبح لدينا نموذج حيّ لكنه مصغّر للشمس المركزية الكونية والتي تنبض بـشكل إيقـاعي منتظم. والآن جاء دور الطبقات الكروية للطاقة الذبذبية التي تتشكّل نتيجة نبضات الشمس. هـذه الطبقات الكروية التي شبهها المصرون القدامى بطبقات حبة البصل المتكدسة فوق بعضها. فـي

الحالة الطبيعية نتصور مدارات هذه الطبقات الكروية من خلال رسم دوائر حول الشمس لكن علينا تذكر أن هذه الطبقات الكروية هي ثلاثية الأبعاد وبالتالي لا تنحسر عند المستوى المداري للشمس فقط بل تحيط بها من جميع الجهات وتتدرّج صعوداً طبقة بعد طبقة. في الحالة العادية تكون هذه الطبقات غير مرئية لكنها موجودة وتم ملاحظة وإثبات تأثيرها القوي والملموس، يكفي أن نعلم بأنها تمثل العامل الأساسي وراء تثبيت الكواكب في مواقعها المدارية بحيث تحافظ على مسافة ثابتة مع الشمس، وهذا ما سوف نتعرف عليه بالتفصيل في موضوع آخر.

أما عن كيفية تشكّل هذه الطبقات الذبذبية الكروية فالأمر سهل الاستيعاب فيزيائياً. خلال نبض الشمس التي تلعب دور المذبذب المركزي في وسط الأثير الكوني ذو الطبيعة السيولية، تنبعث منها الموجات الكروية لكنها تتحرّك بشكل لولبي خلال تباعدها عن المركز بسبب تأثير الدوامتين العلوية والسفلية (سوف نناقشها لاحقاً) ومن هنا تولد القوة الدافعة للكواكب (أو أي شيء آخر) التي تدور حول الشمس المركزية. هذه الموجات التورسونية (الدوارة) تصل إلى أقصى مدى لها ويمثّل هذا المدى الحدود الخارجية للكرة الشمسية. خلال استمرارية توالد الموجات الذبذبية من النبض الشمسي تبدأ الموجات المتلاحقة بالارتداد عند وصولها الحدود فتنعكس مباشرة إلى الخلف نحو المركز مجدداً.

بما أن النبضات الشمسية تتذبذب بوتيرة أسرع من الوقت الذي تستغرقه الموجات للسفر إلى الحدود والارتداد، نرى أن الموجات التي تسافر ذهاباً تصطدم مع الموجات المرتدة إياباً في مواقع ثابتة، وهذا الثبات في الموقع ناتج من الوتيرة الثابتة للنبض الشمسي. هذه الموجات المصطدمة ببعضها تشكّل كرات موجية لها حدود ثابتة لا تتغيّر. ينتج من هذه العملية عدة طبقات موجية ثابتة حول النواة الشمسية فتبدو بأنها طبقات حبة البصل، إذ ان النواة الشمسية تقبع في المركز ويحيطها طبقات موجية كروية متدرّجة نحو الحد الكروي الأخير. وبسبب اختلاف العوامل التي تشكّل كل طبقة موجية على حداها، نرى أن كل طبقة من هذه الطبقات لها كثافة أثيرية مختلفة عن الأخرى. والمناطق الأكثر كثافة هي تلك الأقرب إلى النواة الشمسية وتتناقص الكثافة تدريجياً كلما ابتعدنا عن المركز. (كما في الشكل التالي). تذكر أن هذه الحالة تنطبق على أي شمس مركزية مهما كان حجمها ومستواها.



كل طبقة تختلف في الكثافة عن الأخرى، والمناطق الأكثر كثافة هي تلك الأقرب إلى النواة الشمسية، هذه الحالة تنطبق على أي شمس مركزية مهما كان حجمها ومستواها.

ملاحظة: الأمر الملحوظ بهذه الصيغة لشكل الكرة الشمسية هو الحلقة أو القرص المتوسط المحيط بالنواة الشمسية، وتتشكل مدارات الكواكب ضمن حدوده. هذا الزنار أو الحلقة أو القرص المحيط أفقياً بالنواة المركزية يتشكل بفعل التقاء القوى (الدوامات) العلوية والسفلية التـي تفعّـل الآليـة النابضة للشمس. سوف أتناولها بالتفصيل في الفقرات التالية.

الأمر ذاته ينطبق على الكواكب

هناك ملاحظة مهمة بدأ يتداولها العلماء مؤخراً (في العقود القليلة الماضية) بعد تطـور أجهـزة المراقبة وتتمثل بظاهرة أن كل الكواكب تملك حلقات تحيط بوسطها وليس فقط كوكـب زحـل. يمكننا التعرف على تفاصيل هذه الظاهرة في أعمال العـالِم "ريتـشارد باسيـشنيك" Richard Pasichnyk الذي كشف في أبحاثه بأن الكواكب التي تم دراستها بوسائل إلكترونيـة متطـورة تملك إما حلقات مرئية أو غير مرئية لكنها موجودة على أي حال. غالباً ما تكون على شكل تيار دائري من الطاقة التي تنبعث من المنطقة الاستوائية من الكوكب. كوكب زحل يملك الحلقة الأكثر

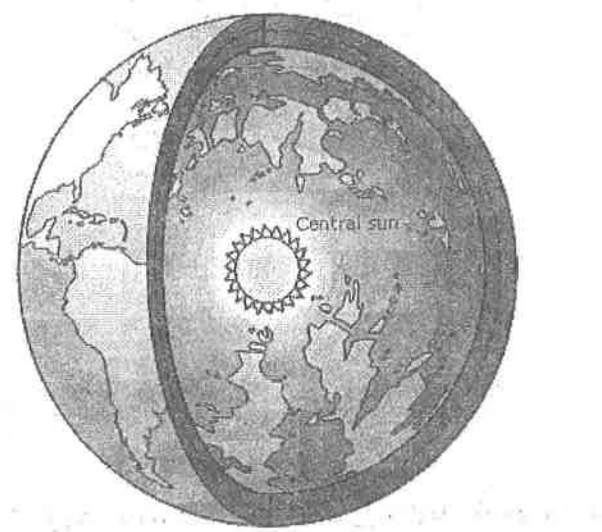
وضوحاً، لكن باقي الكواكب أيضاً لها حلقات رغم اختلاف طبيعتها ومادتها فتكون خفية عن الأنظار. لم يتوصل العلماء حتى الآن إلى أي تفسير علمي لظاهرة الحلقات. أما الإثبات الذي يمكن أن نعتمده لتأكيد هذه الظاهرة فهو أن الأقمار المدارية التابعة للكواكب تدور ضمن حدود هذه الحلقات الطاقية وبالتالي فإن هذه الأخيرة تعتبر السبب المباشر لتثبيتها في مواقعها المدارية.



كافة الكواكب الأخرى تملك حلقات مثل زحل لكنها تقبع خارج نطاق الرؤية. الصورة على اليسار مأموذة لكوكب أورانوس وتبدو حلقته واضحة.

استعرضت أبحاث العالِم "ريتشارد باسيشنيك" مبدأ الدوامتين العلوية والسفلية من خلال مراقبة سلوك الكواكب الغازية. لقد شوهدت أحزمة غازية متعاكسة الدوران في القسم العلوي والسفلي من كافة الكواكب الغازية. بالإضافة إلى الحلقات أو الأقراص التي تملكها الكواكب نجد أنها ذات طبيعة نابضة أيضاً. بعض الكواكب استعرضت طبيعتها النابضة بشكل واضح وزائد أيضاً لدرجة أن مجالاتها الجوية ترتفع وتنخفض وكأنها تتنفس، كما الحال مع كوكب الزهرة الذي يستطيع غلافها الآيوني ionosphere أن يتغير ارتفاعه من ٢٠٠ كيلومتر إلى عدة آلاف من الكيلومترات خلال ٢٤ ساعة. وليس هذا فحسب بل مستوى طبقة الغيوم أيضاً يرتفع وينخفض ضمن ارتفاع كيلومتر واحد تقريباً وذلك على مستوى كامل الكوكب وقد عُرف هذا بـ"التنفّس الثابت" لكوكب الزهرة ويحصل كل أربعة أيام.

طوّر "باسيشنيك" أيضاً مفهوم جديد يقول بأن مركز الكوكب هو ليس ذا طبيعة معدنية منـــصهرة بل شكل مضيء من البلازما، أي أن نواة الكوكب ليست صلبة بل بلازما مضيئة تشبه الـــشمس. وهذا المفهوم الأخير ليس جديداً بل يعود إلى بدايات عصر التنور حيث ظهرت نظريـــة "الأرض المجوّفة" وقد ناصرها الكثير من العلماء البارزين مثل ألرياضياتي وعالم الفلك البريطاني الشهير "أدمند هالي" (مكتشف كوكب هالي) وألرياضياتي وعالم الفيزياء السويسري البـــارز "ليونهـــارد أولر" وألرياضياتي وعالم الفيزياء الاسكتلندي "جون ليزلي"... وغيرهم، جميعهم ناصـــروا تلـــك النظرية التي تقول بأن الكرة الأرضية مفرغة من الداخل، ونحن نعيش على قشرة أرضية تبلـــغ سماكتها بين ١٠٠ و ٥٠٠ ميل فقط!

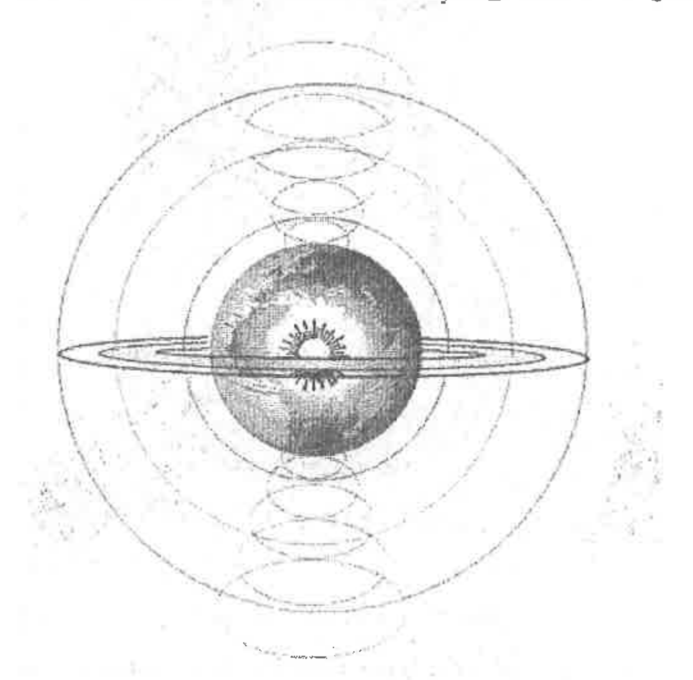


شمس داخلية في مركز الأرض

يمكنك الاطلاع على المزيد من التفاصيل حول هذه النظرية المذهلة من خلال قراءة كتاب "العالم الداخلي" للكاتب نفسه. حيث ستتعرف على الإثباتات العلمية والتاريخية على هذه الحقيقة، والأمر الأهم هو أن جميع المراجع التاريخية تتحدث عن شمس داخلية تضيء العالم الـــداخلي المـــأهول بالسكان!

يبدو أن الكرة الأرضية أيضاً تنبض بموجات ذبذبية ثابتة الوتيرة. هذا ما لاحظـــه العلمـــاء منـــذ بدايات القرن الماضي لكن مصدرها لازال مجهولاً بالنسبة للعلم المنهجي. بعد اســـتخدام أجهـــزة

استشعارية متطورة تبين أن هذه الذبذبة الإيقاعية تبقى قائمة حتى في غياب أي أثر للـــزلازل أو البراكين أو غيرها من نشاطات تحت أرضية. أطلق علماء الزلازل على هذا الصوت المـــستمر بـــ"همهمة الأرض" Earth's hum. قضى عالم الزلازل الياباني "كيوامـــو نيـــشيدا" Kiwamu Nishida من جامعة طوكيو عشر سنوات يبحث مع فريقه في هذا اللغز لكنه لم يخرج بإجابـــة شافية. جلّ ما توصل إليه هو افتراض إماكنية أن السبب يعود إلى تغييرات في الغلاف الجـــوّي مما يُحدث تقلبات إيقاعية في الضغط الجوّي مما يدفع اليابسة الأرضية إلى الرنين تناغماً مع تلك الاختلاجات الحاصلة في الجو. لو كان العالم "نيشيدا" يؤمن بحقيقـــة ان الأرض مجوفـــة ويقبـــع وسطها شمس مركزية نابضة لعرف الجواب مباشرة دون حاجة لقـــضاء عـــشر ســـنوات مـــن المجهود. الأمر ذاته ينطبق على باقي العلماء المنهجيين الذين أجهدوا عقولهم في هذه الظاهرة.



الشمس المركزية النابضة داخل الكوكب، هي السبب الوحيد الذي يجعل الحلقات المحيطة بالكواكب ممكناً، وكذلك الحال مع طبقات الكرات الطاقية التي تحيط بها. الطرد المركزي الناتج من دورانها لا يكفي لخلق هذه الأشياء.

المجرات محاطة بهالة طاقية كروية الشكل

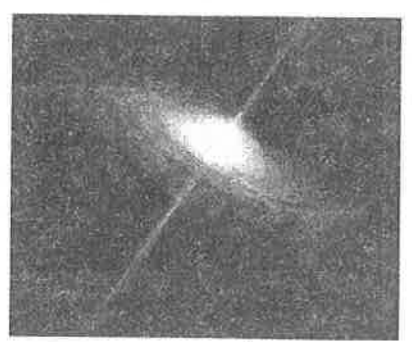
كلنا يعلم أن المجرة هي عبارة عن قرص مسطح دائري الشكل مؤلف من النجوم والكواكب (الأنظمة الشمسية) والغاز الذي يتشكّل على طول سطح مستوي دائري الشكل. لكن الأمر الذي يجهله معظم الناس هو ما بينته الاكتشافات العلمية الأخيرة وهو أن المجرّة محاطة بكرة (كما لو انها تقبع داخل فقاعة) من المادة المظلمة أو الطاقة المظلمة والمعروفة باسم "الهالة المجريّة" Galactic Halo كما هو مبيّن في الشكل التالي:



الصورة العليا تمثّل منظر علوي للمجرّة، والصورة الدنيا تمثّل منظر جانبي للمجرّة.

انبثاقات محورية تنبعث عمودياً من مركز النواة

بالإضافة إلى الهالة الطاقية المحيطة بالمجرّة وكأنها تقبع وسط فقاعة كروية الشكل وكذلك المادة المتشكلة ضمن نطاق الحلقة الدائرية المحيطة أفقياً بالنواة المركزية كما القرص، لاحظ العلماء أيضاً وجود انبثاقات محورية تنبعث من شمال وجنوب النواة المركزية للمجرّات، هذه الانبثاقات المحورية تقف بزاوية عمودية من القرص الأفقي للمجرة مما يجعلها تمثّل نقاط علام مجدية يعتمد عليها العلماء لتحديد مركز المجرّة بدقة وكذلك درجة ميلانها.



انبثاقات محورية تنبعث عمودياً من النواة المركزية لإحدى المجرات

أحد الأمثلة على طريقة تناول العلم لظاهرة الانبثاق المحوري وردت في إحدى النقاشات الجارية في موقع Science News Online الإلكتروني، وكان النقاش يدور حول أبحاث "س.د. ديرمر" C.D. Dermer و"و.ر. بورسل" W.R. Purcell وغيرهم من علماء والتي تناولت موضوع انبثاقات المحورية للمجرات، والتي يُظن بأنها مؤلفة من غازات حارة أو مضادات للمادة antimatter، ورد فيها ما يلي:

".. ليس لدينا أي فكرة واضحة عن كيفية حصول هكذا انبعاث..، يقول "بورسل". تشير خريطة الغاما (GRO) إلى ان الإنبعاثات العالية موصولة بالانبعاثات في مركز الجرة. رغم محدودية دقّة الصورة لكن تفترض الخريطة بأن الانبعاث هو جزء من حزمة مؤلف من المادة والمادة المضادة تنبثق من النواة المركزية.."

".. يوجد نوع من النشاط الحاصل في الثقب القابع في مركز مجرتنا ويتدفق منها الغازات نحو الهالة الكروية المحيطة بالمجرة..، يؤكد "ديرمر". رغم أن مصدر هذا الانبعاث لازال محط

جدال، إلا أن نواة المجرة مزدحمة بالكثير من الأمور التي تمثل جميعاً احتمالات ممكنة كإجابات على تساؤلنا.."

لازال العالِم "ديرمر" (وباقي العلماء المنهجيين) يعتمد على مفهوم الثقب الأسود خلال تفسيره للظواهر الحاصلة في مركز المجرات، ويبدو أنه اعتمد على هذا المفهوم خلال سعيه لتفسير ظاهرة الانبثاق المحوري وأعتقد بأن هذا هو السبب الذي جعله عاجزاً عن اتوصل إلى الحقيقة. لو أنهم أدخلوا عامل الدوامات العلوية والسفلية الموصوفة خلال شرح تجلّي الخلق لتوصلوا إلى جواب دون أي عقبات أو معوقات. لكن يبدو أن هناك بين العلماء من يميل إلى مفهوم الدوامات خلال تفسير ظاهرة الانبثاق المحوري، لكن هذا بعد إحداث تبديلات جذرية في المفهوم العلمي حول طبيعة الكون، إذ يتطلب الأمر إعادة إدخال عامل "الأثير" ذو الطبيعة السيولية إلى المعادلة. وهذا الأخير تم إقصاءه تماماً من الأدبيات الأكاديمية منذ بدايا القرن الماضي على يد "البطل!" ألبرت أينشتاين ومجموعة من العلماء المتآمرين.

بعد إدخال مفهوم الأثير إلى المعادلة سوف تتغير الصورة تماماً. لقد تم خلق نموذج مصغّر للمجرّة داخل المختبر وذلك باستخدام بلازما الأرغون argon plasma (الذي يشبه الأثير بطبيعته السيولية). تمت التجربة في جامعة "إيباريكي" في اليابان بإشراف الباحث "تاكاشي إكاهاتا Takashi Ikehata"، وأثبتت حقيقة أن التأثيرات الديناميكية السيولية fluid dynamics هي المسؤولة عن تشكّل بنية المجرّة وليس التأثيرات الجاذبية كما يتصورها العلم المنهجي. بعد زرق تيار ساخن من بلازما الأرغون (يدور بوتيرة أسرع من الصوت) في جسم ساكن من غاز الأرغون الباردة، لاحظ الباحثون نشوء هيئة لولبية دوارة لها أذرع تشبه تلك التي تظهرها المجرّة، ودامت هذه الهيئة اللولبية طوال فترة فتل البلازما. الدوامات التي كانت تظهر في البلازما الساخنة تحولت إلى هيئة حلزونية بسبب الطرد المركزي الناتج من قوى الدوران. الأمر المهم هو أن هذه الهيئة اللولبية لم تظهر في غياب الغاز البارد الساكن مما يشير إلى أن التفاعلات الديناميكية السيولية بين الغاز والبلازما تمثّل عامل جوهري في تشكّل الهيئة اللولبية التي تبديها المجرّة.

خلال التجربة الموصوفة سابقاً كانت البلازما الساخنة تفتل بسرعة كبيرة بينما الغاز البارد كان ساكناً. هذه خلقت حالة مشابهة تماماً لتلك التي وصفتها خلال عملية الخلق، حيث اندفع تيار

(ساخن) من الإرادة الإلهية وسط المحتوى الأثيري الكوني (البارد) فتشكلت حركة لولبية تكاثفت عند المركز. هذين العنصرين (عنصر [الإرادة الإلهية = الدفع/الجهد] وعنصر [المحتوى الأثيري = العطالة/السكون]) يشكلان أساس القوتين المتناقضتين دائماً وأبداً، واللتين نراهما تظهران في صيغ مختلفة حسب الحالة. سماهما القدماء عنصري "النار" و"الماء" (أنظر في موضوع العناصر).

لكن ماذا عن مسألة "الثقوب السوداء" طالما أن هذا النموذج الأثيري/السيولي السابق لا يعترف بوجودها؟ ظهرت مؤخراً مقالة علمية في موقع CNN الإلكتروني قدمت حلّ أثيري لمعضلة نشوء الكون. ورد فيها ما يلي:

".. بعد جدالهم الطويل حول حقيقة أن نظرية "الثقوب السوداء" يشوبها الكثير من الثغرات والعيوب، خرج العلماء بما يعتبرونه مصير أكثر واقعية للنجوم المخسفة داخلياً. بعد أخذ الفيزياء الكمومية في الحسبان، اقترح عالمان أمريكيان بأن النجوم العملاقة المحتضرة تتحوّل إلى ما سموه "غرافاستار" gravastars وهي قشور دائرية مؤلفة من مادة كثيفة جداً وهي مفرغة من الداخل.."

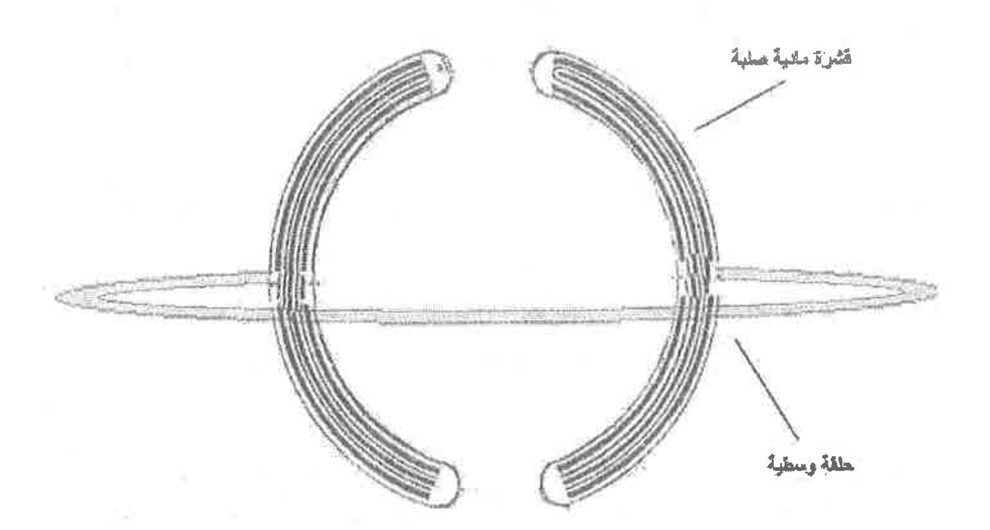
يعلق العالمان "موتولا" Mottola و"مازور" Mazur على العلماء الأوائل الذين ناصروا نظرية الثقوب السوداء قائلين بأنهم كانوا جاهلين تماماً للاختلاجات الكمومية الحاصلة في الكون والتي أثرت على كل شيء ابتداءً من الجزيئات الضوئية وصولاً إلى الجاذبية. أضاف العالمان بالقول:

".. يبدو أننا نتجاهل عادةً الوسيط الكمومي الذي نحن مغمورون به (أي الأثير) كما السمكة القابعة وسط ماء بحيرة ساكنة والتي لا تنتبه للاهتزازات الدائمة والمستمرة للجزيئات المائية.."

يجادل العالمان بأنه قبل أن يتشكّل الثقب الأسود في نجم منخسف داخلياً لا بد من أن تعمل التأثيرات الكمومية على تغيير عاملي الزمان والمكان حول العملاق النجمي المنخسف فتطلق تغييرات بنيوية جذرية كما حالة الماء الذي يتحوّل إلى جليد. هذا التغيير الجذري إلى حالة جديدة قد يؤدّي إلى تشكّل شيء مختلف تماماً، وهو ما سمياه الـ"غرافاستار" gravastar، أي غلاف كروي على شكل فقاعة دائرية مؤلف من قشرة رقيقة من الطاقة الجاذبية. وفي ورقة علمية

قدماها مؤخراً جادل العالمان بأن مفهوم الـ"غرافاستار" متوافق تماماً مـع القـوانين الفيزيائيـة التقليدية بينما مفهوم الثقوب السوداء يشوبه الكثير من العيوب المناقضة لها. رغم أنهما اسـتخدما مفهوم الأثير (المحرّم تداوله في الأوساط الأكاديمية) لكن أشارا إليه بمصطلح "الوسيط الكمومي" quantum medium ونسبا إليه خواص سيولية خلال شرح نظريتهما.

يقترح العالمان بأن الكون بكامله قد يكون عبارة عن مساحة فضائية محصورة ضمن "غرافاستار" عملاق! (البيضة الكونية التي تحدث عنها القدماء؟) ربما يتطلب الأمر عقود طويلة لإثبات صحة هذه الفرضية، لكن ما يهمنا هو شكل هذا الشيء الذي افترضه العالمان واسمه الـ"غرافاسـتار" والذي هو قريب من ذلك الذي استنتجناه سابقاً: عبارة عن كرة دائرية مجوفة من الداخل وينبعث أفقياً من وسطها حلقات دائرية (أقراص) أي كما الشكل المُبسّط التالي:



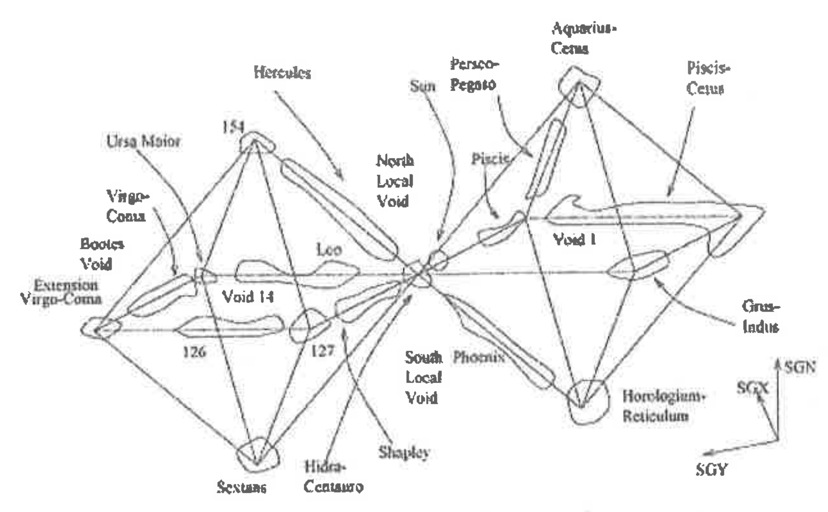
منظر جانبي للـ"غرافاستار" gravastars هو عبارة عن نجم عملاق احتضر وتحوّل إلى قشرة كروية الشكل مؤلفة من مادة كثيفة جداً وهي مفرغة من الداخل

الكون هو عبارة عن شمس مركزية يحيط بها حلقة أفقية ويخترقها محور عمودي و تقبع داخل فقاعة دائرية الشكل

نحن نعلم بأن المجرّات تجتمع ببعضها لتشكّل كتل عنقودية كبرى يشار إليها بـ"الكتل العنقودية الهائلة" superclusters وأنها غالباً ما تتخذ شكلاً كروياً، وهذا يفترض أن النمط الكروي يفعل فعله في ذلك المستوى الكبير أيضاً. وكل "كتلة عنقودية هائلة" قد تحتوي على مليارات المجرّات داخلها. كشف البحث الثوري الذي أجراه الدكتور "هالتون أرب" Halton Arp عن حقيقة أن الطريقة الحالية التي يتبعها العلم المنهجي لحساب المسافات النجمية والمعروفة بـ"الانزياح الأحمر" redshift هي طريقة خاطئة، وعندما نقوم بتصحيح الانحرافات الحسابية سوف نجد بأن معظم الكتل العنقودية الهائلة تتخذ شكلاً كروياً وأكبر تكاثف للمجرات يقبع في مركزها.

في الحالة الطبيعية، يظن الفرد بأن هذه "الكتل العنقودية" هي مبعثرة في الكون بشكل عشوائي وأنها ليست سوى نتيجة محتمة لما يُعرف بـ"الانفجار العظيم" Big Bang الذي شكّل الكون، مع أنه في الحقيقة لم ينفجر شيء على الإطلاق. دعونا نلقي نظرة على ما توصّلت إليه الأبحاث العلمية المتخصصة في مراقبة ورسم خرائط خاصة تحدّد مواقع هذه "الكتل العنقودية الهائلة". سوف نتعرّف على الاكتشاف العظيم الذي توصّل إليه كل من الدكتور "إي. باتانر" E. Battaner والدكتور "إي. فلوريدو" E. Florido، وذلك من خلال ورقة علمية تم تقديمها بعنوان "الكون الذي على شكل كرتونة بيض" The Egg-Carton Universe، ١٩٩٨م، ورد فيها ما يلي:

".. إن توزيع "الكتل العنقودية الهائلة" superclusters القريبة من موقعنا الكوني تمثّل نموذجاً منتظماً يثير العجب بالفعل، بحيث وجب أن يكون هناك شبكة خفية من نوع ما تكمن وراء هذا الهيكل العملاق المنظّم. لقد تم اقتراح الشكل بأنه يمثّل رقعة شطرنج ثلاثية الأبعاد. إن وجود هذه الشبكة المنتظمة يمثّل تحدياً كبيراً للنظريات العلمية الحديثة... وفي هذه الحالة فقد تم تمييز شكلاً هندسياً حقيقياً وواضحاً، موزّعاً على طول هذه الشبكة، فهو مطابق تماماً لمجسّم ثماني السطوح octahedron. هذه الصورة الهندسية واضحة جداً بحيث يمكن التعرّف عليها من النظرة الأولى.."



أقرب شكلين هندسيين (ثماني السطوح) لمجرّة درب التبانة

هذا يوفّر دليلاً مدهشاً على التنظيم الهندسي لهذا الكون العظيم. لقد تم إهمال هذا الاكتشاف الكبير بشكل عجيب فعلاً. فهذه الحقيقة هي قوية جداً لدرجة أنهم لا يستطيعون دحضها أو إنكارها، فاعترفت المؤسسات العلمية بها بصمت وبأقل ضجة ممكنة، وراحوا يفسرون هذه الظاهرة من خلال تحليلات سخيفة، كما فعل معهد كاليفورنيا للعلوم Caltech الذي فسّر هذه الظاهرة بأنها نتيجة لوجود خيوط مغناطيسية غير مرئية في الكون، ذلك في الدراسة التي نشرتها بعنوان "هياكل على المستوى الكبير والمجالات المغناطيسية" Large Scale Structure and Magnetic Fields.

المسوحات الليزرية التي أجراها العالِم "برودهورست" وزملاءه في العام ١٩٩٠، بالإضافة إلى أبحاث أخرى متزامنة، كشفت عن وجود جدران للمجرات المتبعثرة في الكون والتي يفصل بينها مسافات فضائية شاسعة. المقالة العلمية التالية المنشورة في موقع "فيزيك نيوز" Physics News والتي بعنوان "هل الكون ذو تركيبة بلورية؟" تشرح الظاهرة المكتشفة:

".. خلال إجراء علماء الفلك قياسات "الانزياح الأحمر" redshift بحثاً عن المزيد من "الكتل العنقودية الهائلة" superclusters زاد وضوح الشكل الهندسي ثلاثي الأبعاد للكون. يوفر المزيد من دراسة مسوحات "الانزياح الأحمر" بعض الأدلة على ان الكتل العنقودية الهائلة محاطة

بفراغات متساوية المسافة (حوالي ٣٩٠ مليون سنة ضوئية). يقترح العلماء الحاجة لوضع نظرية جديدة لتفسير هذا الهيكل المنتظم ثلاثي الأبعاد والذي يتخذ صيغة لوح الشطرنج..."

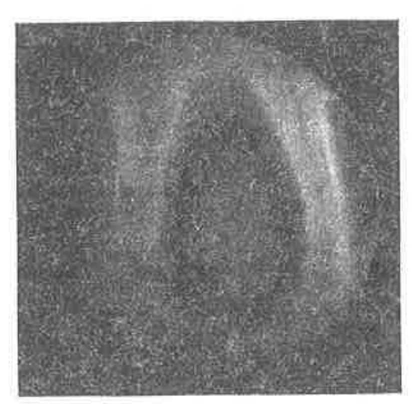
وجب أن نتذكر بأن هذا الشكل الهندسي الذي تتشكّل منه المجرات، والمشابه لكرتونة البيض، يمتدّ لأبعد مسافة يمكن أن تطولها أجهزة المراقبة دون أن يتغيّر. إنها ببساطة حقيقة علمية جديدة وجب أن تساهم في تقدّم مفهومنا العميق حول الكون وتركيبته الحقيقية. المشكلة الأساسية المتعلّقة بالتفسيرات التي تقدمها المؤسسات العلمية المهتمّة بهذا الموضوع، كالتفسير الذي قدمه معهد كاليفورنيا للعلوم Caltech هو أنه من المستحيل أن يتجسّد شكل ثماني السطوح octahedron بواسطة مجالات مغناطيسية تقليدية في المختبرات. لكن نجحوا في صنع هذا المجسّم الهندسي من خلال وسيلة تعتمد على مبدأ ديناميكية السوائل fluid dynamics. وهذا يدعم المفهوم المحرّم أكاديمياً والقائل بأن هناك وسيط أثيري شبه سائل منتشر في الكون.

في الثالث من آذار عام ٢٠٠٣م، نشر الدكتور "ديفيد وايتهاوس" David Whitehouse مقالة في موقع BBC News Online مؤكّداً فيه هذا المفهوم الجديد للكون. فقد ناقش هذا المقال عمل الدكتور "ماكس تغمارك" Max Tegmark مع "مسبار ولكنسون العامل على الموجات المايكروية لفحص التفاوت المتأثر بالجهات" Wilkinson Microwave Anisotropy Probe الذي تم إطلاقه في العام ٢٠٠١م. هذا المسبار مُصمّم لقياس التغييرات الطفيفة في درجة الحرارة الكامنة في الخلفية المايكرو موجية Microwave للكون والتي يُشار إليها بالمصطلح CMB، ويُفترض بأنه صدى "الانفجار الكبير" Big Bang أو هذا ما يعتقدونه على الأقل. في ما يلي اقتباس من المقالة التي نشرها الدكتور.

".. الدكتور تغمارك وزملاؤه قدموا نموذجاً للخلفية المايكرو موجية للكون CMB على أنه كروي الشكل، ونحن في المركز تقريباً.. وبفعل ذلك، اكتشف الفريق أمراً غير متوقعاً ولا يمكن تفسيره في تناسق الـ CMB . فمن خلال إنتاج أفضل صورة حتى الآن للـ CMB ، أزال الدكتور تغمارك جميع مصادر التشويش في الخلفية الإشعاعي، تاركاً فقط الخلفية الكونية وحدها...

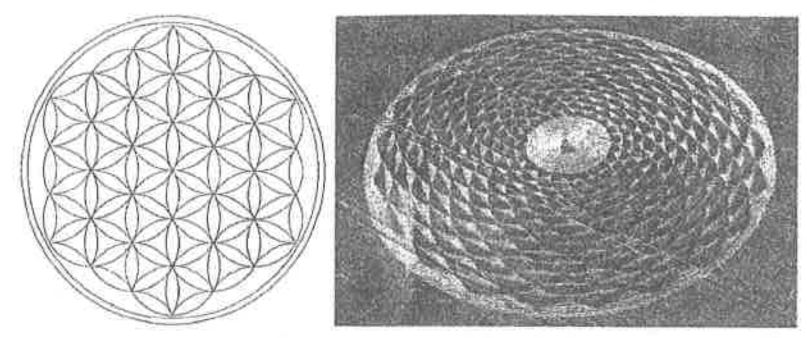
.. ثم علّق الدكتور تغمارك قائلاً: لقد وجدنا أمراً غريباً. كان هناك بنية لا يمكن تفسيرها للـ CMB.. فقد توقّعنا من الخلفية المايكرو موجية للكون أن تكون متّسقة الجهات، دون أن يكون لها أي جهة مجدّدة في الفضاء.

.. من خلال النظر لتناسق الـCMB اكتشف الباحثون نموذجاً مثيراً. فقد توقّعوا عدم وجود أي نموذج منظّم على الإطلاق، لكن ما شاهدوه كان شيئاً منظماً... قد يكون أن هذه الصورة تظهر لنا الشكل الذي يتخذه الفضاء على المستوى الكبير الشامل. نحن لم نتوقّع هذا أبداً ولا نستطيع تفسيره.. بعض النظريات التي تتناول بنية وشكل الكون قد تنبأت بهذا لكن الدلائل العينية لدعم تلك النظرية ستمثّل اكتشافاً ثورياً بكل المقاييس.."



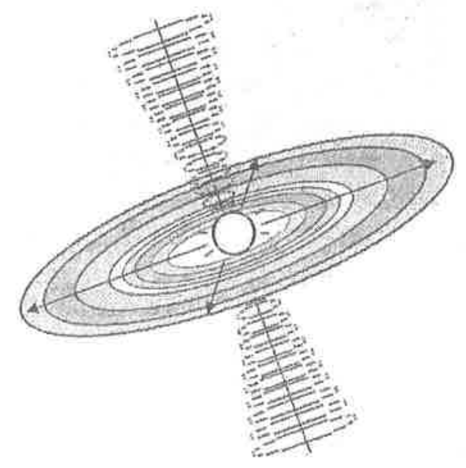
هيكل نموذجي للخلفية المايكرو موجية للكون CMB

إذاً، لقد توصلت الأبحاث الأخيرة إلى حقيقة أن الطاقة الكامنة في خلفية الموجات المكروية الكونية microwave (المعروفة بمصطلح CMB) هي كروية الشكل، وأصبحنا نعلم الآن بأن "الكتل العنقودية الهائلة" superclusters تمتد عبر مساحة مسطّحة كما الكعكة الدائرية في وسط هذه الكرة. إذا نظرنا إلى هذا المجسّم العملاق من الأعلى، فسوف نشاهد دائرة منقوشة بمجسمات ألماسية هندسية الشكل موزّعة بانتظام، وهذه الصورة هي مشابهة تماماً لما يُعرف، وكان يُعرف منذ زمن بعيد جداً، بـ"زهرة الحياة" بين المجتمعات السرّية والمدارس الروحية المختلفة.



زهرة الحياة كما وصفها الحكماء القدامى

وبعد التعرف على إحدى النظريات التي تقدم بها عالِم من وكالة ناسا NASA في خريف العام ٢٠٠١م تقول بأن هذا القرص العملاق قد يكون متشكلاً نتيجة تفاعل دوامتين متعاكستين في المركز، مدخلاً بذلك مفهوم الديناميكية السيولية إلى المعادلة، نتوصل إلى ذات الصورة التي تكونت في الشروحات السابقة المتعلقة بالمجرات والأنظمة الشمسية. أي يمكن التعبير عنها بالشكل التالي:

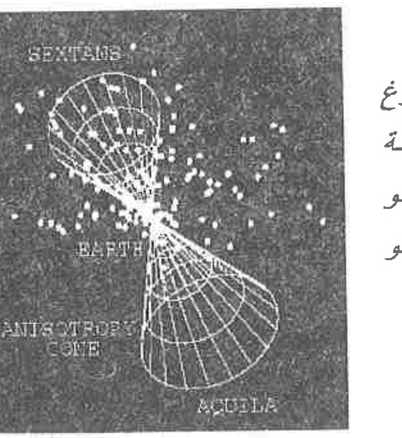


إذا أردنا رؤية الكون على أنه تشكّل عملاق لمجموعة لامنتهية من المجرات، فالسؤال التالي الذي علينا طرحه هو: هل يقبع هذا القرص وسط فقاعة كروية مع محور مركزي؟ هذا بالضبط ما أجابت عليه نظرية "الكون متباين الخواص" Anisotropic Universe theory التي أوجدها العالمين "بورغ نودلاند" Borge Nodland و"جون رالستون" John Ralston. اكتشف العالمان بأن فتل المجرات خلال سفرها في الفضاء ليس متساوياً بالسرعة في مناطق مختلفة في الفضاء.

هناك منطقة معيّنة كلما اقتربت منها المجرات تزداد سرعتها مما يشير إلى انها تقترب من منطقة مركزية للكون أجمع. وردت مقالة في موقع "فيزيك نيـوز" Physics News للعـالمين "ب.ف. شيوي" P.F. Schewe و"ب.ستاين" B. Stein يقولان فيها:

".. الباحثان "بورغ نودلاند" (من جامعة روتشستر) و"جون رالستون" (من جامعة كانساس) درسا قطبية دوران أكثر من ١٧٠ مجرّة واكتشفا بأنه بالإضافة إلى تاثير فاراداي يبدو وجـود عامـل غامض آخر في العملية. سرعة دوران المجرات تختلف بشكل ملحوظ خلال اقترابها من منطقـة محورية، أي كما لو أن للكن محور مركزي... هناك تفسير ممكن وهو وجود جـدران حدوديـة بين عوالم مختلفة في الكون كما ورد وصفها في نظريـات فيزيائيـة معيّنـة تتنـاول سـلوك الجزيئات.."

هذه المقالة السابقة لا تتوقف عند دعم فكرة وجود محور للكون فحسب بل تتجاوزه إلى التـسليم بوجود جدران عازلة كما ذكرناها في فقرات سابقة. إذاً، نجح العالمين "بورغ نودلانـد" و"جـون رالستون" في استعراض حقيقة أن القرص المسطّح للكون بكامله لا بد من أن يكون محاط بمجال طاقة يتخذ شكل كروي، أي أصبح لدينا كرة كونية ومحور شمالي جنوبي في مركزها. طبعاً لـم يرى العالمان الأمر من هذه الزاوية لكن وصفهما لمحور الكون على انه هيكل يتخذ مخـروطين متقابلين (الشكل التالي) كافي لأن يثبت فكرتنا لأن هذا بالضبط ما تظهره المنطقة المحورية لأي جرم كروي في الكون (أي مخروطين متقابلين) لأنها تتشكّل نتيجة دوامتين متقابلتين في المحور المركزي للجرم الكروي.



الصيغة الهندسية التـي وصـفها العالمـان "بـورغ نودلاند" و"جون رالستون" خلال شـرحهما للمنطقـة المحورية في الكون. احد أقطاب المحور متجه نحـو ثرية "سكستانز" Sextans والقطب الآخر موجّه نحو ثرية "أكويلا" Aquila.

البنية التراكبية للكون

إذاً، مع قيام الشمس المركزية للكون بتحرير المزيد والمزيد من ضغطها المادي/الطاقي على طول قرصها المسطّح (المحيط بوسطها) تنشأ أعداد لانهائية من النجوم الجديدة عبر المسارات اللولبية للقرص الدوار فتدخل في تكوين الأذرع العملاقة للمجرّة الكونية الهائلة.

ــ كل من هذه النجوم الحديثة الولادة سوف تكرّر ذات النمط، أي تشكّل المجرات من مذبذباتها المركزية الخاصة.
ــ داخل كل من هذه المجرات يتشكّل المليارات من النجوم بنفس الطريقة ووفق النمط ذاته.
ــ كل من هذه النجوم تعمل وفق نفس الصيغة، أي تلفظ تدريجياً كواكب جديدة على طول مستوى أقراصها الأفقية المحيطة بها.
ــ الكواكب المولودة حديثاً تتبع في النهاية نفس الصيغة أيضاً، إذ تلفظ اقماراً ومواد أخرى مشكّلة حلقات تحيط بمناطقها الاستوائية.
ــ في الوقت ذاته، نزولاً عبر المستويات الأصغر ثم الأصغر من التقسيم الهرمي للطاقة، نجد ان العالم الكمومي يتصرّف وفق نفس المبادئ.
ــ فنجد بالتالي كل ذرّة تمثّل هولوغرام مصغّر للكرة الكونية، مبيناً لنا كيف أن الكون مبني على مبدأ تراكبي بحيث أن الكل يمثّل الجزء والعكس بالعكس.

> *"..كل ذرة، كل جسيم، يدخل في تكوينه ما يدخل في تكوين كامل شكل الكون وبنيته.."*
> **أدغار كايسي**

أحد التبعات الواضحة لهذا التوجّه الفكري هو حقيقة أن الكواكب قد ولدت من الشمس بدلاً من أن تكون قد تكاثفت من سديم الغاز والغبار. قد يجادل المتشككون بأن هذا النموذج لتشكيل الكواكب يناقض الكثير من الثوابت العلمية. لكن مع ذلك، هذا النموذج لخلق الكواكب والمتمحور حول الشمس يمثّل الجواب الشافي للكثير من المعضلات التي سببها النموذج التقليدي الحالي، مثل ضرورة وجود انفجارين لكوكبين عملاقين supernova قريبين من المكان لكي يصبح عملي وقابل للتطبيق، لكن في الحقيقة ليس هناك أي دليل يشير إلى حصول هكذا انفجارات أصلاً. أما النموذج الجديد الذي يجعل الكواكب منبثقة من الشمس فقد أخذ به الكثير من المفكرين اللامعين

عبر القرنين الماضيين مثل الفيلسوف "إمانويل كانت" Immanuel Kant والتي طورها الرياضياتي الفرنسي "بيير سيمون دي لابلاس" Simon de Laplace، هذا ولم نتكلم عن نظرية نشوء الكون التي وضعها الفيلسوف التجاوزي الدكتور "والتر روسل" Walter Russell وما ورد في نصوص الفيدا الهندية والكثير من العلماء الروس وغيرهم.

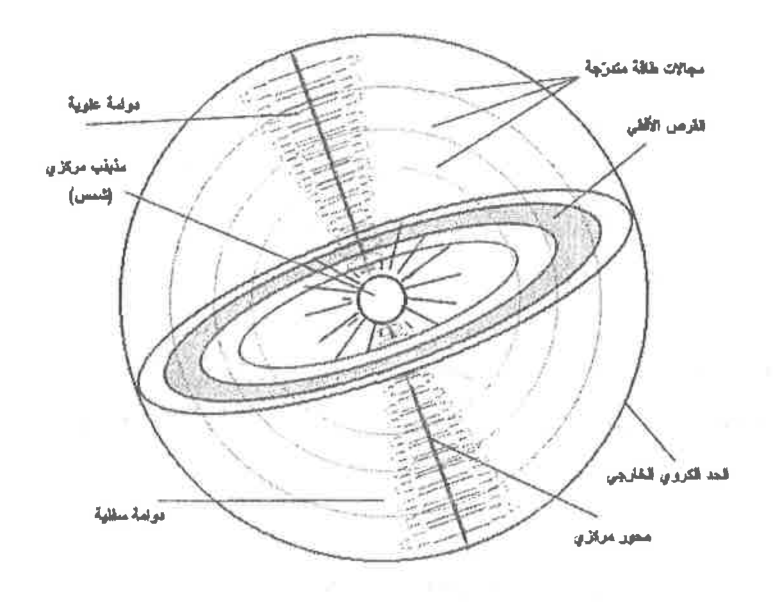
لقد استبعد العلم المنهجي هذا المفهوم حول تشكّل الكواكب عندما أثبت "جيمز كليرك ماكسويل" James Clerk Maxwell بعدها أن قوة الجاذبية كانت أضعف بكثير من أن يُكبتل حلقات مقذوفة من الشمس ليحولها إلى كواكب. لكن علينا تذكر أننا نتعامل هنا مع قوى تتجاوز قوة الجاذبية وأن الهندسة الداخلة في العملية قادرة على أن تثبّت تدفقات الطاقة في مناطق محددة حول الخط الاستوائي للنجم. هناك الكثير من الدراسات اللامعة التي تقدم حجج قوية تثبت حقيقة أن النماذج العلمية الحالية حول تشكّل الكواكب غير صحيحة إطلاقاً وأنه من المنطقي أن تكون الكواكب قد انبثقت من الشمس. أحد الأمثلة على تلك الحجج القوية هي أن الكواكب الغازية لا تملك الوقت الكافي لأن تجمّع مجالها الجوي بالطريقة التي توصفها النماذج التقليدية لخلق الكواكب.

الكون هو كائن حي يكرّر نفسه ذاتيا

لم يعد الأمر صعباً بالنسبة لنا الآن رؤية الكون بكامله على أنه كائن حيّ قائم بذاته، وأنه يخلق ذريته على شاكلته. رغم أن هذا النموذج الجديد معقّد بعض الشيء لكن سلوك مجالات الطاقة اللولبية للكون تبيّن لنا كافة الخصائص التي تشير إلى كائن يكرّر نفسه ذاتياً.

لكن السؤال هو: أين يمكننا رؤية هذه الآلية من التكرار الذاتي؟ إذا كان هذا النموذج صحيحاً فلا بد من أن يكون هناك أدلة قوية لإثباتها. لكن في جميع الأحوال، أينما دققت النظر، في أي مستوى من المستويات، سوف تجد العناصر ذاتها: الحد الخارجي كروي الشكل، دوامتين متعاكستين من الطاقة، المحور المركزي للكرة، المذبذب المركزي (الشمس)، المجالات الطاقية الكروية المتدرّجة صعوداً من المذبذب المركزي، القرص الأفقي المحيط بالمنطقة الاستوائية للمذبذب المركزي على شكل حلقات والذي تتراكم ضمنه المواد الصلبة. نستطيع الحديث عن هذه العناصر طويلاً ونشرح آلية تشكلها على كافة المستويات، خصوصاً المستوى الذرّي لكن أعتقد

بأن هذا يعتمد على مجهودك الخاص في البحث والتقصّي. لا أريد أن أحوّل هـذا الكتـاب إلـى مخطوط علمي مملّ، رغم أنني سوف ألمّح إلى بعض هذه المواضيع خلال الفصول التالية علـى أي حال.



العناصر الأربعة

معظم الفلسفات والمعتقدات القديمة تنظر إلى كل شيء في الوجود بأنه مؤلف من عناصر أربعة يُعتقد بأنها تمثّل المكونات أو المبادئ أو القوى الأساسية لكل شيء. وقد اعتُبرت هذه العناصر الأربعة بأنها تمثّل أطوار تشكّل المادة. يعيد المؤرخون أصل النظريات العصرية حول العناصر الكيماوية وكذلك المكونات والأخلاط الكيماوية للمواد الطبيعية إلى النظريات الإسلامية والإغريقية بخصوص العناصر الأربعة.



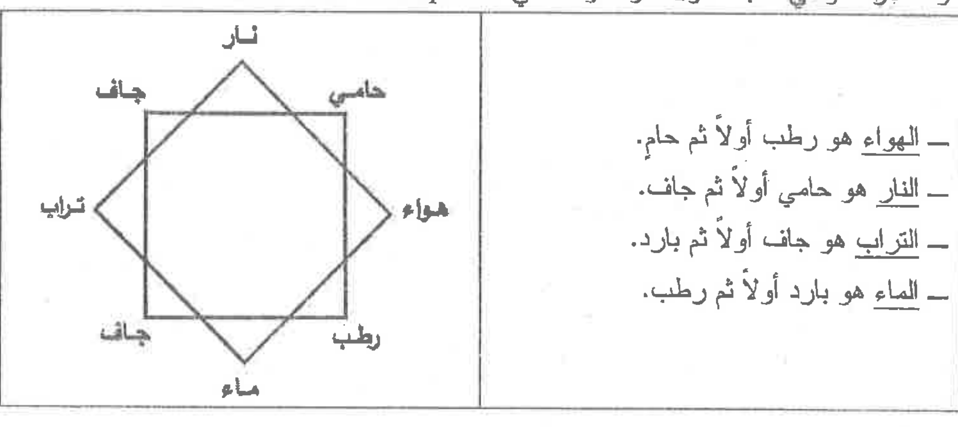
وفق التفكير القديم، يرد ذكر العناصر الأربعة [النار، الهواء، الماء، التراب] مع عنصر خامس يسميه الإغريق "الأيثر" ومعروف في الهند باسم "أكاشا". شكّل مفهوم العناصر الخمسة أساس التحليل المنطقي في كل من الهندوسية والبوذية. في الهندوسية مثلاً، وخصوصاً ضمن سياق الأدبيات الباطنية، تستخدم العناصر الأربعة لوصف المادة بينما العنصر الخامس يصف ما يقبع ماوراء العالم المادي. يمكن إيجاد منظومات مشابهة في كل من الصين واليابان. أما البوذية، فلا تعتبر العناصر الأربعة الكبرى مكونات للمادة بل أصناف مختلفة للتجربة الحسيّة.

تدلّ اللقى والمنحوتات الأثرية على أن مفهوم العناصر الأربعة كان معروفاً منذ زمن قديم جداً، ورد ذكرها في الأساطير العائدة إلى أقدم الحضارات، إذ وصفت النصوص البابلية مثلاً وجود خمس عناصر: البحر، الأرض، النار، الريح، والسماء. وفي إحدى النصوص العائدة إلى أصول مصرية قديمة، والمنسوبة إلى هرمز الهرامزة (أو الإله تهوتي لدى المصريين) وردت العناصر الأربعة بطريقة مجازية، إذ ورد فيه ما يلي: *".. وأجابت ايزيس قائلة.. بين الكائنات الحيّة، يا*

بنيّ، بعضها صديقاً للنار، والبعض للماء، والبعض للهواء، والبعض للتراب، والبعض مع اثنين أو ثلاثة من هؤلاء، والبعض معها جميعاً..".

مفهوم العناصر معروف في الأدبيات الإغريقية منذ الفترة السابقة لسقراط واستمرّ في أوروبا عبر العصور الوسطى حتى عصر التنوير، وكان تأثيره عميقاً على الفكر الأوروبي والثقافة الغربية عموماً. ذكر أفلاطون بأن مفهوم العناصر يعود إلى زمن سابق لسقراط، إذ وردت في قائمة تعود إلى الفيلسوف الصقلّي "إمبيدوكليز" Empedocles (٤٥٠ ق.م). أشار إليها "إمبيدوكليز" بـ"الجذور" الأربعة، لكن أفلاطون هو أوّل من استخدم مصطلح "العناصر" وكان يقصد بذلك مقاطع في اصطفاف تسلسلي معيّن، كما الأحرف الأبجدية لكن أكثر جزئية منها، أي كما الألفاظ التي تكوّن الحرف الأبجدي الواحد (كما نلفظ الحرف "س" على الشكل التالي "سين"). بهذه الطريقة وضّح مدى جوهرية هذه العناصر في تكوين المادة.

وفقاً لأرسطو في كتابه "حول التوالد والتلاشي" *On Generation and Corruption*:



كما هو مبيّن في الشكل السابق، تم توزيع العناصر والخواص على مربعين متداخلين بحيث يحتل كل منها أحد زواياهما. وكل خاصية تكون معاكسة للخاصية التي تحتل الزاوية المقابلة: الحامي مقابل البارد، والجاف مقابل الرطب. أما العناصر، فيحتل عنصر النار الزاوية المقابلة لعنصر الماء، وعنصر التراب مقابل عنصر الهواء (الشكل السابق).

أضاف أرسطو عنصر "الأيثر" كعنصر خامس، معللاً ذلك بحقيقة أن النار والهواء والماء والتراب هي عناصر أرضية قابلة للزوال. وقد نظّر بأنه طالما لم يُلاحظ أي تغييرات في المناطق السماوية فهذا يعني أن النجوم لا يمكن أن تتكوّن من العناصر الأربعة بل لا بد من أن تتكون من محتوى سماوي مختلف وهو ثابت لا يتغيّر.

وفقاً للطبيب الإغريقي "جالينيوس" Galen، هذه العناصر الأربعة قد استُخدمت من قبل الطبيب "بوقراط" Hippocrates (والد الطب) خلال وصفه جسم الإنسان، وذلك مُضافاً إلى استخدام الأخلاط الأربعة: [١] المرّة الصفراء yellow bile (نار)، [٢] المرّة السوداء black bile (تراب)، [٣] الدم blood (هواء)، و[٤] البلغم phlegm (ماء). (هناك المزيد عن الطب اليوناني لاحقاً).

العناصر في التعاليم الهندوسية

العناصر الخمسة الرئيسية الهندوسية، أو الـ"بانشا ماهابهوتا" هي التالية: [١] "كشيتي" *kshiti* أو "بهومي" *bhūmi* (التراب)، [٢] "آب" *ap* أو "جالا" *jala* (الماء)، [٣] "تيجاس" *tejas* أو "أغني" *agni* (النار)، [٤] "ماروت" *marut* أو "بافان" *pavan* (الهواء)، [٥] "فيوم" *vyom* أو "شونيا" *shunya* أو "أكاشا" akasha (الفراغ أو الأثير).

يعتقد الهندوس بأن كامل الخلق، بما فيه جسم الإنسان، يتكوّن من هذه العناصر الأساسية الخمسة، وعند موت الإنسان يتحلّل جسمه إلى هذه العناصر الخمسة الطبيعية فيعيد التوازن إلى دورة الطبيعة. يعتقد الهندوس بأن الخالق [جلّ وعلا] استخدم عنصر "أكاشا" (الأثير) وهو العنصر الأكثر رهفة لخلق العناصر الأربعة الأخرى. كلما يُخلق عنصر يقوم هذا الأخير بخلق العنصر التالي، وكل عنصر يكون أكثر كثافة من سابقه. كما ربطوا بين العناصر الخمسة بالحواس الخمسة، حيث مثّلت هذه الأخيرة وسائط مادية للإجراءات الحسية المختلفة. استخدم الهندوس الجدلية الفلسفية التالية: العنصر الأكثر كثافة هو التراب الذي خُلق بعد تمازج العناصر الثلاثة السابقة، يمكن إدراكه بواسطة كل الحواس الخمسة (السمع، اللمس، البصر، الذوق، الشم). العنصر الذي يعلو التراب مباشرة هو الماء، ليس له رائحة لكن يمكن سماعه ولمسه ورؤيته وذوقه. يليه عنصر النار الذي يمكن سماعه ولمسه ورؤيته. يليه عنصر الهواء الذي يمكن لمسه

وسماعه. يليه أخيراً أكاشا (الأثير) الذي هو الوسيط الطبيعي للصوت، لكن لا يمكن إدراكه من قبل أي من الحواس الأخرى.

العناصر في التعاليم البوذية

التعاليم البوذية حول العناصر الأربعة تشبه إلى حد بعيد التعاليم الإغريقية لكنها تسبق هذه الأخيرة بزمن طويل. في أدبيات الـ"بالي" Pali (اللغة المقدسة البوذية وهي مشتقة من اللغة السنسكريتية)، "العناصر الكبرى" mahabhuta أو "العناصر الأربعة" catudhatu هي التالية: التراب، النار، الماء، الهواء. في البدايات الأولى للبوذية، اعتُبرت العناصر الأربعة الأساس الذي يمكن من خلاله فهم مسألة "الألم" وكذلك مسألة "الخلاص من الألم". تشرح النصوص البوذية الأولى كيف أن العناصر المادية الرئيسية الأربعة تمثّل الخصائص الحسيّة التالية: الصلابة، السيولة، درجة الحرارة، الناقلية (الحركة). يُنسب إليها العناصر كما يلي وفقاً للتسلسل: التراب، الماء، النار، الهواء. وهذا الإنساب يُعتبر عملاً تجريدياً، إذ بدلاً من التركيز على الوجود المادي للشيء الماثل أمامه، يمكن أن يدركه الفرد عبر استشعاره بهذه الطريقة التجريدية في ذهنه (تحسّس درجة صلابته وسيولته وحرارته وناقليته).

وجب فهم تعاليم بوذا بخصوص العناصر الأربعة على أنها أساس عملية مراقبة المشاعر الفعلية بدلاً من كونها فلسفة نظرية. الخواص الأربعة هي: [١] التماسك (ماء)، [٢] الصلابة أو الثقل (تراب)، [٣] التوسّع أو الاهتزاز (الهواء)، و[٤] الحرارة أو الطاقة (نار). أعلن عن تصنيف للعقل والمادة بحيث جعلهما مؤلفان من ثمانية أنواع أو "كالبا" kalapas والعناصر الأربعة هي أنواع رئيسية بينما الأنواع الثانوية المُشتقّة منها هي: اللون، والشم، والذوق، والتغذية.

العناصر في فلسفة التبت

في تعاليم الـ"بون" Bön وهي فلسفة تبتية قديمة، تُعتبر العناصر الخمسة (التراب،الماء، النار، الهواء، والفضاء) المواد الأساسية لكافة الظواهر أو التكتلات الوجودية. تشكّل الإجراءات والوظائف المختلفة لهذه العناصر أساس كافة العلوم والمعارف التبتية، مثل تقويم الروزنامة وعلم الفلك وعلم الطب، وعلم النفس، كما تشكّل أساس التقاليد الروحية لكل من الشامانية والتانترا والـ"دزوغشن" Dzogchen.

وفقاً لتعاليم التبت، الخواص الفيزيائية المنسوبة للعناصر الرئيسية هي التالية: التراب يمثّل الصلابة، الماء تمثّل التلاحم، النار يمثّل الحرارة، الهواء يمثل الحركة، والفضاء يمثّل البعد المكاني الذي يشمل العناصر الأربعة الباقية. بالإضافة إلى ذلك، يوجد لهذه العناصر الرئيسية ارتباطات مع أنواع العواطف والأمزجة والاتجاهات والألوان والأذواق وأنواع الأجسام والأمراض وطرق التفكير والشخصيات. من العناصر الخمسة جاء مفهوم الحواس الخمسة والمجالات الخمسة للتجرة الحسية، والعواطف السلبية الخمسة، والحِكم (جمع حكمة) الخمسة، والأمتدادات الخمسة للجسم. هي تمثّل أيضاً الـ"برانا" الخمسة للطاقات الحيوية. كما تمثّل مكونات كل ظاهرة فيزيائية وحسيّة وعقلية وروحية.

العناصر في الفلسفة اليابانية

تستخدم التقاليد اليابانية مجموعة عناصر تُسمى "غوداي" وتعني حرفياً "الخمسة الكبرى". هذه الخمسة الكبرى هي: التراب، الماء، النار، الريح (الهواء)، والفراغ. جاءت هذه التعاليم من معتقدات بوذية مخلوطة مع تعاليم العناصر الصينية التي لها أثر كبير في الثقافة اليابانية خصوصاً مذهب الكونفوشيوسية المستحدثة التي وجدت في فترة "إيدو" Edo. وفقاً للفلسفة اليابانية تعتبر العناصر كما يلي: [١] التراب يمثّل الأشياء الصلبة. [٢] الماء تمثّل الأشياء السائلة. [٣] النار تمثّل الأشياء المدمّرة. [٤] الهواء يمثّل الأشياء المتحرّكة. [٥] الفراغ (الروح) يمثّل الأشياء المتجاوزة لحياتنا اليومية.

العناصر وعلم الخيمياء في العصور الوسطى

يُعتبر البحث في منظومة العناصر الأربعة التي سادت في أوروبا في العصور الوسطى مهماً لأنه يشكّل أساس المفهوم العصري للعناصر الكيماوية. تم تطوير هذه المنظومة التي شاع استخدامها في القرون الوسطى على يد مجموعة من العلماء العرب أشهرهم جابر بن حيان، والكندي، ومحمد إبن زكريا الرازي وغيرهم من الذين ساهموا بمجموعة مهمة من الاكتشافات الكيميائية مثل حمض الهيدروكلوريك وحمض الكبريت وحمض النتريك وغيرها. الذي لا يعرفه معظم الناس هو أن هذه الاكتشافات الكيميائية المهمة حصلت خلال سعي هؤلاء الخيميائيين للتوصل إلى محلول خيميائي يمكنه إذابة أنبل المعادن، وهو الذهب. هذا الإنجاز الذي طالما مثّل الحلم الأكبر

للخيميائيين عبر الأجيال وذلك خلال اجتهاداتهم نحو الهدف الأسمى، وهو التوصل إلى وسيلة مجدية لتحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب.

بالإضافة إلى ذلك، قدم الفلاسفة المسلمين مساهمات عظيمة إلى مجال الخيمياء الهرمزي. أشهرهم وأكثرهم تأثيراً هو جابر بن حيان الذي كان هدفه الأسمى هو "التكوين"، أي خلق شكل من أشكال الحياة الاصطناعية في المختبر الخيميائي. قام بتحليل كل من العناصر الأربعة حسب ورودها في كتابات الفيلسوف أرسطو، أي وفقاً لخصائصها الأساسية المتمثلة بـــ: الحماوة، البرودة، الجفاف، الرطوبة. وفقاً لابن حيان، داخل كل نوع من المعادن يوجد خاصيتين من هذه الخواص تكمن داخل المعدن وخاصيتين أخريين تكمن خارجه. مثلاً، معدن الرصاص هو بارد وجاف خارجياً بينما الذهب حامي ورطب. استنتج ابن حيان بأنه من خلال تحويل الخصائص الخارجية والداخلية لمعدن معيّن سوف يحصل على معدن آخر مختلف تماماً. هذه الطريقة في التفكير وعلاج المعادن انتشرت بشكل واسع في أوروبا واعتمد عليها الخيميائيون الغربيون خلال سعيهم الحثيث إلى التوصل لما يُعرف بـــ"حجر الفيلسوف" الذي يُزعم بأنه يطيل العمر ويشفي من كل الأمراض.

منظومة العناصر التي انتشر استخدامها في أوروبا العصور الوسطى هي ثمرة أعمال جابر بن حيان. تتعامل هذه المنظومة مع ثمانية عناصر، الخمسة الأولى تمثّل العناصر التقليدية (نار، هواء، ماء، تراب، أثير) والثلاثة الأخيرة تمثّل العناصر الكيماوية المعدنية (الكبريت، الزئبق، والملح). تحدثت عن هذه المكونات الأخيرة وخواصها في الجزء السابق، حيث: [١] الكبريت هو العنصر المحترق أو الملتهب، [٢] الزئبق هو العنصر المتحوّل أو المستقر، و[٣] الملح هو العنصر المادي الذي يمثّل خاصية التكتّل أو الصلابة. يقول الخيميائيون بأن هذه المكونات الجوهرية الثلاثة تتجسّد في الطبيعة عبر العناصر الأربعة التي تمثّل الخصائص الرئيسية الأربعة للمادة. هذه العناصر الأربعة تخضع لمفاعيل المكونات الثلاثة الجوهرية وفق أنماط ونماذج مختلفة فينتج منها كل هذا التنوّع الهائل في الطبيعة. هذا المفهوم يشكّل الأساس الذي اعتمد عليه العلماء في إيجاد رموز العناصر الأربعة والتي تتخذ شكل مثلثات. فيما يلي شرح مختصر للرموز التي تمثّل العناصر الأربعة:

١ـ عنصر النار مُمثّل برمز المثلث الموجّه للأعلى. هذا الرمز يكشف عن حقيقتين بخصوص عنصر النار: [١] الزوايا الثلاثة للمثلّث تشير إلى أن هذا العنصر مؤلف من المكونات الجوهرية الثلاثة. [٢] رأسه الموجّه إلى الأعلى يدل على أنه عنصر متطاير وليس مستقرّ.

٢ـ عنصر الماء مُمثّل برمز المثلث الموجّه إلى أسفل. هذا الرمز يكشف عن حقيقتين بخصوص عنصر الماء: [١] الزوايا الثلاثة للمثلّث تشير إلى أن هذا العنصر مؤلف من المكونات الجوهرية الثلاثة. [٢] رأسه الموجّه إلى الأسفل يدل على أنه عنصر مستقر وليس متطاير.

٣ـ عنصر الهواء مُمثّل برمز المثلث الموجّه للأعلى ويقطعه في الوسط خط أفقي. هذا الرمز يكشف عن أربع حقائق بخصوص عنصر الهواء: [١] الزوايا الثلاثة للمثلّث تشير إلى أن هذا العنصر مؤلف من المكونات الجوهرية الثلاثة. [٢] رأس المثلث الموجّه للأعلى يشير إلى طبيعته شبه متطايرة. [٣] أقول شبه متطاير لأن الخط الأفقي الذي يقطعه يدلّ على أنه يحمل الخاصيتين معاً، التطاير والاستقرار. [٤] لكن تموضع الخط الأفقي في الثلث الأعلى من المثلث يدلّ على أن نسبة التطاير أكثر من نسبة الاستقرار.

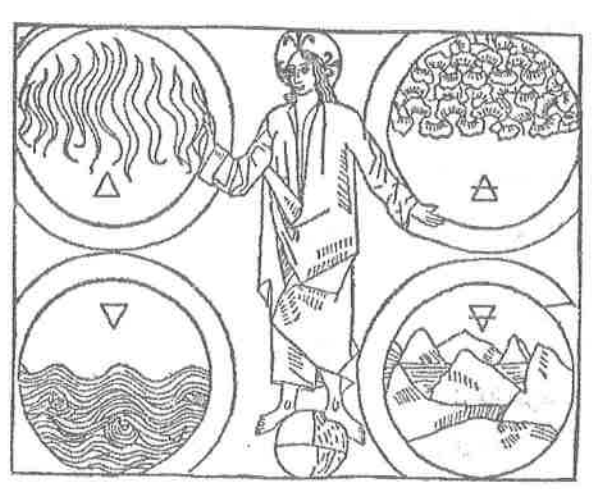
٤ـ عنصر التراب مُمثّل برمز المثلث الموجّه للأسفل ويقطعه في الوسط خط أفقي. هذا الرمز يكشف عن أربع حقائق بخصوص عنصر التراب: [١] الزوايا الثلاثة للمثلّث تشير إلى أن هذا العنصر مؤلف من المكونات الجوهرية الثلاثة. [٢] رأس المثلث الموجّه للأسفل يشير إلى طبيعته المستقرة. [٣] الخط الأفقي الذي يقطعه يدلّ على أنه يحمل الخاصيتين معاً، التطاير والاستقرار. [٤] تموضع الخط الأفقي في الثلث الأدنى من المثلث يدلّ على أن نسبة التطاير أقل من نسبة الاستقرار.



معظم الأفكار التي استندت عليها النظرية الذرية العصرية المتعلقة بموضوع الجسيمات، حيث كل الأجسام تحوز على طبقة داخلية وخارجية من الجسيمات الدقيقة، جاءت من أعمال جابر بن حيان. في الفترة الممتدة بين القرن التاسع والقرن الرابع عشر ميلادي، واجهت النظريات الخيميائية حملة واسعة من الانتقادات من قبل مجموعة من الكيميائيين المسلمين البارزين مثل

جعفر الصادق، الكندي، أبو الريحان البيروني، ابن سينا، ابن خلدون، وغيرهم.. جميعهم هاجموا هذا المجال في كتاباتهم، خصوصاً موضوع تحويل المعادن، وهو المجال الذي اشتهر فيه جابر بن حيان.

منظومة العناصر التي انتشرت بين خيميائيي أوروبا في العصور الوسطى شكلت أساس النظريات العلمية العصرية حول العناصر الكيماوية. مع مجيء "أنتون لافوازيه" Antoine Lavoisier والد الكيمياء الحديثة، لم يعد مصطلح "عناصر" يمثّل العناصر التقليدية التي تعامل بها الخيميائيون القدامى، لكنها مع ذلك أصبحت تمثّل الحالات الأربعة للمادة، أي: صلابة، سيولة، غاز، وبلازما. لكن بنفس الوقت هناك من وجد طريقة اتفاقية للتعبير عن العناصر الأربعة الأساسية التي تتألف منها المادة، لكنهم لم يستخدموا الأسماء المألوفة (نار، هواء، ماء، تراب) بل مصطلحات علمية عصرية (الكربون، الهيدروجين، الأكسيجين، والنيتروجين). هذه العناصر الكيماوية الأخيرة تشكّل المكونات الرئيسية للجبلة الأولى للحياة: البروتوبلازما protoplasm. بدلاً من استخدامهم للمصطلحات التقليدية التي استخدمها الفلاسفة القدامى، ما كان على العلماء العصريين سوى استخدام مصطلحات مختلفة خلال حديثهم عن الشيء ذاته. وفقاً لوصف هذه المكونات العصرية نستنتج بأن الهيدروجين يمثّل عنصر الماء، والأكسيجين يمثّل عنصر الهواء، والنيتروجين يمثّل عنصر النار، والكربون يمثّل عنصر التراب.



العناصر الأربعة حسب تصور فناني العصور الوسطى

العناصر وفقاً للتعاليم السرّية

كل شيء تم خلقه، إن كان على المستوى الكوني أو المستوى الذري، في العالم الكبير (الكون) وكذلك الصغير (الإنسان)، حصل بفعل العناصر. لهذا السبب، وجب منذ بداية تدريب المريد أن يتعرّف جيداً على هذه القوى والإضاءة على معانيها العميقة ومظاهرها المتعددة. لقد تم ذكر القليل في الأدبيات السحرية عن قوى العناصر، ولهذا السبب جعلته من مهمتي معالجة هذا المجال المعرفي الذي لازال مجهولاً وإزالة الحجاب عن القوانين المتعلقة به. ليس سهلاً تنوير المبتدئين الجدد في هذا المجال، حيث مهمة التعاليم السرية لا تتوقف فقط عند إثبات وجود هذه العناصر ونشاطاتها وتأثيراتها، بل تعليم المريد على التعامل مع هذه القوى بشكل عملي وفعال.

الكون بكامله يشبه آلية الساعة الميكانيكية بكل ما تشمله من مسننات وعجلات متداخلة ومتكافلة مع بعضها البعض. حتى فكرة الخالق (جلّ جلاله) باعتباره الكيان الأسمى يمكن استيعابه من قبلنا عن طريق تقسيم مظاهره وفقاً للعناصر: كليّ المحبة، كليّ القدرة، كليّ المعرفة، كليّ الوجود.

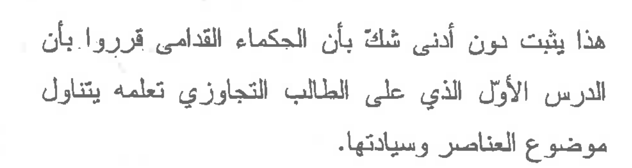
حسبما ورد في أقدم المخطوطات الشرقية (السنسكريتية)، أشاروا إلى العناصر باسم "تاتوا". في الأدبيات الغربية (العربية والأوروبية) يتناولونها على أساس أن لها تأثيرات إيجابية وسلبية، حيث أنه لا يمكن القيام بأي عمل إلا إذا توافق مع التأثير الإيجابي للعناصر وإلا وجب التوقف عنه فوراً. وجب عدم الشكّ بصحّة هذه الحقيقة، لكن كل كُتب حتى الآن لا يتعدى موضوع التأثيرات فقط، وحتى أن هذا الموضوع ورد في المخطوطات بطريقة غير واضحة أو كاملة. يمكننا الاطلاع على تأثير العناصر على أعمالنا الفردية المختلفة من خلال قراءة الكتب الفلكية.

في هذا البحث سوف أتجاوز هذا الحد لأتعمّق أكثر في سرّ العناصر ولذلك فقد اخترت مدخل مختلف إلى الموضوع، رغم أنه يتشابه كثيراً مع مدخل علم الفلك إلا أنه بعيد الصلة عنه. القارئ الذي يجهل تماماً عن هذا المدخل الجديد سوف يتعلّم كيف يستخدمه بطرق مختلفة، وسوف أشرحها بالتسلسل والتفصيل في كتاب خاص بعنوان "طريقة السيّد" (للكاتب نفسه) حيث المراحل المختلفة من التدريب، والشرح لا يتوقف عند الحد النظري للموضوع بل يتجاوز ذلك إلى حد التطبيق العملي أيضاً، حيث في هذا الأخير يكمن أعظم الأسرار.



الورقة الأولى من مخطوط "التارو"

في أقدم مخطوطات الحكمة، وهو مجموعة أوراق "التارو" (عبارة عن ٢٢ ورقة تحمل رموز مختلفة)، تم الكشف عن الغموض العظيم المتعلق بالعناصر وأهميتها الكبرى في العمل التجاوزي (السحري). الورقة الأولى من مجموعة "التارو" تصوّر الساحر وهو يشير إلى معرفة العناصر والسيطرة عليها عبر اتقان التعامل معها واستخدامها. من بين الرموز التي تظهر في الصورة نجد: إلصولجان الذي يحمله الساحر ويمثّل عنصر النار، وعلى الطاولة أمامه نجد السيف الذي يمثّل عنصر الهواء، والجرّة (أو الكأس في بعض الصور) التي تمثّل عنصر الماء، والعملة النقدية (دينار) تمثّل التراب.



هذا يثبت دون أدنى شكّ بأن الحكماء القدامى قرروا بأن الدرس الأوّل الذي على الطالب التجاوزي تعلمه يتناول موضوع العناصر وسيادتها.

لهذا سوف أولي اهتمام كبير لموضوع العناصر، حيث كما ترون، مفتاح العناصر يمثّل العلاج الأساسي لكل المسائل التي يمكننا مواجهتها. إنه بكل تأكيد المفتاح الذهبي لكل الأسرار.

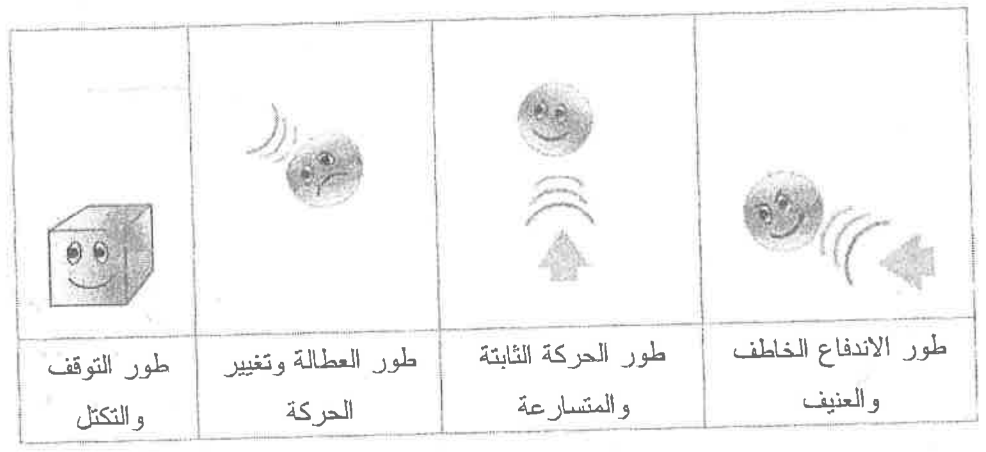
وفقاً للترتيب الهندي للعناصر (النصوص السنسكريتية) والتي تُسمى "تاتوا" tattwa، فهي تتسلسل على الشكل التالي:

١ـ أكاشا Akasa: ويمثّل مبدأ الأثير (الجوهر)
٢ـ تيجاس Tejas: ويمثّل مبدأ النار
٣ـ واجو Waju: ويمثّل مبدأ الهواء
٤ـ أباس Apas: ويمثّل مبدأ الماء
٥ـ بريثيفي Prithivi: ويمثّل مبدأ التراب

وفقاً للتعاليم الهندية، قيل بأن العناصر الأربعة الأساسية (نار،هواء، ماء، تراب) انبعثت من العنصر الخامس (الأثير أو الجوهر). بالتالي فإن "الأثير"، أو "أكاشا" وفق المفهوم الهندي، يمثّل السبب الأوّل للخلق ووجب اعتباره قوة خامسة، أي "الجوهر" الذي تولد منه كل الأشياء. سوف أعرّف الطالب على المزيد عن هذا العنصر الجوهري الخفي لاحقاً.

إذاً، في البداية كان "أكاشا"، ثم ظهر عنصر النار، ثم الهواء، ثم الماء، ثم التراب. هذا هو التسلسل الفعلي للعناصر. يمكننا إثبات ذلك منطقياً من خلال النظر إلى ترتيب الأطوار في مبدأ الحركة (الموصوف في قصّة الخلق في الجزء السابق):

بالعودة إلى قانون الحركة الذي ذكرته سابقاً، وقد استخدمت مثال الكرة التي تمرّ عبر ثلاثة مراحل حركية قبل أن تتوقف. هذه الظاهرة تجسّد قانون الحركة الفيزيائي. إذا اعتبرنا بأن الكرة تمثّل المحتوى العقلي أو الوعي، سوف نجده مستحوذاً من قبل أربع حالات مختلفة بالتسلسل. بعد انطلاقه ثم تحرّكه تصاعدياً ثم كبح جماحه، يوجد مرحلة يتوقف فيها المحتوى العقلي تماماً، إذ ينتهي به المطاف متكاثفاً في مركز الكرة الكونية (البيضة الكونية). الشكل التالي يوضّح الفكرة جيداً:



لقد تنبه القدماء إلى أن المحتوى العقلي المنتشر في الكون ليس له علاقة بأي من العناصر الأربعة بل يشملها جميعاً، حيث هذه الأخيرة تمثّل الأطوار الأربعة لنشاط المحتوى العقلي، ولهذا السبب رمزوا لتلك الحالات بالعناصر الأربعة (النار، الهواء، الماء، التراب) بينما رمزوا

للمحتوى العقلي بالعنصر الخامس أو الأيثر أو أكاشا، وهو عنصر منفعل يتأثّر بكافة العناصر الأربعة السابقة.

إذا مثلنا المحتوى الكوني (أو الوعي عموماً) بكل من هذه العناصر على حدى، سوف نكتشف بأنه يتقمّص حالة فريدة تختلف عن الحالات الثلاثة الأخرى. دعونا نتعرف سريعاً على هذه الحالات الأربعة التي يتقمصها الوعي خلال مروره عبر الأطوار الأربعة للحركة:

[١] حالة اندفاع: انطلاق، إرادة، تحفيز، هيمنة.. إلى آخره.. يمثّلها عنصر النار.
[٢] حالة حركة: نشاط، ثبات في التوجّه، استقلالية، حيوية.. إلى آخره.. يمثلها عنصر الهواء.
[٣] حالة عطالة: انخفاض شدة الزخم نتيجة تشتت قوة الدفع. كبح جماح الحركة. تغيير في التوجّه (تقلّب).. إلى آخره. يمثّل هذه الحالة عنصر الماء الذي يحتوى قوة الدفع ويشتتها بعد تلقّيها واحتضانها. لهذا السبب نجده العنصر الأنسب لتمثيل حالة التواصل والاتصال (بدلاً من الهواء)، حيث مجرّد أن تلقّى قوة الحركة احتضنها وشتتها في كامل أرجاءه (ليونة)، فحصلت حالة انفصام، استنساخ، توالد، الوجود في أكثر من مكان بوقت واحد.. إلى آخره.
[٤] حالة السكون: التوقف، الجمود، الركون، التكتّل، الثقل، التكاثف في المركز.. إلى آخره. يمثّل هذه الحالة عنصر التراب، وهو يشكّل مجموع العناصر السابقة.

في الحقيقة فإن مصطلح "عناصر" لا يناسب هذه الحالات دائماً حيث لا يمكن أن تتجلّى على شكل عناصر سوى في العالم المادي، بينما في المستويات العليا تتخذ أشكال وهيئات أخرى مختلفة. لذلك سوف أشير إلى هذه الحالات التي ولدتها الأطوار الأربعة لحركة المحتوى العقلي خلال عملية الخلق بمصطلح "مبادئ" حيث هذه الكلمة الأخير تليق بكل الحالات والمستويات والهيئات التي تتواجد فيها.

المبادئ الأربعة

مبدأ النار

وفقاً للتعاليم السرية، وكما استنتجنا سابقاً بالبرهان المشروح، المبدأ الأوّل الذي ولد من رحم المحتوى العقلي خلال عملية الخلق هو مبدأ النار (طور الدفع). هذا المبدأ، كما المبادئ الثلاثة الأخرى، يجسّد تأثيراته ليس فقط في العالم المادي بل في كل شيء مخلوق وفي كافة المستويات الوجودية. الخواص الأساسية لمبدأ النار هي الإشعاع والتوسّع الحراري. هاتين الخاصيتين تدلّان على أنه في بداية الخلق ولد النار والنور معاً، وبالتالي نجد أن النور يعود أصله إلى النار. كما أن لهذا المبدأ طبيعتين رئيسيتين: الحماوة والجفاف. كل مبدأ من المبادئ الأربعة له قطبين: الفاعل والمفعول، أو السالب والموجب. الموجب يمثّل دائماً التأثيرات البناءة والخلاقة والمنتجة، بينما السالب يمثّل التأثيرات المدمّرة والمُفكّكة. يوجد دائماً قطبين أساسيين وجب تميزهما في كل مبدأ. لطالما اعتبرت الأديان بأن الخاصيات الإيجابية خيّرة والخاصيات السلبية بأنها شريرة، لكن في الحقيقة، ليس هناك أشياء شريرة وأشياء خيّرة، فهذه التصنيفات هي مجرّد تصورات بشرية. ليس هناك خير وشرّ في الكون، بل كل شيء خُلق وفقاً لقوانين محددة وثابتة، وهذه القوانين تعكس المبدأ الإلهي، وفقط عبر معرفة هذه القوانين نستطيع الاقتراب من الإله الأعلى [جلّ جلاله].

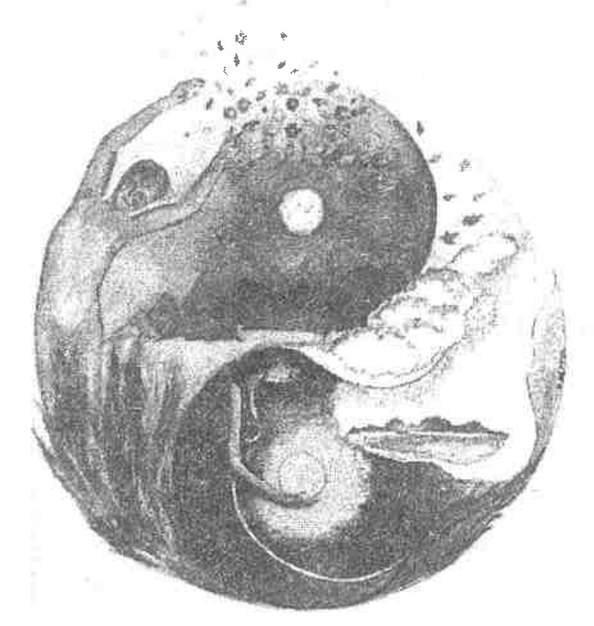
كما ذكرت سابقاً، يحوز مبدأ النار على خاصية التوسّع، وهذا يعني أنه يمثّل السيولة الكهربائية (كما توصفها التعاليم السرية)، لكن هذه الأخيرة لا تمثّل القوة الكهربائية التي نألفها في حياتنا اليومية رغم أنها تشاركها ببعض الميزات. مبدأ النار كامن وفاعل في كل الأشياء المخلوقة، لأنه يمثّل أحد المبادئ الأساسية التي خلقت الكون بكامله، وبالتالي كما في الأعلى كذلك في الأسفل.. كل ما يحصل على المستوى الكوني لا بد من أنه يحصل في كل ذرّة وجزيء وفي كل مادة مرئية ولامرئية في الكون.

مبدأ الماء

في الفقرة السابقة درسنا أصل و وخواص مبدأ النار الذي يمثّل القطب الفاعل في الأشياء. الآن جاء دور المبدأ المعاكس، أو القطب المنفعل الكامن في الأشياء، وهو مبدأ الماء. هذا المبدأ أيضاً ولد من رحم المحتوى العقلي (الأيثر) خلال عملية الخلق. لكن بالمقارنة مع مبدأ النار، نجد أن

مبدأ الماء يحوز على خواص معاكسة تماماً. أي يحوز مبدأ الماء على خاصيتين: البرودة والانكماش. كما أن له طبيعتين رئيسيتين: البرودة والرطوبة. وله قطبين: قطب موجب فعّال وهو القطب البناء والمحيّي والمغذّي والحافظ، وقطب سالب مفعول وهو القطب المدمّر والمفكّك والمجزّئ والمخمّر.

بما أن هذا المبدأ يحوز على خاصية الانكماش والانقباض، فهذا يعني أنه يمثّل السيولة المغناطيسية (كما توصفها التعاليم السرية). مبدءا النار والماء يفعلان فعلهما في كافة العوالم. وفقاً لقوانين الخلق، لا يستطيع مبدأ النار أن يحافظ على وجوده لوحده دون حضور قطبه المعاكس الذي يمثل مبدأ الماء. هذان المبدءان، النار والماء، يمثلان العناصر الأساسية في الوجود. وبناء على هذه الحقيقة علينا الاعتماد كلياً على هذين العنصرين خلال دراسة الطبيعة، خصوصاً من زاوية السيولة المغناطيسية والكهربائية اللتان تمثلان الأقطاب الرئيسية لكل شيء مخلوق.



يُصوّر تفاعل مبدأي النار والماء بأنه تفاعل بين ذكر وأنثى

مبدأ الهواء

هذا المبدأ أيضاً ولد من رحم المحتوى العقلي (أكاشا) خلال عملية الخلق (طور الحركة)، لكن المعلمون الأوائل لم يعتبروه يمثّل عنصر فعلي بل منحوه دور الوسيط بين مبدأي النار والماء، أي أن مبدأ الهواء يمثّل بطريقة معيّنة الموازن الحيادي، إذ يعمل كوسيط بين النشاطات الفاعلة

والمنفعلة للنار والماء. عبر التفاعل المستمرّ بين النار الفاعل والماء المنفعل أصبح الخلق في حالة حركة مستدامة.

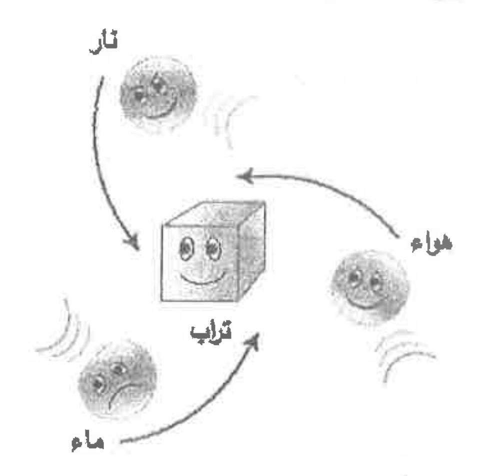
خلال لعبه دور الوسيط بين مبدأي النار والماء انتحل مبدأ الهواء طبيعة الحماوة من النار والرطوبة من الماء. دون هاتين الخاصيتين لا يمكن تصوّر وجود أي حياة. كما أن لمبدأ الهواء قطبين: الأوّل إيجابي مانح للحياة والثاني سلبي مدمّر للحياة. مهمة هذا المبدأ هي توجيه السيولة الكهربائية والمغناطيسية لكل من النار والماء.

بالإضافة إلى ذلك، وجب عدم اعتبار المبادئ الأربعة بأنها تمثّل النار والماء والهواء والتراب بشكل فعلي، أي كما ندركها بمظهرها المتجلّي في حياتنا الأرضية، بل هي قوى كونية تشمل كل الوجود التجاوزي والمادي معاً لكن تم الرمز إليها بهذه الأشياء الأرضية لأنها قريبة الشبه وفق مفهومنا الأرضي. هذه الفكرة سوف تتوضح جيداً لاحقاً.

مبدأ التراب

كما حالة مبدأ الهواء الذي لا يمثّل عنصر فعلي، الأمر ذاته ينطبق على مبدأ التراب. فهذا المبدأ الأخير ولد نتيجة تفاعل المبادئ الثلاثة السابقة وأصبح له خصائصه التي تميّزه عنها. له طبيعتين رئيسيتين: الجفاف والبرودة. الخاصية التي نُسبت لمبدأ التراب هي الصلابة. هذه الخاصية هي التي منحت شكل مادي صلب للمبادئ الثلاثة السابقة. لكن بنفس الوقت، بهذه الحالة تكون المبادئ الثلاثة قد تقيّدت بمحدوديات مكانية وزمانية بحيث أصبحت قابلة للقياس والوزن. التفاعل المتبادل بين العناصر الثلاثة، ومُضافاً إليها عنصر التراب، ولّد تفاعلاً رباعياً مما يجعل عنصر التراب (الذي يشمل العناصر الأخرى) ممثلاً لسيولة كهرومغناطيسية رباعية الأقطاب.

إذاً، بخلاف العناصر الثلاثة السابقة، نجد لمبدأ التراب أربع أقطاب، وسيولته كهرومغناطيسية (نتيجة اندماج كهرباء النار مع مغناطيس الماء). بالتالي كافة مظاهر الحياة يمكن تفسيرها وفق حقيقة أن كل العناصر تعبّر عن نفسها عبر العنصر الرابع فحسب، أي عنصر التراب.



عنصر التراب هو الوحيد الذي يتجلى بصيغة مادية لأنه محكوم بعاملي المكان والزمان، وبسبب طبيعته الكهرومغناطيسية، بينما العناصر الثلاثة الأخرى تقبع في الخفاء، واختلاف معاييرها وشدة تفاعلها هو الذي يحدد المظهر النهائي لعنصر التراب (المادة)

وصفت التعاليم السرية الكثير من التفاصيل حول تأثيرات المبادئ الأربعة في المستويات الوجودية المختلفة وكذلك في العوالم المختلفة في الطبيعة، مثل عالم الحيوان وعالم النبات وعالم المعادن وبشكل أخص عالم الإنسان. لقد تم البحث في تفاصيل كثيرة بحيث يستطيع الفرد بعدها تكوين صورة شاملة عن آلية عمل هذه المبادئ في الكون.

سبق وذكرت بأن هذه المبادئ لا يقتصر وجودها في المستوى المادي فحسب بل في كل المستويات، ولهذا السبب أشرت إليها بـــ"مبادئ" وليس "عناصر" حيث هذا المصطلح الأخير يُستخدم فقط للإشارة إلى هذه المبادئ عند تجليها في المستوى المادي. وصفت في الجزء السابق مكونات الثالوث بطريقة تجعلها مشابهة إلى حد كبير للمبادئ الأربعة، لدرجة تجعلنا نخلط بينهما. لكنني تقصدت تجاهل هذه الحالة للمحافظة على البساطة لكي تتوضح المسألة جيداً بدلاً من تعقيدها. لكن الآن قبل السير قدماً في شرح موضوع العناصر الأربعة علينا التوقف والتمييز بشكل دقيق بين مكونات الثالوث ودلالاتها ومكونات المبادئ الأربعة ودلالاتها. هذه العملية لن تتطلب الكثير من المساحة والوقت لأنه أصبح لدينا خلفية جيّدة عن هذا الموضوع وهذا يساعدنا على فهم الشروحات بشكل جيّد.

الآلية الفعلية لنشوء المبادئ الأربعة

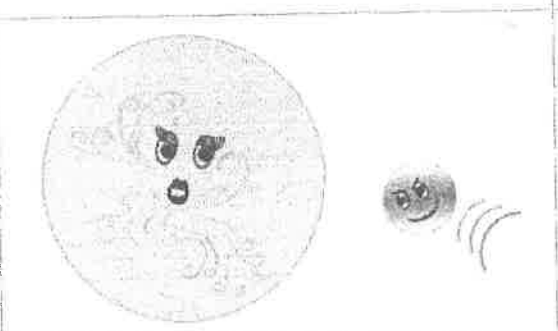
استخدمت في السابق مفهوم الأطوار الأربعة للحركة لشرح موضوع العناصر الأربعة وذلك بهدف توضيح الفكرة بطريقة ميسّرة وسهلة، حيث وصفت حالات الوعي (أو المبدأ العقلي) خلال

تقمّصه قل طور على حداه. لكن الآلية الفعلية التي تشكلت عبرها هذه العملية (الحركة رباعية الأطوار) هي مختلفة على أرض الواقع. دعونا نستوعبها جيداً عبر الشرح المصوّر التالي:

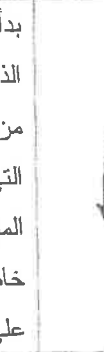
١ــ بالعودة إلى "البيضة الكونية" في حالتها الأوليّة، أي البيضة العذراء التي لم تُخصّب بعد. هذه البيضة تُمثّل المبدأ الأنثوي وهي تشمل المحتوى الكوني أو المحتوى الإلهي (السيولة الأثيرية). يمكن تصوّرها كما في الشكل المقابل.



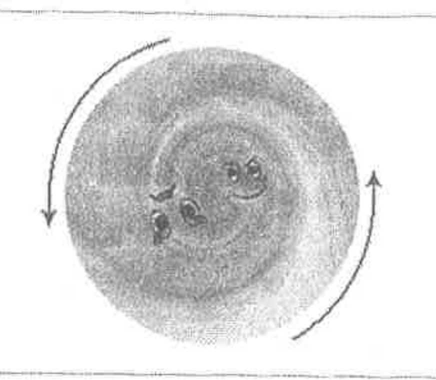
٢ــ تنطلق القوة التي يُحفّزها السبب الأوّل وهي ممثّلة المبدأ الذكري. وقد وُصفت هذه القوة وفق صيغ مختلفة، مثل نفخة الإله أو قوته الإشعاعية أو إسقاط بذرته.. إلى آخره.

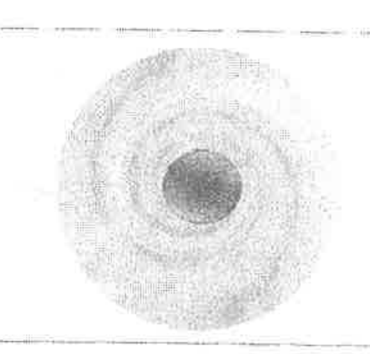


بدأت عملية تلقيح البيضة من نقطة اختراق القوة الذكرية للمحتوى الإنثوي في البيضة العذراء، أي من هذه النقطة بدأت الحركة رباعية الأطوار التي تجلّت في البيضة: الصورة المقابلة تبيّن المبدأ الذكري مخترقاً محتوى البيضة في حالة خاطفة وعنيفة (اندفاع)، ثم يكمل سيره محافظاً على حركة متسارعة ومتوازنة.



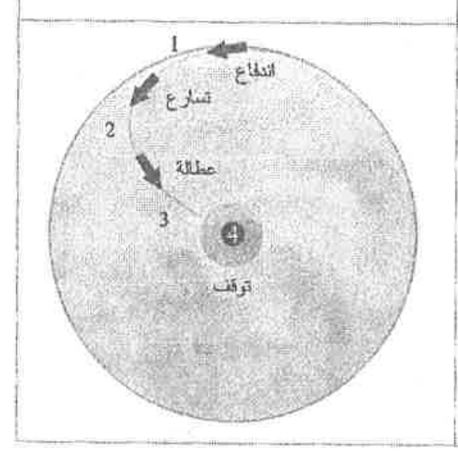
لكن الحركة المتسارعة لم تدم طويلاً، إذ بدأت مسيرة القوة الذكرية تتباطأ مع زيادة العطالة الناتجة من احتكاكها واختلاطها مع المحتوى الأنثوي، فحصل كبح في زخم الحركة المتسارعة. والشكل الكروي للبيضة جعلت الحركة تنحرف عن المسار المستقيم وتتبع مسيرة لولبية متوجهة نحو المركز.





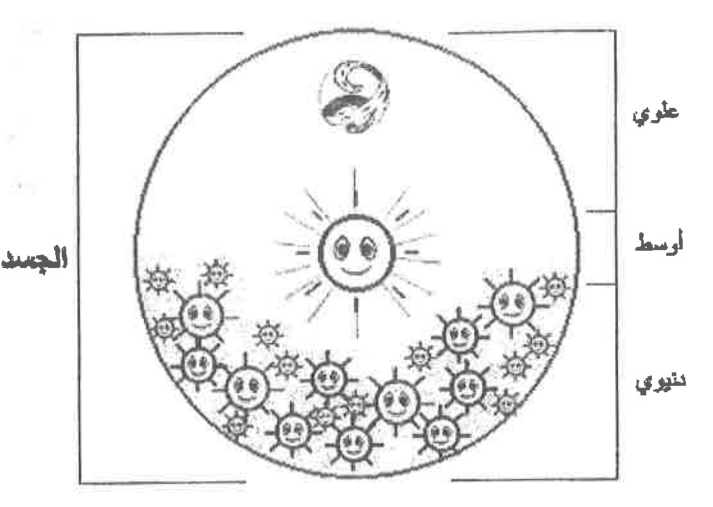
اندماج القوة الذكرية مع المحتوى الأنثوي خلال مسيرة الحركة اللولبية نحو المركز أدى في النهاية إلى تكاثفهما معاً على شكل مزيج واحد في مركز البيضة، وهذه المرحلة الأخيرة تمثّل طور التوقف.

٣ــ من هذه العملية بالذات استخلصنا أربع أطــوار مختلفة لمسيرة اندماج القوة الذكرية مــع المحتــوى الأنثوي وصولاً إلى التكاثف معاً في مركز البيــضة الكونية. وقد عبرت عــن هــذه الفكــرة بالــصورة المقابلة.



أما مبدأ الثالوث، فيختلف تماماً عن مبدأ العناصر الأربعة، إذ تختلف آلية نشوءه كلياً. الشرح المختصر التالي يذكرنا بالموضوع:

يتألف الكون (العـــالم الأكبر) أو أي كائن فـــردي (العـــالم الأصغر) من ثلاثـــة أقسام أو مستويات أو مراحل رئيسية تمثّل المكونات الأساســية لكيانه المتجسّد مادياً، وهي:

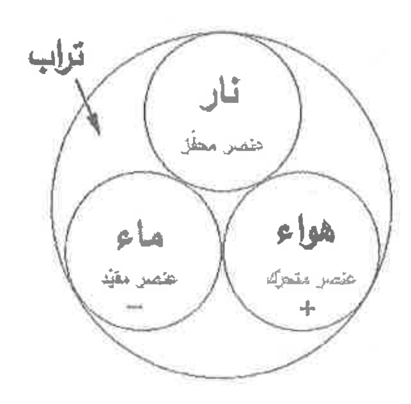


[١] القسم العلوي: هو القسم المتجاوز للزمان والمكان، وبالتالي كل ما يحصل في هذا المستوى الوجودي يمثّل نمط أولي أو مبدأ عام قابل لأن يحصل في كل زمان وكل مكان. في هذا القسم تم تحفيز المحتوى العقلي لينتفض ناشطاً. هو القسم العلوي في البيضة الكونية (الممثلة لكـل كـائن فرداني في الكون). بما أنه متجاوز للزمكان فهذا يجعله ممثلاً للواحد أحد (غير متعدد) والخالـد السرمدي (ليس له نهاية ولا بداية).

[٢] القسم الأوسط: هو القسم المحكوم بعامل الزمن، بالتالي هو يمثّل كل ما يتكرر على الـدوام. هو الشمس المركزية النابضة. هو القسم النشط والمتحرك. هو الوعي الذي نـشأ بعـد حركـة المحتوى العقلي. هو الذات في كل كائن حيّ. هو الابن في الثالوث المقدس. هو العين القابعة في مركز الدائرة والتي ترمز إلى الصحوة والإحياء والحيوية المستدامة.

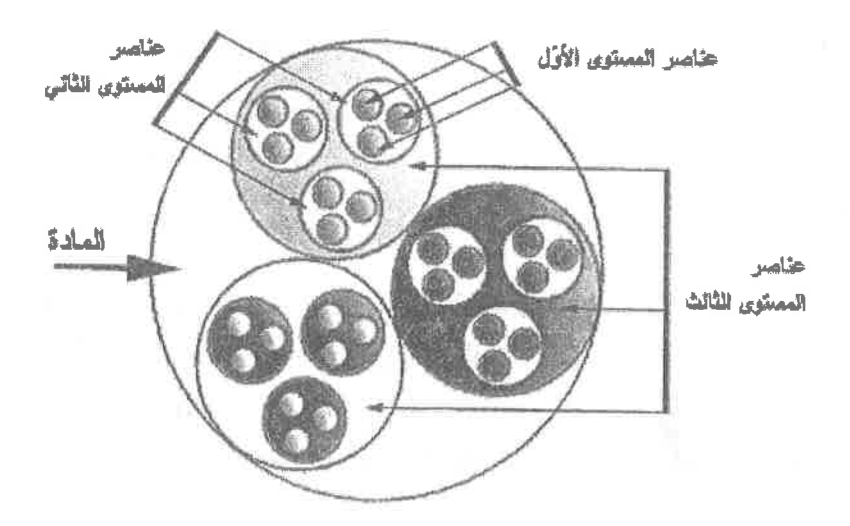
[٣] القسم الدنيوي: هو المحتوى الذي عطّل حركة العقل. هو تكـاثف المحتـوى. هـو القسـم المحكوم بعامل الزمان والمكان، وبالتالي هو القسم الولاد الذي تتكرر فيه عملية الخلق فـي كـل زمان ومكان، أي فيه تحصل عملية التكاثر والنمو والتعدد والتنوع. هذا القسم هو مـسؤول عـن زيادة الكتلة والحجم أو انقاصهما. هو الذي يحدّد الهيئة الخارجية للجـسد، أو يـؤطّر التفاعـل الحاصل بين مكونات الأشياء.

عندما شرحت مبدأ الثالوث في موضوع "القوى الثلاثة وعلم الفيزياء" في الجزء السابق، لم أرغب في تعقيد العملية خلال إطالة الشرح حول التفريق بين العناصر الأربعة التي تكوّن المادة والمستويات الثلاثة التي يتدرّج عبرها التجسيد المادي، لكن الآن بعد التمييز بين الحالتين، أصبح سهلاً توضيح الأمر من خلال إجراء المقارنة التالية:



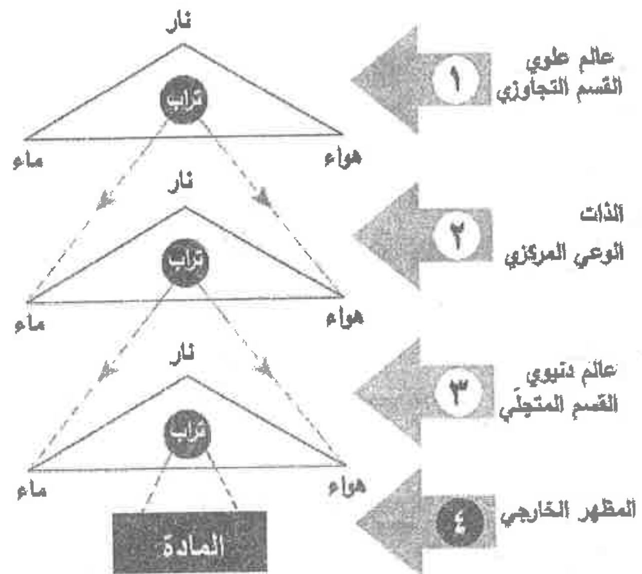
عندما تحدثت عن المكونات الثلاثة للمادة، فهذا يعني أنني كنت أتحدث عن العناصر الأربعة التي تشكّل المادة: نار، هواء، ماء، تراب.. كما هو مبيّن في الشكل المقابل.

أما مبدأ الثالوث، فيمثّل التدرّج الثلاثي لمكونات المادة، أي يوجد ثلاثة مستويات للعناصر الأربعة، وتتجسّد في مستوى رابع وهو المستوى المادي. كما هو مبيّن في الشكل التالي:

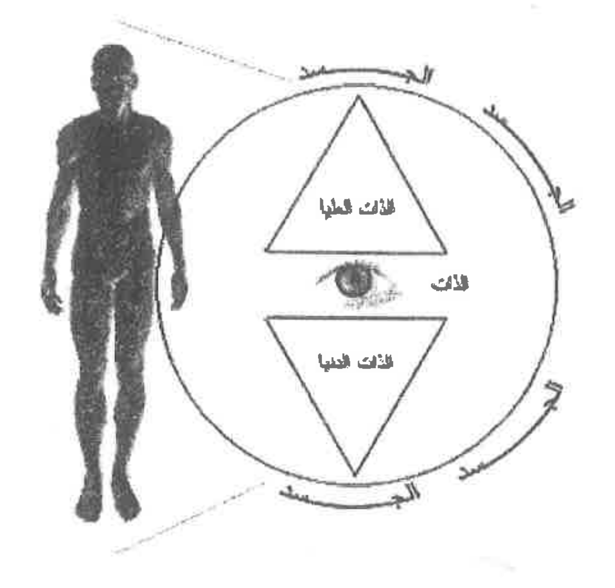


هذا بالضبط ما حاول القدماء تميزه خلال إيجادهم لمخطط شجرة الحياة، فهو يمثّل فكرة مطابقة تماماً للفكرة السابقة لكن بصيغة أكثر بساطة ومرونة في الشرح.

العناصر الأربعة تمثّل مكونات كل مثلث على حداه، بينما مكونات مبدأ الثالوث تمثّل المثلثات الثلاثة المتدرّجة عمودياً من الأعلى نحو التجسيد المادي القابع في أسفل الشجرة.



تختلف طبيعة هذه العناصر الأربعة خلال تجليها في كل مستوى من المستويات الثلاثة في الكائنات الحيّة والجامدة. والآن سوف نتعرف على اختلاف طبيعة هذه العناصر الأربعة خلال تجليها في المستويات الثلاثة عند الإنسان.



توصلنا في الجزء السابق إلى ثلاثة أقسام رئيسية للكينونة البشرية، بحيث ينعكس فيها لغز الثالوث المتجلّي في كل مكان وعلى كافة الأصعدة:

١ــ القسم العلوي/ التجاوزي أو [الذات العليا]، ٢ــ الوعي المركزي أو [الذات]، ٣ــ القسم الدنيوي/المتجلّي أو [الذات الدنيا].

المبادئ الأربعة على المستوى العلوي/التجاوزي:

كما سبق ونكرت، كينونة الإنسان تمثّل صيغة مصغّرة لكينونة الكون،.. كما في الأعلى كذلك في الأسفل..، وبالتالي فإن التكوين الثلاثي للكينونة البشرية مشابهة للتكوين الثلاثي للكينونة الكونية، وقسمه العلوي يمثّل عالم تجاوزي، أي خالد وأبدي وبالتالي يصعب وصف الشيء الذي يتمتع بهذه الخواص بطريقة كلامية قابلة للفهم. لكن هذه المسألة، كما باقي المسائل المستعصية الأخرى، يمكن حلّها بطريقة مناسبة من خلال شرحها عبر مفهوم المبادئ الأربعة. كما كل شيء متجلّي في الكون، يمكن وصف المستوى التجاوزي عبر أربع خصائص مختلفة يتسم بها وهي تتوافق مع المبادئ الأربعة.

١ــ مبدأ النار يمثّل الجانب المندفع، وهو يتجلّى على شكل إرادة.
٢ــ مبدأ الهواء يمثّل الجانب العقلي، وهو يتجلّى على شكل فكر.
٣ــ مبدأ الماء يمثّل المحتوى، وهو يتجلّى على شكل شعور.
٤ــ مبدأ التراب يمثّل اجتماع المبادئ الثلاثة السابقة فتجلّى على شكل صحوة (حسّ).

كافة الخواص والميزات التي يتسم بها المستوى التجاوزي مندرجة ضمن هذه المبادئ الرئيسية الأربعة. كل من هذه المبادئ الأربعة لديها مظاهر كثيرة أخرى ومقسومة إلى قطبي السالب

والموجب. جميعها معاً تشكّل ما نسميه وفق المفهوم العام بـ"الروح". لهذا السبب يمكن اعتبار مبدأ النار مسؤول عن العزم والقوة والانفعال، ومبدأ الهواء مسؤول عن قوة التمييز والمقارنة والحكم السليم، ومبدأ الماء مسؤول عن الوجدان والضمير والحدس، ومبدأ التراب مسؤول عن الفردانية والغرائز ونزعة الحفاظ على الذات والتناسل. هذه مجرّد أمثلة وعينات من قائمة الخصائص الطويلة التي تتسم بها الروح أو المستوى التجاوزي للإنسان، لكن أعتقد بأن ما سبق كافي لتوضيح الفكرة.

المبادئ الأربعة على المستوى الأوسط (الوعي):

وفقاً لمسيرة تطوّر المبادئ الأربعة مع انتقالها من المستوى العلوي/التجاوزي إلى المستوى الأوسط (الذات) تتخذ مظهر مختلف، فتتجلّى على شكل أربع طبائع:

١ــ الطبع النزق choleric أساسه مبدأ النار.
٢ــ الطبع المتفائل sanguine أساسه مبدأ الهواء.
٣ــ الطبع البارد القابل للتأثّر phlegmatic أساسه مبدأ الماء.
٤ــ الطبع السوداوي melancholic أساسه مبدأ التراب.

كل من المبادئ الأربعة التي تمثّل أساس الطبائع الأربعة تحدّد الجوانب الإيجابية والسلبية لهذه الطبائع حسب القطبية الغالبة للمبدأ. بالتالي كل طبع من الطبائع الأربعة له سمات جيّدة وسمات سيّئة. فيما يلي أمثلة على السمات الجيّد والسيّئة لكل من الطبائع الأربعة:

١ــ الطبع النزق choleric في جانبه الإيجابي له السمات الجيّدة التالية: الاندفاع، النشاط، الحماس، الإصرار، التصميم، الشجاعة، الإنتاجية،.. إلى آخره. وفي جانبه السلبي له السمات السيئة التالية: الغيرة، الشراهة، فورة الغضب، حدّة طبع، نفاذ الصبر، ميول تدميرية،.. إلى آخره.

٢ــ الطبع المتفائل sanguine في جانبه الإيجابي له السمات الجيّدة التالية: القدرة على النفاذ والتخلّل، الاجتهاد، المرح، البراعة، اللطف، الوضوح، قليل الحزن، الابتهاج، التفاؤل، اللهفة، الاستقلالية، الألفة، الحنكة،.. إلى آخره. وفي جانبه السلبي له السمات السيئة التالية: الشعور

الدائم التحدّي، إزدراء، نزعة طبيعية للثرثرة ونقل الكلام، عدم الثبات، دهاء، خبث، عدم الأمانة، تقلّب،.. إلى آخره.

٣ـ الطبع البارد القابل للتأثّر phlegmatic في جانبه الإيجابي له السمات الجيّدة التالية: اللياقة، الاحترام، التحمّل، مراعاة الآخرين، تصميم، ثبات، جديّة، دقّة، تركيز، رزانة، ضبط المواعيد، عصمة، موضوعية، مسؤولية، جدير بالثقة، حيطة، مقاومة، ثقة بالنفس،.. إلى آخره. وفي جانبه السلبي له السمات السيئة التالية: تفاهة، انعدام الضمير، بغض الآخرين، بلادة، فتور، تباطؤ، كسل، عدم الموثوقية، إيجاز في الكلام،.. إلى آخره.

٤ـ الطبع السوداوي melancholic في جانبه الإيجابي له السمات الجيّدة التالية: الاحترام، التواضع، شفقة، إخلاص، تفاني، جديّة، سلاسة، دفئ، مودة، القدرة على الاستيعاب، تفكّر، هدوء، سريع الموثوقية، التسامح، رقة القلب،.. إلى آخره. وفي جانبه السلبي له السمات السيئة التالية: لامبالاة، اكتئاب، فتور الشعور، خجل، كسل،.. إلى آخره.

هذه الطبائع الأربعة، بجوانبها الإيجابية والسلبية، تتجلّى في الفرد بدرجات متباينة فتشكّل خلطات فريدة عند كل فرد وتمثّل المكونات الأساسية لشخصيته. أما قوة ظهورها أو اختفاءها في الشخصية فتعتمد على أي سيولة غالبة في كيان الفرد، المغناطيسية (انطواء داخلاً) أو الكهربائية (التجلّي خارجاً).

من ناحية التكوين الإدراكي للذات الوسطى نجد أنها مقسومة إلى أربع أنماط إدراكية:
[١] البديهة والفهم محكوم بمبدأ النار
[٢] الفكر المنطقي محكوم بمبدأ الهواء
[٣] الخيال والشعور محكوم بمبدأ الماء
[٤] الإدراك الحسّي محكوم بمبدأ التراب

وحتى الإدراك الحسّي المؤلف من حواس متعددة مقسوم إلى أربع أقسام:
[١] حاسة البصر محكومة بمبدأ النار، لأنها لا تستطيع الإدراك دون مساعدة نور النار.
[٢] حاسة السمع محكومة بمبدأ الهواء، لأن الصوت يتجلّى عبر ذبذبة الهواء.

[٣] حاسة الشم والذوق محكومة بمبدأ الماء، لأنه لا يمكنهما العمل دون حضور الرطوبة.
[٤] حاسة اللمس محكومة بمبدأ التراب، لأن هذه الحاسة تستهدف الأشياء الكثيفة أو الصلبة.

المبادئ الأربعة على المستوى الدنيوي:

المستوى الدنيوي لا يمثّل الجسم المادي (الجسد) بل يمكن اعتباره المجال الطاقي الذي يحدّد تكوين وشكل الجسم المادي ويدير مجرياته البيولوجية والكيماوية المختلفة. أي هو قريب إلى مفهوم الحقل المورفوجيني المذكور أكثر من مرّة في إصدارات سابقة. بناء على هذه الفكرة يمكن وصف دور المبادئ الأربعة في هذا المستوى كما يلي:

١ـ مبدأ النار: في صيغته الإيجابية يجسّد التأثير المنشّط والنمو والمفعم بالحيوية في طبيعة الجسم، بينما في صيغته السلبية يجسّد تأثير الخمول والذبول والانحلال والتلاشي. ينجز كل هذه الأعمال من خلال سيولته الكهربائية.

٢ـ مبدأ الماء: في صيغته الإيجابية يجسّد التأثير البناء والمحيّي والمغذّي والحافظ، بينما في صيغته السلبية يجسّد التأثير المدمّر والمفكّك والمجزّئ والمخمّر. ينجز كل هذه الأعمال من خلال سيولته المغناطيسية.

٣ـ مبدأ الهواء: يجسّد التأثير المحايد والمتوازن والموصل في الجسم، وبالتالي هو مسؤول عن إدارة وتوجيه السيولة الكهربائية والمغناطيسية في الجسم، محافظاً على توازنهما.

٤ـ مبدأ التراب: يجسّد مبدأ الالتحام والتكتّل مما يحافظ على تماسك الجسم. بما أن مبدأ التراب يمثّل مجموع المبادئ الثلاثة السابقة فوظيفته هنا هي الإبقاء على اجتماع وتنسيق التأثيرات الثلاثة لتلك المبادئ. في صيغته الإيجابية يجسّد التأثير المنعش والحيوي والمقوّي، بينما بصيغته السلبية يجسّد التأثير المعاكس. كما أن مبدأ التراب مسؤول عن ازدهار الجسم وكذلك طول العمر.

من خلال تفاعل مبدأي النار والماء في الجسم تتشكل السيولتان الكهربائية والمغناطيسية، وكل منهما لديها تأثيرها وتفاعلها الخاص مع الأخرى. هذين المبدأين مع سيولتهما يشكلان السبب الرئيسي لكل ما يحصل أو يتجسّد في الجسم، كما أنهما يؤثران على المجريات الكيماوية فيه.

من خلال ما سبق نستنتج بأن هذا المستوى الدنيوي من الكيان البشري مسؤول عن حالته الصحية، ويمثل هدف الأطباء القدامى خلال عملهم على تشخيص للحالة الصحية ومعالجتها. الصحة السليمة بالنسبة للحكماء القدامى هي التوازن الكامل بين القوى الأربعة العاملة في الجسم بمظاهر وطرق مختلفة وذلك وفقاً لمفهوم المبادئ الأربعة. أي خلل في معادلة تفاعل العناصر الأربعة في الجسم يؤدي حتماً إلى تجسيد حالة مرضيّة معيّنة. إذاً، من وجهة نظر الحكماء القدامى، يعود سبب العلل والأمراض في الجسم إلى حصول عطل أو خلل في أداء أحد العناصر (أو جميعها) داخل الجسم. فتم ابتكار وسائل مختلفة للتعامل مع الجسم وفق هذا المفهوم. حتى في المناهج التدريبية الهادفة إلى التطوّر الروحي، يوصون المريد بأن يأخذ هذه المسألة بعين الاعتبار ويوليها أهمية كبيرة. فالصحّة السليمة (أي توازن العناصر في الجسم) تمثّل قاعدة أساسية للارتقاء الروحي.

المبادئ الأربعة على المستوى الجسدي:

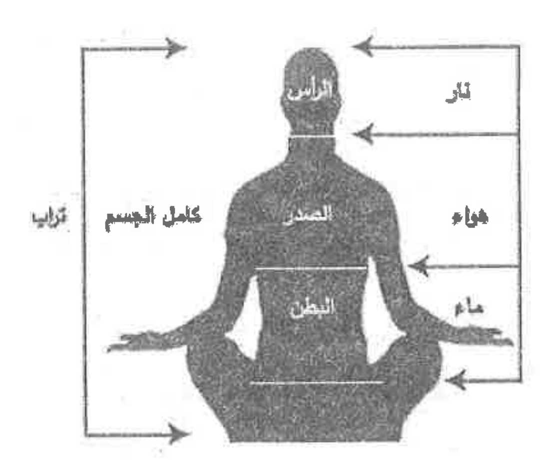
تتجسّد المبادئ الأربعة في جسم الإنسان بمظاهر وطرق مختلفة وذلك حسب غاية الدراسة التي يخضع لها الجسم. يمكننا أن نبدأ من الحالات أربعة للمادة التي يتألف منها الجسم (وكل شيء آخر):

١ــ الحالة المشعّة والمتوهجة يمثلها عنصر النار
٢ــ الحالة الغازية يمثلها عنصر الهواء
٣ــ الحالة السائلة يمثلها عنصر الماء
٤ــ الحالة الصلبة يمثلها عنصر التراب

لكن هذه الصفات السابقة هي سطحية والاكتفاء بهذا الحد لن يوصلنا إلى مكان. لقد عرف حكماء العصور كل ما يتعلق بهذه العناصر من مواصفات وخصائص وتأثيرات، خصوصاً فيما يخصّ الكينونة البشرية، لكن تفادياً لسوء الاستخدام أو وقوع هذه المعرفة الشاملة بالعناصر في أيدي غير كفوءة حجبوها عن التداول العام وجعلوها مقتصرة على حلقات ضيّقة جداً. من بين التقسيمات المختلفة لجسم الإنسان هي تلك التي جعلت رأسه يمثّل مبدأ النار، وبطنه يمثّل مبدأ الماء، ومنطقة الصدر تمثّل مبدأ الهواء لأنه يلعب دور الوسيط بين الاثنين. لكن هذا التقسيم السطحي ظاهرياً مصحوب بمفاهيم باطنية لها نتائج عملية مجدية جداً. يمكننا برهنة ذلك من

خلال النظر إلى تمارين اليوغا التي تتمحور حول عملية التنفّس، إذ هذه العملية ليست مجرّد رياضة جسدية/فكرية بل تمثّل وفقاً للتعاليم السرية محاكاة فعلية للإله الأعلى [جلّ وعلا] عندما خلق الكون. أي عملية التنفّس هذه هي عملية خلق بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، وهذا ما سوف نستكشفه في الجزء التالي خلال الحديث عن الحقيقة الفعلية وراء تمارين التنفّس المألوفة جيداً في الكثير من المدارس الباطنية مثل التشي كونغ في الصين واليوغا في الهند والكاهونا في جزر هاواي وغيرهم.

إذاً، لقد كانوا محقّين عندما نسبوا منطقة الرأس إلى مبدأ النار لأنه مصدر الطاقة الفكريّة (ذو الطبيعة المشعّة)، ونسبوا منطقة البطن إلى مبدأ الماء لأنه مكان الإفرازات والعصائر الهضمية المختلفة، ونسبوا منطقة الصدر إلى مبدأ الهواء لأنه المكان المسؤول عن عملية التنفّس، وهو يتوسط منطقة النار (الرأس) ومنطقة الماء (البطن). أما مبدأ التراب، بسبب دوره الجامع للمبادئ الثلاثة الأخرى، فهو يمثّل كامل جسد الإنسان بلحمه وعظمه.



تقسيم مناطق الجسم وفق مبدأ العناصر

بالإضافة إلى هذا التقسيم الرباعي الشمولي للجسم، نجد تقسيمات مختلفة أخرى لمكوناته، مثل الأخلاط الأربعة والوظائف الجسدية الأربعة والقوى الحيوية الأربعة والأعضاء الرئيسية الأربعة.. إلى آخره والتي نألفها في الكتب الطبية القديمة، لكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد بل هناك تقسيمات كثيرة أخرى لا يعرفها سوى المطلعين على التعاليم السريّة. دعونا أولاً نتعرّف

على مفهوم الأخلاط الذي تمحور حوله الطب القديم وذلك كمثال على أحد مظاهر أداء المبادئ الأربعة في الجسم.

الأخلاط الأربعة

الأخلاط الأربعة هي القوى الاستقلابية الأربعة في الجسم. الموزانة السليمة بينها هو جوهري للمحافظة على الصحة. هي مسؤولة عن التغذية والنمو والاستقلاب وأداء الأعضاء. تتجلّى هذه القوى الأربعة على شكل سوائل حيوية متواجدة في الجسم بكميات ونسب مختلفة حسب الحالة. هذه السوائل هي:

١ــ الدم Blood، وهو السائل الأحمر الغني بالهيموغلوبين.
٢ــ البلغم Phlegm، وهو السائل البلازمي.
٣ــ المرّة الصفراء Yellow Bile، وهو سائل مائل للأصفر والذي يُسمى اليوم البليروبين.
٤ــ المرّة السوداء Black Bile، وهو سائل رسوبي متخثّر بنّي أو رمادي اللون يحتوي على نسبة كبيرة من الصفيحات مما يمنحه كثافته الزائدة.

وجد الأطباء القدامى رابط وثيق بين هذه الأخلاط وبين الطبائع الأربعة المذكورة سابقاً. وهي إحدى جوانب الصلة الوثيقة بين الحالة النفسية والحالة الجسدية. فيما يلي الصيغة المتبعة وفق هذا المفهوم:

١ــ خلطة الدم لها صلة وثيقة بشعور البهجة والمرح والطرب والتفاؤل والحماس والحب والعاطفة والازدهار، مما جعلها ترتبط بالطبع المتفائل sanguine. وبالتالي أي خلل في هذا الجانب من الحالة النفسية للفرد يؤدي إلى خلل في خلطة الدم. وبطريقة عكسية، أي خلل في خلطة الدم (زيادة أو نقصان) يؤثر على هذا الجانب من الحالة النفسية والعاطفية للفرد، أي تتأثّر شخصيته بالكامل. في الحقيقة، أي خلل في هذه العوامل يؤدي إلى حصول خلل في كل ما يمثّله مبدأ الهواء في كيان الفرد.

٢ــ خلطة البلغم لها صلة وثيقة بالشعور بالكسل والخمول الذاتية والانفعالية والإخلاص والتفاني والحساسية والعاطفية، مما جعلها ترتبط بالطبع البارد القابل للتأثّر phlegmatic. وبالتالي أي

خلل في هذا الجانب من الحالة النفسية للفرد يؤدي إلى خلل في خلطة البلغم. وبطريقة عكسية، أي خلل في خلطة البلغم (زيادة أو نقصان) يؤثر على هذا الجانب من الحالة النفسية والعاطفية للفرد، أي تتأثّر شخصيته بالكامل. أي خلل في هذه العوامل تحديداً يؤدي إلى حصول خلل في كل ما يمثّله مبدأ الماء في كيان الفرد.

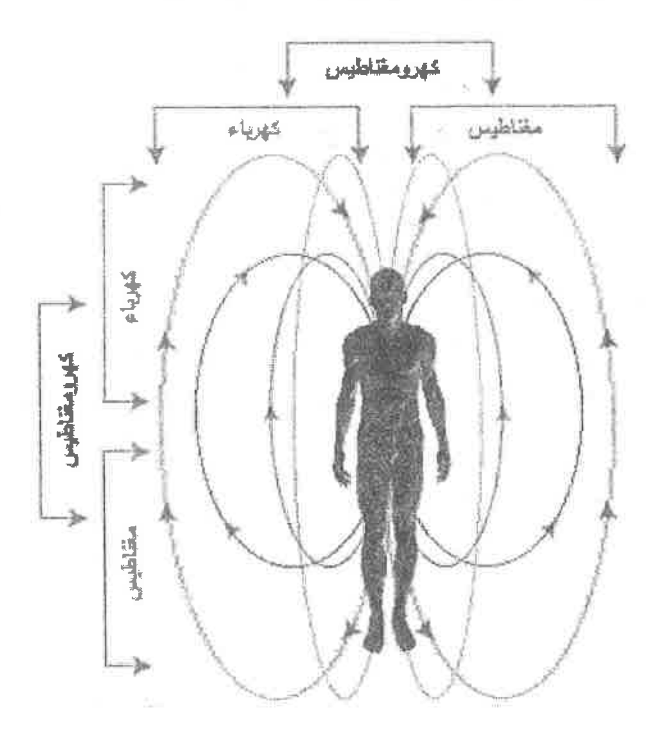
٣ـ خلطة المرّة الصفراء لها صلة وثيقة بالانفعالات والأهواء المستثارة، مثل الغضب والنزق والجسارة والطموح والحسد والغيرة والشجاعة، مما جعلها ترتبط بالطبع النزق choleric. وبالتالي أي خلل في هذا الجانب من الحالة النفسية للفرد يؤدي إلى خلل في خلطة المرة الصفراء. وبطريقة عكسية، أي خلل في خلطة المرّة الصفراء (زيادة أو نقصان) يؤثر على هذا الجانب من الحالة النفسية والعاطفية للفرد، أي تتأثّر شخصيته بالكامل. أي خلل في هذه العوامل تحديداً يؤدي إلى حصول خلل في كل ما يمثّله مبدأ النار في كيان الفرد.

٤ـ خلطة المرّة السوداء لها صلة وثيقة بحالة الكآبة والحزن والركون والانطواء وكذلك التعقّل والحذر والواقعية والطبيعة العملية والتشاؤم، مما جعلها ترتبط بالطبع السوداوي melancholic. وبالتالي أي خلل في هذا الجانب من الحالة النفسية للفرد يؤدي إلى خلل في خلطة المرة السوداء. وبطريقة عكسية، أي خلل في خلطة المرّة السوداء (زيادة أو نقصان) يؤثر على هذا الجانب من الحالة النفسية والعاطفية للفرد، أي تتأثّر شخصيته بالكامل. أي خلل في هذه العوامل تحديداً يؤدي إلى حصول خلل في كل ما يمثّله مبدأ التراب في كيان الفرد.

مجال الطاقة الحيوية المحيط بالجسم

كما علمنا سابقاً، مبدأ النار ينتج سيولة كهربائية ومبدأ الماء ينتج سيولة مغناطيسية. كل من هاتين السيولتين لها انبعاثات ثنائية القطبية: فاعلة ومنفعلة، أو سالبة وموجبة. والتأثيرات والتفاعلات المتبادلة لانبعاثات الأقطاب الأربعة تشبه إلى حد كبير المغناطيس رباعي الأقطاب a tetra-polar magnet. لهذا السبب، فإن السيولة الكهرومغناطيسية في جسم الإنسان، بكل انبعاثاتها، هي ذاتها الطاقة الحيوية التي تحدثت عنها المراجع الطبية والروحية والماورائية وأشارت إليها بأسماء مختلفة مثل المغناطيسية الحيوانية أو الطاقة الأودية أو حقل الطاقة الإنساني أو غيرها من أسماء مختلفة. لكن وفقاً للتعاليم السرية، فإن شدة انبعاث هذه السيولة الكهرومغناطيسية تعتمد على استطاعة أو فعالية العناصر الأربعة في الجسم. كلما كان أداءها متوازناً وسليماً كلما زادت

شدّة انبعاث الطاقة الحيوية. بناء على هذه الحقيقة المهمة اتخذ المعلمون القدامى إجراءات مناسبة ممثلة بتمارين وسلوكيات محددة تعمل على موازنة العناصر الأربعة في كينونة المريد مما يؤدي في النهاية إلى تنشيط الطاقة الحيوية بشكل كبير. عندما أقول تمارين لا أقصد التمارين الجسدية فقط بل تمارين عقلية معيّنة، وعندما أقول سلوكيات فأقصد بذلك محاولة بقدر المستطاع المحافظة على توازن التركيبة النفسية والذهنية للفرد في حياته اليومية وهذه مهمة صعبة بالنسبة للإنسان العادي إذ تحتاج إلى تغيير كامل في طريقة التفكير وتغيير طريقة النظر إلى الأشياء، وهذا يتطلب فلسفة خاصة توجّه الفرد نحو هذا المسار وتحثّه على التغيير بقناعة تامة.



مجال الطاقة الحيوية للإنسان هو ذو طبيعة كهرومغناطيسية

أعيد وأذكر بأن السيولة الكهربائية والسيولة المغناطيسية التي أتحدث عنها ليس لها أي صلة بالمجالين الكهربائي والمغناطيسي الذين نعرفهما عموماً في مجال الفيزياء، رغم وجود بعض التشابه الظاهري فقط. لكن الإلمام الجيّد والسليم بهاتين السيولتين ووفق منهج التعاليم السريّة يجعل الفرد قادراً على صنع المعجزات.

الغذاء والدواء وفق مفهوم العناصر

الأصول الحقيقية لطب الأعشاب

يحتوي الطعام على خلطات مختلفة ومتنوعة من العناصر. النتيجة الحتمية لتناول الطعام هو حصول إجراءات كيماوية في الجسم مما يسمح بتخزين العناصر الغذائية فيه. من وجهة النظر الطبيّة، إن تناول الطعام المصحوب مع عملية التنفّس يؤدي إلى عملية احتراق المواد الغذائية في الجسم. لكن التعاليم السريّة ترى أكثر بكثير من مجرّد عملية كيماوية، إذ ترى عملية الاحتراق الحاصلة للمواد الغذائية بأنها تفكّكها لغايات أخرى تختلف عن الغاية الغذائية فحسب. العناصر التي تهتم بها المعرفة السرية ليست العناصر الغذائية بل العناصر الأربعة الرئيسية. إن تناول الطعام يهدف في المقام الأوّل إلى موازنة العناصر الرئيسية في الجسم (وبالتالي في كيان الفرد ككلّ). تبيّن أن أي خلل في معادلة وجود العناصر الأربعة في الجسم (زيادة أو نقصان) يؤدي إلى خلل أو تغيير ما في نفسيته. من أجل التوضيح يمكن اللجوء إلى مثال واضح وبسيط: إذا زاد أداء عنصر النار عن حدّه خلال قيامه بوظيفته المعهودة في الجسم فلا بد من أن يراودنا شعور بالعطش، بينما زيادة أداء عنصر الهواء يجعلنا نشعر بالجوع، وزيادة أداء عنصر الماء يجعلنا نشعر بالبرد، وزيادة أداء عنصر التراب يُشعرنا بالتعب والإرهاق. ومن جهة أخرى، زيادة منسوب أي من العناصر يسبب تأثيرات قوية في الجسم. زيادة منسوب النار مثلاً يخلق توق إلى الحركة والنشاط، وزيادة منسوب الماء تزيد نشاط العملية الإفرازية (تعرّق مثلاً)، وزيادة منسوب الهواء يشير إلى وجوب الاعتدال في تناول الطعام، وزيادة منسوب التراب يزيد الميل إلى الجنس الآخر.

إذاً، من خلال الأمثلة السابقة نجد أن الطعام يلعب دور كبير في زيادة أو نقصان منسوب العناصر في الجسم مما يجسّد حالة نفسية وصحيّة معيّنة، وبالتالي يوصى الاعتدال في تناول الطعام ووفق منهج منظّم وسليم من أجل المحافظة على توازن العناصر في الجسم فتستمرّ الحالة الصحية السليمة. مجرّد أن حصل أي خلل أو عدم انسجام في تأثير العناصر، حيث يضعف أحدها أو يطغي أحدها على الأخرى الباقية، وجب حينها اتخاذ الإجراءات المناسبة، وذلك عن طريق تناول الطعام المناسب أو تناول الأعشاب المناسبة لاستعادة التوازن إلى عناصر الجسم. على هذه الحقيقة تحديداً يعتمد طب الأعشاب والذي فقدت أصوله العلمية مع مرور الزمن وانتهى به الأمر بشكله الحالي الذي نألفه اليوم، إذ نرى الأطباء يوصفون عشبة معيّنة لعلّة معيّنة لكنهم لا

يعرفون السبب وراء قدرتها على شفاء العلّة. أي طب الأعشاب الذي نعرفه اليوم أصبح تقليد شعبي أكثر من كونه يستند على أسس علمية.

في حالة حصول خلل في معادلة العناصر في الجسم، يمكن لمنظومة غذائية معيّنة متبعة لبعض الوقت أن تكون كافية لتصحيح الخلل، لكن إذا استمرّ هذا الخلل لفترة طويلة دون اتخاذ إجراءات حياله وتحول إلى علّة أو مرض فلا بد من اللجوء إلى الأعشاب لأنها أكثر فعالية وتأثيراً من الطعام العادي. كافة الأنظمة العلاجية التي سادت في الزمن القديم تعتمد على هذا الأساس (إصلاح الخلل في معادلة العناصر). حتى الطب اليوناني القديم الذي يعمل بمفهوم الأخلاط الأربعة (والذي برع فيه إبن سينا) مبني على مبدأ إصلاح الخلل في معادلة العناصر الأربعة في الجسم.

لقد تحدثنا عن الأعشاب والمواد الغذائية المختلفة بصفتها مؤثرات فعلية في معادلة العناصر داخل الجسم، والسبب طبعاً يعود إلى طبيعتها المختلفة وفق مفهوم العناصر، حيث يوجد نباتات أو ثمار نارية وهوائية ومائية وترابية. والأمر ذاته ينطبق على الأعشاب. وحتى النبتة ذاتها مهما كان نوعها يمكن تقسيمها إلى أربع أقسام وكل منها محكوم بأحد العناصر، حيث الجذور تمثّل عنصر التراب، والأوراق تمثّل عنصر الماء، والزهرة تمثّل عنصر الهواء، والبذور تمثّل عنصر النار. بالإضافة إلى أنه رغم انتمائها لعنصر معيّن إلا أنها تتسم بخاصية واحدة لهذا العنصر وليس الثانية، أي هناك نباتات جافة وأخرى رطبة وأخرى باردة وأخرى حامية. في الحقيقة، قد يبدو الأمر معقداً للوهلة الأولى لكن مجرّد أن تعرفنا على المنهج العلمي الذي بني عليه طب الأعشاب سوف تتوضح أمور كثيرة وسنتمكن بعدها من تحقيق معجزات علاجية بكل ما تعنيه الكلمة.

بالإضافة إلى ذلك، وفقاً للمفهوم الطبّي القديم، يوجد أوقات محددة لتناول الدواء أو القيام بالعلاج المناسب، حيث المسيرة الإيقاعية السنوية والشهرية واليومية للطاقة الشمسية تؤخذ في الحسبان. والأمر لا يتوقف عند هذا الحد بل وجب أخذ عمر المريض في الحسبان أيضاً، حيث حياة الإنسان مقسومة إلى أربع مراحل مختلفة وكل مرحلة محكومة بأحد العناصر الأربعة.

وفقاً للتقسيم الرباعي للسنة (الفصول الأربعة) نجد أن الربيع يمثّل النار، والصيف يمثّل الهواء، والخريف يمثّل الماء، والشتاء يمثّل التراب. أما اليوم الواحد فمقسوم أيضاً إلى أربع أقسام، حيث

الفترة المحيطة بشروق الشمس (من ٣ إلى ٩ صباحاً) تمثّل فترة النار، والفترة المحيطة بالظهيرة (من ٩ صباحاً إلى ٣ ظهراً) تمثّل فترة الهواء، والفترة المحيطة بغروب الشمس (من ٣ ظهراً إلى ٩ مساءً) تمثّل فترة الماء، والفترة المحيطة بمنتصف الليل (من ٩ مساءً إلى ٣ صباحاً) تمثّل فترة التراب.

أما حياة الإنسان فهي مقسومة إلى أربع مراحل: [١] سن الطفولة إلى سن الشباب تمثّل مرحلة النار (ربيع العمر)، [٢] سن الشباب إلى سن البلوغ تمثّل مرحلة الهواء، [٣] سن البلوغ إلى سن الكهولة (خريف العمر) تمثّل مرحلة الماء، [٤] سن الكهولة إلى سن الشيخوخة تمثّل مرحلة التراب.

وفقاً للمفهوم الطبّي القديم، إن تناول عشبة معيّنة في فترة زمنية محكومة بعنصر الهواء تكون مختلفة من حيث التأثير والفعالية عن تناولها في فترة زمنية محكومة بعنصر الماء مثلاً. وكذلك الحال مع عمر المريض حيث يختلف تأثير العشبة بين المريض الشاب والمريض الكهل، وهكذا إلى آخره. كل هذه الأمور (وشروط كثيرة أخرى) تؤخذ في الحسبان خلال معالجة المرض وفق مفهوم العناصر الأربعة.

مختصر صفات وخصائص العناصر الأربعة وفق المفهوم الطبّي القديم

[١] ***النار: حامي/جاف.*** هو العنصر الأكثر نشاطاً. قوي، متطاير، متفجّر، باعث للطاقة، خفيف متصاعد، متخلّل. راشح، نقي، مستأصِل، موجِز، أيضي، متحوّل. يمثّل المرّة الصفراء في أخلاط الجسم، الطبع النزق.

[٢] ***الهواء: رطب/حامي.*** هو العنصر الأكثر رقة ونقاوة. طبيعة جارية وسيولية، يملئ كل فراغ. تبادل، حركة، اتصال. متصاعد، خفيف، متخلخل. يمثّل الدم في أخلاط الجسم، الطبع متفائل.

[٣] ***الماء: بارد/رطب.*** العنصر الأكثر انفعالاً وتقبلاً. المتلقي والمستوعب الأكبر للطاقة. طبيعة جارية وسيولية، يبرّد، يرطّب، يزلّق، يذيب، يفكّك، ينضّف، ينقّي، يتسرّب للأسفل. يلقّح وينتش بصفته مصدر الحياة. يمثّل البلغم في أخلاط الجسم، الطبع بارد متأثّر.

[٤] *التراب: جاف/بارد*. العنصر الأثقل والأكثر كثافة وصلابة. يسحب، يبقي، يقسّي، يخثّر، يُرسّب، يحفظ، يعزّز، يدعم، يتحمّل. يمثّل المرّة السوداء في أخلاط الجسم، الطبع سوداوي.

العناصر الأربعة والطبيعة النفسية

بالإضافة إلى تجلّي المبادئ الأربعة بمظاهر وأشكال مختلفة في جسم الإنسان، رأى الحكماء القدامى بأنها تجلّت بمظاهر وأشكال مختلفة في تركيبته النفسية والعقلية أيضاً. رأينا سابقاً كيف تجلّت على شكل أربع طبائع (نزق، بارد، متفائل، سوداوي) لكن هذا لا يشمل كامل الصورة إذ هناك المزيد. بالإضافة إلى إثباتهم هذه الحقيقة، رأوا بأن هذه المبادئ تتجلى جميعاً في التكوين النفسي للفرد لكن يوجد مبدأ واحد طاغي على المبادئ الأخرى، مما يجعل الفرد ميّال إلى التعبير عن سمات وطبائع هذا المبدأ تحديداً. لكن في الحالة مثالية تكون المبادئ الأربعة متساوية وهذه حالة نادرة جداً، وفي هذه الحالة تجعل الفرد فريداً ومثالي وكامل الأوصاف وخارق القوى. والهدف الأسمى لدى المدارس السريّة هو موازنة هذه المبادئ في كينونة المريد لتقريبه إلى هذه المواصفات المثالية الخارقة. فيما يلي جدول يحتوي على أمثلة على تصنيفات فلسفية مختلفة تمثّلها المبادئ الأربعة في كينونة الفرد.

	نار	*هواء*	*ماء*	*تراب*
الفضائل	الاستقامة	الدراية	البرّ	الاحتشام
الشخوص	المحارب	الكاهن	الخادم	التاجر
الطبيعة النفسية	إرادة	فكر	المشاعر	الحواس
المسرّات العاطفية	الفوز بالمنازلة	إظهار الذات	التفكير بالآخرين	الملذات الحسية
الشرور	الإغاضة	الافتراء	المراوغة	الحقد

الفضائل

[١] الطبيعة النارية: فضيلتها الاستقامة. هؤلاء الأفراد يمتثلون للقوانين المتعلقة بالمعايير الأخلاقية السائدة. يفعلون ما يعتقدونه صائباً ومعروفون بحس الإنصاف. هم صادقون صريحون عادلون ومستقيمون في تعاملهم مع الآخرين.

[٢] الطبيعة الهوائية: فضيلتها الدراية والإلمام. هذا لا يعني أنهم أكثر ذكاءً من غيرهم لكنهم على اطلاع بالأمور بشكل عام. يجدون التواصل مع الآخرين. يتمتعون بحسن الكلام ويعرفون شيئاً عن كل شيء. الشخص الهوائي منفتح ولين العريكة وسهل التعامل.

[٣] الطبيعة المائية: فضيلتها البرّ والإحسان. هؤلاء الأشخاص خيّرون ومحسنون ويتمتعون بطبيعة كريمة وودودة. يهتمون بصالح الآخرين. نادراً ما يبدؤوا التشاحن أو العداء. يستخلصون مسرّاتهم من فعل الخير.

[٤] الطبيعة الترابية: هم محافظون ولائقون. يتبعون السلوك والكلام والتصرّف المقبول اجتماعياً. يتسمون بالأدب والتهذيب. هم متعقلون ويولون أهمية كبيرة للعادات والتقاليد التي تحكم السلوك.

الشخوص

[١] الطبيعة النارية: شخصية المحارب الحقيقي. يستعرضون الشجاعة والإقدام والجلد والنخوة والحماس والمشاكسة. يملكون القوة الذهنية والأخلاقية التي تمكنهم من المغامرة في أرض مجهولة ومواجهة الصعاب والمخاطر. نادراً ما يظهرون الخوف. واثقون في تصرفاتهم. مندفعون متماسكون ومصممون. لا يُهزمون بسهولة. طبيعتهم عدوانية ويحبون التحدّي.

[٢] الطبيعة الهوائية: شخصية الكاهن أو العرّاف. هؤلاء أشخاص فكريون ويميلون إلى الأمور الذهنية. يجمعون المعرفة عبر التجربة والاختبار والتعلّم والتواصل الاجتماعي. في الأزمنة القديم كان الكاهن هو الإنسان المتعلّم والمثقف، والكهنة أو العرافين كانوا يمثّلون المجتمع العلمي

الحقيقي. هم أصحاب الحكمة والمعرفة. الشخص الهوائي فضولي بطبعه ويتمتع بحس المبادرة وبديهي ومدرك للأمور عموماً.

[٣] الطبيعة المائية: شخصية الخادم. هذه الشخصية التي نسبها الفلاسفة القدامى للإنسان المائي لا تعني صفة مهينة بل بالعكس حيث تعبّر عن روح التعاون والرفقة والعطاء والنزعة الاجتماعية. هم إنسانيون حقيقيون حيث يهتمون بمصلحة الغير. وصفوهم بالخدام أو الخدومين لأنهم متفانين ومتعاطفين مع الآخرين الأقل حظاً، يفعلون ذلك دون انتظار أي مقابل.

[٤] الطبيعة الترابية: شخصية التاجر. نجدهم في المتاجر وأسواق المقايضة وكل ما يتعلق بجمع المال والرزق عموماً. لا يجدون أنفسهم سوى في أعمال البيع والشراء وبالتالي يميلون إلى التجارة وأعمال المقايضة.

الطبيعة النفسية

[١] الطبيعة النارية: الإرادة والروح المحفّزة. لديهم طبيعة تمنحهم نشاط وطاقة جسدية وقوة حيوية عالية. من أبرز خواصهم الهمّة العالية والحماسة وحماوة الاندفاع والشجاعة والتصرّف السريع. يتصفون بالثبات والإقدام والإصرار.

[٢] الطبيعة الهوائية: الفكر والروح الذهنية. لديهم طبيعة تمنحهم ذهن متوقّد وحدّة الذكاء. يسوّغون الأشياء بواسطة التفكير وليس التأثّر بعوامل عاطفية أو جسدية. يتمتعون بأي نوع من المسرات التي يستخدمون فيها قدراتهم الذهنية وسرعة البديهة.

[٣] الطبيعة المائية: المشاعر والروح العاطفية. لديهم حساسية قوية ومشاعر متأجّجة. كافة القرارات التي يتخذونها تستند على مشاعرهم بدلاً من عقلانيتهم. رغم طبيعتهم العاطفية إلا أنهم لا يظهرونها علناً. مشاعرهم تتأثّر بسهولة لكنهم لا يعبرون عنها.

[٤] الطبيعة الترابية: الجسد والروح الحسيّة. لديهم حب كبير للأشياء المادية الملموسة. يستخلصون مسراتهم من المحفزات الحسيّة، المأكل والمشرب والجنس. يحيطون أنفسهم بأشياء

مادية مثل المفروشات الجيّدة والتحف الفنية والمجوهرات. لديهم ذوق جيّد في الملبس وخبراء في تذوّق الطعام والشراب.

المسرّات النفسية

كل شخص له توجّه عاطفي خاص به. كما يمكن تحديد الطبيعة النفسية للفرد من خلال العنصر الذي يحكمه يمكننا أيضاً تحديد المسرات النفسية التي ينزع إليها.

[١] الطبيعة النارية: المسرات النفسية للشخص الناري هي الفوز في المنازلة. هؤلاء الأشخاص يحبون الفوز أو أن يكونوا الأفضل في مجال نشاطهم. طبيعتهم العدوانية تجعلهم يشكلون "أنا" كبيرة. لا شيء يحفّزهم أكثر من التحدّي والسعي للفوز، وبالتالي ما من شيء أكثر إحباطاً من الفشل أو خسارة المنازلة. يتوقون إلى أن يكونوا مركز انتباه الجميع والتباهي بأنفسهم.

[٢] الطبيعة الهوائية: المسرات النفسية للشخص الهوائي موجّهة نحو إظهار الذات. هؤلاء يميلون إلى الحكم على أنفسهم بشكل صارم. لديهم معايير خاصة يضعونها لأنفسهم مثل النظافة والصحّة وطريقة اللبس والثقافة وأداءهم في العمل والعائلة. هؤلاء الأشخاص يتمحورون حول تقدير "الأنا" لديهم بنفس درجة الأشخاص الناريين.

[٣] الطبيعة المائية: المسرات النفسية للشخص المائي موجّهة نحو الآخرين. هم مهتمون جداً بصالح الأصدقاء والعائلة. كما أنهم يهتمون بما يقوله أو يفكر به الآخرين بخصوصهم. أي تعليق عابر من أحدهم قد يجرح مشاعرهم بعمق رغم أنهم لا يظهرونها. مستعدون للتنازل عن أنفسهم أو كل ما يملكونه من أجل مساعدة الآخرين. لكن هذه التضحية تتطلب نيلهم الثقة أولاً، وهذه الأخيرة ليست سهلة المنال لأنهم متشككون وحذرون.

[٤] الطبيعة الترابية: المسرات النفسية للشخص الترابي تبرز من محفزات حسيّة. كل من الحواس الخمسة تنتج استجابة عاطفية خاصة. البصر والسمع واللمس والشم والذوق، جميعها تجلب له إما البهجة أو الحزن. المحيط الجميل والموسيقى الجيّدة وجودة الأشياء التي يقتنيها،

ورائحة ومذاق الطعام الجيّد والأمان المادي... جميعها شروط جيّدة للمسرّات النفسية للشخص الترابي.

الشرور

إن معاملة الإنسان لأخيه الإنسان لا تخلو من الأخطاء والعيوب. كل فرد، عندما يستثار غضبه أو يُساء معاملته بطريقة أو بأخرى يظهر أحد هذه الشرور الأربعة التالية والمُصنفة وفق مفهوم العناصر الأربعة.

[١] الطبيعة النارية: الإغاظة والنكاية، هذه هي مساوئ الشخص الناري عند إبراز شروره. إنهم مصمّمون ومناكفون وانتقاميون. عند استثارة غضبهم يذهبون إلى أقصى الحدود للانتقام، لكن هذا الانتقام لا يدوم أكثر من فترة الغضب. عند ثورتهم يردون الكل أن يثوروا معهم. إنهم مناكفون ويفعلون أشياء مقصودة لاستثارة غضب الآخر. سريعو الغضب ولا يترددون في أذية الآخر في شعوره أو جسده.

[٢] الطبيعة الهوائية: الافتراء والمكر، هذه هي مساوئ الشخص الهوائي عند إبراز شروره. هؤلاء الأشخاص ماهرون جداً عندما يتعلق الأمر بالأذى. كما أنهم يميلون إلى الأذى الجسدي مثل الناريون. في الوقت الذي يكون فيه غضب الناريين مؤقت وسريع الزوال نجد الهوائيين يحملون حقد طويل المدى. الهوائي سليط اللسان وانتقاداته لاذعة ومهينة.

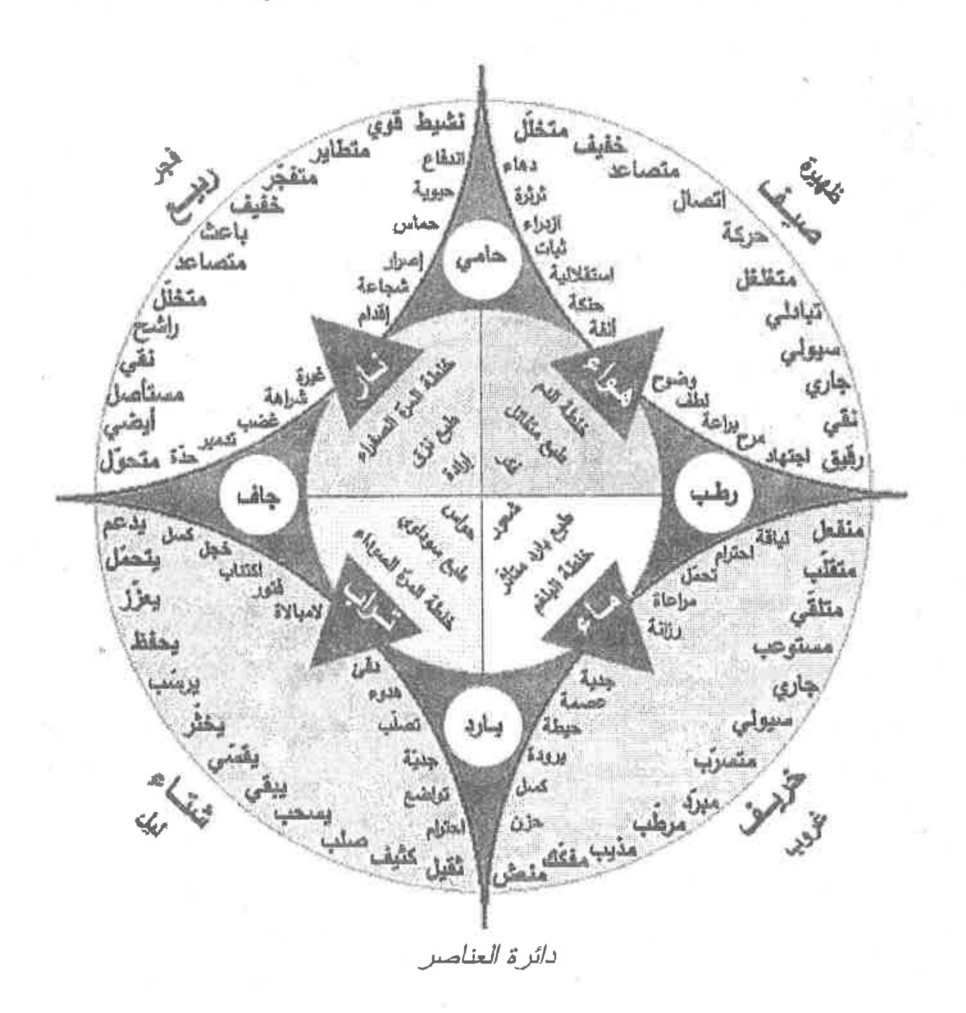
[٣] الطبيعة المائية: المراوغة والمخادعة، هذه هي مساوئ الشخص المائي عند إبراز شروره. يحرّفون الحقيقة بطريقة خسيسة تهدف إلى أذى الآخرين. هذا هو أسلوبهم (اللاعنفي) الخاص للانتقام. الشخص المائي هو عاطفي بطبيعته وبالتالي سهل الانجراف مع الموقف الراهن. لا يتبعون أسلوب جسدي عنيف لكن إذا بلغت الأمور فوق الحد يصبحون تعسفيين ومؤذيين بأي طريقة يجدونها مناسبة.

[٤] الطبيعة الترابية: الحقد والضغينة، هذه هي مساوئ الشخص الترابي عند إبراز شروره. لا يميلون إلى العنف الجسدي، لكن دائماً يكون هناك استثناءات. هم انتقاميون وحقودون، ينتظرون

طويلاً حتى يحين الوقت المناسب لرد الأذى بطريقة أو بأخرى. عند غضبهم يشبهون الناريين والهوائيين بسرعة التعبير كلامياً لكن يبقى الأذى الجسدي الخيار الأخير.

كما ترون، من بالاعتماد على معرفة العنصر الذي يحكم الفرد نستطيع تكوين فكرة جيدة عن فضائله وشروره وطبيعته النفسية ومسراته الروحية.. إلى آخره. وإذا عرفت الخاصية الغالبة للعنصر الذي يحكم الفرد (حامي، جاف، بارد، رطب) سوف يكون حكمك عليه أكثر دقة.

الدائرة التالية تلخّص بعض الخصائص والسمات المنسوبة للعناصر الأربعة:



دائرة العناصر

ملاحظة: هذه مجرّد أفكار مختلفة وغير منظّمة عن موضوع العناصر الأربعة وقد اختصرتها بقدر الإمكان بسبب ضيق المساحة، مع أنه في الحقيقة هناك الكثير عن هذا الموضوع لدرجة تملأ عدة كتب، لكن أعتقد أن الغاية النهائية من ذكره قد تحققت حيث لا بد من أن القارئ الكريم قد كوّن فكرة واضحة وشاملة عن موضوع العناصر وخصائص وسمات كل منها وكذلك طبيعتها التي تميّزها عن بعضها وهذه هي غايتنا في هذا الكتاب تحديداً.

العناصر الأربعة والتطوّر الروحي

كما ذكرت سابقاً فإن جسم الإنسان (وكل كائن حيّ) يحوز على سيولة كهرومغناطيسية تتجلّى بانبعاثات مختلفة، وهي ذاتها الطاقة الحيوية التي تحدثت عنها المراجع الطبية والروحية والماورائية وأشارت إليها بأسماء مختلفة مثل المغناطيسية الحيوانية أو الطاقة الأودية أو حقل الطاقة الإنساني أو غيرها من أسماء. معظم المناهج التدريبية في المدارس الروحية تهدف إلى تنشيط هذه الطاقة الحيوية في الجسم لأسباب صحية وبيولوجية وروحية. وكما علمنا سابقاً، فإن شدة انبعاث هذه السيولة الكهرومغناطيسية تعتمد على استطاعة أو فعالية العناصر الأربعة في الجسم. كلما كان أداءها متوازناً وسليماً كلما زادت شدّة انبعاث الطاقة الحيوية. بناء على هذه الحقيقة المهمة اتخذ المعلمون القدامى إجراءات مناسبة ممثلة بتمارين وسلوكيات محددة تعمل على موازنة العناصر الأربعة في كينونة المريد مما يؤدي في النهاية إلى تنشيط الطاقة الحيوية بشكل كبير، وذلك عبر المحافظة على توازن التركيبة النفسية والذهنية للفرد في حياته اليومية إذ تحتاج إلى تغيير كامل في طريقة التفكير وتغيير طريقة النظر إلى الأشياء، وهذا يتطلب فلسفة خاصة توجّه الفرد نحو هذا المسار وتحثّه على التغيير بقناعة تامة.

هذا ما يحصل بالضبط في بداية مسيرة المريد نحو التطوّر الروحي، إذ عليه إجراء مجموعة من التغييرات في نفسه بحيث تتناسب مع سعيه نحو الخلاص من القيود الدنيوية. وقد وضع منهج خاص لتحقيق هذه الغاية وهو ذاته المنهج الفلسفي المذكور في الفقرة السابقة.

المهمة الأولى التي يتوكلها المريد هي معرفة نفسه. من هنا جاءت المقولة الفلسفية الشهيرة ".. أعرف نفسك..". كل منظومة فلسفية، مهما كان نوعها أو منهجها، تضع هذا الشرط الأساسي في المقام الأول. دون معرفة الذات سوف لن يكون أي تقدم من أي نوع خلال مسيرة التطوّر الروحي. الطريقة المجدية التي وضعها القدماء في سبيل سبر الذات ومعرفتها تتمحور حول مفهوم العناصر الأربعة. على المريد أن يفحص نفسه بصدق لكي يجري التحوّل العقلي المناسب لتحقيق التوازن المطلوب في نفسه.

يبدأ أولاً في فحص الجوانب السيئة من ذاته. عليه النظر جيداً في مدى سيطرته على عاداته ونزواته وغرائزه وإخفاقاته وغيرها من سمات قبيحة في كيانه. وجب عليه أن يكون صارماً مع نفسه ولا يتسامح أو يسعى إلى تبرير أي منها. على المريد أن يسبر نفسه بتأنّي وخلال جلسات تأمّل عميقة. عليه العدة إلى الماضي تذكّر نفسه يخوض ظروف ومواقف متنوعة ويرى كيف تصرّف وما هي الأخطاء التي ارتكبها وأين فشل. عليه تدوين الملاحظات حول كل العيوب التي أدت إلى ضعفه وفشله واقترافه الأخطاء. وكلما مرّ الوقت وزاد اكتشافه لعيوبه كلما كان الأمر أفضل له. وجب أن لا يبقى شيئاً مخفياً ولا شيء محجوب، مهما كان سخيفاً أو تافهاً. عليه أن يسبر نفسه بالكامل، يغسلها تماماً من أي غبار أو رسوبيات. يعتبر هذا الإجراء من أهم الخطوات المتبوعة في المناهج التدريبية، رغم أن الكثير من المدارس الفلسفية أو الروحية تجاهلته بالكامل وهذا ما جعلها عاجزة عن تحقيق نتائج مجدية. هذا الإجراء ضروري جداً لتحقيق التوازن النفسي حيث دون هذه الحالة الأخيرة لا يمكن حصول أي تطوّر روحي.

الأمر الذي يهمنا بخصوص هذا المنهج هو محاولة المريد تقسيم العيوب والنواقص التي يكتشفها في نفسه إلى أربع أصناف، إي إدراجها في أربع خانات وكل منها منسوبة لأحد العناصر الأربعة. قد يصاب المريد بالإرباك خلال تصنيف هذه العيوب حيث يحتار إلى أي عنصر ينسب عيب معين، لكنه سينجح مع مرور الوقت في العملية إذ بعد تقدمه في التعاليم النظرية المرافقة للعملية لم يعد يجد بعدها مشكلة في ذلك.

مثلاً، تحت عنوان عنصر النار يمكنه إدراج عيوب مثل: الكره، الغيرة، الإنتقام، النزق، والغضب.. إلى آخره. وتحت عنوان عنصر الهواء يدرج عيوب مثل: الطيش، الوقاحة، الإسراف، والثرثرة،.. إلى آخره. وتحت عنوان عنصر الماء يدرج عيوب مثل: اللامبالاة،

الكسل، البرودة، الانقياد، الإهمال، الخجل، التقلّب.. إلى آخره. وتحت عنوان عنصر التراب يدرج عيوب مثل: الكسل، عدم الإحساس، الكآبة، الشذوذ، البلادة.. إلى آخره.

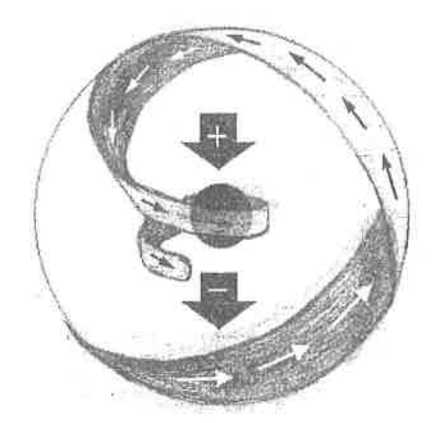
الآن جاء دور الخصائص الحسنة، وهذه أيضاً يتم توزيعها على أربع جداول منسوبة للعناصر. فمثلاً، تحت عنوان عنصر النار يدرج ميزات مثل: النشاط، الحماس، الثبات، الشجاعة، والإقدام.. إلى آخره. وتحت عنوان عنصر الهواء يدرج ميزات مثل: المثابرة، الاجتهاد، المرح، البراعة، الكرم، اللهفة، والتفاؤل.. إلى آخره. وتحت عنوان عنصر الماء يدرج ميزات مثل: التواضع، الاحتشام، الزهد، صدق الشعور، شفقة، هدوء، رقة، وتسامح.. إلى آخره. وتحت عنوان عنصر التراب يدرج ميزات مثل: الاحترام، التحمّل، إخلاص في العمل، إتقان، رزانة، دقة المواعيد، ومسؤولية.. إلى آخره.

بعد الانتهاء من سبر نفسه وتصنيف الخصائص السيئة والجيّدة يصبح لديه لائحتين، لائحة سوداء تحتوي السمات السيئة والأخرى بيضاء تحتوي السمات الجيّدة. هاتين اللائحتين تساعدان المريد على معرفة أي من السمات هي الأنشط في نفسه، وبالتالي إذا كانت سيئة عليه إلغائها تماماً من كيانه وذلك وفق تمرينات محددة تتعلق بمراقبة الذات والتركيز على القطب المعاكس للسمة المعنية. لكن الأهم من ذلك هو معرفة إلى أي من العناصر الأربعة ينتمي أكبر عدد من السمات النشطة وبالتالي على المريد العمل على معالجة هذه المسألة وفق منهج تدريبي يتعامل مع العناصر عموماً وليس السمات منفردة، لكن هذه المسألة تنتمي إلى موضوع آخر سوف أتناوله في إصدار لاحق.

المهم أن نعلم أن مفهوم العناصر الأربعة يدخل في أساس التعاليم المتعلقة بالتطوير الروحي وتلعب دوراً رئيسياً في تلك التي تُسمى تمارين التحوّل العقلي أو الخيمياء العقلية، والتي تؤدي في النهاية إلى إحداث توازن كامل في معادلة تفاعل العناصر الأربعة في كيان المريد. وهذا يتم عبر إلغاء السمات السلبية وتعزيز السمات الإيجابية في تكوينه النفسي.

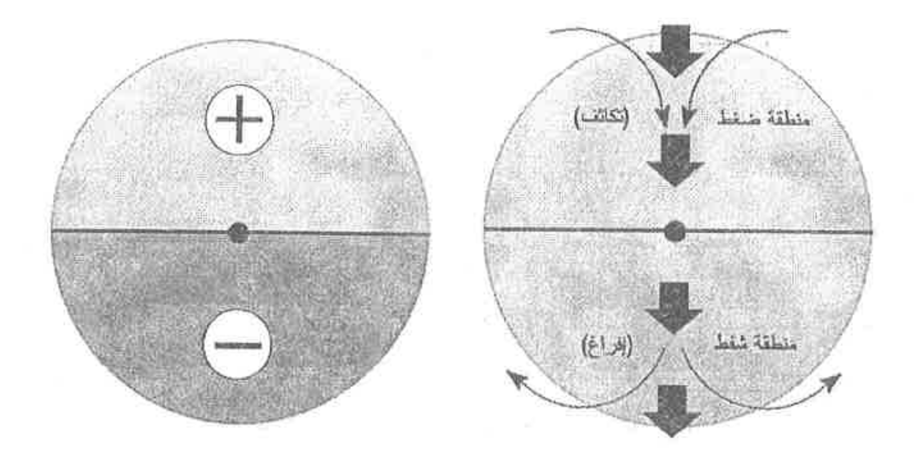
مبدأ القطبية

هذا المبدأ يُفسّر كيف أن كل شيء له قطبين، أو مظهرين متناقضين، وأن "المتناقضات" هي في الحقيقة نهايات متعاكسة للشيء ذاته، مع درجات كثيرة ومختلفة بينهما. أما آلية تشكّل النمط الأوّل لهذا المبدأ الكوني فقد وصفته في موضوع "قصة الخلق" في الجزء السابق، حيث انقسمت البيضة الكونية إلى منطقتين قطبيتين بعد انزياح المحتوى المنتشر في "البيضة الكونية" من المحيط ليتكاثف عند المركز مشكّلاً كتلة مركزية تمثّل المتجسّد الأوّل. المنطقة العلوية هي موجبة بسبب تكاثف المحتوى الكوني فيها، والمنطقة السفلية هي سالبة بسبب إفراغها من المحتوى الكوني. وقد عبّرت عن الآلية التي حصلت فيها عملية الإفراغ والتكاثف على الشكل التالي:



انزياح المحتوى بشكل لولبي من الأسفل ليتراكم في الأعلى قبل انعطافه نحو المركز

انزياح المحتوي الكوني من محيط الكرة والتوجّه لولبياً إلى المركز اتخذ مساراً صاعداً ثم نزولاً من الأعلى باتجاه المركز. هذه العملية خلقت منطقة إفراغ في الأسفل ومنطقة تكاثف في الأعلى. أي قوة شفط في الأسفل وقوة ضغط في الأعلى. هذا جعل الكرة في النهاية مقسومة إلى قسمين، القسم العلوي الموجب [+]، والقسم السفلي السالب [−]. (كما في الشكل التالي):



جميع التعاليم الباطنية حول العالم تحدثت عن القطبية الثنائية التي تشكلت بعد انقسام الواحد إلى قسمين، وقد أشاروا إليها بأسماء كثيرة ورمزوا إليها بطرق مختلفة. يمكننا ملاحظة هاتين القوتين في كل مكان في الطبيعة وفي كافة مجرياتها.

".. كل شيء ثنائي الوجوه.. كل شيء له أقطاب.. كل شيء له نقيضين.. التشابه والاختلاف هما الأمر ذاته.. المتعاكسان يمثلان الأمر ذاته في الطبيعة، لكن يختلفان من حيث الدرجة والنسبة.. النهايات المتضادة تلتقي ببعضها.. كل الحقائق هي نصف حقائق.. كل التناقضات قابلة للتوفيق فيما بينها.." ـــ القيبلان

هذا المبدأ يجسّد حقيقة أن كل شيء ثنائي القطبية، كل شيء له نقيضين، هذه البديهيات المأثورة تفسّر المفارقات القديمة التي أربكت الكثيرين، والتي تمثّلت بما يلي: ".. الموضوع ونقيضه هما شيء واحد في الطبيعة، لكن يختلفان من حيث النسبة.."، ".. النقيضان يمثلان الأمر ذاته، لكن يختلفان في الدرجة.."، ".. يمكن للأزواج النقيضة أن تتوافق.."، ".. النهايات تلتقي.."، ".. كل شيء هو كذلك وغير ذلك بنفس الوقت.."، ".. كل الحقائق هي نصف حقائق.."، ".. كل حقيقة هي نصف زائفة.."، ".. هناك جانبين لكل شيء.."، .. إلى آخره. هذا المبدأ يُفسّر كيف أن كل شيء له قطبين، أو مظهرين متناقضين، وأن "المتناقضات" هي في الحقيقة نهايات متعاكسة للشيء ذاته، مع درجات كثيرة ومختلفة بينهما. فمثلاً: الحرارة والبرودة، بالرغم أنهما متعاكسان، لكنهما يمثلان الأمر ذاته، والاختلافات بينهما هي مجرّد درجات متفاوتة للشيء ذاته. المبدأ ذاته ينطبق على حالة "الضوء والظلام" اللذان يمثلان الشيء نفسه لكن مع فرق في تفاوت الدرجات

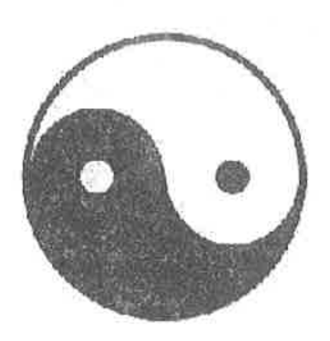
بين قطبي الظاهرة. أين ينتهي الظلام ويبدأ الضوء؟ ما الفرق بين الكبير والصغير؟ بين الصلب والمرن؟ بين الأسود والأبيض؟ بين الغباء والذكاء؟ بين الضجيج والهدوء؟ بين العالي والمنخفض؟ بين السالب والموجب؟ مبدأ القطبية يفسّر كل هذه المفارقات وما من مبدأ آخر يضاهيه بذلك. هذا المبدأ يعمل على المستوى العقلي أيضاً. دعونا نتناول مثال جوهري وهو حالتي "الحب والكره". هاتان الحالتان العقليتان تظهران بأنهما مختلفتان تماماً، لكن مع ذلك، هناك درجات متفاوتة للكره ودرجات متفاوتة للحب، كما أن هناك نقطة وسطية بينهما حيث تتدرّج الحالتان لتندمج ببعضهما لدرجة تجعلنا نحتار حول إن كنا نحب أو نكره. إذا فكّرت ملياً بالأمر ستكتشف بأن هذه الحالات مجرّد درجات متفاوتة للشيء نفسه.

يؤكّد المعلمون بأنه يمكن توضيح هذا المبدأ بالاعتماد على تفحّص الطبيعة الحقيقية لأي شيء. يبدؤا من خلال تبيان كيف أن "الروح" و"المادة" هما قطبان متضادان للشيء ذاته، والمستويات التي تتوسطهما هي مجرّد درجات متفاوتة من الذبذبة. يبينوا كيف أن "الكلّ" والمتعدد يمثلان الشيء ذاته، والفرق هو مجرّد مسألة درجات متفاوتة من التجلّي العقلي. ثم يشرحون المبدأ على المستوى المادي عبر تبيان قطبيات الأشياء المختلفة في المستوى المادي. (أنظر في مبدأ القطبية الوارد في موضوع الفلسفة الهرمزية في الجزء السابع)

من بين أشهر التعليم الفلسفية التي تناولت مبدأ القطبية هي فلسفة الـ"يِن/يانغ" الصينية. والموضوع التالي يشرح بعض أفكارها الأساسية، متبوعاً ببعض التوضيحات والتصحيحات بالاعتماد على المعيار الأساسي الذي تأخذ به التعاليم السرية.

الين واليانغ

Yin and yang

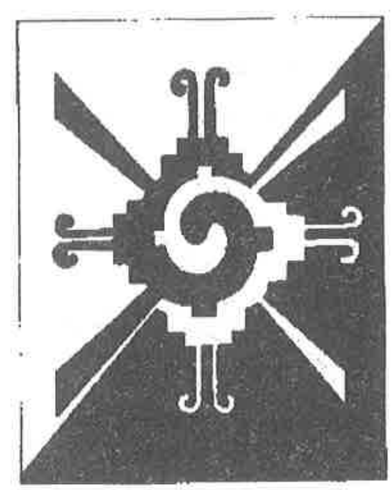


مبدأ القطبية وفق الفلسفة الصينية

يُستخدم مبدأ الـ"ين/يانغ" في الفلسفة الشرق آسيوية (الصين خصوصاً) لوصف كيف تتفاعل المتعاكسات القطبية أو القوى المتضادة مع بعضها البعض وكذلك كيف تعتمد على بعضها البعض في الطبيعة، وأيضاً كيف يتناوب تأثيرها بشكل إيقاعي. صحيح أن هاتين القوتين متعاكستين لكن أحدها لا تستطيع الباقاء وحدها دون الثانية، لذلك هما متكافلتين. هذا المفهوم يمثل أساس العديد من العلوم والفلسفات الصينية، بالإضافة إلى كونه يمثّل القاعدة التي يستند عليها الطب التقليدي الصيني، ويمثل أيضاً المبدأ الأساسي لأشكال مختلفة من فنون القتال والرياضة البدنية الصينية، مثل "باغوازهانغ" و"تايتشي" و"تشي كونغ"، كما أن هذا المفهوم يمثّل محور كتاب الـ"أي تشينغ" I Ching الذي يُستخدم عموماً للتنبؤ بالمستقبل.

الـ"ين/يانغ" لا تمثّل قوى ثنائية متعاكسة بل ضدين متممين لبعضهما البعض ويتفاعلان ضمن كيان واحد يشملهما ليتشكل في النهاية منظومة ديناميكية متكاملة. كل شيء في الوجود يحتوي على مظاهر القوتين معاً، كما الضوء الذي لا يستطيع الوجود دون الظلام والعكس بالعكس، لكن أحد هذين المظهرين قد يتجلى بدرجة أكبر من الآخر في بعض الأشياء ويمكنه أن يكون تجسيده إيقاعي في تلك الأشياء، أي يزداد وينقص بشكل دوري. يُرمز إلى مفهوم الـ"ين/يانغ" بأشكال وصيغ مختلفة لشعار الـ"تايجيتو" Taijitu الذي أوّل من أوجده الفيلسوف "كونفوشيوس" لكن المظهر العام يبقى ذاته لا يتغيّر (كما في الشكل السابق).

المعنى الحرفي لكلمة "تايجيتو" هو [.. شعار الجوهر الأسمى..]. يستخدم هذا المصطلح عموماً ليعني [.. الدائرة المقسومة..]، لكنه قد يشير أيضاً إلى أي رسم أو مخطط يمثّل مبدأ الـ"ين/يانغ". يوجد الكثير من الشعارات والرموز المشابهة للـ"تايجيتو" لدى حضارات العالم القديم إذ ظهر بكثرة في الفنون السلتية والرومانية وحضارات أمريكا اللاتينية.



شعار "هوناب كو" Hunab Ku لحضارة المايا في المكسيك يمثّل نفس مبدأ الـ"ين/يانغ"

يُعتبر شعار الـ"تايجيتو" أحد اقدم الشعارات التي ترمز للحياة، لكن القلائل يفهمون معناه كاملاً. هو يمثّل أحد النظريات الجوهرية والعميقة في الفلسفة الطاوية Taoist philosophy. يكمن في قلبه القطبين الرئيسيين للوجود، هما متعاكسين لكنهما مكملين لبعضهما. الـ"يانغ" الأبيض المضيء يعلو ليندمج مع الـ"ين" الأسود المظلم النازل. الـ"ين/يانغ" هما قوتين متناقضتين لكن متكافلتين وتجريان بشكل دوري طبيعي، تسعيان دائماً وأبداً إلى التوازن. بصفتهما يمثلان جزء من الـ"تاو" Tao (الواقع النهائي) فهذا يجعلهما مظهرين مختلفين لواقع واحد.

المبادئ الأساسية للطب الصيني

الأصول الفلسفية للطب الصيني تعود إلى العقيدة الطاوية Taoism، وهذه الأخيرة تعتمد في معظم تأملاتها على الطبيعة ومجرياتها وآلية عملها، لذلك ليس مفاجئاً أن نجد ناظام الطب الصيني يعتمد في معظمه على تعبيرات مجازية مستقاة من الطبيعة. فنظرة الطب الصيني إلى جسم الإنسان تستند كلياً على مشاهداتها ومحاكاتها لمجريات الطبيعة وقوانينها وبالتالي فإنها

تتمحور بشكل جوهري حول نظرية الـ"ين/يانغ" ونظام العناصر الخمسة. هذه النظرية لا تشكل محور الطب الصيني فحسب بل كافة العلوم الصينية الأخرى مثل البيولوجيا والكيمياء والفلك وعلوم الطاقة عموماً. كان يُنظر إلى أعضاء الجسم بأنها متصلة فيما بينها بنفس الطريقة التي تتجلى فيها الظواهر الطبيعية وبالتالي الطريقة الأفضل لفهمها هو البحث عن تشابهات لها في الطبيعة. كان يُنظر إلى المرض على أنه خلل في توازن الـ"ين/يانغ" أو العناصر الخمسة والتي يمكن أن تسببها العواطف أو تاثيرات خارجية مختلفة غالباً ما تكون إيقاعية بطبيعتها (الدورة الإيقاعية لقوتي الـ"ين/يانغ") ويتم بعدها البحث عن العلاج المناسب بالاعتماد على التشخيص الدقيق لسبب الخلل في هذا التوازن.

أقدم النصوص الطبية التي صمدت عبر العصور هي تلك الأجزاء المبعثرة لمخطوط قديم تم انتشاله من قبر يعود إلى سلالة الـ"هان". بالإضافة إلى ذكره للنظرية الرئيسية (الـ"ين/يانغ") يغطي النص مواضيع تتعلق بالأدوية والتمارين البدنية والجراحة العلاجية والرقى السحرية. هذا المخطوط الذي أصبح يمثّل المصدر الرئيسي للنظرية التي استند عليها الطب الصيني يُسمى "تقليد الامبراطور الأصفر حول الطب" والذي يُعتقد بأنه كُتب في الألفية الثالثة قبل الميلاد من قبل الشخصية الأسطورية المعروفة بـ"الامبراطور الأصفر". فيما يلي مقطع مما ورد في النص:

قال الامبراطور الأصفر:

".. يمثّل مبدأ الـ"ين/يانغ" أساس الكون بكامله. هو يقبع خلف كل شيء في الخلق. هو يجلب تطور الوالدية. هو جذر ومصدر الحياة والموت. هو موجود في معابد الآلهة. لكي يعالج ويشفي العلل والأمراض على الفرد ان يبحث عن أسبابها..."

".. خلقت السماء نتيجة تكاثف الـ"يانغ" وهي قوة النور، بينما الأرض خلقت نتيجة تكاثف الـ"ين" وهي قوة الظلام. الـ"يانغ" يمثل السلام والسكون، بينما الـ"ين" يمثل الفوضى والإرباك. الـ"يانغ" يمثل الدمار، بينما الـ"ين" يمثل الصيانة والتماسك. الـ"يانغ" يجلب التفكّك والتحلّل، بينما الـ"ين" يمنح البنية الهيكلية للأشياء..."

".. يتجسّد عنصر النور النقي والجلي في الفتحات العلوية، بينما يتجسد عنصر الظلام العكر والمضطرب في الفتحات السفلية. يتأصل الـ"يانغ" عنصر النور في المسامات، بينما الـ"ين"

عنصر الظلام يتحرك في الأحشاء الخمسة. الـ"يانغ"، تلك القوة النورية الجليّة، متمثلة حقاً بالأطوار الأربعة. بينما الـ"ين"، تلك القوة الظلامية العكرة، نخزّن طاقة الكنوز الستة للطبيعة. الماء هي تجسيد الـ"ين" بينما النار هو تجسيد الـ"يانغ"... الـ"يانغ" يخلق الهواء، بينما الـ"ين" يخلق الحواس التي تعود إلى الجسد المادي..."

لاحظ في الفقرات السابقة كيف وصف هذا المخطوط (على طريقته الخاصة) بعض المقتطفات من مراحل التكاثف في مركز الكرة الكونية كما وصفتها سابقاً في عملية الخلق. عندما تكلم عن السماء التي تكاثف فيها الـ"يانغ" والأرض التي تكاثف فيها الـ"ين" هو بذلك يقسم الكرة الكونية إلى قسم علوي نوراني يعمه السلام وقسم سفلي مظلم تعمه الفوضى. وعندما تكلم عن علاقة الـ"يانغ" بالأطوار الأربعة فإنه بذلك يشرح المراحل الأربعة لحركة التكاثف في المركز. وعندما تكلم عن علاقة الـ"ين" بطاقة الكنوز الستة فإنه بذلك يتحدث عن الطاقات السبعة التي تشكّلت في الكرة الكونية لكن النقطة المركزية (الشمس المركزية) تعود للإرادة الإلهية الذكرية أي للـ"يانغ" بينما النقاط الستة الأخرى تعود للمحتوى الكوني الأنثوي أي للـ"ين". بالإضافة إلى انه نوّه بطريقة معينة في السطرين الأخيرين من الفقرة السابقة إلى مفهوم العناصر الأربعة [النار، الهواء، الماء، والتراب] قائلاً أن [الهواء] هو ابن [النار] (اليانغ) بينما [التراب] الذي أشار إليه بالحواس الجسدية هو ابن [الماء] (الين) وهذا بالضبط ما تؤكده نظرية العناصر الأربعة.

يمكننا إيجاد الكثير من التشابهات في مخطوطات كثيرة أخرى تعود لحضارات وثقافات مختلفة حول العالم وجميعها تتكلم عن ذات السيناريو رغم اختلاف الاسلوب والصيغة. لكن في جميع الأحوال، لا أحد يستطيع استيعاب القصد الفعلي من هذه الشروحات الواردة في المخطوطات المختلفة إلا إذا كان مطلعاً على الحقيقة بصيغتها الأصلية والتي هي ملك حصري للتعاليم السريّة.

يتابع الامبراطور الأصفر في مكان آخر من المخطوط:

".. إذا كان الـ"يانغ" قوي جداً في الجسم فهذا يعني ان الـ"ين" ضعيف. إذا كان الـ"ين" قوي فهذا يعني أن الـ"يانغ" ناقص. إذا كانت القوة الذكورية طاغية فهذا يعني وجود متزايد للحرارة. إذا كانت القوة الأنثوية طاغية فهذا يعني وجود متزايد للبرودة.."

".. إن للطبيعة أربع فصول وخمسة عناصر. من أجل تحقيق العمر المديد على هـذه الفـصول والعناصر ان تُخزّن طاقة الخلق في كل من الأخلاط التالية: البرودة، الحماوة، الجفاف، الرطوبة، والريح.."

انتهى الاقتباس من المخطوط

المعنى المباشر للـ"ينغ" والـ"يانغ" بالمفهوم الصيني هو الجهات المضيئة والمظلمة للشيء. تستخدم الفلسفة الصينية مبدأ الـ"ين/يانغ" ليغطي دائرة واسعة من الخواص المتعاكسة في الكون، مثل: البرودة/ السخونة، بطئ/سرعة، ساكن/متحرّك، أنثى/ذكر، أسفل/أعلى.. وهكذا. بشكل عام، كل شيء يكون متحرّك، متصاعد، مضيء، متقدم، نشيط، بالإضافة إلى الأمراض الوظيفية في الجسم، يمثّل قوة الـ"يانغ". بينما كل شيء يكون ساكن نازل مظلم متراجع، خامل، بالإضافة إلى الأمراض العضوية، يمثّل قوة الـ"ين".

 Yang يانغ *ذكر، نشط، المبدأ الموجب في الطبيعة. الشمس. الجانب الجنوبي أو المشمس من التلة. شمالي النهر.*	 Yin ين *أنثى، خامل، المبدأ السالب في الطبيعة. القمر. الجانب الشمالي أو الظلالي من التلة. جنوبي النهر.*

كل الظواهر في الطبيعة يمكن اختصارها في مبدأ الـ"ين/يانغ"

أربع مظاهر رئيسية لعلاقة الـ"ين" والـ"يانغ"

١ـــ الـــ"ين" والـــ"يانغ" ضدان متعاكسان

هما على الجانبين المتعاكسين للدورة (كما فصول السنة) أو جانبان متعاكسان لسلّم الطاقة/المادة. هذا التضاد هو نسبي ويمكن الحديث عنه فقط عند تناول العلاقات بين الأشياء. مثلاً، الماء يمثّل مبدأ "ين" بالنسبة للبخار لكنه يمثّل "يانغ" بالنسبة للجليد. الـــ"ين" والـــ"يانغ" ليسا ساكنين بل في حالة مستمرة من التوازن المتغيّر.

٢ـــ الـــ"ين" والـــ"يانغ" متكافلين، لا يمكنهما الوجود دون بعضهما البعض

يبيّن شعار الـــ"تايجيتو" العلاقة بين الـــ"ين" والـــ"يانغ" ويوضّح حالة الاعتماد المتبادل بينهما. لاشيء يعتبر "ين" كلياً أو "يانغ" كلياً. حتى في الحركة الإيقاعية مجرّد أن وصل الـــ"يـــن" إلى ذروته يبدأ بالتلاشي مقابل نمو وتصاعد الـــ"يانغ". يحتوي الـــ"ين" على بذرة الـــ"يانغ" في داخله وكذلك الحال مع الـــ"يانغ". هما يتحولان باستمرار إلى بعضهما البعض. مثلاً، ليس هناك طاقة دون مادة ولا مادة دون طاقة، وكذلك ليس هناك نهار دون ليل. يقول المرجع: الـــ"يـــن" يخلق الـــ"يانغ".. والـــ"يانغ" ينشّط الـــ"ين".

٣ـــ الاستهلاك المتبادل للـــ"ين" والـــ"يانغ"

المستويات النسبية للـــ"ين" والـــ"يانغ" تتغيّر باستمرار. في الحالة العادية يكون هذا التغيير متناغم، لكن عندما يخرج الـــ"ين" أو الـــ"يانغ" من طور التوازن فسوف يؤثران على بعضهما، والكثير من احدهما سوف يُضعف (يستهلك) الآخر. يوجد أربع حالات ممكنة لعدم التوازن:

١ـــ رجحان (زيادة) الـــ"ين"

٢ـــ رجحان (زيادة) الـــ"يانغ"

٣ـــ ضعف (نقصان) الـــ"ين"

٤ـــ ضعف (نقصان) الـــ"يانغ"

٤ـــ التحوّل التبادلي الضمني للـــ"ين" والـــ"يانغ"

يمكن لأحدهما أن يتحوّل إلى الآخر، لكن هذا لا يحصل عشوائياً بل فقط عندما يكون الوقت مناسباً. مثلاً، الربيع يأتي عندما ينتهي الشتاء.

الصيغ المختلفة للـ"ين/يانغ"

سبق وذكرت بأن مفهوم الـ"ين/يانغ" يعود إلى قرون عديدة إلى الوراء، لكن تم تطويره وتوثيقه بشكل منهجي منظّم على يد الفيلسوف الصيني "تساو ين" Tsou Yen الذي أوجد المدرسة الطبيعية (٤٧٦-٢٢١ ق.م)، ويُعتقد بأنه هو الذي أوجد نظرية العناصر الخمسة في نفس الفترة وربطها بمفهوم الـ"ين/يانغ". سوّقت المدرسة الطبيعية فكرة العيش بانسجام مع القوانين الطبيعية، وانشغل تلاميذ هذه المدرسة بترجمة الظواهر الطبيعية ومراقبة كيفية انعكاسها على الجسم البشري من حيث الصحة والمرض. اصبح مبدأ الـ"ين/يانغ" والعناصر الخمسة من بين المكونات الأساسية في الفلسفة الصينية.

الرمزو التي استخدمت للـ"ين/يانغ" هي الخط المكسور للـ"ين" والخط الكامل للـ"يانغ"، كما الشكل التالي:

⚊ ⚋
Yang Yin

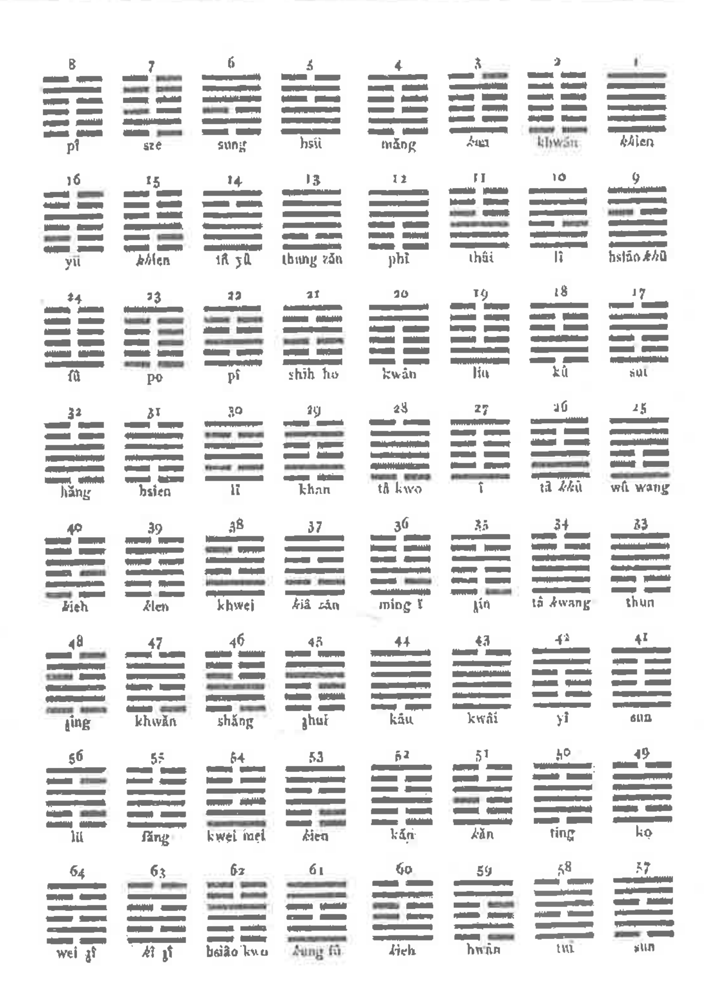
تم بعدها جمع الخطوط وفق كافة الصيغ الممكنة فنتج منها أربعة أطوار مختلفة للـ"ينغ/يانغ". كما في الشكل التالي:

⚏ ⚎ ⚌ ⚍

بعد إضافة خط ثالث مع هذين الرمزين لتكوين ما يُسمى الـ"تريغرام" وهي صيغ مختلفة لرموز الـ"ين/يانغ" وفق خطوط ثلاثية، وتشير إلى النسب المختلفة من تزايد أو نقصان خطوط الـ"ين" أو الـ"يانغ"، وعددها ثمانية، كما في الشكل التالي:

☰ ☱ ☲ ☳ ☴ ☵ ☶ ☷

تم بعدها جمع رموز الـ"تريغرام" (ثلاثية الخطوط) لتشكيل رموز الـ"هيكسوغرام" وهي رموز سداسية الخطوط، وعددها ٦٤ وترمز إلى كل الظواهر الممكنة في الطبيعة. كما في الشكل التالي:

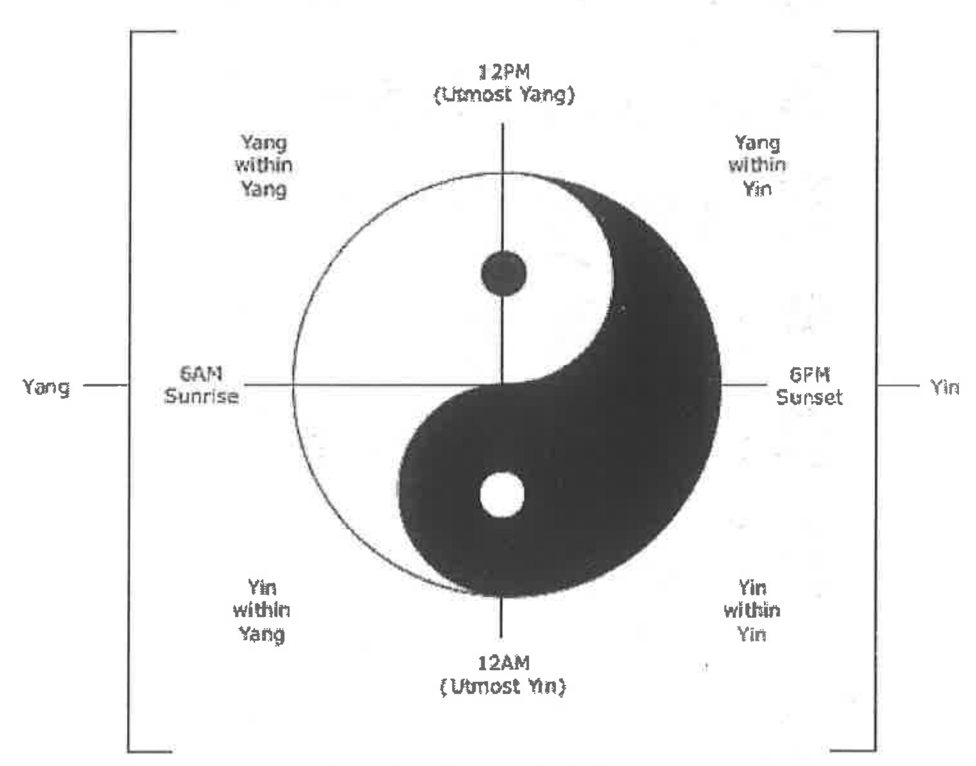


النسب المختلفة من تزايد أو نقصان خطوط الـ"ين" او الـ"يانغ" بالإضافة إلى مواقعها في رموز الـ"تريغرام" (ثلاثية الخطوط) تحدد معنى الرمز. بينما في رموز الـ"هيكسوغرام" تمثّل الخطوط الثلاثة العلوية مبدأ الـ"يانغ" والثلاثة الدنيا تمثّل مبدأ الـ"ين"، وهذا التنوع الكبير في تقسيم الرمز السداسي يؤدي إلى طيف واسع من المعاني والدلالات.

ملاحظة: هذا يذكرنا بالرموز المستخدمة في علم ضرب الرمل التي تعتمد على ذات المبدأ رغم اختلاف الصيغة والفلسفة التي تعتمد عليها حيث تتعلق بمفهوم العناصر الاربعة.

الطبيعة الدورية لتبادل أطوار الـ"ين/يانغ"

لاحظ الحكماء الصينيون طورين رئيسيين من التغيير الدوري. الـــ"ين" يتغيّر دائماً إلى الـــ"يانغ" ثم يعود إلى الـــ"ين" مرة أخرى. يمكن مشاهدة هذه الحالة في دورة الفصول الأربعة وكذلك فـــي دورة اليوم الواحد (دورة ٢٤ ساعة) كما هو مبين في الشكل التالي:



دورة الـــ"ين/يانغ" خلال ٢٤ ساعة

في الصورة السابقة، نجد أن الساعة ١٢ ظهراً تتوافق مع ذروة الـــ"يانغ"، بينما الساعة ١٢ لـــيلاً تتوافق مع ذروة الـــ"ين". وبناء على هذه النقاط الأولية يمكننا تحديد الحالات المختلفـــة الممثلـــة بأوقات اليوم الأخرى. الساعة السادسة مساءً تتوافق مع الـــ"ين" في حالته الطبيعيـــة، والـــساعة السادسة صباحاً تتوافق مع الـــ"يانغ" في حالته الطبيعية. أما الفترة الممتدة بين الـــساعة الـــسادسة مساءً والساعة ١٢ ليلاً فتتوافق مع حالة "يانغ" ضمن نطاق "ين"، والفترة الممتدة بـــين الـــساعة السادسة صباحاً والساعة ١٢ ظهراً فتتوافق مع حالة "ين" ضمن نطاق "يانغ". الفترة الممتدة بـــين

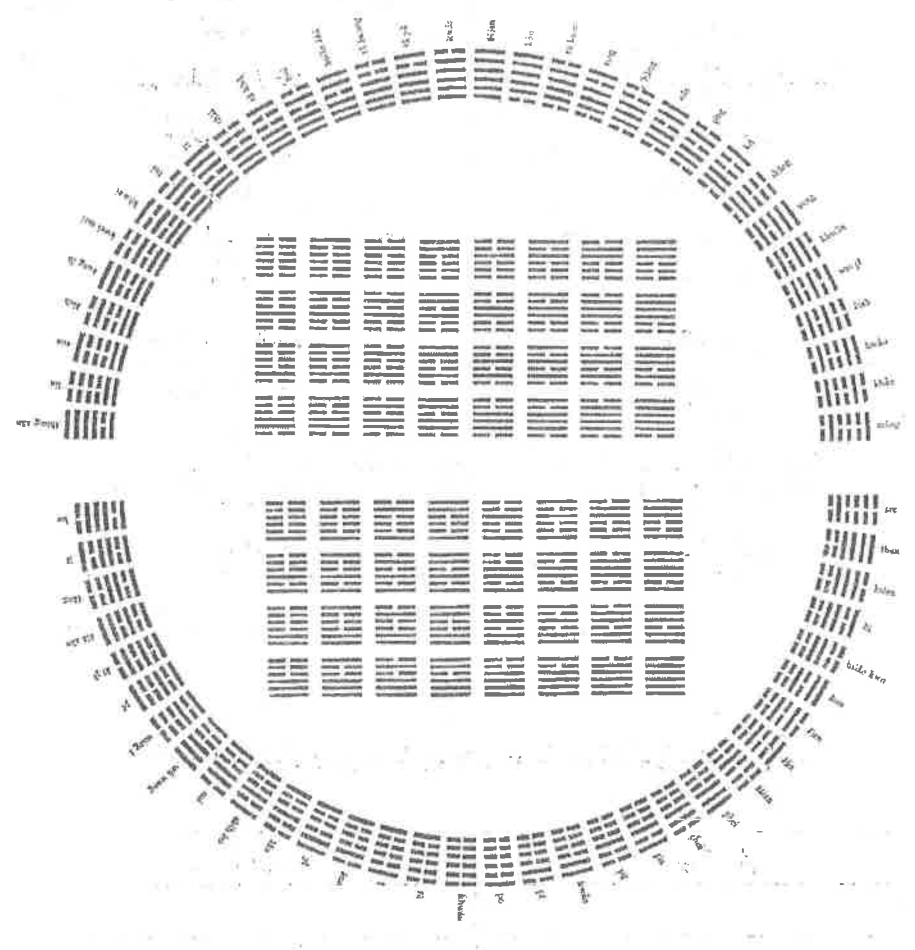
الساعة ١٢ مساءً والسادسة صباحاً تمثّل حالة "يانغ" ضمن نطاق "يانغ"، والفترة الممتدة بين الساعة ١٢ ظهراً والسادسة مساءً تمثّل حالة "ين" ضمن نطاق "ين". وكل من هذه الحالات المختلفة لها تاثيراتها وتبعاتها المختلفة من الناحية النفسية والصحية والبيولوجية وغيرها.



الدورة السنوية للـ"ين/يانغ"

الصورة السابقة تمثّل أحد المخططات المختلفة (باختلاف المدارس) الذي يبيّن الدورة السنوية وفق صيغة معيّنة وتتألف أيضاً من ثمانية أطوار بما فيها الفصول الأربعة. فصل الصيف يمثّل ذروة الـ"يانغ"، بينما فصل الشتاء يمثّل ذروة الـ"ين"، وفصل الربيع يمثّل الـ"يانغ" في حالته الطبيعية، وفصل الخريف يمثل الـ"ين" في حالته الطبيعية.

هناك مخططات تشمل ٦٤ طور مختلف للـ"ين/يانغ" ويمكن استخدامها لكافة الدورات، اشهرها السنوية واليومية (الشكل التالي)، لكن التعامل بها معقد بعض الشيء ولذلك تُستخدم للأغراض التي تتطلب دقة في التنبوء والاستنتاج.



الدورة الكبرى للـ"ين/يانغ" والمقسمة إلى ٦٤ طور مختلف

فيما يلي جدول يحتوي على بعض تجسيدات الـ"ين" والـ"يانغ" في جسم الإنسان:

يــــن	يــانــغ
الجانب الأمامي (الصدر والبطن)	الجانب الخلفي (الظهر)

الجسم	الرأس
القسم الداخل (الأعضاء)	القسم الخارجي (الجلد والعضلات)
أسفل الخصر	أعلى الخصر
أمامي وسط	خلفي جانبي
السطح البطناني لجذع الجسم وأطرافه	الظهر والسطح الظهراني للأطراف
البنية	الوظيفة
الدم/سوائل الجسم	طاقة "تشي"
حفظ وتخزين	تحويل وتغيير
القلب والرئتين	الأمعاء الصغيرة والكبيرة
الكبد، الطحال، والكليتين	المرارة، المعدة، والمثانة
الأعضاء الصلبة	الأعضاء المجوّفة

فيما يلي جدول يحتوي على بعض خصائص الـ"ين" والـ"يانغ":

يــن	يـانـغ
ظلام	نور
القمر	الشمس
أنثى	ذكر
ظلّ	إضاءة
سكون	نشاط
غرب (غروب الشمس)	شرق (شروق الشمس)
شمال	جنوب
الأرض	السماء
يمين	يسار

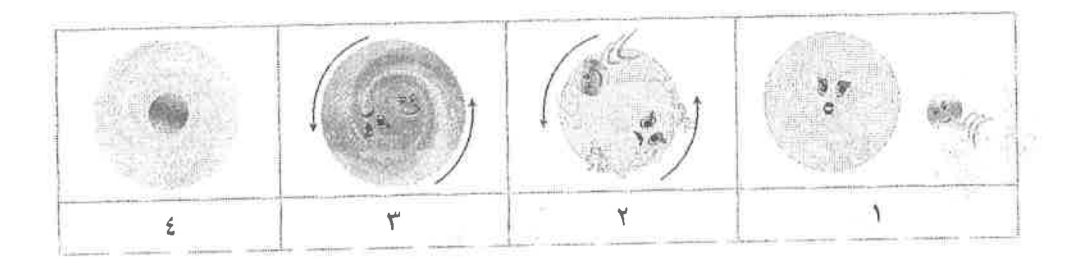
مسطّح	دائري
مادة	طاقة
كثيف/مادة زائدة	نقي/غير مادي
ينتج الشكل	ينتج الطاقة
ينمو	يولّد
مادي ملموس	غير ملموس
تقلّص	تمدّد
نازل	طالع
تحت	فوق
ماء	نار
بارد	حار
رطب	جاف

من خلال الاطلاع على خصائص الـ"ين" والـ"يانغ" في الجدول السابق يبدو وكأن الحكماء الصينيون الذين أوجدوا هذا النظام خلطوا بين ثنائية النار/الماء (ذكر/أنثى) المنتمي لمفهوم العناصر الأربعة، وبين ثنائية الموجب/السالب (العلوي/السفلي) المنتمي لمفهوم القطبية. يبدو واضحاً الدمج بين المفهومين، وهذا بالتالي أدى إلى نشوء مشاكل كثيرة واجهها الصينيون في هذا المنهج العلمي خلال تطبيقه عملياً. يكفي أن نعلم بأن هؤلاء أيضاً اقترفوا ذلك الخطأ الكبير الذي عمّ العالم في إحدى العصور التاريخية وهو إنساب طاقة الـ"ين" السالبة إلى الأنثى مما ألحق بالمرأة ظلم كبير. يبدو أن هذا التوجّه الخاطئ كان عالمياً أكثر من كونه محلياً (أنظر في موضوع "يوم فقدت المرأة عرشها").

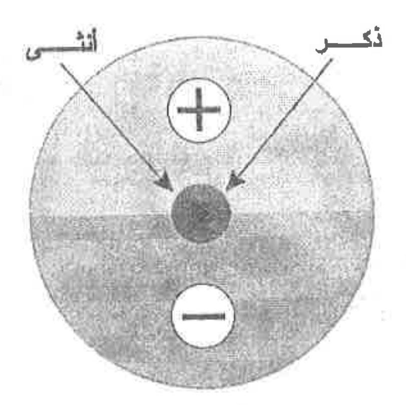
لكن حتى في بلاد الصين كان هناك وقت لم تربط فيه التعاليم الفلسفية بين القطب السالب ومبدأ الأنثى. يبدو أن هذا الربط كان طارئاً على التعاليم ولم يكن متأصلاً معها. يمكن إثبات هذه الحالة من خلال النظر إلى مخطوط الـ"أي تشينغ" I Ching القديم ومقارنته مع المخطوط المُحدث في زمن لاحق، إذ نرى بأنه لم يرد في المخطوط القديم أي ذكر لمصطلح الـ"ين/يانغ" بل تم

استخدام مصطلحي "الثابت" و"الطيّع"، وهذا يشير بوضوح إلى مبدأ الذكر والأنثى وليس السالب والموجب.

الشرح المصوّر التالي يوضّح الفرق بين مبدأ الجندر (الذكر/الأنثى) ومبدأ القطبية (موجب/سالب):



بعد تلقيح البيضة العذراء من قبل القوة الذكرية، واندماجهما معاً ثم تكاثفهما في مركز البيضة، وكان ذلك عبر أربع أطوار حركية شرحتها أكثر من مرّة سابقاً (أنظر في موضوع العناصر الأربعة)، انقسمت البيضة إلى منطقتين: منطقة تكاثف في الأعلى ومنطقة إفراغ في الأسفل، أي بمعنى آخر: قسم علوي موجب وقسم سفلي سالب. هذا يشير بالتالي إلى أن مبدأ الجندر (ذكر أنثى) يختلف تماماً عن مبدأ القطبية (موجب/سالب) حيث كل منهما نشأ بطريقة مختلفة وفي مراحل مختلفة.



هذه الصورة تبيّن الفرق الواضح بين قطبي البيضة الكونية وبين المحتوى المتكاثف في مركزها وهو منتوج تفاعل مبدأ الذكر والأنثى (الموصوف في الشكل السابق عبر أربع أطوار).

إذا عدنا إلى خصائص الـ"ين" والـ"يانغ" الواردة في الجدول السابق سوف نجد أنها تمثّل قطبيات لمبادئ مختلفة ومفاهيم مختلفة وبالتالي لا يمكن جمعها في جدول واحد. بعد إجراء تفريق بين المبدأين في الفقرات السابقة، يمكننا توزيع الخصائص إلى جدولين مختلفين وكل جدول ينتمي لمفهوم مختلفة:

مبدأ الجندر	
[أنثى]	[ذكر]
القمر	الشمس
أنثى	ذكر
سكون	نشاط
مسطّح	دائري
ينتج الشكل	ينتج الطاقة
تقلّص	تمدّد
ماء	نار
بارد	حار
رطب	جاف

مبدأ القطبية	
[سالب]	[موجب]
ظلام	نور
ظلّ	إضاءة
نازل	طالع
تحت	فوق
غروب	شروق
يسار	يمين
جنوب	شمال

لكن يبدو أن هناك خصائص في جدول الـ"ين/يانغ" لا تنتمي إلى أي من المبدأين السابقين، بل له علاقة بمستويات التجلّي، وهذا المفهوم الأخير يختلف تماماً، إذ يتحدث عن قطبية [التجاوزي/المادي] وبالتالي يترتب علينا صناعة جدول ثالث يشمل الخصائص التالية:

مبدأ التجلّي	
[مادي]	[تجاوزي]
الأرض	السماء
مادة	طاقة
كثيف/مادة زائدة	نقي/غير مادي
ينمو	يولّد (يخلق)
مادي ملموس	غير ملموس

إذاً، يبدو أن الفلاسفة الذين أوجدوا منهج الـ"ين/يانغ" خلطوا بين ثلاثة مفاهيم مختلفة خلال صياغتهم لهذا المنهج، وكل من هذه المفاهيم ينتمي لمبدأ مختلف، وهذا يجعلنا نستنتج بأن المفهوم الذي بُني عليه منهج الـ"ين/يانغ" ليس واضحاً بما يكفي ويشوبه لغط كبير. أو ربما الحكماء الصينيون الأوائل وضعوا منهجاً سليماً وصحيحاً في البداية لكن تم شرحه وتفسيره من قبل الذين جاؤوا بعدهم بطريقة خاطئة ومحرّفة.

المفهوم الحقيقي للـ"ين/يانغ" وفق الفلسفة السرية

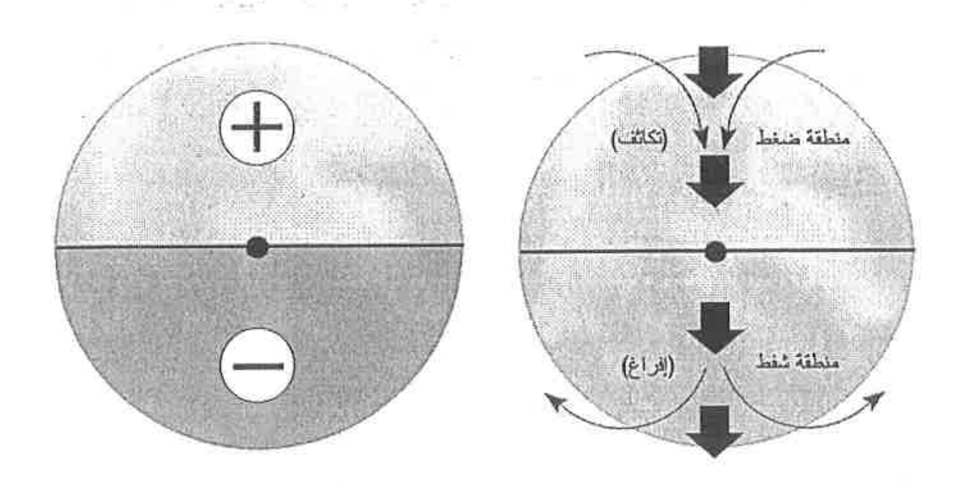
تحدثت التعاليم السرية عن قطبية ثنائية تشبه مفهوم الـ"ين/يانغ" إلى حد بعيد لكن بصيغة مختلفة وأكثر وضوحاً. كما علمنا سابقاً في موضوع العناصر الأربعة، يحوز مبدأ النار على خاصية التوسّع، وهذا يعني أنه يمثّل السيولة الكهربائية، ومبدأ الماء يحوز على خاصية الانكماش والانقباض وهذا يعني أنه يمثّل السيولة المغناطيسية.

توصف التعاليم السريّة عملية تلقيح البيضة الكونية الأنثوية من قبل القوة الذكرية بـ".. تفاعل النار مع الماء.." الذي أدى إلى تقسيم الكرة الكونية إلى قطبين: قطب كهربائي موجب وقطب مغناطيسي سالب. الكهرباء وفق التعاليم السرية هي القوة الدافعة، المانحة، النشطة، الساخنة.. بينما المغناطيس هي القوة المنطوية، المتلقية، الخاملة، الآخذة، الباردة،.. إلى آخره. كل من هاتين السيولتين لها انبعاثات ثنائية القطبية: فاعلة ومنفعلة، أو سالبة وموجبة. والتأثيرات والتفاعلات المتبادلة لانبعاثات الأقطاب الأربعة تشبه إلى حد كبير الكهرومغناطيس رباعي الأقطاب tetra-polar magnet. أي بمعنى آخر، بعد تلقيح البيضة الكونية واستثارت نشاطها تحوّلت إلى ما يشبه الكرة الكهرومغناطيسية رباعية الأقطاب.

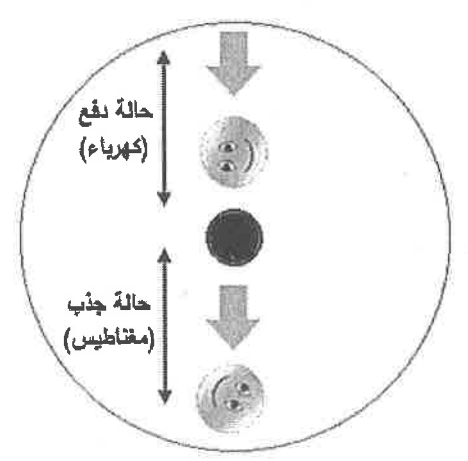
لكي نستوعب هذا الكلام بشكل فعلي وسليم دعونا ننظر إلى الشرح المصوّر التالي الذي يوصف لنا الآلية التي تشكّلت عبرها هاتين القوتين (الكهرباء/المغناطيس) وقطبيتهما.

عملية انزياح المحتوي الكوني من محيط الكرة والتكاثف عند مركزها خلق منطقة إفـراغ فـي القسم السفلي من الكرة ومنطقة تكاثف في القسم العلوي. أي قوة شفط في الأسفل وقوة ضغط في

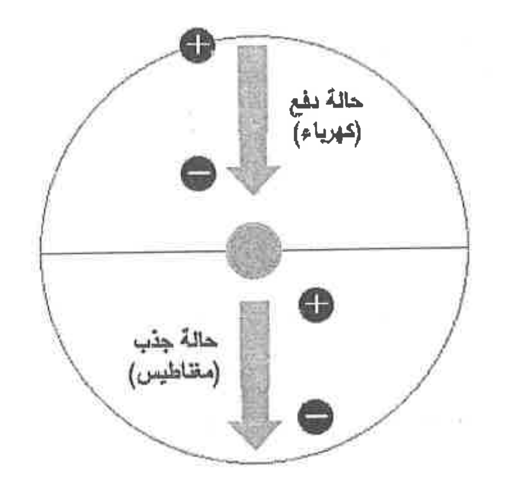
الأعلى. هذا جعل الكرة في النهاية مقسومة إلى قسمين، القسم العلوي الموجب [+]، والقسم السفلي السالب [–]. (كما في الشكل التالي):



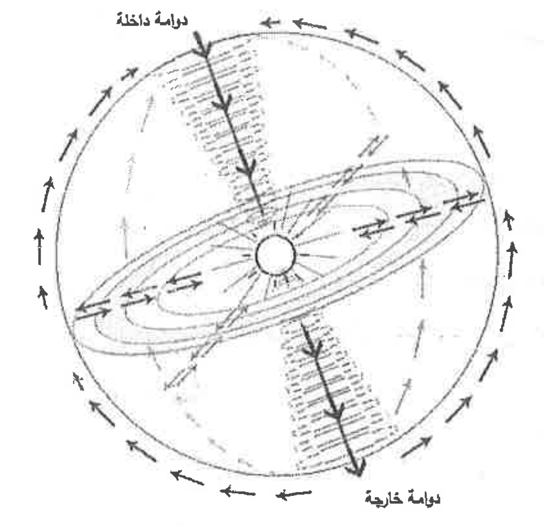
مع تكرار العملية بشكل مستمرّ بعد ولادة عامل الزمان (وصفت هذه الحالة في الجزء السابق مستخدماً مثال الشريط السينمائي القصير) تشكّلت مجموعة من النشاطات داخل الكرة الكونية أهمها القوتين الكهربائية والمغناطيسية. هاتين القوتين الأخيرتين تشكلتا بناء على ولادة حالتين مختلفتين في قسمي الكرة: [١] حالة دفع في القسم العلوي و[٢] حالة جذب في القسم السفلي (الشكل التالي):



مع انقسام الكرة الكونية إلى قسمين (علوي كثيف وسفلي فارغ) تولدت حالتين مختلفتين: الأولى حالة دفع وتمدّد في القسم العلوي وهي حالة كهربائية، والثانية حالة جذب في القسم السفلي وهي حالة مغناطيسية.

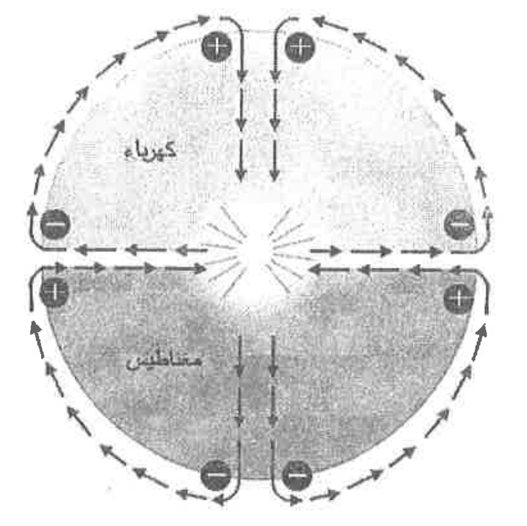


بسبب طبيعة النشاط الذي حصل في الكرة الكونية وسلوك قواها المختلفة التي ولدت خلاله حصلت عملية استقطاب للقوتين الكهربائية والمغناطيسية رغم أنهما يمثلان قطبين متعاكسين أصلاً. أي، بالإضافة إلى هاتين الحالتين المتشكلتين في القسمين العلوي والسفلي للكرة الكونية، أصبح لكل حالة قطبين مختلفين أيضاً.

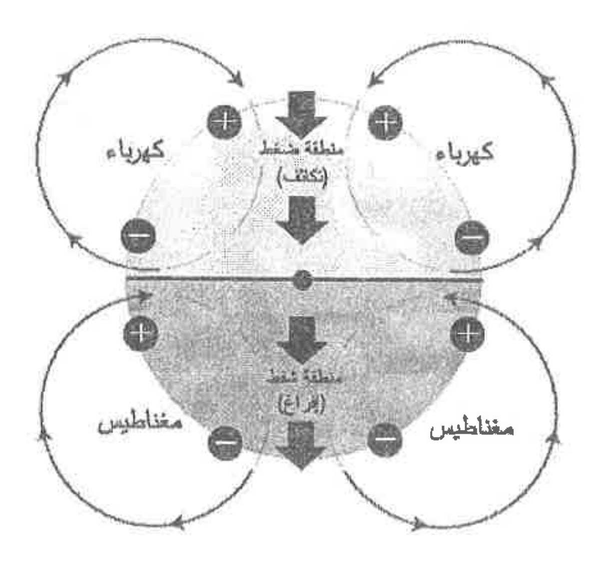


يعود سبب هذا الاستقطاب الحاصل في الحالتين المتعاكستين أصلاً إلى طبيعة نشاط القوى المتشكلة داخل الكرة الكونية بعد استثارة نشاطها. (ولادة عامل الزمن جعل عملة التكاثف تتكرر باستمرار فتشكّلت الشمس المركزية)

يمكن توضيح الفكرة أكثر من خلال الشرح المصوّر التالي:



الشكل المقابل بيّن القسمين الرئيسيين للكرة الكونية: [١] علوي كهربائي، و[٢] سفلي مغناطيسي. وكل من القسمين مؤلف أيضاً من قطبين متعاكسين.

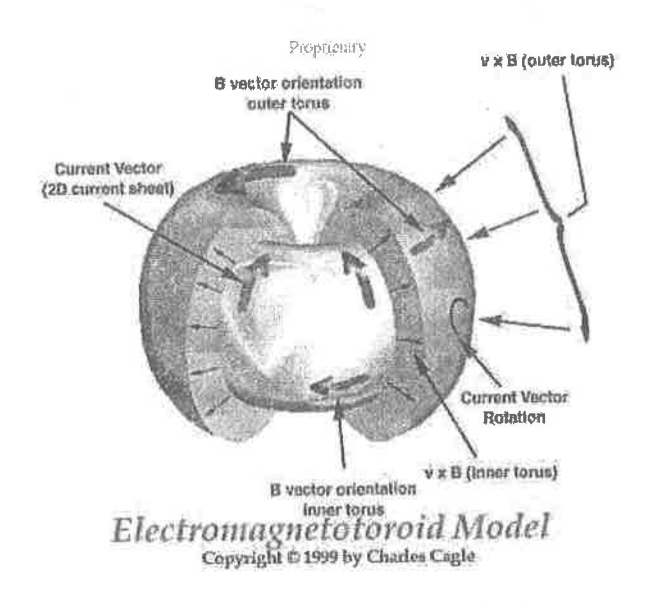


هذا التشكيل للقوتين المتعاكستين مع أقطابهما يجعل الكرة الكونية عبارة عن كهرومغناطيس رباعي الأقطاب.

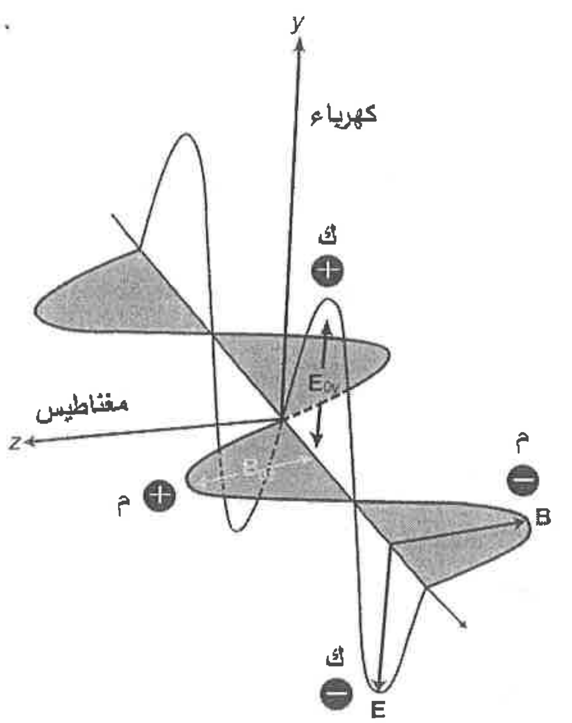
مبدءا النار (كهرباء) والماء (مغناطيس) يفعلان فعلهما في كافة العوالم. وفقاً لقوانين الخلق، لا يستطيع مبدأ النار أن يحافظ على وجوده لوحده دون حضور قطبه المعاكس الذي يمثل مبدأ الماء. هذان المبدءان، النار والماء، يمثلان العناصر الأساسية في الوجود. وبناء على هذه الحقيقة علينا الاعتماد كلياً على هذين العنصرين خلال دراسة الطبيعة، خصوصاً من زاوية السيولة المغناطيسية والكهربائية اللتان تمثلان الأقطاب الرئيسية لكل شيء مخلوق.

إذاً، كل من مبدأ الكهرباء والمغناطيس له قطبية سالبة وقطبية موجبة، وهذا الذي جعل فلسفة الين/يانغ تخلط بين مبدأ الموجب والسالب وبين الأنثى والذكر (كهرباء/مغناطيس) ودمجهما وفق مفهوم واحد. صحيح أن هذا الإدماج بين المفهومين مبرّر منطقياً لكن آلية الدمج وطريق شرحه كانت خاطئة لدى القائمين على هذه الفلسفة.

كل ما يحصل على المستوى الكوني لا بد من أنه يحصل في كل ذرّة وجزيء وفي كل مادة مرئية ولا مرئية في الكون. ".. كما في الأعلى كذلك في الأسفل.."، بناء على هذه الحكمة الثابتة نستنتج بأنه حتى طبيعة الذرّة لا بد من أن تتشابه مع طبيعة الكرة الكونية، وبالتالي فإن تصوّر بعض الفيزيائيين العصريين بخصوص الذرّة على أنها عبارة عن دوامة أثيرية هو تصوّر صحيح. هناك نظرية جديدة بخصوص الذرّة نشأت مؤخراً توصفها بأنها عبارة عن دوامة أثيرية ذات طبيعة كهرومغناطيسية، وهي قريبة من الشكل التالي:

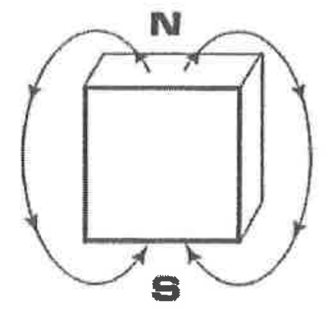


الذرة الكهرومغناطيسية التي بدأ يأخذ بها بعض الفيزيائيين العصريين بدلاً من نموذج الذرة العادية وتعتمد على نفس المفهوم الموصوف في الفقرات السابقة، أي التقسيم الكهربائي/المغناطيسي للكرة الكونية، وكذلك كل شيء آخر في الكون



السبب الذي جعل المسار المغناطيسي عمودياً مع المسار الكهربائي (في مجال الفيزياء) يعود إلى أصل نشوء المبدأين في الكرة الكونية، حيث بهذه الصيغة تنشط الطاقتان.

حتى قطعة المغناطيسي أظهرت أربع قطبيات بدلاً من قطبين



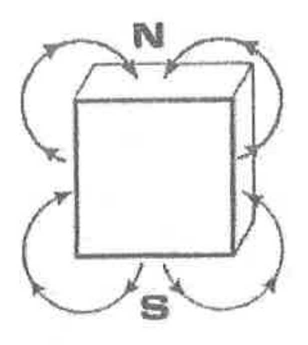
قضيب مغناطيس ومجاله الذي يبيّنه مساره طريقة تناثر برادة الحديد

على مدى أجيال لازال الاعتقاد بخصوص المجال المغناطيسي راسخاً في الأذهان بحيث يكون على الشكل المقابل. لكن هذا النموذج لمجال المغناطيسي جاء من التجربة البسيطة التي تستخدم برادة الحديد المنثورة على ورقة موضوعة فوق قصيب مغناطيس.

لكن تبيّن أن هذا الشكل الذي يتخذه برادة الحديد ليس من تأثير المجال المغناطيسي بل يعود السبب إلى طبيعة حبيبات برادة الحديد بذاتها والتي تصبح حبيبات ممغنطة وبالتالي تصبح مغانط

دقيقة ملتزمة بسلوك محدد يقيّد حركتها وليس كما نعتقدها حبيبات مستقلّة منجرفة مع خطوط المجال المغناطيسي لقطعة المغناطيس.

يبدو أن المجالات المغناطيسية أعقد بكثير مما نظنه. لقد أجري عدد كبير من التجارب والأبحاث عبر العقود الماضية وتبيّن أن التخطيط الطاقي للمجال المحيط بقضيب المغناطيس يبيّن أربع أقطاب بدلاً من قطبين. أي كما في الشكل المقابل. وهذا يحاكي القطبية الرباعية للكرة الكونية.



قضيب مغناطيس ومجاله ذو الأقطاب الأربعة الذي يبيّنه التخطيط الطاقي

مفهوم الكهرومغناطيس رباعي القطبية

هو الأساس الذي بُنيت عليه فلسفة الـ"ين/يانغ"

ذكرت سابقاً خلال الحديث عن تفاعل العناصر في جسم الإنسان بأن تفاعل مبدأ النار مع مبدأ الماء ينتج سيولة كهربائية وسيولة مغناطيسية، واجتماع السيولتن ينتج الهالة الكهرومغناطيسية المحيطة بالجسم وهي ذاتها الطاقة الحيوية التي تحدثت عنها المراجع الطبية والروحية والماورائية وأشارت إليها بأسماء مختلفة مثل المغناطيسية الحيوانية أو الطاقة الأودية أو حقل الطاقة الإنساني أو غيرها من أسماء. الحال كذلك تنطبق على كل شيء آخر في الوجود، إذ كلا المبدأين النار والمائي مع سيولتهما يمثلان السبب الرئيسي لكل ما يحصل مادياً على كوكبنا، فهي تؤثّر على جميع المجريات الكيماوية والبيولوجية داخل وخارج الأرض، وفي مملكة الحيوان والنبات والمعادن. فنرى مثلاً، وفق هذا المفهوم، بأن السيولة الكهربائية موجودة في مركز كوكب الأرض، بينما السيولة المغناطيسية موجودة على سطح الكوكب. هذه السيولة المغناطيسية على سطح الكوكب، بالإضافة إلى أنها تستعرض كافة خصائص عنصر الماء، مثل التماسك

والالتصاق، فهي تجذب وتمسك كافة المواد والمركّبات الموجودة على سطح الكوكب. هذا ما نسميه ظاهرة الجاذبية الأرضية.

وفقاً للخواص المحددة لجسم معيّن والتي تعتمد على صيغة معادلة العناصر الأربعة التي يتألف منها، كل كائن جامد أو حيّ يحوز على درجة معيّنة من انبعاث السيولة الكهربائية، أو الذبذبة الإلكترونية كما يسميها العلم، والتي تجذبها السيولة المغناطيسية للكوكب بكامله. عملية الجذب هذه هي التي نسميها "الوزن". بالتالي فإن "الوزن" هو في الحقيقة مظهر من مظاهر القوة الجاذبة لكوكب الأرض.

القوة المحرّكة الكهربائية التي تتشكّل نتيجة تلاصق معدنين مختلفين (الزنك والنحاس مثلاً) تنتمي إلى هذا المفهوم أيضاً. وكذلك الحال مع القوة الجاذبة المعروفة جيداً بين معدني النيكل والحديد. هذه مجرّد ظواهر جزئية للظاهرة الكليّة الحاصلة على مستوى كوكب الأرض وحتى على مستوى النظام الشمسي والكون بكامله. كل ما نعرفه عن الكهرباء والمغناطيسية في عالمنا هو مجرّد مظاهر مختلفة لمبدأ الكهرومغناطيس رباعي الأقطاب الموصوف سابقاً. فمثلاً، كما نعلم جميعاً، إن إجراء تغيير بسيط في القطبية المغناطيسية يؤدي إلى تجسيد مجال كهربائي، والعكس يكون صحيح، حيث أي تغيير في القطبية الكهربائية يؤدي إلى خلق مجال مغناطيسي. إن تحويل أحد هذه القوى إلى الأخرى يُعتبر أصلاً عملية خيميائية أو سحرية وكانت معروفة منذ زمن بعيد، لكنها مع مرور الوقت وتقدم العلم أصبحت محصورة في مجال علم الفيزياء.

وفقاً للقانون المتعلق بمسائل المغناطيسية والكهرباء في عالمنا المادي، كل ساحر أو عالم تجاوزي يعلم جيداً بأنه ".. كما في الأعلى كذلك في الأسفل، وكما هنا كذلك هناك.."، أي المبادئ ذاتها تتجسّد في كل مكان وعلى كافة المستويات، وبالتالي كل من يعلم كيف يستخدم قوى العناصر الأربعة (أو مبدأ الكهرومغناطيس رباعي الأقطاب) على كافة المستويات الوجودية يكون قادراً على إنجاز الكثير من الأشياء في العالم المادي والتي يعتبرها الإنسان العادي بأنها معجزات وعجائب. لكن العالِم المتخرّج من المدرسة السرية لا يرى أي عجائب إطلاقاً في هذه الإنجازات، لأنه مدعوم بالمعرفة الحقيقية بقوانين الكون مما يجعله قادراً على تفسيرها وشرحها بسهولة وبطريقة منطقية.

مبدأ الكهرومغناطيس رباعي القطبية (الين/يانغ)
وصيغ تجلّيه في أعضاء الجسم

تحدثت في موضوع "العناصر الأربعة" عن أداء هذه الأخيرة في الجسم بشكل عام لكن في الحقيقة كل جزء وقسم وعضو ومنظومة داخل الجسم لها معادلتها الخاصة من تفاعل العناصر وبالتالي لها تعبيرها الخاص من قطبية الانبعاث الكهرومغناطيسي. إنه لأمر مثير فعلاً أن نجد في المنظومة العضوية المعقّدة للجسم بعض الأعضاء تتجسّد فيها السيولة الكهربائية من الداخل إلى الخارج والسيولة المغناطيسية من الخارج إلى الداخل، بينما في أعضاء أخرى نجد العكس حيث تتجسّد السيولة الكهربائية من الخارج نحو الداخل والسيولة المغناطيسية من الداخل نحو الخارج، لكن رغم ذلك نجد كافة الأعضاء تؤدي وظائفها المختلفة وتحافظ على علاقتها المتبادلة مع بعضها البعض وبطريقة متناغمة ومنسجمة. هذه المعرفة بالانبعاث القطبي الكهرومغناطيسي تُسمى في المدارس السريّة بـ"علم التشريح السحري للجسم"، والمعرفة المتعلقة بتأثيرات هذا التشريح السحري هي مهمّة جداً لكل من يرغب في معرفة جسمه فعلياً واحتراف طريقة التحكم به والتأثير عليه.

فيما يلي وصف سريع ومختصر للتشريح السحري لجسم الإنسان وفق مفهوم السيولة الكهربائية/المغناطيسية، وهو مشابه لمفهوم الـ"ين/يانغ" لكن أكثر فعالية. هذه المعرفة تمثّل مكسب ثمين للمعالجين بالطاقة عموماً وخاصة الذين على إلمام بالجانب الكهربائي والمغناطيسي للطاقة الحيوية. ذكرت سابقاً أن الجانب الأيمن للجسم بكامله هو كهربائي نشط (ويكون العكس إذا كان الفرد عسراوي) بينما الجانب الأيسر مغناطيسي منفعل. لكن الأعضاء التي يتألف منها الجسم لها قطبيات أيضاً، وتكون قطبياتها على الشكل التالي:

[١] الرأس: الجانب الأمامي كهربائي، الجانب الخلفي مغناطيسي. الجانب الأيسر كهربائي. الجانب الأيمن مغناطيسي. وسط الرأس كهربائي.

[٢] العينين: القسم الأمامي للعين حيادي (متعادل القطبية) وكذلك القسم الخلفي. الجانب الأيمن كهربائي وكذلك الجانب الأيسر. بينما القسم الداخلي مغناطيسي.

[٣] الأذنين: القسم الأمامي حيادي، وكذلك القسم الخلفي. الجانب الأيمن مغناطيسي، والجانب الأيسر كهربائي. القسم الداخلي حيادي.

[٤] الفم مع اللسان: القسم الأمامي حيادي، وكذلك القسم الخلفي. الجانب الأيمن حيادي، وكذلك الجانب الأيسر. القسم الداخلي مغناطيسي.

[٥] الرقبة: القسم الأمامي والخلفي وكذلك الجانب الأيمن مغناطيسي. الجانب الأيسر والقسم الداخلي كهربائي.

[٦] الصدر: القسم الأمامي كهرومغناطيسي. القسم الخلفي كهربائي. الجانب الأيمن والقسم الداخلي محايد. الجانب الأيسر كهربائي.

[٧] البطن: القسم الأمامي كهربائي. القسم الخلفي والجانب الأيمن مغناطيسي. الجانب الأيسر كهربائي. القسم الداخلي مغناطيسي.

[٨] اليدين: القسم الأمامي لليد محايد، وكذلك القسم الخلفي. الجانب الأيمن مغناطيسي والجانب الأيسر كهربائي. القسم الداخلي محايد.

[٩] أصابع اليد اليمنى: القسم الأمامي والخلفي محايد. الجانب الأيمن كهربائي، وكذلك الجانب الأيسر. القسم الداخلي محايد.

[١٠] أصابع اليد اليسرى: القسم الأمامي والخلفي محايد. الجانب الأيمن كهربائي، وكذلك الجانب الأيسر. القسم الداخلي محايد.

[١١] القدمين: القسمين الأمامي والخلفي محايدين. الجانب الأيمن مغناطيسي. الجانب الأيسر كهربائي. القسم الداخلي محايد.

[١٢] الأعضاء التناسلية الذكرية: القسم الأمامي كهربائي. القسم الخلفي محايد، وكذلك الجانبين الأيمن والأيسر. القسم الداخلي مغناطيسي.

[١٣] الأعضاء التناسلية الأنثوية: القسم الأمامي مغناطيسي. القسم الخلفي والجانبين الأيمن والأيسر محايد. القسم الداخلي كهربائي.

بمساعدة هذا التشريح السحري، بالإضافة إلى مفهوم الكهرومغناطيس رباعي القطبية، يستطيع المريد إجراء الكثير من التشابهات والإسقاطات الأخرى. من خلال إجراء التشبيهات بين جسم الإنسان والأشياء الأخرى سوف يتعلم الفرد كيف يجري مقارنات بين صيغ مختلفة لمعادلات تكوين العناصر الأربعة في الأشياء المختلفة، وخلال هذه العملية الاستكشافية سوف يتعلم الكثير.

سوف أتحدث عن هذا الموضوع بالتفصيل في إصدارات أخرى تتعلّق بهذا المجال تحديداً، لكن أعتقد أن الغاية النهائية من ذكره هنا قد تحققت حيث لا بد من أن القارئ الكريم قد كوّن فكرة واضحة وشاملة عن موضوع القطبية وتفرعاته المختلفة.

المبدأ السباعي

لغــــــز الطاقات السبعـــــــة

☽ ☿ ♀ ☉ ♂ ♃ ♄

".. العالم المرئي محكوم من قبل نفس القوانين التي تحكم عالم القوى والطاقات. أهم هذه القوانين التي تتجسّد الحياة من خلالها وبالتوافق معها هي تلك المتعلقة بالتركيبة السباعية للطبيعة الباطنية. ستة منها تعد خصائص فاعلة والخاصية السابعة التي تتمحور حولها الستة تمثّل التوازن والتناغم فيما بينها. يختلف وصف هذه الخواص السبعة بين مدرسة وأخرى لكنها بكل تأكيد تمثّل أســاس المبدأ السباعي المتجلي في كل مكان وكل شيء في الطبيعة. غالباً ما يقسمون هذا السلّم السباعي إلى قسمين، علوي وسفلي، وتقبع الخاصية السابعة في الوسط ممثلة للنار أو الشمس المركزيــة. هذين القسمين يمثلان مبدأ القطبية المتجلي في كل شيء في الطبيعة، الخصائص الثلاثة العلويــة تمثّل القسم الروحي المضيء والثلاثة السفلية تمثّل القسم المادي المظلم. أمـــا النـــار المركزيــة (الشمس) القابعة في الوسط فتمثّل الخيميائي العظيم، هو المطهر والمحول العظيم للطبيعة والــذي يستطيع تحويل الظلام إلى نور. وطبعاً يعنون بكلمة "نار" الطاقة الكهربائية التي كانت طبيعتهــا الروحية معروفة جيداً لدى القدماء، وقد ميّزوا بين الشيء المتحرك والــشيء المحــرك، وهــذا الأخير هو الذي بجّلوه وجعلوه محور عبادتهم عندما توجهوا نحو الشمس.."

مجتمعات سرية في كل العصور والبلدان
"تشارلز وليام هيكيثورن"

المبدأ السباعي يمثّل مفهوم باطني ورد بصيغ مختلفة في كــل الأديـــان والفلـــسفات والمـــدارس الباطنية في كافة أنحاء العالم وعلى مر العصور.

لطالما أوحت التعاليم الفلسفية والباطنية إلى حقيقة أن الكون هو حيّ ومفعم بالنشاط المؤلف مـــن قسمين طاقي ومادي. لقد فهم الحكماء القدامى هذا السرّ الكوني جيداً ونظروا إلى الحياة على أنها عبارة عن امتداد متدرّج ومتمايز من الترددات الذبذبية المتبادلة بين الطاقة والمادة. لقد كانوا على إلمام تام بالطاقات الكونية السبعة المنبعثة من مصدر النور الصافي والتي تؤثّر على كل شكل من

أشكال الحياة. ابتداءً من جسيم صغير داخل الذرة مروراً على كواكب منظومتنا الشمسية وانتهاءً بأكبر مجرّة في الكون.. جميعها تتأثّر بترددات الطاقة السباعية.

مع تقدم البحث العلمي المعاصر، خصوصاً في مجال الفيزياء الكمومية Quantum Physics ومجال البحث في المادة المظلمة Dark Matter والكشف عن أسرار الحمض النووي D.N.A، توصل العلم اخيراً إلى ذات المسلمات التي أكدتها الحكمة القديمة:

".. كافة الأشياء الحيّة والجامدة، العضوية وغير العضوية، هي مفعمة بالحياة، من أصغر جسيم إلى أكبر المجرات – الكون له طبيعة سباعية متأصّلة في جوهره، هو مركّب من طاقات تتردّد بسبع خصائص مختلفة – هناك تسلسل متصل يجمع كل شيء ببعضه البعض بحيث أنه أصغر خلية يمكن لنبضتها أن تُستشعر في أقصى حدود الكون (بفعل الرنين المتناغم).."

في الحقيقة ما من شيء في الكون، مهما كان مستواه التطوري أو درجته في سلّم التجسيد المادي إلا وانتمى بطريقة أو بأخرى إلى إحدى الطاقات السبعة. لطالما لمحت المخطوطات والمراجع والآثار والفنون القديمة إلى هذا المبدأ السباعي بطرق وصيغ مختلفة، ونجده مبطناً أو محجوباً في كافة التعاليم الفلسفية والدينية، لكن لم نتعرف عليه أبداً بصيغة واضحة ومنهجية. حتى علم الفلك الذي يتمحور حول مفهوم الكواكب السبعة لا يكشف عن سرّ القانون السابعي بشكل سليم. لقد تم حجب وتشفير هذا العلم الأخير منذ زمن بعيد وبالتالي علم الفلك الذي نألفه اليوم هو الصيغة محرّفة من علم الفلك الأصيل والمحجوب عن العامة. لقد تناولت موضوع الكواكب السبعة في فصل سابق (علم الفلك) لكن هناك المزيد من المواضيع التي تتمحور حول المفهوم السباعي بحيث وردت بصيغ وأشكال مختلفة سوف أتناول بعضها في الصفحات التالية.

الإشعاعات السبعة

ورد في أماكن عدة في المخطوطات والمراجع القديمة المنحدرة إلينا من العالم القديم ما يُسمى الإشعاعات السبعة. في الأساطير الإغريقية القديمة ذُكر كيف اتخذ الإله "زيوس" هيئة الثور من أجل أن يفوز بالأميرة "أوروبا" ابنة ملك فينيقيا. وجه هذا الثور كان يومض بـ"سبع إشعاعات" من النار. في القرن الثاني ميلادي صورت النبوءات الكلدانية الإشعاعات السبعة على أنها القوى

المطهرة لـ"هيليوس" Helios، وهذا التصوير الرمزي ورد في الطقوس الدينية لـ"ميثرا" Mithra أيضاً *(وهو إله النور الفارسي، امتدت عبادته من الهند حتى اسبانيا وبريطانيا وألمانيا).*

في القرن الرابع عشر ميلادي ألف الإمبراطور الروماني "جوليان" Julian ترتيلة موجهة إلى الشمس الجليلة، وفي هذه الترتيلة تحدث عن الأسرار المحرّم ذكرها والمخفية عن الجموع مثل تلك المتعلقة بالإله ذو الإشعاعات السبعة. في السحر الغنوصي الإغريقي الذي كان سائداً في نفس الفترة تم استخدام أحجار كريمة ملونة كتمائم وتعويذات لغايات علاجية، غالباً ما كان محفور عليها رمز مستعار من الإلهة المصرية "شنوبيس" Chnubis وهي الأفعى العظيمة. صورت الأفعى برأس أسد ينبعث منه سبعة إشعاعات وعادة ما تُكتب الأحرف الصوتية اليونانية عند نهايات الإشعاعات.

في الأيقونات المسيحية الأولى غالباً ما تصوّر حمامة روح القدس ينبعث منها سبعة إشعاعات، وكذلك صور مريم العذراء خصوصاً إذا كان هناك حضور للحمام. وهناك رسومات للسيد المسيح أيضاً ينبعث منها إشعاعات سبعة، كتلك اللوحة الفسيفسائية الموجودة في دير "سنت كاثرين" St.Catherine في جبل سيناء. وهناك صور للملاك جبرائيل خلال تبشيره لمريم العذراء ينبعث منه سبعة إشعاعات تعبيراً عن العطايا السبعة من روح القدس.

في الفنون الهندوسية، يتم أحياناً تصوير الإله "أغني" Agni بسبعة أيدي ورأسين وكل رأس له سبعة ألسن. غالباً ما يصورونه يقود عربة تجرها سبعة خيول. في معظم الصور تنبعث من جسمه سبعة إشعاعات. في صلاة الـ"غياتري" Gayatri المأخوذة من نصوص الفيدا وُصفت الإشعاعات السبعة بأنها انبعاثات من الشمس الممثلة لخالق الحياة.. *".. لأن الكائن الذي يلمع بإشعاعات سبعة، متخذاً شكل الزمن وينير الكل... يلمع طبيعياً بإشعاعات سبعة ويُسمى النور أو القوة الساطعة، نور المولّد أو الشمس، النور هو الشمس والشمس هي النور، كلاهما يمثلان الشيء ذاته.."*. وفي نصوص الـ"فيشنو بورانا" Vishnu Purana وهي أقدم من نصوص الفيدا، يوصف كيف يدخل الإله "فيشنو" Vishnu إلى الإشعاعات السبعة للشمس فتتحول إلى سبعة شموس، وهذه الأخيرة تمثّل الإشعاعات الشمسية الرئيسية والمتأصلة في كل الأشياء.

كتب عالم المصريات الشهير "جيرالد ماسي" Gerald Massey في العام ١٨٨١م عن ما وصفها بأنها متشابهات بين نصوص الفيدا والميثولوجيا المصرية وقصص العهد الجديد. نظريته تقول بأن الشمس ذات الإشعاعات السبعة في الأحجار الكريمة الغنوصية هي ذاتها تمثّل الأفعى المصرية "شنوبيس" وكذلك الوحش الثاني في سفر الرؤيا. وقد وصف أيضاً التطابق بين الأرواح السبعة للفرعون والأيدي السبعة للإله الهندوسي "أغني" والنجوم السبعة في يد المسيح في سفر الرؤيا والإشعاعات السبعة العائدة للإله الكلداني "هيبتاكتيس" Heptaktis.

من بين الباحثين الذي درسوا هذا المفهوم المنتشر في كل مكان حول العالم سوف أذكر الباحث "ساموئيل فيلز دونلاب" Samuel Fales Dunlap الذي كتب في العام ١٨٩٤م يقول: *".. ميثرا الكلداني كان لديه إشعاعاته السبعة، وموسى كان لديه أيامه السبعة. الكواكب الأخرى التي تدور حول الشمس ترقص حولها كما تفعل حول ملك السماء، فتتلقى منه النور وكذلك قواها وخصائصها. تتدفق منه هذه القوى مع النور الذي ينسكب على المجالات السبعة للكواكب السبعة التي تقبع الشمس في مركزها.."*. كتب "دونلاب" يقول بأن فكرة الروح بأنها السبب الأول هي حاضرة في كل الأديان الشرقية والشرق أوسطية. يمكننا رؤية هذه الفكرة ابتداءً من الإشعاعات السبعة لميثرا وانتهاءً بالأيام السبعة في سفر التكوين. من الشمس انبعث النار والروح، على هذه الفكرة اعتمدت الأديان الفلكية لكل من الكلدانيين والعبرانيين والفرس والأشوريين والفينيقيين والمصريين. قارن "دونلاب" بين الهالة النورانية للإله "أبولو" والإشعاعات السبعة للإله "دايونيسيوس" القابع فوق مسارات الكواكب السبعة. الإشعاعات السبعة وجدت أيضاً في العقيدة السرية الكلدانية المتعلقة بإله الإشعاعات السبعة والذي حمل النجوم السبعة بيديه وعبره ارتفعت الأرواح إلى السماوات. قبل العهد المسيحي، عُرف هذا الإله باسم "أياو" Iao (الولادة الأولى) أو "ساباوث" Sabaoth (الشمس)، ولاحقاً وصفوه بأنه الـ"كريستوس" Christos (المسيح) المسؤول عن انبعاث الأرواح.

من بين الباحثين الهنود (العديدين جداً) الذين تناولوا هذا الموضوع باهتمام سوف أذكر المؤرخ والكاتب "أناندا كوماراسوامي" Ananda Coomaraswamy الذي أنشأ في نهاية الأربعينات من القرن الماضي معرض يحتوي على أكبر مجموعة من الفنون الهندية في الولايات المتحدة. كتاباته المتعلقة بالفلسفة الخالدة والتعاليم الباطنية عموماً شملت مقالات معقّدة تحتوي على رموز الحكمة والميتافيزيقيا القديمة التابعة لثقافات عديدة مثل الهندية والإسلامية والصينية والهيلينية

والمصرية والمسيحية. كتب يقول بأن الإشعاعات السبعة للشمس ظهرت في كل من الرموز الهندية والمسيحية وتمثّل ذات المفاهيم وخصوصاً رموز الإشعاعات السبعة التي تمثّل التمييز بين التجاوزي والمتجلي، وبين المحدود واللامحدود. أضاف يقول بأن محور الكون يمثّل مفهوم "القطب" في الإسلام، والذي يمرّ من خلاله الإشعاع السابع وحده هو الشمس. كل ما هو أدنى الشمس يمثّل قوة الموت وما يعلو الشمس يمثّل الخلود.

الفقيه الهندي "سري أوروبيندو" Sri Aurobindo الذي هو أيضاً شاعر وصوفي اشتهرت أعماله في القرن العشرين، وصف إشعاعات المعرفة السبعة الفيدية، أو "أغني" Agni، بأنها سبعة أشكال مختلفة لمبدأ الفكر، وكتب يقول: *".. الخيول المتألقة السبعة للشمس واتحادها الكامل تمثّل الفكر ذو الرؤوس السبعة لـ"أياسيا" الذي بواسطته استعيدت شمس الحقيقة المفقودة. ذلك الفكر متأصل أيضاً في الأنهار السبعة، والمبادئ السبعة للكائن المقدس والبشري معاً، وكليتها تمثّل الوجود الروحي المثالي.."*

المجتمع التيوسوفي

بقي مفهوم الإشعاعات السبعة في حالة زئبقية وغموض حتى القرن التاسع عشر عندما ظهر في كتابات "هيلينا بلافاتسكي" H. P. Blavatsky (مؤسسة المجتمع التيوسوفي Theosophy). قدمت "بلافاتسكي" مفهوم الإشعاعات السبعة بطريقة مفصلة ومعقدة بعض الشيء وذلك من خلال استرجاعها لما اطلعت عليه (حسب زعمها) من التعاليم السرية في كل من الهند والتبت. تم لاحقاً تطوير هذا المفهوم التيوسوفي الجديد للإشعاعات السابعة في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين على يد تيوسوفيين مستحدثين مثل السيدة "س.و. ليدبيتر" C. W. Leadbeater والسيدة "أليس بيلي" Alice Bailey والفقيه "مانلي بالمر هول"، وغيرهم.

في المجلّد الأول من كتابها الذي بعنوان "العقيدة السرية" The Secret Doctrine ذكرت "بلافاتسكي" التشابه بين التعاليم الباطنية البراهمية والمصرية، وأن الإشعاعات السبعة العائدة للإله الكلداني "هبتاكيس" أو "إياو" المحفور في الأحجار الكريمة الغنوصية تمثّل النجوم السبعة الكبرى لمجموعة الدب الكبير، والقوى السبعة، و"الريشي" Rishis (الحكماء) السبعة لدى الهندوس. قالت أن الإشعاعات السبعة لإله الشمس الفيدي "فيشنو" تمثّل نفس المفهوم المتعلق بالسيولة النورانية في

تعاليم القبالة، والإنبعاثات السبعة للمقامات الأخيرة في شجرة الحياة هي ذاتها الإشعاعات السبعة الأولية، ويمكن إيجاداها بصيغ مختلفة في كافة الأديان.

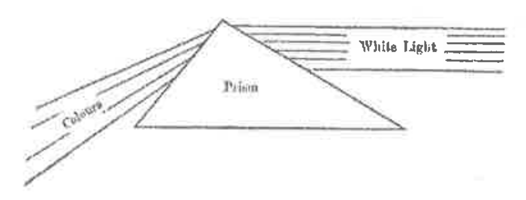
في المجلّد الثاني من كتاب "العقيدة السرية" تناولت "بلافاتسكي" الضفائر العصبية السبعة في الجسم والإشعاعات السبعة التي تنبعث منها، قائلة بأن هذا المبدأ موجود في الـ"ريغ فيدا" Rig Veda الهندية وفي أساطير "أهورا مازدا" Ahura Mazda (الديانة الزردشتية) وكذلك في معتقدات كل من الإنكا (أمريكا اللاتينية) والصينيين (أسطورة "ياو" Yao) والمصريين حيث تحدثت الأسطورة كيف دخل أوزيريس إلى السفينة أو القارب الشمسي وأخذ معه سبع إشعاعات. وصفت "بلافاتسكي" الحكماء السبعة المذكورين في نصوص الـ"فيدا" بأنهم الإشعاعات السبعة التي سقطت من مركز العالم الأكبر.

في المجلّد الثالث من كتاب "العقيدة السرية" وصفت "بلافاتسكي" الإشعاعات السبعة الأولية بأنها مجموعة من الكائنات السماوية المشار إليها بالآلهة او الملائكة أو القوى. قالت بأن هذا النوع من الاستعارات تم تبنيه لاحقاً من قبل المسيحية حيث ظهر ما يعرف بـ"ملائكة الحضور السبعة".

ما هي الإشعاعات السبعة؟

وفقاً لمذهب التيوسوفيا، الإشعاعات السبعة تمثّل سبعة أنواع رئيسية من محتوى النور الذي يتألف منه الكون المتجلّي، ويُعتقد بأن لها خواص إلهية مختلفة.

وفقاً لحكماء التبت، يُستخدم مصطلح الإشعاع للإشارة إلى قوة معيّنة أو نوع محدد من الطاقة، مع تشديد على الخاصية التي تستعرضها تلك القوة أو الطاقة تحديداً وليس على الشكل أو المظهر الذي تخلقه في الشيء. الإشعاعات السبعة إذاً هي خواص مختلفة من الطاقة. صحيح أن الإشعاعات تخلق أشكالاً لكن التشديد يكون دائماً على ما يقبع داخل المظهر وليس المظهر بعينه. من أجل استيعاب القصد الحقيقي من فكرة الإشعاعات السبعة كل ما علينا فعله هو النظر إلى حزمة الضوء التي تمر عبر الموشور وتنقسم إلى سبعة ألوان أو سبعة حزم أو سبعة إشعاعات. الإشعاعات السبعة متأصلة داخل شعاع النور الأبيض. شعاع الشمس.



تقول الفيزياء الحديثة بأن كل شيء هو طاقة، وأنه داخل كل شكل ظاهري يوجد شبكة جوهرية ونمط معيّن من الطاقة. وفقاً للمصطلحات العلمية الحديثة يمكننا توصيف التعاليم المتعلقة بالإشعاعات السبعة بأنها تؤكّد ما يلي: كافة الطاقات المتأصلة ضمن الهيئة الظاهرية هي ذات طبيعة سباعية. يمكن وصف الطاقة وكذلك الشكل الخارجي الذي خلقته من خلال سبع أنماط منفصلة من القوى. هذه القوى السبعة هي ذاتها صيغ الذبذبات المتأصلة في المادة والفضاء والشكل والتي تميّز كل المواد والكائنات والأحداث في الكون المتجسّد. هذه الطاقات السبعة تجتمع وتتداخل وتتشابك لتخلق منظومات معقّدة نسميها الواقع المرئي والملموس، هذه المنظومات المعقدة قد تمثّل أضخم حدث كوني على مستوى المجرات النجمية أو أصغر حدث يحصل في حياتنا اليومية. إذا تناولناها كمفاهيم سوف نجدها مألوفة وبسيطة ومباشرة وسهلة الاستيعاب، حيث لها أثر عميق في وعينا وهي في الحقيقة أقرب إلينا من الهواء الذي نتنفسه، لكن رغم ذلك فالنظام الذي تمثله هو شامل جداً بقدر ما هو مراوغ جداً لأنه يشمل الكون بكل تنوعاته. بالتالي فإن استيعاب هذه المعرفة وتطبيقها عملياً يمثل تحدي كبير.

الطاقات الرئيسية السبعة تتجاوز قدرتنا على وصفها بالتعبير الكلامي أو حتى تصورها كاملاً انطلاقاً من مستوى تفكيرنا المنتمي لهذا العالم الدنيوي. هي جوهرية جداً وشاملة جداً بحيث يستحيل تأطيرها أو عزلها ضمن نظام دراسي كامل متكامل يناسب قدرتنا الذهنية الضيّقة بالمقارنة مع الطيف العقلي العظيم الذي ينتمي إليه هذا المفهوم. لكن من أجل إيجاد نقطة بداية للانطلاق منها نحو فهمها وتحفيز البديهة والإلهام بداخلنا يمكن البدء بخصائص أولية تتميز بها كل من هذه الطاقات. وفقاً للمراجع التيوسوفية ("أليس بايلي" Alice A. Bailey و"س.و. ليدبيتر" C.W. Leadbeater) تم وصف خصائص كل من الإشعاعات السبعة كما يلي:

١ــ الإشعاع الأوّل: إرادة، تصميم، قوة، دمار
٢ــ الإشعاع الثاني: محبة، حكمة، شمولية، تماسك، مغناطيسية
٣ــ الإشعاع الثالث: الذكاء الفعال، التلاؤمية، إبداع

٤ــ الإشعاع الرابع: الانسجام عبر التضارب، الجمال، الحساسية، الوحدة

٥ــ الإشعاع الخامس: المعرفة الواقعية، العلم، العقل، التحليل

٦ــ الإشعاع السادس: الإخلاص، المثالية، الموالاة، القوة

٧ــ الإشعاع السابع: النظام، المراسم، التنظيم، الجماعة، السحر

يزعم الثيوسوفيون والمدارس الأخرى التي تفرعت منهم لاحقاً بأن التعاليم المتعلقة بهذه الإشعاعات السبعة تقدم لنا صورة طاقية للخلق والحياة في كافة مستويات الوجود. هي توفر سبل شرح العلاقة المتداخلة بين كل الأشياء على المستوى الروحي والمادي معاً، حيث هي تؤكّد على وحدتها وتداخلها الوثيق إلى حد الاندماج. بما أننا نمثّل جزء من هذه الصور الطاقية للكون، هذا يجعلنا أيضاً مؤلفين من سبع طاقات مختلفة، لكن الذي يميّزنا عن بعضنا البعض هو المعايير المختلفة لنشاط هذه الطاقات في كل منا. كل إنسان مؤلف من خلطة معيّنة لهذه الطاقات وبالتالي هي التي تحدّد تكوينه العقلي والروحي والجسدي.

إن المزاعم المذكورة سابقاً حول تأصّل الطاقات السبعة في كل الأشياء صحيحة دون شك، لكن السؤال هو: هل توصيف الإشعاعات الذي أوجده الثيوسوفيون صحياً؟ ما هو المرجع الذي استندو عليه للخروج بهذه الأوصاف والخصائص؟ والسؤال الثاني هو: طالما أن الأمر يتعلق بالتكوين السباعي للأشياء لماذا أجهدوا أنفسهم في وضع نظام جديد (سموه الإشعاعات السبعة) ليزيدوا الأمر تعقيداً طالما أنه يوجد نظام عريق ألفته كافة العلوم القديمة لكنه اقتصر اليوم على علم الفلك وهو ما نعرفه بنظام الكواكب السبعة؟

ربما لازال معظم الناس مقتنعون بأن القدماء تعاملوا مع الكواكب السبعة لأنها الاجرام الوحيدة التي عرفوها في أيامهم بسبب بدائية أدواتهم ووسائلهم العلمية، مع أن الحقيقة هي أن مستوى معرفتهم تجاوزت هذه الحدود بأشواط كبيرة لكن فهمنا لعلومهم هو الخاطئ وليس علومهم بذاتها. الكواكب السبعة التي استخدموها في تفسير الظواهر والأحداث (الفلكية وغيرها) تنطلق من مفهوم أعمق بكثير من الطريقة السطحية التي نعرفها. كان القدماء يعلمون جيداً أن ما يتعاملون به ليس كواكب سيارة بل طاقات جوهرية متاصلة في الأشياء. لهذا السبب نلاحظ كيف أن كل شيء في العالم القديم (وحتى الحديث) مقسوم بطريقة سباعية. وهذا التقسيم لم يكن بالتوافق مع عدد الأجرام السماوية التي كانت مألوفة في أيامهم، بل الأجرام هي التي جُعلت تتوافق مع المنظومة

الطاقية السباعية (كما رأينا في موضوع علم الفلك). فيما يلي أمثلة تكشف عن ميل القدماء إلى تقسيم كل الأشياء بصيغة سباعية:

ـ التقسيم السباعي للمعادن: الرصاص، التنك، الحديد، النحاس، الزئبق، الفضة، الذهب.

ـ التقسيم السباعي للكواكب: الشمس، القمر، المريخ، عطارد، المشتري، الزهرة، زحل.

ـ التقسيم السباعي لأيام الأسبوع: الأحد، الإثنين، الثلاثاء، الأربعاء، الخميس، الجمعة، السبت.

ـ التقسيم السباعي للعلوم (واستمر هذا التقسيم حتى نهايات العصور الوسطى): قواعد اللغة، البلاغة، المنطق، الرياضيات، الموسيقى، الهندسة، الفلك.

ـ التقسيم السباعي للبحار: المتجمد الشمالي، المتجمد الجنوبي، المحيط الهادي الشمالي، المحيط الهادي الجنوبي، المحيط الأطلسي الشمالي، المحيط الأطلسي الجنوبي، المحيط الهندي.

ـ التقسيم السباعي للألوان: أحمر، برتقالي، أصفر، أخضر، أزرق، أرجواني، بنفسجي.

ـ التقسيم السباعي لأعضاء الجسم الرئيسية: الدماغ، القلب، الأعضاء التناسلية، الرئتين، الكبد، المعدة.

ـ التقسيم السباعي للغدد: الغدة النخامية، الغدة الصنوبرية، الغدة الدرقية، الغدة الصعترية، البنكرياس، الغدد التناسلية، الغدة الكظرية.

ـ التقسيم السباعي لوظائف الجسم: التنفس، الدورة الدموية، امتصاص الأغذية، إفراز المواد المرفوضة، التناسل، الإدراك (الحواس)، رد الفعل (الجهاز العصبي).

ـ التقسيم السباعي للسلم الموسيقي: دو، ري، مي، فا، صول، لا، سي

ـ التقسيم السباعي لعجائب العالم: أهرامات مصر، الحدائق المعلقة، تمثال زيوس في أوليمبيا، معبد أرتيميس في أفيسوس، ضريح الملك موسولوس، تمثال رودوس العملاق، منارة الاسكندرية.

ـ التقسيم السباعي لمراحل العمل الخيميائي: التكليس، التذويب، العزل، الإدماج، التخمير، التقطير، التخثير.

ـ التقسيم السباعي لأنواع الشخصيات: الشخصية القمرية Lunar، الشخصية الشمسية Solar، الشخصية العطاردية Mercurial، الشخصية الزهروية Venusian، الشخصية المريخية Martial، شخصية زحل Saturnine، وشخصية المشتري Jovial.

ـ سبعة أنماط من الشخصيات: الفنان Artisan (إبداع فني)، الحكيم Sage (ذو العقل الراجح)، الخدوم Server (سعادة في خدمة الآخرين)، الراهب Priest (زاهد في أمور الدنيا)، المحارب Warrior (المقاتل لأتفه مناسبة)، الملك King (حب الظهور والسيادة)، العالِم Scholar (الفضول في معرفة طبيعة الأشياء).

ـ وهكذا إلى آخره...

كما نرى من خلال الأمثلة السابقة، كان القدماء مهتمين جداً في تقسيم الأشيء بصيغة سباعية. والآن سوف نتعرف على السبب الجوهري الذي دفعهم إلى هذا العمل. هل اقتصرت نظرتهم إليها وفق منطق فلكي بحت أم هناك المزيد مما كانوا يعرفونه؟

الطب والخيميا

كان الخيميائيون القدامى (الذين كانوا أطباء أيضاً) ينسبون كل من المعادن والأعضاء الجسدية إلى أحد الكواكب السبعة. وحتى الأعشاب كانت بنظرهم تتألف من خلطة معيّنة من مجموعة كوكبية وبمعايير محددة، فيمكن لعشبة حسب وصفهم أن تتألف من طغيان زحل مع لمسة من الزهرة، أو مزيج عطارد مع المشتري لكن الغلبة لعطارد،.. وهكذا، حتى الحيوانات كانت تُدرس بهذه الطريقة وسوف أتناولها في الفقرة التالية. الجدول التالي يبيّن المعادن والأعضاء الجسدية المرتبطة بالكواكب والرموز التي تمثلها.

الكوكب	الرمز	العضو الجسدي	المعدن
الشمس	☉	القلب	الذهب
القمر	☾	الدماغ	الفضة
المشتري	♃	الكبد	التنك
الزهرة	♀	الكليتين	النحاس
زحل	♄	الطحال	الرصاص
عطارد	☿	الرئتين	الزئبق
المريخ	♂	المرارة	الحديد

البصمة الكوكبية للأشياء

لقد عُرف لدى الحكماء القدامى ما يُعرف بالبصمة signatum أي التوقيع أو الدليل الخارجي الذي يعبّر عن المكون الداخلي. أي بمعنى آخر، في مجال طب الأعشاب مثلاً إن المظهر الخارجي للنبتة (شكلها، لونها، بيئتها، طعمها، رائحتها.. إلى آخره) يكشف عن الخصائص العلاجية المختلفة التي تحوزها. هذه الطريقة في دراسة النباتات كانت معروفة منذ عصور قديمة جداً. كتب "باراسيلسوس" Paracelsus يقول بهذا الخصوص:

".. النفس لا تحلّل التكوين المادي الخارجي أو الداخلي للأعشاب والجذور لكنها تدرك بديهياً بفضل حدسها الداخلي قواها ومزاياها فتتعرّف مباشرةً على بصمتها التي تتميّز بها.. يمكن التعبير عن هذه البصمة من خلال المظهر الخارجي للأشياء، ومن خلال النظر إلى الشكل الخارجي يمكننا معرفة خصائصها الداخلية، حتى بدون اللجوء إلى الحدس الداخلي. نحن نرى مثلاً كيف يمكن معرفة الصفات الداخلية للإنسان عبر فراسة مظهره الخارجي.. وحتى من خلال حركاتها ونبرة صوته يمكن التعرف على خصائص داخلية كثيرة. الأمر ذاته ينطبق على باقي الأشياء إذ مظهرها الخارجي يعبر عن خواصها الداخلية.."

هناك صيغ مختلفة لهذه الطريقة في فراسة الأشياء لمعرفة خواصها الداخلية وأحدها هي معرفة البصمة الكوكبية للأشياء. كتب المتصوف الألماني "جاكوب بيهمي" Jacob Boehme يقول بهذا الخصوص:

".. كامل العالم الخارجي المرئي بكل ما فيه من كائنات هو عبارة عن بصمة أو تعبير ظـاهري للعالم الروحي الباطني. مهما كان المكون الباطني ونشاطاته يوجد له تعبير خـارجي.. ويمكـن تصنيف هذه المكونات والنشاطات الداخلية إلى سبع خصائص أو أنماط تتمازج ببعضها بطـرق ومعايير مختلفة، والخاصية الأقوى هي التي تترك انطباعها بدرجة أكبر على المظهر الخـارجي ثم يليها الخاصية الأقل قوة وهكذا. يمكن ملاحظة هذه الحالة في كل المخلوقات، حيـث يختلـف شكلها وهيئتها الجسدية وسلوكها وصوتها.. إلى آخره حسب اختلاف معايير تمازج الخـصائص السبعة. الأمر ذاته ينطبق على الأشجار والأعشاب، وكذلك الأحجار والمعادن.."

".. هناك سبعة أنماط رئيسية في الطبيعة، وهي ظاهرية وباطنية، والظاهري ينبع من البـاطني. لقد منح الفلاسفة القدامى أسماء محددة للكواكب السبعة بالاعتماد علـى تلـك الأنمـاط الـسبعة للطبيعة، وقد فهموا شيء آخر مهم جداً إلى جانب الأجرام السماوية السبعة وهو الأنماط الـسبعة المتأصلة في جوهر الأشياء.."

كل الأشياء إذاً تعبّر عن خصائصها الداخلية من خـلال مظهرهـا الخـارجي (البـصمة) أمـا الخصائص السباعية (الكوكبية) المتضمنة داخلها فيمكن معرفتها أيضاً من خلال الشكل الخارجي (البصمة الكوكبية) للشيء مهما كان نوعه: نبات حيوان أو إنسان. أما الطريقة التي كان القـدماء يتبعونها لوصف التكوين الكوكبي للأشياء فيمكن اللجوء إلى كتابات "جاكوب بيهمي" ذاته للتعرف على عيّنة منها:

".. إذا كانت خاصية زحل طاغية في النبتة فهذا يجعل لونها أسود مائل للرمادي، وقوامها قاسـي وضئيل، حاد وحامض المذاق أو مالح. بسبب ندرة إنفراد خاصية زحل وحدها في النبتـة فهـذا يوقظ المريخ وانطباعه القاسي والذي يجعل القوام معوجّ وملتوي ومليء بالعقد ويعيق نمو القوام عالياً، لكنه كثيف الورق المتجعّد كما يمكن رؤيته في شجيرات البلوط وغيرها.."

".. لكن إذا كانت خاصية الزُهرة مترافقة مع زحل في أي شيء فسوف يكون القوام طويل وقوي. الزهرة تصحح انطباع زحل القاسي فتجعله ممتلئ وحيوي، وإذا لم يتم إعاقة الزهرة مـن قبـل المريخ فسوف ينمو المخلوق ليصبح طويل جداً لكن رفيع القوام، وهـذا ينطبـق علـى النبـات والحيوان والإنسان.."

".. لكن إذا حضر المشتري إلى جانب خلطة الزهرة وزحل، وكان المشتري أقوى من الزهـرة، فسوف ينتج جسم رشيق ورائع ومفعم بالقوة والفضيلة وإذا كان الشيء قابل للأكل فسوف يكـون طعمه لذيذ.. وإذا كان عطارد بين الزهرة والمشتري، ودرجة المريخ هي الأدنى، فسوف يـصبح الكائن سامي المرتبة ويتمتع بكل القوى والفضائل.. وإذا كان عشبة فسوف يكون قوامها طويـل وذو سماكة متوسطة ولها أزهار جميلة ذات لون أبيض أو أزرق.. وإذا منحتها الشمس خاصيتها فسوف يتحول لون الزهر إلى أصفر، وإذا لم يأتيها أي إعاقة من المريخ فسوف تصبح عظيمـة المقام في عالم النبات، حيث يمكن استخدامها لشفاء الأمراض دون حاجة لأي معرفة في فنـون الطب، لكن هكذا نوع من الأعشاب نادر جداً.."

علم الفراسة

حتى في علم الفراسة (قراءة معالم الوجه والقوام) يوجد فرع خاص لمعرفة البـصمة الكوكبيـة للأشخاص من خلال مظهرهم الخارجي. بدلاً من دراسة تفاصيل الوجه (عيون، أذنين، دقن.. إلى آخره) كل ما على الخبير فعله هو إلقاء نظرة سريعة على الشخص وسوف يتعرف على الكوكب الطاغي في جوهره فيتعرف بعدها على صفاته الأخلاقية والنفسية. لكن كما رأينا في الموضـوع السابق المتعلق بدراسة "جاكوب بيهمي" حول النباتات، لا يمكن أن ينفرد كوكب واحد في التركيبة الداخلية للشخص بل وجب حظور كل الكواكب لكن بخلطات مختلفة ومعايير متفاوتة. فيما يلـي الأنواع الرئيسية السبعة التي يعتبرها عالِم الفراسة معايير ثابتة فيعتمد علـى خبرتـه وحنكتـه لاستنباط خلطتها الصحيحة في الشخص:



١ــ الشخصية الشمسية:

قامة طويلة أو متوسطة، وجه بيضوي مبروم لكنه ليس مليء، البـشرة نظرة، أنف أعقف، شعر فاتح، عيون مضيئة، مشية بطيئة وتـصرفاته متأنية. بعض الصفات المنسوبة: جرأة، أنانية، نبالة، كبريـاء، جدّيـة، استبداد، غطرسة، هدر سريع للطاقة.



٢ـ الشخصية القمرية:

قامة متوسطة او قصيرة، وجه عريض مبروم ومليء، بـشرة شـاحبة، جبهة عريضة، أنف قصير ومبروم، عيون رطبة، التـصرفات أحيانـاً تكون مترددة وغير حاسمة. بعض الصفات المنسوبة: التزام، طمـوح، تفاؤل، عشق، سلاسة، فوضوية، عاطفة جياشة، صدق.



٣ـ شخصية عطارد:

قامة طويلة ورفيعة، الوجه طويل وبيضاوي مائل إلى المثلث، جبهـة طويلة وضيقة، انف طويل ورفيع، عيون غامقة وبراقة، مشية سـريعة وتصرفات بارعة. بعض الصفات المنسوبة: لطافة، نشاط، كد ومثابرة، فطنة، تألّق، دهاء، حركة.



٤ـ الشخصية المريخية:

ليس طويل ولا قصير، بنية قوية وعريضة، وجه مربـع لكنـه يبـدو مبروم بسبب العضلات التي تكسوه، أنف أعقف، حركة سريعة ونبيهة. بعض الصفات المنسوبة: جرأة، نشاط، تفاؤل، تبذير، إقدام، كبريـاء، غرور، مزاج حاد، انفعال.



٥ـ الشخصية الزهروية:

يشبه الشخصية القمرية لكن الفرق هو أن الجسم أعرض وليس طويلاً، والوجه يميل أكثر إلى الشكل البيضاوي، البشرة صافية، الأنف قـصير ومستقيم، تصرفات بارعة ومشية رشيقة. بعض الـصفات المنـسوبة: حرارة، أي مشاعر ملتهبة، تهذيب، تواضع، ألفة، عاطفـة، مـسرات دنيوية، طبيعة فنّية.



٦ـ شخصية المشتري:

قامة قصيرة ومليئة، جسم مائل إلى البدانة، وجه بيضاوي أو سداسي الشكل، جبهة عالية وعريضة، أنف أعقف ومليء، البشرة نظرة، ميل إلى التأنق في الكلام، مشية وقورة وتصرفات متأنية. بعض الصفات المنسوبة: رحمة، كرم، تفاؤل، كبرياء، إحسان، جدّية.

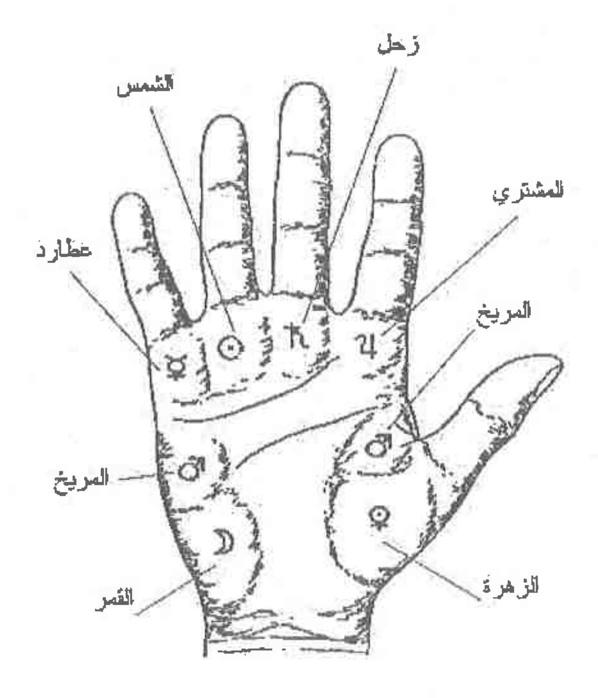


٧ـ شخصية زحل:

قامة طويلة ورفيعة، وجه طويل ومثلث، جبهة عريضة، أنف أعقف بارز وقليل اللحم، عظمة الخد عالية وبارزة، بشرة شاحبة، مشية بطيئة وتصرفات متأنية. بعض الصفات المنسوبة: كتمان، التزام، خشونة، أنانية، نشاط، كآبة، عدم الاكتراث بأمور الحب، نزاهة، رزانة، سوء تدبير المال، حساسية، مسرات دنيوية.

قراة الكف

يعتبر علم قراءة الكف من بين الأفرع الرئيسية لعلم الفراسة ويعتمد على تأويل الدلالات الموجودة في الكف وعلى أساسها يتم تحليل الشخصية ووصف صفاتها بشكل دقيق. أحد الأقسام الرئيسية في دراسة الكف هي تلك التي تسمى المرتفعات، وهي الكتل اللحمية الموجودة تحت قواعد الأصابع مباشرة (أنظر في الشكل التالي)، بالإضافة إلى المرتفعين الموجودين على الجانب الوحشي للكف (المعاكس جهة الإبهام). لكل من هذه المرتفعات دلالات تختلف تبعاً لتكوينها وبروزها وموقعها. والمرتفع الأكثر بروزاً هو الذي يسيطر بصفاته على بنية الشخص الروحية والنفسية. الأمر الذي يهمنا في الموضوع هو أن عدد هذه المرتفعات سبعة ونُسب إليها اسماء الآلهة التي تمثّل في الحقيقة القوى الكونية السبعة، والأمر الأهم هو أن هذه القوى (الآلهة) تتميّز بنفس الصفات والخصائص التي تعود للقوى السبعة التي نحن بصددها، وهذا لا يستثني خصائص الكواكب السبعة التي ذكرتها سابقاً. لهذا السبب رأيت بأن ذكرها هنا مجدياً ويزيد من توضيح الأمر بدرجة أكبر. فيما يلي بعض الخصائص المنسوبة إلى المرتفعات السبعة:



١ــ مرتفع الزهرة: يمثّل الكتلة اللحمية الكبيرة المتواجدة أسفل الإبهام مباشرةً. إن سمات هذه المنطقة تحدد الطاقة الأساسية للشخص وطريقة توزيع هذه الطاقة. لقد سمى القدماء هذه المنطقة بعد الآلهة فينوس التي ترمز للحب والجمال والملذات الدنيوية. تحمل هذه المنطقة معلومات عن درجة الحيوية وقوة الإقبال على الحياة والانسجام الاجتماعي، وكذلك القدرة على الحب.

أما المعلومات التي يمكن استنباطها من دراسة هذه المنطقة من اليد، فهي كثيرة ويتم تحديدها حسب توافق الدلالات الأخرى. أبرز إيجابياتها: تجميل الوجود ــ الناحية الاجتماعية ــ الذوق الفني ــ حسن الانسجام والتناسق ــ الفنون الثانوية ــ النعومة ــ الحساسية ــ الإلهام. أما السلبيات التي يمكن أن تؤثّر بها على الشخصية حسب الدلالات، فهي: الاستهتار ــ الحياة الجنسية الخليعة ــ فسق وفساد ــ غياب الأخلاق ــ تهوّر.

٢ــ مرتفع المشتري: هو الكتلة اللحمية المتواجدة مباشرةً تحت إصبع السبابة. تمثّل هذه المنطقة السلطة وحالة الأنا عند الفرد ودرجة الثقة بالذات وقوة الشخصية وقدرة التحكم بالظروف المحيطة، كما تمثّل النجاح المادي والوفرة والسعادة. سمى القدماء هذه المنطقة بعد جوبيتر ملك الآلهة.

أما المعلومات التي يمكن استنباطها من دراسة هذه المنطقة من اليد، فهي كثيرة ويتم تحديدها حسب توافق الدلالات الأخرى. أبرز إيجابياتها: المرح ــ التفاؤل ــ التعليم ــ الكرم ــ الاحترام ــ النظام ــ الشرف والنبالة ــ الدين ــ الثروة ــ الوجودية. أما السلبيات التي يمكن أن تؤثّر بها على الشخصية حسب الدلالات، فهي: الفخامة ــ ذوق

متطرّف ــ حب الظهور ــ الطموح الغير محدود ــ التباهي ــ الغطرسة ــ الوصولية ــ التطرّف في كل شيء ــ التقدير المتطرّف للذات ــ الشراهة.

٣ــ مرتفع زحل: هو الكتلة اللحمية المتواجدة مباشرةً تحت إصبع الوسطى. تمثّل هذه المنطقة الواجب وكيفية تنفيذ المهام والواجبات في الحياة، وكذلك تمثّل الجانب الجدّي من الشخصية والحس بالواجب وكيفية تحمل المسؤولية. سمى القدماء هذه المنطقة بعد الإله ساتورن الذي كان إله مستبد وصارم.

أما المعلومات التي يمكن استنباطها من دراسة هذه المنطقة من اليد، فهي كثيرة ويتم تحديدها حسب توافق الدلالات الأخرى. أبرز إيجابياتها: الإستمرارية ــ الصبر ــ الصلابة ــ التحليل ــ التركيز ــ المتانة ــ الملموس ــ الثبات ــ الحذر ــ الإحساس بالواجب ــ الدقّة ــ العلوم ــ المنطق ــ التفكير ــ الحكمة والنضوج. أما السلبيات التي يمكن أن تؤثّر بها على الشخصية حسب الدلالات، فهي: الثقل ــ البطء ــ الحزن ــ الأنانية ــ البخل ــ الحزن ــ الشيخوخة.

٤ــ مرتفع الشمس: هو الكتلة اللحمية المتواجدة مباشرةً تحت إصبع البنصر. تمثّل هذه المنطقة الجانب الفنّي والجمالي من الشخصية، والإبداع في التعبير والقدرة على تذوّق الجمال، كما تكشف عن الإنجاز في الحياة، خاصة في المجال الفني. وتمثّل أيضاً الألفة الاجتماعية، والميل إلى المسرات في الحياة. سمى القدماء هذه المنطقة بعد الإله أبولو، إله الشمس والموسيقى والدواء والحدس.

أما المعلومات التي يمكن استنباطها من دراسة هذه المنطقة من اليد، فهي كثيرة ويتم تحديدها حسب توافق الدلالات الأخرى. أبرز إيجابياتها: الذكاء الخلاق والقدرة على التنفيذ ــ الجمال ــ الفنون الأساسية ــ الإلهام ــ الإشعاع والتألّق ــ الوضوح ــ اليقين ــ معرفة الهدف ــ الموضوعية وسمو النفس. أما السلبيات التي يمكن أن تؤثّر بها على الشخصية حسب الدلالات، فهي: الغرور ــ حب الظهور ــ السيطرة ــ الظلم ــ الاستقطاب ــ الغطرسة والتعجرف ــ الكبرياء والحزم.

٥ــ مرتفع عطارد: هو الكتلة اللحمية المتواجدة مباشرةً تحت إصبع الخنصر. تمثّل هذه المنطقة القدرة على التفكير والاستيعاب وسرعة البديهة والاتصال بالمحيط والميل إلى التفكير العملي والعقلية التجارية عند الشخصية. سمى القدماء هذه المنطقة بعد ميركوري إله التجّار واللصوص والاتصالات والمسافرين.

أما المعلومات التي يمكن استنباطها من دراسة هذه المنطقة من اليد، فهي كثيرة ويتم تحديدها حسب توافق الدلالات الأخرى. أبرز إيجابياتها: التفكير، الذكاء، الكفاءة العلمية والتجارية، قدرة على استيعاب اللغات الأجنبية، القدرة على التكيّف، قدرة على الاستنتاج والحدس، الكفاءة الأدبية، الفصاحة، المرونة، حدة البصيرة، الحسّ الاجتماعي، القدرة على الحركة والتنقل، المهارة، التعطّش للمعرفة، موهبة في الطب والعلاج. أما السلبيات التي يمكن أن تؤثّر بها على

الشخصية حسب الدلالات، فهي: الكذب، المراوغة، الدهاء، السفالة، الثرثرة، عدم الثبات، العصبية، حدة الطبع، ميول شيطانية، الفظاظة، السطحية.

٦ـ مرتفع المريخ: هذه المنطقة مقسومة إلى قسمين، الأول هو الكتلة اللحمية المتواجدة فوق مرتفع القمر، والقسم الثاني هو الكتلة اللحمية الموجودة فوق مرتفع الزهرة. تمثّل هذه المنطقة الجانب الروحي و الفيزيائي من الشجاعة والثبات والقوّة وضبط النفس في المخاطر والصعاب، كما تمثّل الإقدام وروح الهجوم عند الشخصية. سمى القدماء هذه المنطقة بعد مارس إله الحرب.

أما المعلومات التي يمكن استنباطها من دراسة هذه المنطقة من اليد، فهي كثيرة ويتم تحديدها حسب توافق الدلالات الأخرى. أبرز إيجابياتها: الشجاعة ـ القدرة على تحمّل المشاكل وحلّها ـ الخصوبة ـ التخطيط ـ الميل للقتال ـ الطاقة الحيوية والخلاّقة. أما السلبيات التي يمكن أن تؤثّر بها على الشخصية حسب الدلالات، فهي: الغضب ـ العنف ـ الغيرة ـ القسوة ـ الثورة.

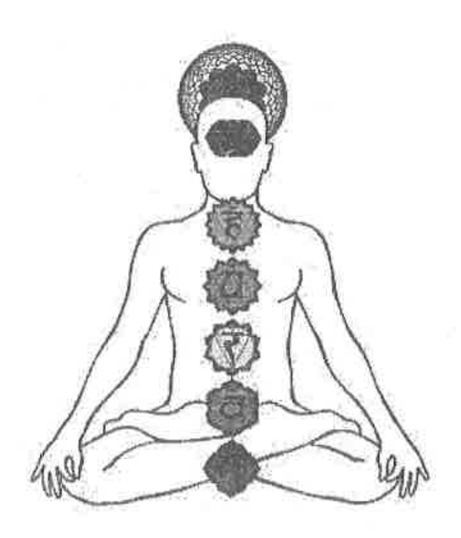
٧ـ مرتفع القمر: تقع هذه المنطقة على الجانب الخارجي للكف، وتمثّل درجة البديهة والقدرة على الحلم والخيال والإبداع وكيفية ترجمتها إلى الواقع الملموس. سمى القدماء هذه المنطقة بعد الآلهة ديانا، التي حكمت الطبيعة والخصوبة.

أما المعلومات التي يمكن استنباطها من دراسة هذه المنطقة من اليد، فهي كثيرة ويتم تحديدها حسب توافق الدلالات الأخرى. أبرز إيجابياتها: الحدس ـ الخيال ـ الحلم ـ الشعر ـ الموسيقى ـ القدرة على خلق عالم آخر ـ الإستيعاب ـ الذاكرة ـ التفكير الخيالي ـ الحس التشكيلي ـ الحنان ـ الحياة الحميمة. أما السلبيات التي يمكن أن تؤثّر بها على الشخصية حسب الدلالات، فهي: الاشتهاء ـ الفكر الحالم ـ الكسل ـ تقلّب الآراء ـ عدم الاستقرار ـ الطيش ـ تطرّف الخيال ـ عدم القدرة على التقرير ـ خمول ـ تطرّف الانفعال ـ الحالات العصبية ـ التبعية ـ الأفكار الخاضعة للنزوات و الفوضوية ـ نقص في الموضوعية.

كما رأينا في الامثلة السابقة، يبدو أننا نتحدث عن سبعة أنماط رئيسية من الشخصيات أو سبعة جوانب من الوعي وليس التأثير المباشر للأجرام السماوية. بما أننا بصدد التقسيم السباعي لجوانب الوعي لا بد من أن نمرّ على موضوع الشاكرات في التعاليم اليوغية.

الشاكرات

"الشاكرا" Chakra هي كلمة سنسكريتية تعني "دوامة" أو "عجلة"، وهي تبدو كذلك فعلاً. توصف الشاكرات في الأدبيات الهندية بأنها بتلات اللوتس أو عجلات متعددة الألوان تدور كالدوامات بسرعات متفاوتة خلال معالجتها للطاقة (البرانا) الداخلة والخارجة من الجسم.



هناك سبع شاكرات رئيسية موزعة على طول منطقة العمود الفقري، وكل "شاكرا" تشبه كرة صلبة من الطاقة وتخترق الجسم بنفس الطريقة التي يفعلها المجال المغناطيسي. "الشاكرات" ليست مادية ملموسة، إنها تمثّل أحد المظاهر المرتبطة بالوعي. تتفاعل مع الجسم المادي عبر وسيلتين رئيسيتين: نظام الغدد الصماء، والنظام العصبي. كل واحدة من "الشاكرات" السبع مرتبطة بإحدى الغدد الصماء endocrine gland. كما هي مرتبطة بمجموعة معيّنة من الأعصاب المعروفة بالضفائر plexus. وبالتالي فكل "شاكرا" مرتبطة بقسم معيّن ووظيفة معيّنة في الجسم مسؤولة عنها إحدى الضفائر أو إحدى الغدد الصماء. (تحدثت عن هذا الموضوع بالتفصيل في الأجزاء السابقة)

الأحرف الصوتية المقدسة السبعة

AEHIOUΩ

كان الإغريق يؤمنون بوجود علاقة جوهرية بين القوى الكونية السبعة والأحرف الصوتية المقدسة السبعة. فقالوا أن السماء الأولى تلفظت الحرف المقدّس الأوّل [A] (Alpha)، والثاني [E] (Epsilon)، والثالث [H] (Eta)، والرابع [I] (Iota)، والخامس [O] (Omicron)، والسادس [U] (Upsilon)، والسماء السابعة تلفظت الحرف المقدس [Ω] (Omega). عندما تغني هذه السموات السبع معاً تنتج إيقاع موسيقي مكتمل يتصاعد كتمجيد أبدي لعرش الخالق. ربما لم يكن الترتيب الفعلي بالصيغة السابقة، حيث قد يكون الترتيب الذي وضعه فيثاغورث معاكساً بحيث يبدأ من دائرة القمر صعوداً للأعلى حتى زحل.

هذه الاحرف الصوتية السبعة كانت محفورة داخل إطار مزخرف في صالات الانتساب للتعاليم السرية الإغريقية. وقد نقلها الرومان عن الإغريق بطريقة غير عقلانية ربما لأن الأحرف الصوتية التي قدسوها كنت خمسة [A E I O V] رغم أنها حملت ذات المعنى. هذه الأحرف السبعة، والتي لها مرادفات كثيرة في أمم أخرى حول العالم رغم اختلاف اللغة، ترمزّ إلى الأنفاس (تنفّسات) الكونية السبعة للروح الكونية أو العقل الكوني. أي بمعنى آخر، النيران أو القوى أو الطاقات السبعة التي ينفخها الخالق في أنحاء الكون تمثّل دفقات الحياة التي تشكّل على أساسها الكون. اعتُبرت الأحرف الساكنة بأنها أدوات نقل الأصوات أو التنفّسات الكونية التي تمثلها الأحرف الصوتية. منحت الأحرف الساكنة أجساداً للأحرف الصوتية، بنفس الطريقة التي تعبّر فيها الروح عن نفسها من خلال الجسد المادي للكيان. الطريقة الصحيحة لتلفّظ هذه الكلمة تعتمد على نبرة خاصة. هذا مصطلح باطني حيث وجب أن يُلفظ بحيث يكون ستة أصوات متضمنة في صوت واحد وهو السابع السحري. هذا الاسم السحري لا يمثّل المبدأ الكوني فحسب بل آلية عمله أيضاً. هذه الأحرف الصوتية السبعة تمثّل ايضاً القوى أو النيران السبعة الأساسية المؤلفة لتركيبة الإنسان. كافة المدارس السريّة القديمة كان لديها طرقها الخاصة في النظر إلى هذه الأحرف الصوتية السبعة وآلية استخدامها.

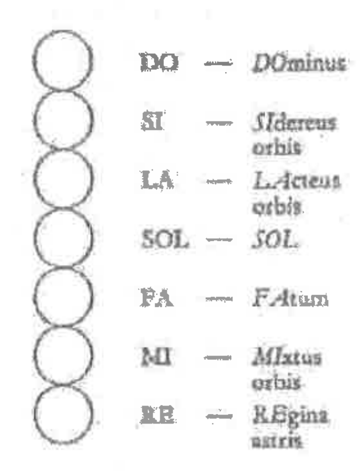
أسماء النغمات الحديثة للسلم الموسيقي

يمكننا رؤية تقسيم سباعي مشابه لنظرية بطليموس وفيثاغورث حول تجسيد الكون من خلال تحليل الأسماء التي مُنحت لنوتات السلّم الموسيقي والتي أوجدها "غويدو الأريزي" Guido Of Arezzo وهو راهب بنيدكتي إيطالي (٩٥٥م – ١٠٥٠م) وقد اقتبس الأسماء من ترتيلة موجهة إلى يوحنا المعمدان تم تأليفها قبل زمانه بقرنين تقريباً وذلك من قبل "بول دياكري" (٧٤٠م – ٨٠١م) وهو مؤرخ من لومباردي وأصبح لاحقاً أمين سرّ ملك لومباردي ثم عمل في بلاط الملك شرلمان ثم تقاعد أخيراً وعاش باقي حياته في دير مونت كاسينو. أما الترنيمة الموجهة للقديس يوحنا المعمدان ففي ما يلي مقطع منها:

UT queant laxis
*RE*sonare fibris *MI*ra
gestorum *FA*muli
tuorum
*SOL*vepolluti *LA*bil
reatum *S*ancte
*J*ohannes[9]

ترجمتها التقريبية هي: "..فليرتّل المؤمنون بك بكل قوة أرواحهم عن معجزات حياتك لكي يطهروا شفاههم الدنيوية (من الخطيئة) يا أيها القديس يوحنا.."

إذا قُرأت هذه الترتيلة ظاهرياً سوف لن يجد الفرد سوى عبارات تبجيلية عادية، لكن المؤلف قصد أن يخفي بين سطورها حقيقة مبطّنة، خصوصاً بعد تمييز الحرفين الأوّلين من كل عبارة. هذه الوسيلة في تبطين حقائق سريّة بين سطور نصوص عادية كانت مألوفة جداً في العالم القديم. لا أريد الدخول في تحليل هذه الترنيمة وما يخفيه مؤلفها من اسرار (لأنه سيتطلب مساحة كبيرة) لكن خلاصة الأمر هو أنها تتكلم عن الامتداد التجاوزي للتجسيد المادي، وهذا الامتداد ذو طبيعة سباعية، والأمر الأهم هو أنه ليس له علاقة بمفهوم الكواكب السبعة. اقتبس "غويدو الأريزي" الحرفين الأولين المميّزين في بداية عبارات الترنيمة وفسرها وفقاً لفهمه الخاص لسلم التجسيد المادي (وهو خاطئ طبعاً)، فخرج أخيراً بالسلم الذي نألفه اليوم. فيما يلي نوتات السلم الموسيقي ومعانيها ومواقعها بالتسلسل:



معاني النوتات التي أوجدها "غويدو الأريزي" للسلم الموسيقي هي التالية: [DO] (المهيمن ـ سيّد الكون).. [SI] (المدار الفلكي).. [LA] (المدار اللبني ـ درب التبانــة).. [SOL] (الــشمس).. [FA] (القدر).. [MI] (المدار المختلط).. [RE] (العالم النجمي).

بعض الباحثين الذين يفتقدون لأي نظرة تجاوزية للأمور شرحوها على أنها تمثل مخطط تراكبي يبدأ من مستوى الكون نزولاً إلى مستوى الكرة الأرضية والقمــر، أي: [DO] (الكــون).. [SI] (عالم المجرات).. [LA] (مجرتنا، درب التبانة).. [SOL] (شمس منظومتنا).. [FA] (كواكــب منظومتنا).. [MI] (الأرض).. [RE] (القمر).

نلاحظ أن المعاني المقصودة من النوتات الموسيقية قريبة جداً من معاني مكونات المبدأ السباعي الذي تجلى وفقه الكون المادي رغم سوء توصيفه بطريقة صحيحة. أي أنه يشبه إلى حــد كبيــر مخطط بطليموس وفيثاغورث للكون رغم اختلاف الصيغة. نلاحظ أيضاً أن كلمة [SOL] تمثّــل الشمس وهي الكلمة ذاتها التي تُستخدم باللغة اللاتينية للإشارة إلى الذات أو النفس (Soul).

الفكرة التي حاول مؤلف النغمات قولها لكنه لم ينجح بذلك هي أن النغمات الثلاثة العلوية ([DO] [SI] [LA]) تمثّل ثالوث [العقل، الحركة، المحتوى] أي [الاندفاع، التسارع، العطالة] أي [نــار، هواء، ماء]. [المهيمن] هو العقل المحفز، و[المدار الفلكي] هو الشيء المــسافر فــي الفــراغ أو الفضاء وبالتالي له طبيعة هوائية، و[المدار اللبني] هو الشيء السيولي وبالتالي له طبيعة مائيــة. ومنتوج تفاعل هذه العناصر الثلاثة الأولى هو الشمس المركزية [SOL] (كما رأينا في موضوع

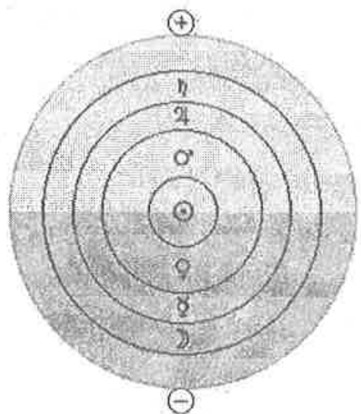
مبدأ الثالوث). أما العناصر الثلاثة الدنيا فهي رد الفعل العكسي لعملية التكاثف في المركز وبالتالي تمثّل القطب المعاكس للعناصر العليا، ووفقاً للحكمة القديمة وضمن سياق الموضوع الحالي تمثّل هذه العناصر الدنيا ما يلي: [FA] = القدر ــ سيطرة الزمان والمكان، وهو ذو طبيعة نارية. و[MI] = المدار المختلط أو العشوائية أي التأرجح بين الخير والشر ــ وهو ذو طبيعة هوائية (هواء)، و[RE] = العالم النجمي ــ وهو المستوى الذي يعلو المادة ــ وهو ذو طبيعة سيولة (ماء).

هذه إحدى الصيغ الكثيرة التي يمكن تفسير المبدأ السباعي وفقها. سوف تتوضح الفكرة بشكل جيد في الصفحات التالية.

المخطط الحقيقي لدوائر القوى السبعة

يبدو أن المخططات الواصفة لبنية الكون (مخطط فيثاغورث وبطليموس مثلاً) تعبّر عن معرفة تجاوزية متطورة لكن تفسيراتها جاءتنا من عصر انحطاط فكري ومعرفي بحيث لم يستطع المفسرون رؤية الصورة بوضوح. جعلوا عدد الدوائر سبعة بدلاً من ثلاثة، وتتوزع القوى السبعة بطريقة تجعل ثلاثة تحتل القسم العلوي وثلاثة اخرى تحتل القسم السفلي من نفس الدوائر الثلاثة والسابعة تقبع في المركز (الشمس).

لقد تجاهلوا حقيقة أن الدائرة الكونية مقسومة إلى قسمين، علوي وسفلي، وبالتالي فإن القوى الثلاثة السفلى هي قطبيات سلبية للقوى الثلاثة العليا ذات القطبية الموجبة. (كما في الشكل المقابل):



المخطط الحقيقي للقوى السبعة. هو مؤلف من دوائر ثلاثة فقط

هناك الكثير من الإشارات التي يمكن استنباطها من النصوص القديمة المتعلقة بالقوى السبعة، مثل تعاليم الإشعاعات السبعة التي علّمت بأن الإشعاعات الرئيسية هي ثلاثة، والأربعة الباقية هي إشعاعات ثانوية ناتجة من الرئيسية. وكذلك في علم الفلك نلاحظ أنهم يقسمون الكواكب السبعة بحيث أن الثلاثة الأولى تتميّز عن الأربعة الباقية، فيقولون مثلاً أن الثلاثة الأولى هي كواكب اجتماعية (دائرة نشاطها أوسع) بينما الأربعة الباقية شخصية (دائرة نشاطها أضيق)، أو يشيرون إلى الكواكب الثلاثة العليا بالكبرى والكواكب الدنيا هي صغرى، وغيرها من أمور تشير إلى وجود اختلاف كبير بين الكواكب العلوية والكواكب السفلية لكنهم لم يشرحوا السبب بطريقة واضحة ومفهومة.

سوف تتعرفون في الموضوع التالي على الصيغة الحقيقية لهذا التقسيم حيث حتى مكونات السلّم السباعي (الألوان، النغمات الموسيقية،..) لا تصطفّ على نسق واحد في سلسلة الطيف الكهرومغناطيسي، بل تتعاكس قطبياً. أي أن الألوان الرئيسية مثلاً ليست سبعة بل هي ثلاثة موجبة وثلاثة سالبة والسابع القابع في الوسط هو منتوج تفاعلها جميعاً.

سرّ الضوء

في كتابه "مبادئ الضوء والألوان" The Principles of Light and Color كتب "أدوين.د بابيت" Edwin D. Babbitt يقول: *".. الضوء يكشف عن أمجاد العالم الظاهري ومع ذلك فهو أمجدها جميعاً. إنه يوهب الجمال، يكشف عن الجمال وهو أكثر جمالاً. إنه المحلّ، قائل الحقيقة وكاشف العيوب، حيث يعرض الأشياء كما هي. دفقاته اللامتناهية تغمر الكون وتسيل إلى تلسكوباتنا من النجوم التي تبعد عنا مئات ملايين الأميال. على الجانب الآخر، ينزل متغلغلاً في الأشياء دقيقة الحجم، ويكشف عبر الميكروسكوب عن أشياء أصغر مما يمكن رؤيته بالعين المجرّدة بخمسين مليون مرّة. كما باقي القوى المرهفة الأخرى، حركتها عليلة بشكل رائع، لكن رغم ذلك تكون نافذة وقوية. في غياب تأثيرها المنعش، لا يمكن لأي كائن، النبات والحيوان والإنسان، أن يصمد طويلاً على وجه الأرض، حيث سيحلّ الدمار الشامل على الفور. علينا الاجتهاد إذاً لتقدير هذه الاستطاعة الكامنة للضوء ومبدأه الجميل بما يتكوّنه من ألوان، حيث كلما*

تعمقنا أكثر في قوانينه الداخلية، كلما قدم نفسه كمخزون مذهل من الطاقة القادرة على إنعاش وعلاج وتنقية وإبهاج الإنسان..".

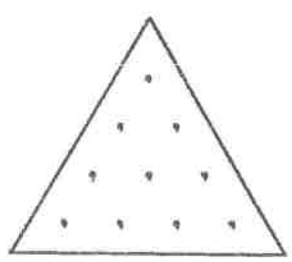
بما أن الضوء يمثّل أساس التجسيد المادي للحياة، غامراً كامل الخلق بإشعاعه، من المهم جداً معرفة، جزئياً على الأقلّ، الطبيعة الخفية لهذا المحتوى الإلهي. إن ما نعتبره "ضوء" هو في الحقيقة معدل من الذبذبة التي تسبب تفاعلات معيّنة في العصب البصري. القليلون يدركون كم هم مقيدون بالحدود الضيّقة لإدراكتهم الحسيّة. ليس فقط هناك الكثير بخصوص الضوء بحيث لم يدركه أحد، بل هناك أيضاً أشكال مجهولة للضوء بحيث تعجز أعضاءنا البصرية عن تسجيلها. هناك عدد لا يُحصى من الألوان التي يتعذّر رؤيتها، وكذلك الحال مع الأصوات التي يتعذّر سماعها، وكذلك الحال مع الروائح التي يتعذّر شمّها، ونكهات يتعذّر ذوقها، ومواد يتعذّر لمسها. الإنسان بالتالي مُحاط بكون مافوق حسّي، لا يعلم عنه شيئاً، لأن مراكز الإدراك الحسّي لديه لم تتطوّر بشكل سليم للاستجابة للمعدلات الذبذبية المرهفة التي يتألف منها الكون.

بين كافة الشعوب المتحضرة والمتوحّشة على السواء، اعتبرت الألوان لغة طبيعية بحيث استخدمت في تبطين عقائدهم الفلسفية والدينية. خلال وصفه لمدينة "أكباتانا" Ecbatana القديمة، صوّر "هيرودوتس" جدرانها السبعة التي طليت بألوان الكواكب السبعة، وهذا العمل يكشف عن مدى المعرفة بهذا المجال والتي حازها ماجوس الفرس. البرج الهرمي الشهير، أو برج الرصد الفلكي للإله "نيبو" Nebo في مدينة "بورسيبا" Borsippa *(في العراق)*، ينحدر بسبعة درجات أو مستويات كبيرة، كل مستوى مطلي باللون الرئيسي لأحد الأجرام السماوية. *(راجع كتاب "السحر الكلداني" Chaldean Magic للمؤلف "لينورمانت")*. يبدو بالتالي واضحاً أن البابليين كانوا يألفون مفاهيم الطيف اللوني وعلاقته بآلهة الخلق السبعة أو القوى الكونية السبعة. في الهند، أمر أحد الأباطرة المغول بجعل نافورة البحرة أن تتألف من سبع مستويات. الماء التي تنسكب من الأعلى جُعلت بأن تسير عبر ممرات صُممت بطريقة تجعلها تغيّر لونها خلال نزولها، فتستعرض كافة ألوان الطيف بالتسلسل قبل وصولها للأسفل. في التبت، استخدمت الألوان من قبل الفنانين المحليين للتعبير عن مزاجات مختلفة. في كتابه "البوذية في التبت" The Buddhism of Tibet ذكر "ل.أوستن وادل" L. Austine Waddell خلال حديثه عن الفن البوذي الشمالي بأنه في الأساطير البوذية، يُعبّر اللون الأصفر والأبيض عن المزاج المعتدل، بينما الأحمر والأزرق والأسود يمثّل المزاج العنيف، لكن يمثّل الأزرق الفاتح أحياناً كل ما هو سماوي (إلهي). بشكل

عام، تُصوّر الآلهة باللون الأبيض، والعفاريت باللون الأحمر، والشياطين بالأسود، وهذا بالضبط ما فعله أنسباءهم الأوروبيين القدامى خلال تصوير هذه الكائنات.

في كتاب "مينو" Meno تحدث سقراط، نقلاً عن أفلاطون، واصفاً الألوان بأنها *".. شكل من الانسياب، متناسب مع البصر، وبالتالي يمكن تحسّسه.."*. في كتاب "ثاتيتوس" Theætetus يطول حديثه عن الموضوع فيقول: *".. دعونا نأخذ بالمبدأ الذي تم تأكيده الآن، بأن لا شيء ذاتي الوجود، وبالتالي نرى أن كل لون، أبيض أو أسود أو أي لون آخر، يظهر في العين المتلقّية بالحركة المناسبة (الذبذبة)، وأن ما نعتبره محتوى كل لون من الألوان هو ليس العنصر الفاعل ولا المنفعل، بل الشيء الذي يمرّ بينهما، وأنه مميّز لدى كل متلقّي.. هل أنت واثق من أن الألوان المختلفة التي تظهر لكل حيوان، لنقل الكلب، هي ذاتها التي تظهر لك؟.."*

في مثلث "تتراكتيس" tetractys لفيثاغورث، والذي يعتبره الرمز الأسمى للقوى والإجراءات الكونية، تكمن النظريات الإغريقية المتعلقة بالألوان والموسيقى. النقاط الثلاثة الأولى تمثّل الضوء الثلاثي (الثالوث المقدس) وهو الإله الأعلى الذي يحتوى على كمون الصوت واللون. النقاط السبعة الباقية تمثّل ألوان الطيف ونغمات السلّم الموسيقي. الألوان والنغمات هي قوى الخلق الفاعلة المنبعثة من السبب الأوّل [عزّ وجلّ] لتنشئ الكون. هذه القوى السبعة مقسومة إلى قسمين، أحدهما يحتوي ثلاثة والآخر أربعة، وهي علاقة معروضة بوضوح في مثلث "تتراكتيس". القسم الأعلى، المؤلف من ثلاثة قوى، يمثّل الطبيعة الروحية للكون المخلوق. أما القسم الأدنى، المؤلف من أربعة قوى، فيمثّل المستوى غير العقلاني، أي العالم الدنيوي.



مثلث فيثاغورث الشهير باسم "تتراكتيس" tetractys

عندما نفتح عيوننا ونستطيع رؤية الأشياء المحيطة بنا فهذا ممكناً بسبب ظاهرة نسميها الـضوء. ما هو مصدر وسبب هذا الضوء الضروري بدوره لإدراكنا البصري للعالم المحيط بنا؟ لقد نشبت حروب عديدة حول هذا السؤال. لقد زُعِم بأنه أُجيب عليه مرات كثيرة عبر العصور، لكن هل تم الإجابة عليه فعلاً؟ هل الضوء مؤلف من جزيئات؟ موجات؟ أو الاثنين معـاً وبطريقـة تُربـك الذهن؟ أو هو تعبير لقوة كونية غامضة لازالت تمثّل لغزاً بالنسبة لرجال العلم الذين يعجزون عن فهمه بشموليته لأسباب تتعلّق بأخطاء تعريفية أو قياسية؟

في جوهر هذه المسألة بالكامل يكمن تساؤل آخر حول تشكّل الألوان. يزعم العلم الحـديث بـأن اللون هو عبارة عن معدّل معيّن من الذبذبة التي تستهدف عيوننا، وبالتالي فإن مظهره اللوني هو مجرّد وهم. لكن يبدو أن هناك أخطاء في هذه النظرة، وهي أخطاء كبيرة لدرجة أن أي شـخص بذكاء متوسّط يستطيع ملاحظتها بوضوح. لا داعي لإجهاد دماغه في التحليل، كل ما عليه فعلـه هو النظر.

المفاهيم العصرية بخصوص تشكّل الألوان تستند عموماً على التجربة الأساسية للـسير "إسـحاق نيوتن" Isaac Newton الذي زرب نفسه داخل حجرة مظلمة وسمح بدخول حزمة رفيعـة مـن الضوء عبر ثقب صغير في الجدار. تم توجيه هذه الحزمة الرفيعة بحيث تمرّ عبر موشـور ثـم ينتهي بها الأمر مُسلّطة على سطح أبيض اللون. كانت النتيجة ظهور الطيف اللوني المـشهور: أحمر، برتقاليّ، أصفر، أخضر، أزرق، نيلي، وبنفسجي. استنتج "نيوتن" من هذه التجربة البسيطة بأن ألوان هذا الطيف هي مخفية أو متضمّنة داخل الضوء لكـن يمكـن استخلاصـها بواسـطة الموشور. أعلن "نيوتن" بعدها أن تجاربه أفضت إلى اكتشافه بأن الضوء الأبيض يحتوي على كل الألوان، بينما الأسود يمثّل غياب كل الألوان. يمكن لبعض التجارب التي صممها العلم المنهجي، خصوصاً تلك المتعلقة بمزج الأصباغ اللونية، أن تساهم في إقناع الفرد بهذه النظرية. لكن فـي الحقيقة، هناك عدد كبير من التجارب، خصوصاً تلك المتعلقة بالموشور، التي تـؤدي تحليلاتهـا المنطقية إلى دحض هذه النظرية العلمية الخاطئة، والتي لازالت القائمة اليوم بصفتها تمثّل حقيقة ثابتة.

نمط التفكير التسلسلي المتماشي مع مفاهيم "نيوتن" حول الطيف اللوني أدى إلى ظهور المفـاهيم العصرية المتعلقة بـ"الطيف الكهرومغناطيسي" electromagnetic spectrum. هـذا الطيـف

العظيم الشامل لكافة الطاقات المتذبذبة، مثل الضوء والصوت والموجات الكهربائية المختلفة.. إلى آخره، والتي يُزعم بأنها تتراصف على طول هذا الطيف العظيم كالجنود السائرة بانتظام في استعراض عسكري، ابتداءً من درجة صفر حتى لانهاية، ويُحدّد موقع كل طاقة في هذا الطيف وفقاً لوتيرة ذبذبتها. ما من شكّ أن الطيف الكهرومغناطيسي (كما يألفه العلم) له أساس واقعي قابل للهندسة، والذي ساهمت مفاهيمه السائدة في توفير الكثير من المنتجات التكنولوجية، لكن وجب أن لا يدفعنا هذا إلى الاستنتاج الجازم بأن نظرة العلم بخصوصه تمثّل الواقع بشموليته قبل أن نأخذ في عين الاعتبار كافة المعطيات التجريبية.

مقاربة مختلفة تماماً

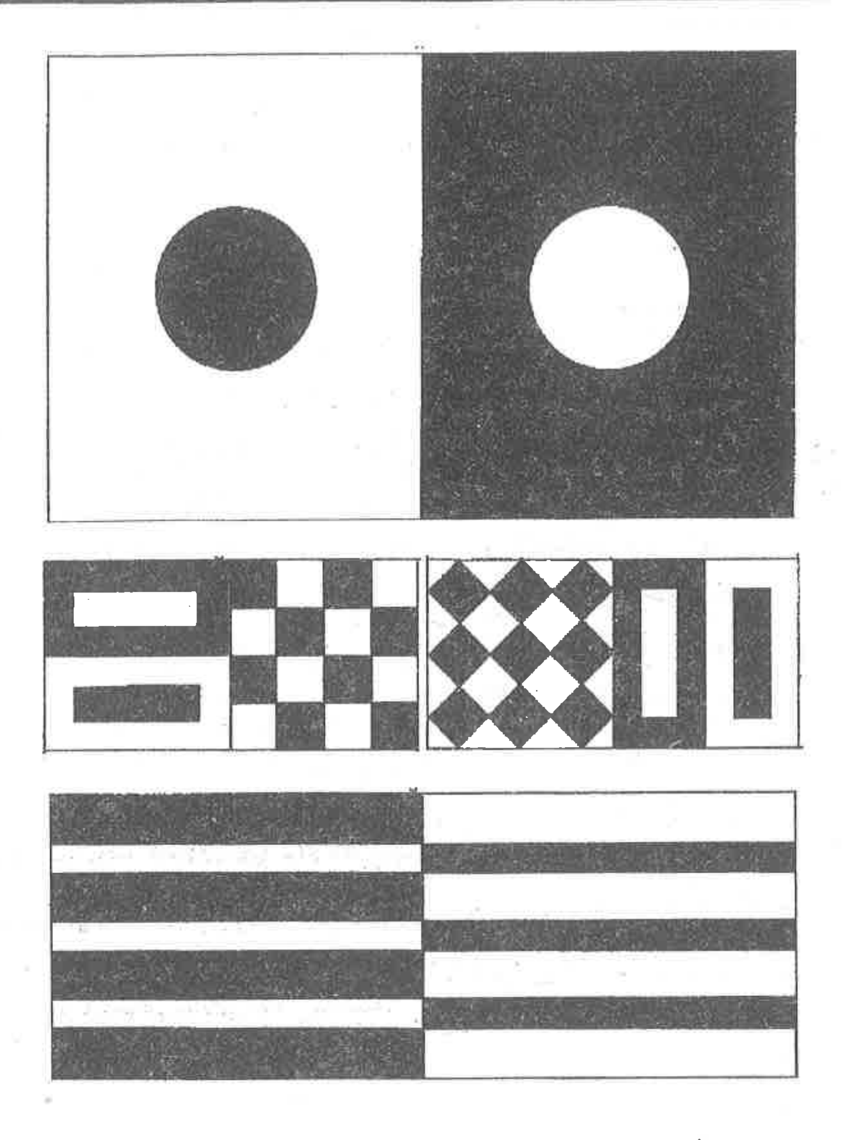
في الوقت الذي اتبع فيه "نيوتن" طرق التحليل العلمي خلال مسيرة استكشافه لظاهرة الضوء، اتخذ الشاعر الكبير "غوته" Goethe منحى أكثر شمولية خلال مقاربة الموضوع. بدلاً من دراسة الضوء والألوان من خلال زرب نفسه داخل حجرة مظلمة وتكرار التجارب ذاتها التي أجراها "نيوتن"، والتي كرّرها فعلاً وبمهنية فائقة من أجل التحقق من النتائج بنفسه، اختار أن يستكشف طبيعة الألوان بمجدها الكامل وانطباعها الرائع على العالم المتجسّد مادياً.

اعترف "غوته" بأن تجارب "نيوتن" أظهرت حقائق علمية فعلاً، لكنه لم يكن مستعجلاً كثيراً للقفز إلى ذات الاستنتاجات السريعة التي توصل إليها "نيوتن". رأى بوضوح أن "نيوتن" كان خاطئ في استنتاجه بأن ألوان الطيف الضوئي (أحمر، برتقالي، أصفر، أخضر، أزرق، نيلي، بنفسجي) تمثّل خاصية رئيسية للضوء. رأى "غوته" بوضوح أن هذا الطيف الضوئي كان ناتج من ترتيب معيّن أجري لكل من الثقب الذي مرّ عبره الضوء إلى الحجرة، والموشور الذي تصطدم به الحزمة قبل أن تتبعثر إلى ألوان مختلفة. أي بمعنى آخر، هذا الطيف اللوني هو مجرّد تأثير جانبيّ لعملية تشكّل الألوان.

بخصوص نظرية "نيوتن" حول الجاذبية بقيت أكثر الأسئلة أهمية دون جواب حتى الآن: تلك التفاحة اللعينة التي سقطت على رأسه، كيف صعدت أصلاً إلى موقعها المرتفع في الشجرة؟ ما الذي دفعها إلى النمو عبر مراحل مختلفة من التشكّل والتكوين إلى أن وصلت إلى مرحلتها النهائية المثمرة هناك في الأعلى؟ كيف حصلت كل هذه المراحل مع أنها كانت طوال فترة حصولها معاكسة للجاذبية؟ بنفس الطريقة، فإن قسم كبير من نظرية تشكّل الطيف اللوني يسوده

الألغاز ولازالت التساؤلات دون جواب حتى الآن. لازال العلم المنهجي عاجزاً عن فهم الطبيعة الجوهرية للضوء والألوان المختلفة التي يتضمنها داخل حزمته البيضاء.

دعونا الآن نلقي نظرة متفحّصة على التجربة المجيدة التي أجراها "إسحق نيوتن" العظيم. بدأ بعزل نفسه عن مجال الضوء الطبيعي داخل حجرة مظلمة، سامحاً فقط بمرور حزمة صغيرة من الضوء عبر الجدار وموجهّة نحو موشور ثم ينتهي بها الأمر على سطح أبيض اللون. من هذه التجربة بالذات جاء مفهوم الطيف اللوني المألوف (أحمر، برتقالي، أصفر، أخضر، أزرق، نيلي، بنفسجي) بصفته البنية النهائية والجوهرية لمكونات الضوء الأبيض. (فكّر في الأمر قليلاً: دراسة الضوء وسط بيئة مظلمة؟!). دعونا الآن نجري بعض التعديلات في هذه التجربة. إذا قمنا بتوسيع الثقب قليلاً، نجد أن لون الأخضر اختفى تماماً من الطيف الظاهر على السطح الأبيض، ويأخذ مكانه لون الأبيض للسطح ذاته. ونرى أيضاً زمرتين من الألوان: أحمر/أصفر، وأزرق/بنفسجي، تواجهان بعضهما البعض كما الأقطاب المتعاكسة حول وسط مركزي أبيض اللون. إذا عدنا إلى تضييق الثقب مرّة أخرى، يعود الأخضر إلى الظهور ثانيةً بعد أن يتداخل لونا الأزرق والأصفر. دعونا الآن ننسى كل النظريات العلمية ونعتمد على ما لمسناه بالعين المجرّدة. بعد فحص هذه الظاهرة المرئية تبيّن بوضوح أن ***تشكّل الألوان ينتج من تأثيرات حدودية بين المناطق القاتمة والمناطق الفاتحة***. الأحمر يظهر فوق المنطقة المظلمة أو السوداء والأصفر يظهر فوق المنطقة الفاتحة أو البيضاء. الأزرق يظهر فوق البيضاء والبنفسجي فوق السوداء. يمكن رؤية نتائج هذه التجربة بسهولة من خلال تسليط الضوء الخارج من الموشور على اللوحة المبيّنة في الشكل التالي والمقسّمة بطرق مختلفة إلى مناطق سوداء وبيضاء.



أنظر إلى هذه اللوحة عبر موشور لرؤية الظواهر اللونية

دعونا نكمل تجربتنا وهذه المرّة سوف نجري تعديل الفتحة التي يمرّ عبرها الضوء. دعونا نخرج من الحجرة المظلمة إلى بيئة مضيئة، وبدلاً من تسليط حزمة عبر ثقب إلى موشور قابع في الظلمة، نترك الموشور في بيئة مضيئة لكن نضع بينه وبين مصدر الضوء حاجز (دائري أو مربّع) يمكن التحكم بقطره. إذا نظرنا خلال الموشور إلى اللوحة، فلننظر إلى عدة شرائط سوداء متفاوتة العرض فوق خلفية بيضاء. ما نراه الآن هو طيف لوني مختلف تماماً: أصفر، أحمر،

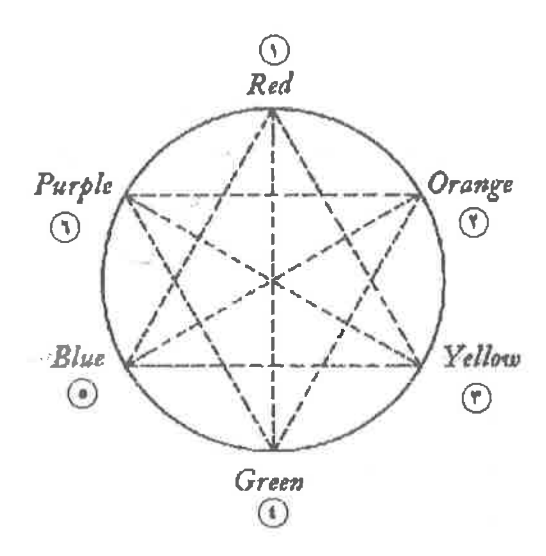
أرجواني، بنفسجي، وأزرق. إذا وسّعنا الشيء الذي يحجب الضوء، نلاحظ أن اللون الأرجـواني magenta يختفي من الطيف ونجد أن الظلام يفرّق بـين قطبـين متباعـدين: أصـفر/أحمـر وبنفسجي/أزرق. الأحمر والبنفسجي يظهران فوق المنطقة الـسوداء فـي اللوحـة، والأصـفر والأزرق فوق المنطقة البيضاء.

إذا كانت كافة ألوان الطيف النيوتوني متضمنة في الضوء، أليس على كافة ألوان الطيف الثـاني، أي طيف "غوته"، أن تتضمن داخل حيّز الظلام؟ إن تأثيرات كل من الأشعة فوق الحمراء وتحت البنفسجية الواقعة فوق وتحت الطيف النيوتوني معروفة جيداً للعلم حيـث خـضعت لدراسـات مطوّلة، لكن ماذا ظهر فوق وتحت طيف "غوته"؟ أظهرت الأبحاث التـي أجراهـا البروفيـسور "أوغوست كيرشمان" August Kirschmann بأنه يتشكّل منطقة عريضة نتيجة غياب الأشـعة فوق البنفسجية وتمتد حتى الضوء غير الملوّن المحاذي للأصفر. المنطقة المحاذية للأزرق أيضاً تتشكّل نتيجة غياب الأشعة تحت الحمرء. بالنسبة للنظريات الفيزيائية العصرية يُعتبر هذا لغـزاً كبيراً، حيث وفقاً لهذه النظريات وجب على كل من الأشعة فوق البنفسجية وتحـت الحمـراء أن تكونان حاضرتين في المناطق غير الملوّنة على طرفي الطيف اللوني.

وجب علينا أيضاً التساؤل حول مدى صحّة نظريـة "طـول الموجـة" wavelength theory للضوء. صحيح أن هذه النظرية لها دون شكّ تطبيقات هندسية مجدية، لكن هنـاك الكثيـر مـن الألغاز بخصوصها. فمثلاً، ما هو دور اللون الأرجواني magenta بهذا المضمار؟ الجواب هـو أن اللون الأرجواني مختفي تماماً من المشهد، رغم أنه يمكن تمييز الأرجواني والأخـضر فـي الطيف اللوني حيث يتشكّلا بفعل قطبي الطيف. إذاً، ليس كل الألوان الطيفية داخلة فـي الطيـف الكهرومغناطيسي، وهذا يعني بالتالي أن اللون الأرجواني magenta ليس لـه طـول موجـة. البعض يعتبره مزيجاً ثانوياً، بخلاف الأخضر الذي يشكّل قطبه المعاكس. كيف يتم الحصول على طول موجة اللون؟ الجواب: من خلال اسـتخدام حـزازات الإنعـراج diffraction gratings وغيرها من أشياء مماثلة تعمل على إظهار الألوان عند خطوط محددة. فبالتالي يمكن القـول أن أطوال الموجة لها أساس واقعي معيّن، لكن هذا ليس سوى نشاط ثانوي بالنسبة لتفاعلها مع المواد المُستخدمة لإنتاجها، وبالتالي هذا لا يجعله يمثّل خاصيتها الرئيسية.

خلال التفكير بهذه الطريقة الجديدة يبرز اعتبارات مقلقة بخصوص المفهوم الحالي المتعلق بالطيف الكهرومغناطيسي الطولي. هذا لا يعني أن التجارب التي أدت إلى صياغة هذه المفاهيم الحالية هي خاطئة، بل أن طريقة ترجمة نتائجها أدت إلى تكوين صورة جزئية للواقع، والأمر الأسوأ هو ظهور عقيدة علمية تجزم بأن هذه الصورة الجزئية تمثّل كامل المشهد المتعلّق بالطاقات الكونية.

جمع "غوته" الطيفين معاً لخلق دائرة لونية (الشكل التالي) تمثّل بنظره التركيبة الحقيقية لألوان الطيف. للسير حول هذه الدائرة نبدأ من اللون الأحمر، ثم البرتقالي، فالأصفر، الأخضر، الأزرق، الأرجواني/الأزرق purple، ثم العودة إلى الأحمر. من أجل فهم هذه الدائرة جيداً علينا تعريف الألوان كما فعل "غوته" في الدائرة. اعتبر اللون الأحمر بأنه أرجواني/أحمر magenta، وهو اللون الطيفي المركزي في تجربة اللوحة السوداء. كما أستخدم "غوته" اسم "الأحمر القاتم" للإشارة إلى هذا اللون. اعتبر اللون البرتقالي بأنه يمثّل اللون الأحمر الحقيقي. الأصفر والأخضر والأزرق حافظا على هويتهما. أما الأرجواني/الأزرق purple فاعتبره بنفسجي violet.



دائرة "غوته" اللونية، والتي تمثّل بنظره التركيبة الحقيقية لألوان الطيف

[١] أحمر، [٢] برتقالي، [٣] أصفر، [٤] أخضر، [٥] أزرق، [٦] أرجوزاني

كان لـ"غوته" أسبابه الواضحة لهذه التصنيفات، واستكشافها يُعتبر من خارج سياق هذا البحث المقتضب حيث الأمر يتطلّب وصف وشرح عدد من التجارب العملية الطويلة. سوف نكتفي هنا بوصف القاعدة الأساسية للظاهرة اللونية.

هناك الكثير من الدوائر اللونية التي تقدم بها مقترحو نظريات متنوعة حول الضوء والألوان، وهذه النظريات تغطّي مدى واسع يبدأ من التفسيرات المختلفة لطيف "نيوتن" اللوني ووصولاً إلى لوائح التدرّجات اللونية المستخدمة في مجال الصناعة. تستند دائرة "غوته" اللونية على ظاهرة طيفية حقيقية. يُعبّر عن هذه الدائرة اللونية بالنجمة السداسية، وهو شعار مهم جداً لدى القدماء بحيث كان يرمز إلى قوة التكوين بقطبيها المتعاكسين: السماوي والدنيوي.

شعر "غوته" بأن اللون الأخضر هو الأدنى بين الألوان الحيّة (اعتبر الأبيض والأسود والرمادي بأنها ألوان ميتة). بصفته يمثّل مزيجاً بين ما يعتبرهما اللونين الحقيقيين، الأصفر والأزرق، فهو أقرب إلى لون الرمادي، الذي خُلق بدوره من مزيج الأسود والأبيض. قال بأن الأخضر يذكّرنا بالمزيج الجزيئي، ورأى أن الأخضر يمثّل تبديداً للضوء عبر مزج الأصفر بالأزرق.

على الجانب الآخر، أشار إلى الأرجواني magenta بأنه يمثّل الأحمر النقيّ واعتبره أعلى نقطة يمكن أن يرتقيه اللون، كتب يقول: *".. الدرب إلى القمّة في الأحمر النقيّ يبدو أكثر ديناميكية.. بينما ظهور الأخضر ميّال إلى الطبيعة الذريّة.."*. يبدو واضحاً أن "غوته" اعتبر الأخضر والأرجواني (أحمر بنظره) قطبين متعاكسين.

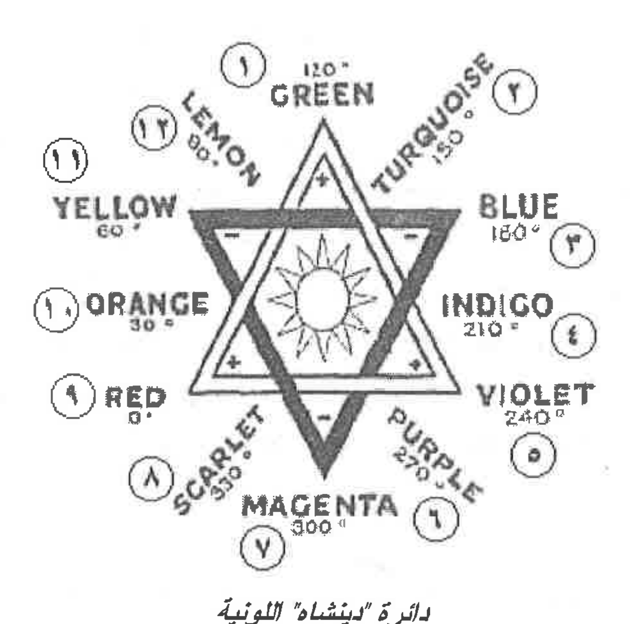
لأسباب أصبحت واضحة الآن يمكننا تصنيف الطيف اللوني المتشكّل نتيجة تسليط حزمة ضوئية على الموشور (الطيف النيوتوني) بأنه يمثّل الطيف المادي، أما الطيف اللوني المتشكّل نتيجة حجب الضوء عن الموشور (طيف "غوته") فهو يمثّل الطيف الأثيري. سوف نرى في الموضوع التالي كيف أن لهذا الطيف الأخير تطبيقات عملية في مجال الصحة الإنسانية بالاعتماد على تأثيراته الملموسة في بنية الجسم ووظائفه بمستوياته المختلفة: الجسدية والعقلية والنفسية.

"دينشاه غاديالي" ونظام "سبكتروكروم" العلاجي

من بين أبرز الباحثين في مجال الألوان وأكثرهم أهمية وإثارة كان الهندي "دينشاه بستانجي غاديالي" Dinshah Pestanji Ghadiali المعروف بالاسم المختصر "دينشاه"، والذي ابتكر في العشرينات من القرن الماضي نظام علاج بالألوان يُسمى الـ"سبيكتروكروم" -Spectro Chrome. بينما كان "دينشاه" تلميذاً متحمساً ومدافعاً جلوداً عن "نيوتن" ونظريته اللونية، إلا أنه يبدو واضحاً من خلال أبحاثه ومفاهيمه حول تركيبة الألوان أن منظومته تميل أكثر إلى التناغم مع نظرية "غوته" التي استندت عليها دائرته اللونية. وفي الحقيقة، فإن الألوان الطيفية الرئيسية المحيطة بالنجمة السداسية التي أوجدها "غوته" هي ذاتها التي تمثّل البنية الأساسية لمنظومة "سبيكتروكروم" التي أوجدها "دينشاه". وحتى النجمة السداسية بقيت ذاتها في دائرة "دينشاه" اللونية (الشكل التالي).

كانت أبحاث "دينشاه" مستندة على أعمال "نيوتن" و"أدوين بابيت" Edwin Babbitt *(الباحث الرائد في مجال الألوان)*. والأمر الذي يدعو للعجب هو أن نظرية "غوته" عن الألوان لم تُذكر في أي مكان من كتاباته العديدة إن كانت مؤلفات أو مقالات في المجلات والصحف.

ساهمت حساسية "دينشاه" اليوغية الممزوجة مع أبحاثه العلمية المطوّلة في تزويده بدلائل على أن هذه البنية اللونية (الشكل التالي) متصلة مباشرة ببنية الجسم البشري ووظائفه المختلفة. رأى أن اللون الأحمر متصل مباشرة بوظيفة الكبد وكريات الدم الحمراء. اللون البنفسجي متصل بالطحال. زعم "دينشاه" أن كريات الدم البيضاء هي بنفسجية بطبيعتها. منح اللون الأخضر دوراً حاكماً للرأس ووظائفه المختلفة. هذا الثالوث المؤلّف من الكبد والطحال والرأس متصل مباشرة بمثلّث الألوان: الأحمر والبنفسجي والأخضر. الأخضر هو أيضاً لون مسيطر على الجسد عموماً، حيث استُخدم لموازنة كامل الوظائف الجسدية للجسم. أما مثلّث الألوان: أصفر، أزرق، أرجواني، فقد ربطه بوظائف وجريانات الجسم. فمثلاً، يلعب الأصفر دور المحفّز الحركي للعضل. أما الأزرق فيلعب دور المثبط الحركي للعضلات. الأرجواني Magenta يحكم جريان الطاقة واستُخدم أيضاً لموازنة الطاقات الجنسية والقلب.

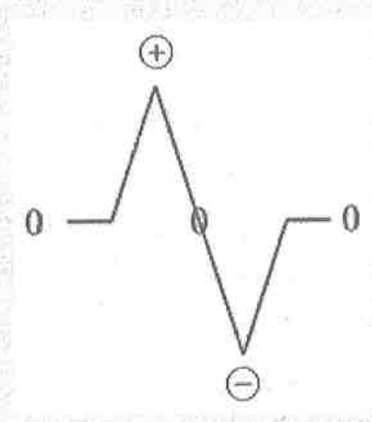


دائرة "دينشاه" اللونية

[١] أخضر، [٢] فيروزي، [٣] أزرق، [٤] نيلي، [٥] بنفسجي، [٦] أرجواني/أزرق، [٧] أرجواني/أحمر، [٨] قرمزي، [٩] أحمر، [١٠] برتقالي، [١١] أصفر، [١٢] ليموني

من خلال النظر إلى دائرة ألوان "دينشاه" يمكننا رؤية علاقتها الوثيقة مع فكرة "غوته" حول كون الأخضر "ذرّي" بطبيعته والأرجواني أكثر رفعة. صحيح أن دائرة "دينشاه" تظهر عكس هذه النظرة تماماً (حيث منح الرفعة للأخضر) إلا أن الفكرة الجوهرية التي التقى فيها مع "غوته" هي أن الألوان لا تصطفّ على نسق واحد في سلسلة الطيف الكهرومغناطيسي، بل تتعاكس قطبياً. لقد عبّر "دينشاه" عن اعتقاده بأن الأخضر والأرجواني يمثلان ذات اللون، أي لديهما ذات وتيرة الاهتزاز في الوسط الأثيري، لكن كل منهما يدور باتجاه معاكس للآخر. كان "دينشاه" يتوافق مع نظرية "طول الموجة" wavelength theory، لكنه مع ذلك كان مقتنعاً بأن اللون الأرجواني له طول الموجة ذاتها للون الأخضر.

ملاحظة: يمكننا التسليم بكل ثقة أن نظرية "طول الموجة" wavelength theory هي صحيحة إلى حد معيّن، لكن العامل المفقود منها هو القطبية، كما تبيّن بوضوح خلال التجربة على سطوح سوداء وبيضاء معاً كما بينتها أبحاث "غوته"، وكما أكدتها أيضاً أبحاث "دينشاه". يمكن توضيح الفكرة ببساطة من خلال الشكل التالي:



كلا الموجتين، الصاعدة والهابطة فوق وتحت خط الوسط، لهما ذات طول الموجة، لكن بقطبيات مختلفة. هذا هو السرّ الذي جاهد كهنة العلم الكبار على حجبه.

من أجل تجسيد الألوان الاثنا عشر التي تتألف منها منظومة "سبيكتروكروم" استخدم "دينشاه" خمس زجاجات ملوّنة: حمراء، صفراء، خضراء، زرقاء، وبنفسجية. يتم توليفها جميعاً وفق تركيبة هندسية معيّنة للخروج باللون المناسب لعلاج المرض المستهدف. لهذا السبب سُميت الصبغة اللونية الناتجة من هذا التوليف باسم "الموجات اللونية المولّفة" attuned color waves. من أجل التبسيط، يمكننا التعرّف على المبدأ الأوّلي الذي اتبعه "دينشاه" لمزج الألوان وهو كما يلي: الأحمر+الأصفر= برتقالي، الأصفر+الأخضر= ليموني، الأخضر+الأزرق= فيروزي، الأزرق+البنفسجي= نيلي، الأحمر+الأزرق= قرمزي، الأحمر+البنفسجي= أرجواني/أحمر Magenta، البنفسجي+الأصفر= أرجواني/أزرق Purple. الألوان التي اعتبرها "دينشاه" أثيرية هي: القرمزي Scarlet، الأرجواني/الأحمر Magenta، والأرجواني/الأزرق Purple.

كان عمل منظومة "سبكتروكروم" العلاجية سهل وبسيط، لكنه دقيق وبالغ التأثير. يتم تسليط أشعّة لونية معيّنة على المريض، إما على جسمه بالكامل أو على مناطق محددة فيه. كانت الحالات مثل الأورام السرطانية والأمراض المزمنة عموماً تنتمي إلى الطيف مافوق الأخضر ultra-green، أي الألوان الممتدة من الأخضر حتى البنفسجي. وبالتالي كانت تُستخدم الألوان ما تحت الخضراء Infra-green لعلاج تلك الحالات، أي الألوان الممتدة من الأحمر حتى الأخضر. أما الأمراض

الفجائية، بما فيها الجروح والحروق والرضّات وغيرها، والتي كان يسميها الحـالات الحمـراء، فكان يعالجها مستخدماً ألوان ما فوق الخضراء. أما الألـوان المتعلّقـة بالوظـائف الجنـسية أو الدورات الدموية للجسم، فتمثّل الألوان الأثيرية الثلاثة (الواردة سـابقاً) الممتـدة بـين الأحمـر والبنفسجي.

المبدأ العام الذي استندت عليه منظومة "دينشاه" العلاجية

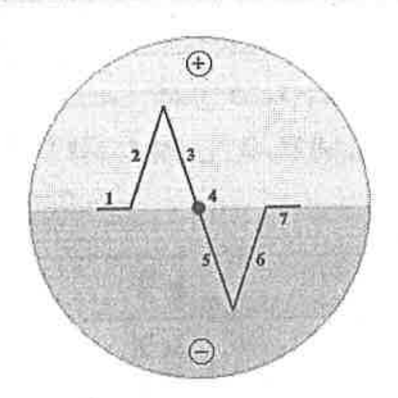
رغم التعقيد الذي تبديه ظاهرياً هذه المنظومة العلاجية، إلا أنها تتمحور حول مبدأ بسيط وسـهل الاستيعاب. هو مشابه تماماً للمبدأ الذي استند عليه الطب العربي القديم (الطب اليوناني)، أي مبدأ الأخلاط الأربعة. بنى "دينشاه" منظومته على عقيدة تقول بأن ٩٧% من جسم الإنسان مؤلف من أربع عناصر (أخلاط) وهي: الأكسيجين، الهيدروجين، النيتروجين، والكربون.

لقد استخدم "دينشاه" ذات الطريقة الالتفافية التي اتبعها الكثير من باحثي تلك الحقبة، في بـدايات القرن الماضي، للإشارة إلى العناصر الأربعة المألوفة في الأدبيات الـسحرية والخيميائيـة، أي النار، الهواء، الماء، والتراب، ذلك تجنباً للانتقادات وسوء الفهم والاتهامات بالشعوذة.

وفقاً لدينشاه، كل من هذه العناصر الأربعة يظهر أرجحية باتجاه، أو توافق مع، لون واحد أو عدة ألوان من الطيف اللوني السباعي. لكن في الحالة العادية، كـل عنـصر ممثّـل بلـون واحـد: الأكسيجين/أزرق، الهيدروجين/أحمر، النيتروجين/أخضر، والكربون/أصـفر. رأى "دينـشاه" أن جسم الانسان متجاوب مع قوى هذه الموجات اللونية الأربعة. في حالة الصحّة الكاملة تكون هذه الألوان الأربعة متوازنة بشكل جيّد، لكن عندما تفقد توازنها يتجسّد المرض مباشرة. وبالتالي، من أجل إسترجاع الصحّة مرة ثانية، وجب إعادة الألوان إلى توازنها المعهود. يخصل هـذا حـسب الحالة، حيث إذا كان أحد الألوان طاغياً على الأخرى، علينا حينها تخفيفه من خلال إيجاد الخلطة اللونية ذات القطبية المعاكسة. وإذا كان أحد الألوان ناقصاً، علينا حينها إغمار الجـسم بجرعـة زائدة من ذات اللون. كما ذكرت سابقاً، هذه الطريقة العلاجية تشبه تماماً تلك التي اتبعها الأطباء العرب بالاعتماد على مبدأ الأخلاط، لكنهم لم يستخدموا الألوان بل وسائل أخرى يمكنك الاطلاع عليها في مراجعهم المختلفة.

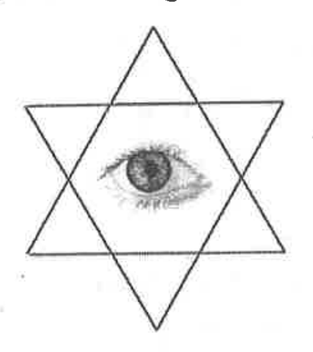
خلاصة الكلام السابق هو أن ما نعرفه بالضوء (أو أي تجلّي آخر من الذبذبة) مؤلف من قطبين، أي بمعنى آخر، الضوء ليس امتداد ذبذبي طولي بل مجموعة علب طاقية تشبه تلك التي وصفها العلم وسماها "كمات" Quanta أو "فوتونات" Photon، لكنها في الحقيقة عبـارة عـن صـور مصغّرة للكرة الكونية الموصوفة أكثر من مرة في هذا الكتاب، بالتالي هي مؤلفة من قسم موجب وقسم سالب وشمس مركزية. أما سبب اتخاذها لون معيّن فيعود إلى حالة العلاقة القائمـة بـين مكوناتها وعناصرها المختلفة.

في كل نبضة ذبذبية نلاحظ أن كلا الموجتين، الصاعدة والهابطة، فوق وتحت خط الوسـط لهمـا ذات طـول الموجة لكن بقطبيات متعاكسة. النبضة العلويـة تنتمـي للعالم التجاوزي وبالتالي فهي متجاوزة للزمان والمكان، وهذا يفسّر ظاهرة الرنين، أي يمكن لمنظومتين ذبذبيتين تترددان بنفس الوتيرة أن تحدثا حالة توالف فيما بينهمـا (أي تواصل فعلي). هذا هو السرّ الذي جاهد كهنة العلم الكبار في حجبه.



وقد صورها القدماء على شكل مثلثين متقابلين ويتوسطهما العنصر السابع. كما الشكل التالي:

تُعتبر نجمة داوود الرمز الذي يمثّل القانون الـسباعي. عبارة عن مثلثين متداخلين، الأول يمثّل القطب الموجب (فاعل) والثاني يمثّل القطب السالب (منفعل). والعين في الوسط تمثّل النور الإلهية، أو النار السماوية.



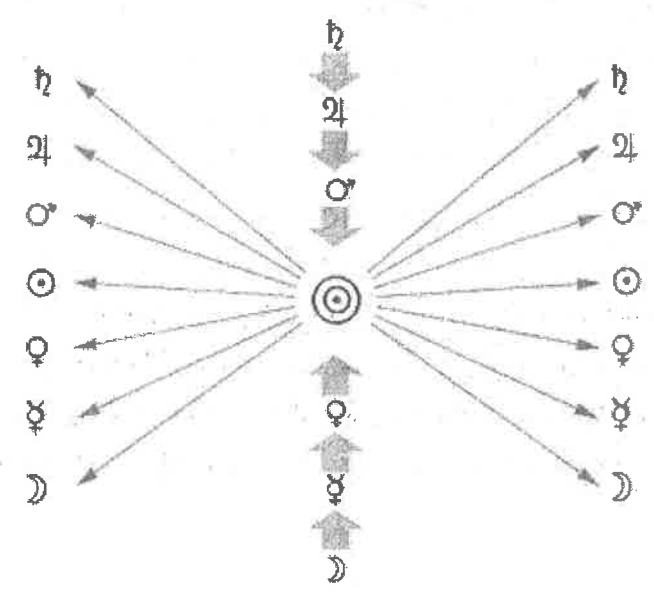
".. ما نعتبره محتوى كل لون من الألوان هو ليس العنصر الفاعل ولا المنفعل، بل الشيء الـذي يمرّ بينهما.."

سقراط

المبدأ ذاته يحكم الكواكب والألوان والنغمات الموسيقية

(وكافة الطاقات الأخرى في الطيف الكهرومغناطيسي)

في التعاليم السريّة يُصوّر الرؤساء السبعة، أو الأسياد السبعة، أو الملائكة السبعة بهيئة جداول أو انبعاثات قوى خارجة من فم الواحد السرمدي. هذا يرمز إلى الطيف اللوني المُشتقّ من الضوء الأبيض للإله الأسمى. هؤلاء الخالقون السبعة، أو الصانعون، أشار إليهم العبرانيون بـ"ألوهيم" Elohim وسماهم المصريون بـ"البنائين" (وأحياناً "الحكام") ويصورونهم حاملين الخناجر بأيديهم بحيث استخدموها لنحت الكون من مادته الأولية. تستند عبادتهم للكواكب على اعتبارها تجسيدات كونية لخصائص الخالق السبعة. وصفوا أسياد الكواكب بأنهم يقبعون داخل جسم الشمس، حيث الطبيعة الحقيقية للشمس والممثّلة للضوء الأبيض تحتوي على بذور كافة القوى اللونية والنغمية التي تجسّدها.



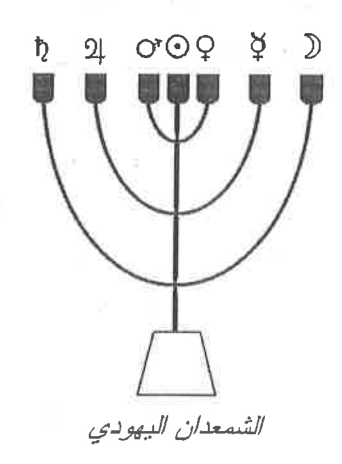
ضوء الشمس المركزية تحتوي على بذور القوى الستة الأخرى

هناك العديد من أبحاث المقارنة المختلفة التي تحاول إثبات العلاقة الوثيقة بين الكواكب والألوان والنغمات الموسيقية (وكافة الطاقات الأخرى في الطيف الكهرومغناطيسي). المنهج الأكثر قبولاً يستند على قانون الأوكتاف. لحاسة السمع نطاق أوسع بكثير من حاسة البصر، حيث تستطيع الأذن تسجيل ما بين تسعة واحدى عشرة أكوتاف من الصوت، بينما العين محدودة لإدراك سبعة

ألوان أساسية، أي بالكاد يكتمل أكوتاف واحد. عندما يُعتبر الأحمر أدنى نغمة لونية في سلّم الألوان فسوف يتوافق حينها مع النغمة الموسيقية [ري]، أي المفتاح الأوّل في السلّم الموسيقي. إذا استمرينا بعملية المقارنة هذه يكون اللون البرتقالي متوافقاً مع النغمة [مي]، والأصفر مع [فا]، والأخضر مع [صول]، والأزرق مع [لا]، والنيلي مع [سي]، والبنفسجي مع [دو]. أما اللون الثامن الضروري لإكمال السلّم فوجب أن يكون الأوكتاف الأعلى للأحمر الذي يمثّل اللون الأوّل في سلّم الألوان. إن مدى دقّة الترتيب السابق يستند على دليلين ثابتين: [١] النغمات الرئيسية الثلاثة في السلّم الموسيقي، أي الاوّل والثالث والخامس، تتوافق مع الألوان الرئيسية الثلاثة، أي الأحمر والأصفر والأزرق. [٢] النغمة السابعة في السلّم الموسيقي تتوافق مع اللون البنفسجي وهو اللون السابع والأقل وضوحاً في طيف الألوان.

في كتابه "مبادئ الضوء والألوان" يؤكّد "أدوين بابيت" وجود توافق بين الألوان والسلّم الموسيقي فيقول: *".. في الوقت الذي تكون فيه [C] قاعدة السلّم الموسيقي ومؤلفة من أخشن الموجات الهوائية، نرى كذلك الأحمر في قاعدة السلّم اللوني ومؤلف من أخشن الموجات الأثيرية. كما النغمة الموسيقة [B] (النغمة السابعة في السلّم) تتطلّب ٤٥ هزّة في الهواء في الوقت الذي تتطلبه النغمة [C] عند قاعدة السلّم ٢٤ هزّة (نصف القيمة تقريباً)، نجد أيضاً أن أقصى البنفسجي في الطيف اللوني يتطلّب حوالي ٣٠٠ ترليون هزّة من الأثير في الثانية بينما أقصى الأحمر يتطلب حوالي ٤٥٠ ترليون هزّة، والتي تقارب نصف القيمة أيضاً. عندما ينتهي أوكتاف موسيقي يبدأ الأوكتاف التالي بوتيرة ذبذبية تساوي ضعف وتيرة السابق، وهكذا تتكرّر النغمات في السلّم التالي لكن بوتيرة أعلى وصوت أكثر نقاوة. الأمر ذاته ينطبق على سلّم الألوان، حيث عندما يكتمل سلّم الألوان المرئي للعين المجرّدة عند اللون البنفسجي يبدأ أوكتاف جديد مؤلف من ألوان مرهفة وغير مرئية، مع وتيرة ذبذبة تبلغ ضعف الأولى، وتبقى خاضعة لنفس القانون مهما تقدمت في السلّم للأعلى.."*

يُضاف إلى هذا التوافق بين السلّم الموسيقي واللوني توافقاً آخر يتعلّق بالكواكب: زحل، المشتري، المريخ، الشمس، الزهرة، عطارد، والقمر، لكن تختلف المقارنات مع اختلاف المراجع ورؤيتها المختلفة للموضوع. هذا الترتيب الخاص للكواكب السبعة هو مطابق لرمز الشمعدان اليهودي حيث تقبع الشمس في الوسط.



الشمعدان اليهودي

بناء على ما توصلنا إليه من استنتاجات أصبح واضحاً أن القوى الكونية (الكواكب) والألوان والنغمات الموسيقية، وحتى الشاكرات في الجسم، تتوافق على الشكل التالي:

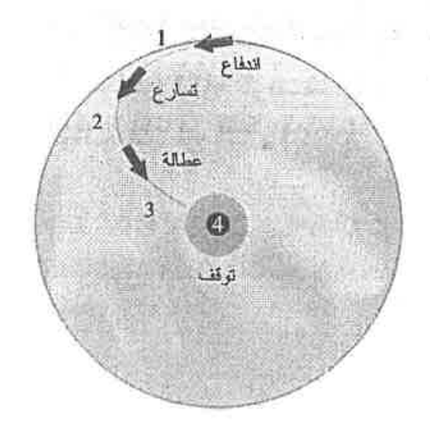
الكواكب	الألوان	النغمات	الشاكرات
زحل	البنفسجي	دو	شاكرا التاج
المشتري	النيلي	سي	شاكرا الحاجب
المريخ	الأزرق	لا	شاكرا الحنجرة
الشمس	الأخضر	صول	القلب
الزهرة	الأصفر	فا	الضفيرة الشمسية
عطارد	البرتقالي	مي	شاكرا العجز
القمر	الأحمر	ري	شاكرا الجذر

أصل الطاقات السبعة

المبدأ السباعي وقصة الخلق

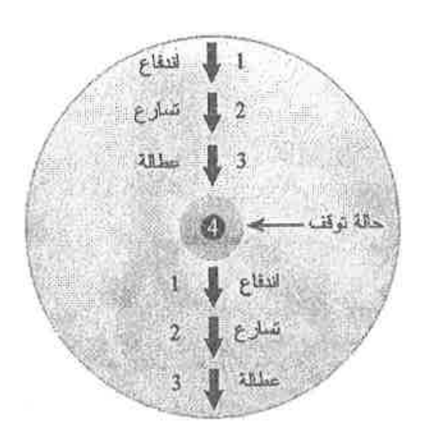
من خلال اطلاعنا على معاني المكونات السباعية في المواضيع المختلفة السابقة (الإشعاعات السبعة، الكواكب السبعة، الشاكرات.. إلى آخره) وجدنا تقارب كبير في معانيها ودلالاتها رغم وجود بعض الهفوات أو المغالطات أو حتى التناقضات أحياناً، وبالتالي لا نستطيع الاعتماد على المراجع التاريخية لتحديد هذه المعاني بدقة. والسؤال إذاً هو: كيف نستطيع التوصل إلى المعاني الحقيقية لهذه العناصر السبعة؟ ما هي الوسيلة المجدية التي ستخرجنا من ظلمة الغموض والإرباك إلى نور الوضوح واليقين؟ كيف نستطيع استنباط الدلالات الحقيقية لكل من هذه الطاقات؟ كيف منح القدماء الكواكب صفاتها وخصائصها السبعة، وكذلك الشاكرات في التعاليم اليوغية، وكذلك صفات الملائكة السبعة أو الأرواح السبعة أو الإشعاعات السبعة أو السموات السبعة.. إلى آخره؟

إذا عدنا إلى طريقة نشوء المبدأ السباعي في موضوع "قصة الخلق" الواردة في الجزء السابق سوف نجد ما يفيدنا حول الأصل الذي اشتُقت منه معاني الطاقات السبعة التي تحدث عنها الحكماء القدامى بصيغ مختلفة، أو السلّم السباعي للطيف الكهرومغناطيسي كما نعرفه اليوم. من أجل استنباط المعاني الحقيقية للطاقات السبعة سوف نعود إلى فترة تشكّلها خلال عملية تكاثف المحتوى العقلي في مركز الكرة الكونية:



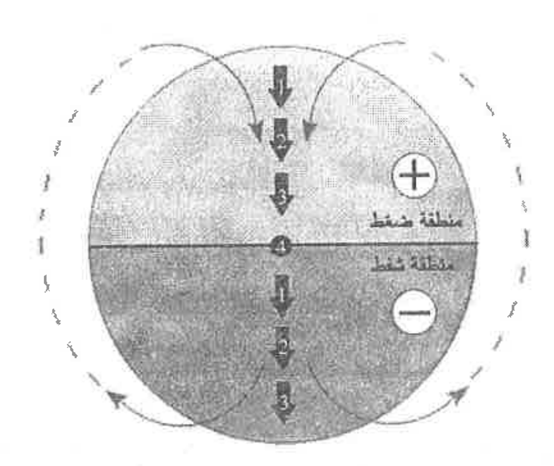
وفقاً لما تعرفنا عليه في قصة الخلق، مسيرة المحتوى الكوني للتكاثف في المركز تخضع لقانون الحركة، أي هي ثلاثية الأطوار (اندفاع، تسارع، عطالة)، والوقوف عند المركز يُعدّ طور قائم بذاته.

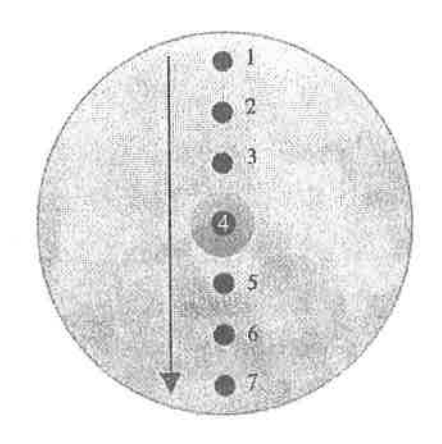
الأمر الذي قد لا نفطن له هو أن هذه الحركة الثلاثية لها انعكاس كما المرآة تماماً، أي أنه من الجانب السفلي من الكرة حصل رد فعل معاكس للحركة الأساسية. أي أصبح لدينا حركة ثلاثية الأطوار من الأعلى تنتهي عند المركز (الطور الرابع)، وحركة عكسية ثلاثية الأطوار من الأسفل.



خلال شرح مبدأ القطبية، تحدثت عن عملية خلق منطقة إفراغ في القسم السفلي من الكرة الكونية ومنطقة تكاثف في القسم العلوي. أي قوة شفط في الأسفل وقوة ضغط في الأعلى. هذا جعل الكرة في النهاية مقسومة إلى قسمين، القسم العلوي الموجب [+]، والقسم السفلي السالب [-].

إذا أسقطنا هذه الفكرة على موضوعنا الحالي، نجد أن حركة الانزياح والتكاثف عند المركز والتي تتألف من أربع أطوار، خلقت لنفسها انعكاساً (كما انعكاس المرآة) في القسم السفلي من الكرة الكونية بحيث تشترك مع الحركة الأساسية في الطور الرابع، أي طور التوقف. (كما في الشكل المقابل).





هذا يؤدي بنا إلى استنتاج مهم جداً وهو أن القوى التي تألفت منها عملية التكاثف عند مركز الكرة هي ليست أربعة بل سبعة قوى. صحيح أن الحركة هي رباعية الأطوار لكن القوى التي أنتجتها هي سبعة. من هنا جاء المبدأ السباعي المتجذّر في كافة أشكال الخلق.

كما هو مبيّن في الشروحات المصوّرة السابقة، تُقسم الكرة الكونية إلى قسمين: الأول علوي يحتوي على ثلاثة عناصر، والثاني سفلي يحتوي على ثلاثة عناصر. إذاً، العناصر الثلاثة الأولى روحانية بينما العناصر الثلاثة الأخيرة دنيوية.

وفقاً لقانون القطبية، كل شيء في القسم العلوي يكون له عكسه في القسم السفلي، أي الأشياء معاكسة تماماً من حيث المواصفات والخصائص. وبما أنه أصبح لدينا فكرة أوّلية عن الأطوار الثلاثة الأولى للحركة الحاصلة في القسم العلوي من الكرة الكونية، أي [اندفاع، تسارع، عطالة] فهذا يساعدنا كثيراً على استنتاج دلالات الأطوار الثلاثة المنعكسة في القسم الدنيوية، وبالتالي تجري الجدلية الفلسفية على الشكل التالي:
بما أننا نوصف الأطوار الثلاثة لحركة المحتوى العقلي فهذا يحتم علينا وصف الحالة العقلية لكل من هذه الأطوار، فنخرج بالحالات العقلية التالية:

١ــ العقل في حالة الاندفاع: العقل المندفع هو عقل يتمتع بإرادة وتصميم وهذه السمات لا تتردد عند الضرورة في إظهار الصرامة والقساوة والعناد والطغيان والسيطرة.. إلى آخره، كما أن هذه العقلية تتمتع حتماً بالجديّة والإلتزام والانضباط. هذا بالضبط ما يتصف به كوكب زحل في المراجع الفلكية.

٢ــ العقل في حالة تسارع: العقل المتسارع يعني أنه يتمتع بقدر كبير من الاستقلالية والنشاط. هذه الحالة تخلق الرحابة، التساهل، الانفتاح، التوسّع، استقلالية التفكير، المعرفة الواسعة.. إلى

آخره. صفات كهذه توفر ظروف مناسبة لنشوء عقلية حكيمة ومتسامحة وكريمة وتتمتع بحكم سليم على الأمور. هذا ما يتصف به كوكب المشتري في المراجع الفلكية.

٣ـ العقل في حالة عطالة: عندما يواجه العقل حالة عطالة في حركته، أي عقبة معيّنة تعيق مساره، يتوجب عليه كردّ فعل أوّلي لإكمال مسيرته أن يتسم بالشدة، المقاومة، البأس، العزم، الإصرار، المثابرة، ضبط النفس، الجلد.. إلى آخره. وهذه السمات لا تتردد عند الضرورة في إظهار التحدّي، العدوانية، الواقعية في النظر إلى الأمور. هذا ما يتصف به كوكب المريخ في المراجع الفلكية.

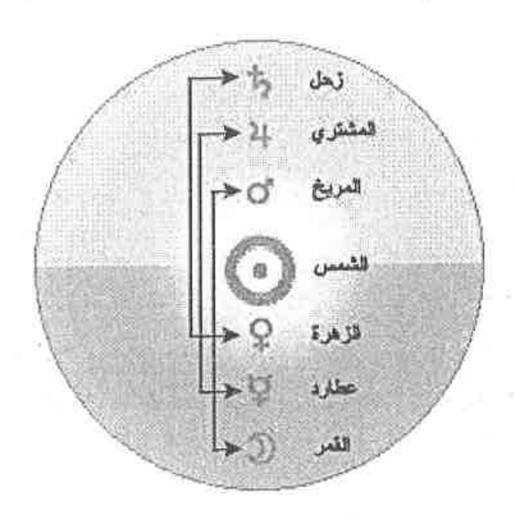
الحالات العقلية السابقة تجلّت في القسم العلوي من الكرة الكونية، وبما أن كل شيء في القسم العلوي يكون له عكسه في القسم السفلي، أي الأشياء معاكسة تماماً من حيث المواصفات والخصائص، هذا بالتالي يجعلنا نستنتج الحالات العقلية في القسم السفلي وفقاً للجدلية الفلسفية التالية:

١ـ الطور الأوّل من حركة المحتوى العقلي يمثّل طور الاندفاع، وبالتالي نشأ في الجهة المقابلة طور معاكس هو الانسحاب، وهذا يجعله يتمتع بخصائص معاكسة تماماً، أي: الإرادة التي يتصف بها طور الاندفاع ولّدت الرغبة على الجانب الآخر.. وفيما يلي بعض الخصائص المعاكسة الأخرى التي نشأت في هذا الطور المعاكس: الجديّة والإلتزام والانضباط ولدت في المقابل اللعب وعدم الإلتزام وعدم الإنضباط.. الصرامة والقساوة والعناد والجفاء ولدت في المقابل الوداعة والليونة والتساهل والمحبة. هذه الصفات الأخيرة تمثّل خصائص كوكب الزهرة في المراجع الفلكية.

٢ـ الطور الثاني من حركة المحتوى العقلي يمثّل طور التسارع، وهذا يعني الاستقلالية والنشاط والرحابة والتسامح والانفتاح والتوسّع واستقلالية التفكير والمعرفة الواسعة.. إلى آخره، وبالتالي فالخصائص المعاكسة التي نشأت لدى الطور المقابل هي التالية: بدلاً من الحكمة وسعة المعرفة نشأت المعرفة المتخصصة والعلم المنهجي (ضيّق الأفق)، وبدلاً من الرحابة والانفتاح والكرم والإحسان، نشأ الانغلاق والتعصّب والحكم المسبق والذكاء الدنيوي أي المكر والبراعة المهنية المتخصصة. هذه الصفات الأخيرة تمثّل خصائص كوكب عطارد في المراجع الفلكية.

٣ــ الطور الثالث من حركة المحتوى العقلي يمثّل طور العطالة، وهذا يعني الــشدة، المقاومــة، البأس، العزم، الإصرار، المثابرة، ضبط النفس، الجلد، التحدّي، العدوانية، الواقعية في النظر إلى الأمور.. إلى آخره، وبالتالي فالخصائص المعاكسة التي نشأت لدى الطور المقابل هــي التاليــة: بدلاً من الطبيعة الواقعية والعملية والضبط والشدّة والحزم.. إلى آخره نشأ في المقابــل الطبيعــة الخيالية والتراخي واللطف والتردد والضعف والسكون والهدوء. هذه الــصفات الأخيــرة تمثّــل خصائص كوكب القمر في المراجع الفلكية.

وفقاً لطبيعة تعاكس الأطوار العلوية والسفلية لحركة المحتوى العقلي في الكرة الكونية، نجــد أن الطور الأوّل يعاكس الطور الخامس، والطور الثاني يعاكس الطور الــسادس، والطــور الثالــث يعاكس السابع. وإذا تناولنا الموضوع وفقاً لترتيب الكواكب نجــد أن زحــل يعــاكس الزهــرة، والمشتري يعاكس عطارد، والمريخ يعاكس القمر. الشكل التالي يوضّح الفكرة:

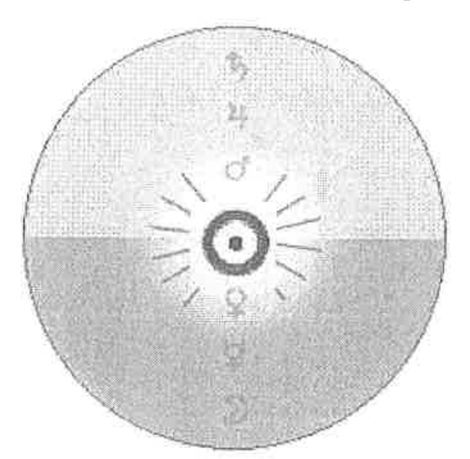


الكواكب المتعاكسة وفق صيغة قطبية

الآن أصبحنا نعرف السبب الذي جعل الزهرة ترمز إلى الحب والإغراء والألفة واللعب والطيش.. إلى آخره، إذ تبين أن هذه الطبيعة نشأت كإنعكاس لطبيعة زحل الذي يرمز إلى الجفاء والنفور والقساوة والجديّة والعقلانية.. إلى آخره. حنكة عطارد وبراعته في العلوم الدنيوية جاء كانعكاس لحصافة المشتري وحكمته السماوية الواسعة، وحب الكسب الدنيوي لدى عطارد جاء

كانعكاس لكرم المشتري وطبيعته الإحسانية. والروح القتالية للمريخ وواقعيته خلقت الروح الاستسلامية والخيالية للقمر. نستطيع الحديث طويلاً عن هذا الموضوع لكن أعتقد بأن الفكرة أصبحت واضحة الآن بحيث يستطيع القارئ الكريم بناء الكثير من الجدليات الفلسفية منطلقاً من هذا الأساس المتين.

٤ــ يبقى لدينا العنصر السابع في هذا المبدأ السباعي ويمثّل طور التوقف في مركز الكرة الكونية. هذه الكتلة المتكاثفة في المركز والتي تحوّلت إلى شمس مركزية (بعد ولادة عامل الزمن وتكرار عملية التكاثف) أصبحت تنبض بالطاقة ويتدفّق منها خصائص وسمات القوى الستة الأخرى. هذا الطور الرابع في قانون الحركة والذي يمثّل طور التوقف أصبح الآن يمثّل الأنا، الخلق، الولادة، الطاقة الحيوية، كما يمثّل أيضاً التناغم والجمال المتناسق، وهذا خلق عقلية معتدّة بذاتها وطبيعة مركزية أو استقطابية أو مغرورة.. إلى آخره، وهذه الخصائص هي ذاتها التي يمثلها كوكب الشمس في المراجع الفلكية.



الشمس المركزية تسطع في الوسط بين الكواكب المتعاكسة قطبياً

هذا مجرّد وصف جزئي للطاقات السبعة حيث يدخل في العملية عوامل أخرى لم نتعرف عليها بعد، وفي نهاية المطاف سوف ندخلها إلى المعادلة ونخرج بالوصف الحقيقي والكامل لهذه الطاقات.

لم يكتفي الحكماء القدامى بمعالجة هذه الطاقات بطريقة فلسفية فحسب بل أثبتت جدواها عملياً على أرض الواقع، حيث استفادوا من هذه المعرفة بشكل كبير من خلال علومهم التطبيقية المختلفة، إن كانت طبية أو هندسية أو فلكية أو غيرها من مجالات علمية مذهلة كانت سائدة في ذلك الزمن المجيد. لكن بما أننا الآن نتناول موضوع الجانب الروحي للإنسان سوف أكتفي بهذا الجانب وأذكر إحدى الصيغ الفلسفية كمثال على الطريقة التي نظروا فيها للإنسان وعالجوا مسألة تجلّيه المادي وفق المفهوم السباعي.

تجلّي الإنسان عبر مدارات الكواكب السبعة

تروي الأديان والفلسفات القديمة كيف خرج الإنسان من حالة كونية نقية، أي كما المقولة ".. جاء من كل مكان إلى هنا..". اعتقد الإنسان القديم بأنه في فترة قديمة جداً عاش البشر مع الآلهة. خُلق الإنسان في البداية في حالة سماوية غريبة، وهو لازال يحوي بتركيبته شيئاً من الطبيعة الإلهية، لأنه قبل تجسيده المادي كان يسكن فوق العالم المتجلّي، في مهجع من النعيم الغامض بروعته.

تؤكّد الفلسفات القديمة بأنه عندما تحرّك الإنسان نزولاً نحو حالة التجلّي، خارجاً من حالته الإلهية الأصلية، لم يتجرّد من قدسيته بل تم إحاطتها بحالة أقلّ مرتبة، ارتدى أثواب مختلفة ساهمت في حجب طبيعته الحقيقية. أي الكائن الروحي الأصيل بقي مُبطّناً داخل هذه الأثواب. مع فقدان الإنسان تواصله مع العالم السماوي، ليس بسبب موت الإله بداخله أو أن الإله تخلى عنه، بل تم حجبه بمجموعة من الرداءات الثقيلة. ووفقاً لما تقوله التعاليم الهرمزية، لبس الإنسان هذه الرداءات الثقيلة خلال نزوله عبر المستويات المختلفة للعالم المتجلّي. وبالتالي نرى في كتاب "بايمندر" لهرمز كيف نزلت النفس عبر مدارات الكواكب السبعة، ومع دخول النفس عبر كل من هذه المدارات الكوكبية يقوم إله ذلك الكوكب أو ملاكه أو حارسه بمنح شيئاً للنفس النازلة عبره، وصوّروا هذا الشيء بثوب يكسوها خلال مرورها عبر كل مدار.

كوكب زحل منح النفس التعقّل والثقل، لكنه بالإضافة إلى ذلك زوده بنوع من حجاب أو الرداء مما جعله يحبس الوعي الصافي أو الحياة الروحية النقية داخل رداء من العقلانية، داخل بنية مؤلفة من عقل مجرّد، لكن هذه البنية كانت جنينية غير مولودة بعد، لم تُجرّب أو تُختبر بعد. أحاطت الفرد بكمون معيّن. إذاً، وفقاً للحكماء القدامى، خلال مرور الإنسان عبر حلقة زحل تلقى

كمون العقل المجرّد. القدرة لأن يصبح متعقلاً. هو لم يصبح متعقلاً في حينها لكنه مُنح القدرة على ذلك. وخلال انحداره عبر مدار المشتري أضيف رداء آخر فوق الرداء الأوّل فأصبح يكسوه رداء داخل رداء، فاكتسب الإنسان كمون القدرة على أن يكون حصيفاً، أو القدرة على الفهم العقلاني أو القدرة على التفكير بطريقة فلسفية، أن يجعل الحقائق مثالية وبالتالي اكتساب خاصية الحكم السليم. فانحدر أيضاً للأسفل وتلقى رداء آخر فوق تلك التي سبق ولبسها. وهذا الرداء الثالث منحه روح المريخ. هذا هو رداء الشجاعة. اكتسب الفرد القدرة على أن يصبح مقداماً، أن يتحلى بالصبر والجلد، على تحمّل الألم والضغوط المختلفة، وتحمل الخيبات بصبر، أن يتحلى بجرأة الإقدام، مُضافة إلى حكمة السكوت التي تلقاها من الحلقة السابقة. ثم انحدر مرّة أخرى ومُنح رداء آخر وأُحيط بهالة من النور، في هذه الحلقة التابعة لكوكب الشمس اكتسب القوة الحيوية، قوة الطاقة. وجب على الشجاعة أن تُعزّز بالطاقة. في غياب الطاقة تبقى شجاعة الإنسان محبوسة دون جدوى بداخله. الطاقة هي ضرورية للإقدام والمواجهة. اكتسب هذا الشيء الغامض الذي كما وصفه الكتاب المقدس: ".. نفخ فيه نفس الحياة فأصبح كائن حيّ..". هذا هو النور الذي انبعث من الشمس. النور جعله كائن مفعم بالحيوية. من مدار الشمس انحدر نزولاً إلى أن وصل مدار الزهرة. وتلقى من حارس بوابة الزهرة القوة الغامضة للجمال. اكتسب القدرة على الحب. القدرة على التضحية برقّة المشاعر العظيمة. القدرة الغريبة والرائعة على نسيان الذات في خدمة المحبوب. لقد وضع عليه رداء الحب هذا، ليس كغريزة نامية بل مجرّد كمون. وبعدها نزل إلى أن وصل حلقة عطارد. وهنا مُنح موهبة المهارة، والحنكة، والقدرة على استخدام يديه ببراعة، بحيث يصنع الأشياء. وقد مُنح أيضاً السرعة، ووفقاً للإغريق، مُنح الظرافة لكي يصبر على المصاعب بسخرية، بدون هذه الطبيعة الساخرة في وعيه، بدون روح الدعابة التي تحلى بها قد تكون أعباء الحياة ثقيلة جداً عليه. فانحدر الإنسان نزولاً حتى وصل حلقة القمر.. وهنا مُنح ملكة الخيال، الخيال هو القوة التي تكسر أحياناً كل الحدود التي قيّدته، ومنحته الحرية والانعتاق لينطلق بفكره إلى عالم أكبر وأوسع.

بعد إكساءه جيداً بسبعة رداءات، الواحد فوق الآخر حتى أُثقل كاهله بهذه الأحمال الثقيلة أصبح الإنسان الآن مقيداً بحيث لم يعد يستطيع العمل بسهولة أو حتى إدراك طبيعته الأصيلة الممثلة بالحرية المطلقة والخفّة والاستقلالية. وحسب الإغريق، دُفع إلى الهبوط نزولاً إلى الأسفل، نحو الظلام، إلى غموض عالم التوالد الذي هو العالم المادي. هنا ولد الإنسان بهيئته المادية. ولد مع الرداءات السبعة الملفوفة حول ذاته الحقيقية. هذه الرداءات غير مرئية لكنها تقبع داخل هذا

الشيء الذي نسميه الجسم المادي. مع دخوله عالم التوالد، أصبح الإنسان واعياً بالملكات التي منحت له. شعر بها تنشط بداخله. لم يفهمها لكن كل من هذه الرداءات مثّلت قوة من قوى النفس لديه. جانب من جوانب الوعي لديه. خاصيّة أو سمة أو حلية مُنحت للنفس من قبل السماء، لكي تستطيع النفس أن تجد طريقها مرة أخرى إلى موطنها الأصلي. إذاً، عند ولادته يكون الإنسان مثقلاً بما وهبه له الآلهة، والتي أصبحت أثقالاً بدلاً من وسائل انعتاق له.. ظلام يحجب عنه نور الحقيقة المطلقة. لقد انجرف مع هذه الأثقال إلى سبات الموت الروحي.. والتي نسميها الصحوة الجسدية. حينها بدأت مشكلة النمو الكبرى. كل طفل ينمو من الطفولة إلى البلوغ يمرّ تدريجياً عبر مراحل من التجلّي والانكشاف وهذه المراحل هي مراحل انعتاق لقوى النفس الكامنة. واحدة تلو الأخرى تنكشف الخواص المحبوسة في جوهر الفرد، الرداءات التي منحتها له الكواكب تبدأ بالتفعيل عبر تجلّي الفرد، وتدريجياً يصبح في حوزته القوى السبعة للكواكب ومتجلية بأكثر من طريقة في حياته اليومية. لكنه لا يعلم بالضبط ما هي هذه القوى. وأكثر من ذلك، هو لا يدرك بأنه، بطريقة غريبة، هذه القوى تمثّل قيود على نفسه. لأن وعيه الصافي تعرّض للتقييد المستمرّ، وما نسميه منحة الكواكب هي في الحقيقة محدوديات فُرضت علينا من قبل هذه الضغوط والعوامل النفسية المقيّدة. فالإنسان، مع تحلّيه بكل هذه الفوائد هو في الحقيقة ضحية هذه الحلى التي تزينه. لقد أصبح أقلّ شأناً مما كان عليه في الأصل، لأنه لم يعد حراً للتعبير عن وعيه الطبيعي الصافي. فيسير من المهد إلى اللحد، وخلال معترك الحياة يتعلم كيف يستخدم هذه الخصائص المتنوعة التي يحوزها على المستوى المادي من الحياة مما يجعله ينسى أصله.

قد يكسب مهارات مميزة في بعض الحالات، أو يصبح متعقلاً وحكيماً، أو تكون شجاعته باهرة، أو خياله خصب ومبدع، قد يكون حبه صادقاً وطاقته الحيوية متدفقة بحيث لا تخونه بأي من نشاطاته.. لكن كل هذه الأشياء تمثّل فقط تعبيرات مادية لهذه الخصائص، هي الرداءات السبعة الغامضة.. عطايا الآلهة التي لازالت كامنة داخله.

قال القدماء أنه عند تجلّي ملكات معيّنة لدى الإنسان خلال مسيرة حياته، يستخدمها لتطوير نشاطاته الدنيوية هنا في المستوى المادي. وبما أن اهتماماته منصبة في عالمه المادي فهذا يجعله مهتماً بتطوير ملكاته الكامنة بحيث تتناسب مع رغباته واهتماماته الدنيوية. لكن أخيراً يصبح الإنسان أكثر تحجراً مع تقدمه في السن، فتطبق عليه رويداً رويداً هذه الملكات التي مُنحت له. تتحول عقلانيته إلى الحذر المبالغ به لينتهي به الأمر هاجساً ورهاب. حكمه على الأشياء يتحجّر

ليصبح تعصباً وعدم تسامح، أو قد تكون هذه الملكة غير متطورة كفاية لتمنحه القدرة على الحكم السليم. شجاعته تقوده إلى الكوارث حيث لا يكون مقداماً بل متهوراً، وبهذه الطريقة تساهم طموحاته في تحريف مبادئه الأخلاقية. يستنزف طاقته الحيوية في ملاحقة المسرات والأهواء الدنيوية. الحب يقوده إلى مشاكل متنوعة، يشعر أحياناً بأن حبه تعرّض للغدر، أو لم يطوره بما يكفي لينمّي دافع بناء مثل حب الجمال والحقيقة الذين يتم تجاهلهما تماماً، فيعلق الفرد في شباك المسرات الحسيّة حيث الحب الشهواني الدنيوي. الحنكة والبراعة لا تنتج فقط المتشكك والساخر بل البراعة الخالية من التفهّم وبالتالي ينشأ منهج علمي مادي يخلق عالم ليس آمناً للعيش. الخيال قد يقودنا إلى أوهام غير واقعية، إلى التشكّك والاضطهاد والتعسّف وكل أنواع الرهاب في ظلمة الليل.

واحدة تلو الأخرى، هذه القوى المختلفة للنفس، التي وجب أن تكون مباركة، التي وجب أن تمنحنا إدراك شمولي للواقع، تخوننا وتجعلنا ضحايا الإفراط في تجلياتها المتنوعة. هكذا كانت صورة الإنسان عندما استوعب القدماء فكرة خلق السلّم العظيم للتعاليم السرية (منظومة خاصة للارتقاء الروحي). هذا النظام العظيم المؤدي إلى الانعتاق.. ليس فقط الانعتاق من هذه الحياة وحدها، ليس الانعتاق لمدة أيام أو سنوات. من المهم جداً إدراك حقيقة أنه ما يُسمى التطور هو انتصار الإنسان في النهاية على كل المحدوديات التي تفرضها الشروط المادية على الوعي غير المشروط في جوهر الفرد. لذلك تم خلق نظام رمزي عظيم يهدف إلى تعديل مسيرة العودة إلى الأصل السماوي، ويعيد عبرها الإنسان بسرور وامتنان إلى حكام الكواكب السبعة الملكات التي منحوه اياها. لقد نما الإنسان بفضل هذا النظام التدريبي ليصبح أكبر من هذه الملكات. ارتقى أعلى منها. لقد حولّها وغيّرها، وأعاد الرداءات والحلى التي مثلتها إلى حراس البوابات السبعة.

يوجد في الشرق الكثير من الحكايا الرمزية بخصوص هذا الموضوع، مثل حكاية الملك الذي كان مهووساً بالتزيّن بالحلى التي يملكها إلى أن سقط في النهر وغرق فيه بسبب ثقل الذهب والجواهر التي كان يرتديها. هذا ما يحصل للإنسان، حيث بسبب ثقل الحلى التي زينته يقع في العالم المتجلّي ويغرق في ماديته، فيتحوّل إلى ما نسميه علماني مادي أو إنسان دنيوي أو جاهل غير متنوّر. لكن الخلاص من هذه الحالة متمثل بإجراء تدريبي طويل المدى يؤدي إلى الارتقاء فوق الوجود المادي المشروط، ومن أجل تحقيق هذه الغاية على النفس أن ترتقي بشكل واعي عبر الحلقات السبعة وما تمثله وصولاً إلى العالم الأسمى الذي جاء منه الإنسان أصلاً.. حيث الوعي

الصافي. هذا الوعي الذي فقده الإنسان مقابل حوزته على ملكات النفس السبعة التي تساعده في خوض معترك الحياة الدنيوية.

في اللاهوت القديم، سعت النفس أولاً إلى الانعتاق من عالم التوالد، الانعتاق من غموض الموت، أو ربما الانعتاق بواسطة الموت من غموض هذا العالم الدنيوي للعودة إلى حالة لم يعد فيها أي دنيوية أو مادية في جوهر الفرد لتسحبه مجدداً إلى الوجود المادي. إذاً، من أجل الانعتاق من العالم المادي على الفرد أن يتخلّص من الماديّة في جوهره. ما هي الضغوط الكبرى للمادية التي وجب التغلب عليها لكي لا يُسحب الإنسان مجدداً نحو العالم المادي؟ الموت لن يساعده على الانعتاق من العالم المادي حيث الموت هو مجرّد تبديل من الجانب المرئي إلى الجانب غير المرئي ثم العودة من جديد. الإنسان لم يتجاوز العالم المادي للأشياء، لا في حياته ولا مماته. كل ما يفعله هو الاختفاء ثم الظهور مجدداً على مسرح الحياة، وهذا وفق مبدأ التناسخ. لم يكن أبداً بعيداً عن المادية طوال مسيرة الموت والولادة من جديد. سوف تبقى الحال كذلك إلى الأبد إذا لم تزول المادية من جوهره.

لقد صادق الدين على هذه الحقيقة. جميع الأديان العظمى القائمة اليوم اشتقّت مبادئها من المفاهيم اللاهوتية الفلسفية للعالم القديم، والتي تتحدث عن النفس خلال رحلتها صعوداً في سعيها للتغلب على العالم المادي. هذا ما ترمز إليه مصارعة التنين وذبحه. حيث يتغلب الفرد على الوحوش. الفارس الذي يخلّص الأميرة الجميلة من الأسر بعد قتل الوحش أو العملاق أو غيرها من كائنات مختلفة حسب اختلاف الثقافة التي تروي الأسطورة. الأميرة طبعاً تمثّل النفس التي وجب إنقاذها بواسطة إصرار الفرد على مقارعة العملاق أو الوحش الممثل للمادية والتغلب عليه.

ليس هناك طريقة أخرى تساعدنا في الانعتاق من العالم المادي سوى عبر السيطرة عليه. لكن هذه الفكرة أيضاً تم تحريفها عبر الزمن وفُهمت بطريقة خاطئة. ربما لهذا السبب نرى عبر التاريخ قادة مثل الاسكندر وجنكيز خان وهتلر وغيرهم.. لأن النفس البشرية قرأت بالخطأ النمط الأوّلي لمبدأ أساسي يقول بأنه على الإنسان أن يتغلب على العالم المادي. لكن بسبب نقص التنور لدى الإنسان ظنّ بأنه يستطيع التخلّص من العالم المادي عبر سيادته عليه بالإكراه. ظن بأنه يستطيع الوصول إلى تلك الحالة التي يكون فيها متحرراً من العالم المادي لأنه يستطيع تغيير قوانينه. عندما يصل إلى حالة أمان عبر إخضاع كل العالم لنزواته ورغباته بحيث لا يعارضه

أحد أو ينكره أحد ولا يرفضه أحد، حينها يظنّ نفسه حراً. لكنه يكتشف في النهاية بأن هذا ليس صحيحاً. وجد بأن درب المجد تؤدي حتماً إلى القبر. اكتشف أخيراً بأنه لا يستطيع الانعتاق من العالم المادي عبر السيطرة عليه، وأنه يستحيل الوصول إلى حالة أمان كاملة تجعله متحرراً من قيود العالم المادي.

لهذا السبب التجأ الإنسان إلى وسيلة أخرى، التفت إلى داخله كما المتصوّف، ، بدلاً من محاولة التغلّب على العالم المادي المحيط به سعى إلى التغلب على المادية في جوهره. مدركاً بأنه مقيّداً هنا في هذه الدنيا من قبل الطموحات والنزوات المختلفة التي يسعى إلى تحقيقها أو إشباعها. لكن بعد أن يصبح عديم الرغبة.. من خلال عدم التجاوب لمغريات الدنيا.. من خلال التوقف عن الاعتراف بأهمية هذه الدنيا... ربما يستطيع بعدها التحرر من تأثيرها الهائل والعميق على نفسه.

الإنسان القديم إذاً آمن فعلاً بأنه عليه الولادة من جديد لكن خارج نطاق تأثير هذه الدنيا. وإذا ممكن، الولادة لكن دون المرور عبر مرحلة الموت الجسدي. بدلاً من التحرّر من شباك العالم المادي عبر الموت الفعلي، عليه التحرر من المادية بداخله عبر الموت الرمزي.. أي الخوض في مرحلة تدريبية محددة تجعله يولد من جديد كإنسان آخر مختلف تماماً. الذي يخوض هذه المرحلة يُسمى "الذي ولد مرتين" الذي حقق تحرّر واعي من المادية خلال حياته الدنيوية. هي ولادة إلى حالة جديدة، التي وفقا للإغريق يعيش فيها "البطل" (هرقل). البطل هو الفرد الذي تغلّب على العالم الدنيوي خلال إخضاع الوعي لديه لتدريبات صارمة.. فتحرر بالتالي من قيود المادية، إذ لم تعد تثير أي دوافع بداخله. لم يعد يكره، لم يعد يرغب، لم يعد يضحّي بمبادئه الأخلاقية مقابل المكاسب المادية.. إلى آخره.

لقد أحرز نوع من الانعتاق أو الانفصال من العالم المحيط به. كيف فعل ذلك؟ الجواب: عبر التحوّل من الخارج إلى الداخل. من خلال إدراك وجود شيء في داخله أكثر رقياً وسمواً من العالم المحيط به. لا يستطيع الانعتاق طالما بقي مؤمناً بواقعية العالم المادي. إن كان عبر التجربة الصوفية أو خوض نظام تدريبي خاص كتلك التي كانت مألوفة في المعابد القديمة، استطاع أن يختبر بداخله حريّة من هذا العالم. أدرك بأنه من خلال انفصال الوعي لديه من-هذا العالم نحو الداخل لم يكن يترك العظيم نحو الأقل شأناً أو يترك المعروف نحو المجهول، بل كان يترك شيئاً أصبح تافهاً وغير مجدي، يترك الظلام نحو النور، يترك الأشياء الغير حقيقية نحو الأشياء

الحقيقية، كاسباً أكثر مما يمكن أن يخسره، واجداً ذاته مقابل التضحية بتلك التي لم تمثّل ذاته الحقيقية.

لقد شرحت التعاليم البوذية هذه الحالة خلال الحديث عن "التخلّي" أو "نكران الذات"، إذ قالت أن الفرد من خلال الضبط الداخلي يستريح بعيداً عن العالم. ومن خلال فعل ذلك، يمرّ عبر البوابة الأولى نحو السماء، فتصبح نفسه حرّة تسعى إلى النور. على المريد بعدها أن يمرّ عبر ما يسميه الهنود "اليوغاس"، أي حلقات الكواكب السبعة وفق المفهوم الهرمزي، وعليه أن يعيد إلى كل من هذه الكواكب الرداء أو الملكة التي مُنحت له خلال نزوله إلى العالم.

الطريقة الوحيدة لاستعادة هذه الرداءات أو الملكات هو التغلب عليها أو تجاوزها خلال نموه الروحي. لا يستطيع خلعها أو التخلّي عنها هكذا بكل بساطة، بل عليه تحقيق انتصار عليها. عليه أن يجعل نفسه أعظم شأناً منها. عليه استنفاذ فوائدها وكذلك مضراتها. لا يستطيع فعل ذلك إلا بعد تحقيق سيادة كاملة على الغموض الذي تمثله العطايا التي منحتها له الكواكب السبعة. فبالتالي وفقاً للتعاليم الهرمزية، عندما وصل إلى مدار القمر خلال رحلة العودة، عليه تحويل إمكانية الخيال إلى حالة انعتاق كامل من ملكة الخيال.. انعتاق كامل من كل التعبيرات التي يمكن أن تتجلّى فيها هذه الملكة. لقد استخدم الفرد ملكة الخيال في حياته بطريقة حكيمة وغير حكيمة، لكنه وصل أخيراً إلى نقطة حيث لم يعد للخيال أي أهمية أو جدوى. يقوم المريد بتبديل تخيلاته بالحقائق التي اكتشفها خلال نمو الوعي لديه. ليس من الضرورة أن يتخيّل الإنسان عجائب العالم طالما أنه يفهم هذا العالم. العالم في الحقيقة هو أكثر روعة من أي حلم يمكن أن نتخيّله. عبر الفهم الكامل والصحيح للعالم، لم تعد تخيلات وأوهام وتصورات الأشياء تعتبر شيئاً مجدياً أو مهماً بالنسبة للفرد. لم تعد ضرورية إطلاقاً لتمنحه إلهام أو دافع للنمو. دعونا نقول مثلاً بأن شخص ما مُلهماً للقيام بعمل خيري، قد يلهمه الأمل أو الإيمان أو الإحسان، وقد يتصوّر كل النتائج الجميلة التي تترتب من هذا العمل الخيري، ولهذا السبب يندفع للقيام بالأمر. لكن عندما يكون أكثر حكمة فسوف يقوم بهذا العمل الخيري دون تخيّل أي من هذه النتائج، لأنه بالنسبة للحكيم فإن هكذا عمل هو عمل شرعي وصائب وسليم وضروري وهو العمل الوحيد الممكن في الحالة الراهنة. عندما يصل الفرد إلى هذا المستوى من التفكير يستطيع حينها ارجاع رداء الخيال إلى حارس بوابة القمر، لأنه لم يعد يحتاج إلى هذا الرداء. لم يعد يتوالف مع ما تمثّله ملكة

الخيال. لقد حرّر وعيه من الخيال مقابل الحقيقة الواقعية، وهذه الحقيقة الواقعية هي أكثر روعة وجمالاً وصدقاً من أي شيء يمكنه تخيّله.

يتابع المريد مسيرته مروراً على مسألة المهارة. خلال معالجة هذه المسألة عليه استرجاع العطايا التي وهبها له كوكب عطارد. فيعيد إلى هذه الحلقة ذلك المستوى من عقليته المتعلقة بالبراعة بكل أشكالها. يعيد القوى التي يحكمها عطارد، من بينها العلوم والفنون الدنيوية، لأنها جميعاً تمثّل المعارف التي درسناها في الصفوف المدرسية، إذ بعد أن تعلّم الدرس الكوني الكبير لم يعد بحاجة إلى هذه المعارف الدنيوية الفانية. بعد أن حوّل إدراكاته الحسيّة إلى الجانب التجاوزي لم يعد يعتمد عليها في هذا العالم. لقد أصبح وعيه موجهاً إلى الداخل حيث قوى النفس السامية التي بواسطتها يستطيع توجيه مصيره الأسمى. فيعيد إلى عطارد هذه المسائل، ويعيد أيضاً عنصر الدعابة، حيث لم تعد الدعابة ضرورية بالنسبة للفرد الذي يقيّم الأمور بشكل سليم، لأنه عندما يقيّمها بشكل سليم تصبح مرضية وتبعث للتفاؤل لأن الحقيقة هي أكثر بهجة من أي ترجمة مسليّة أو نكتة مُضحكة يمكن أن نؤلفها بخصوصها.

مع تقدمه في الدرب يعيد عاطفة الحب والجمال إلى حارس مدار الزهرة، لأنه اكتشف الآن حالة تحوّل في العاطفة لديه. لم يعد خاضعاً للعواطف الدنيوية. لقد حوّل كل العواطف الشخصية لديه إلى حالة تعاطف وحنان وشفقة، وهذه الأخيرة هي الجانب الروحي لسمة الحب والجمال. لقد اكتسب قوة نفسية هائلة وبالتالي لم يعد ضرورياً خوض التجارب العاطفية الدنيوية لبلوغ الحقيقة.

بعدها يرتقي إلى مدار الشمس، وهنا يعيد طاقته الحيوية، لأنه لم يعد بحاجة لفعل ما فعله الشيطان، أي القفز هنا وهناك في هذا العالم الدنيوي. لم يعد بحاجة إلى النشاط كما نفهمه. لأن النشاط الأعظم هو في الحقيقة خاصية نفسية بداخله ومتجاوزة للأبعاد الملموسة. لم تعد الحيوية ضرورية وبالتالي تُستبدل بتوجيهات بسيطة. لم يعد يهتم بتقوية جسمه عبر الرياضة ولا بحاجة للطاقة التي يكتسبها عبر تناول الفيتامينات والمقويات للمحافظة على نشاطه. كل هذه الأشياء كانت ضرورية سابقاً بسبب جهله للحقيقة. مع ازدياد حكمته سوف يتجاوز هذه الأمور ويتابع سيره.

عند وصوله مدار المريخ يعيد ملكة الشجاعة والمواجهة. لأن الشجاعة ليست ضرورية سوى في حضور المجهول. عندما يدرك الفرد سيادة الخير لم يعد بحاجة للشجاعة، لأنه يصبح على يقين بأنه لا يمكن أن يصيبه أي شرّ.

عند وصوله مدار المشتري يعيد ملكة التمييز والحكم السليم الذي منحه اياها. وأخيراً يصل مدار زحل فيعد له ملكة العقلانية.

وبعد تحرر النفس من كل هذه القيود وكل هذه الأثقال والأعباء، ترتقي عارية نقيّة نحو عالم النور الذي جاءت منه. تفعل ذلك بعد أن خاضت تجربة غريبة أو مرّت عبر مرحلة تحوّل عجيبة، لأنه وفقاً للفلسفة الإغريقية نزلت النفس إلى الأسفل متصفة بجهل طفولي بريء بخصوص المجهول المحيط بها وبداخلها، لكن مع ارتقاءها تكون النفس قد ارتقت بشكل واعي ومحققة نصر مقصود وتدريجي، وبالتالي فإن النفس البريئة التي انحدرت نزولاً تُستبدل بالنفس البالغة القوية والفاضلة التي قررت أن تختار مصيرها، وقد اختارت الاعتصام بكل ما هو خير وسامي. بالتالي فإن رحلة النفس عبر مدارات الكواكب السبعة تمنح الإنسان قوة القرار، تمنحه حق الاختيار بأن يكون صائباً. وكنتيجة لذلك تمنحه مصيراً جيداً، تمنحه حق بأن يكسب مصير عظيم لا يمكن اكتسابه إلا بعد أن تتألف مكوناته من قرارات نابعة من إرادته.

تستطيع الآلهة أن تبقي على الإنسان في حالة البراءة، لكن فقط الإنسان بذاته، والذي مُنح حق الاختيار بين الخير والشرّ، يستطيع تحقيق حالة الفضيلة، وهي الإصرار على الاعتصام بكل ما هو صائب. لذلك مثّلت هذه الرحلة نوع من الانتساب إلى حرم المعبد حيث تقبع التعاليم السريّة. كافة طقوس وشعائر الانتساب عند القدماء تتمحور حول قصة هذه الرحلة عبر المدارات السابعة. تتمحور حول تحقيق الإنسان النصر التدريجي على الجوانب السبعة من وعيه، معيداً خواصها إلى الكون حيث تأصلت ثم الانبعاث عارياً حراً منتصراً من الكيان السباعي الذي كان يحبسه بداخله.

المبدأ الاثنى عشري

يُعتبر الرقم [١٢] الأكثر قدسية في التعاليم الباطنية حول العالم. كان تبجيله عميقاً لدرجة أن المراجع القديمة التي تناولته لا تُعد ولا تُحصى حيث يغطي هذا الرقم كافة فروع الفكر والنشاط الإنساني تقريباً. نجد هذا الرقم مثلاً في التقسيم الزمني لليوم الواحد (١٢ ساعة نهار و١٢ ساعة ليل)، وكذلك تقسيم السنة إلى ١٢ شهر، بالإضافة إلى ١٢ إله في بانتيون الآلهة العظماء في كافة الحضارات القديمة (مثل آلهة أوليمبوس في اليونان)، الرسل الاثنى عشر الذين رافقوا سيدنا يسوع، وكذلك الذين رافقو بوذا، والذين رافقوا ميثرا،.. وحورس.. وغيرهم من شخصيات مقدسة تمحورت حولها الأساطير والحكايا الرمزية. بينما نجد في التوراة ذكر للاثني عشر قبيلة، والأغلال الاثنا عشر (نيدانا) التي تحدثت عنها البوذية، والتحديات الاثنا عشر التي واجهها هرقل،.. وغيرها الكثير من الأمثلة، لكن أشهرها هي تلك المتعلقة بالدائرة الفلكية التي تتألف من ١٢ برج.

إن تكرار ورود الرقم [١٢] في الكتاب المقدس (الإنجيل) بدرجة كبيرة يفرض علينا التسليم منطقياً بأن المجموعات الاثنى عشرية التي وردت لا تمثّل مجموعات فعلية بل تعبّر عن مبدأ عام كان سائداً منذ العصر الوثني السابق للأديان السماوية، وهذا ما تشير إليه المخطوطات العائدة إلى ذلك الزمن القديم.

فيما يلي أمثلة على ورود الرقم [١٢] في الكتاب المقدس:

الأمراء الاثنى عشر لإسماعيل (سفر التكوين ١٧ــ٢٠)، أبناء يعقوب الاثنى عشر (سفر التكوين٣٥ــ٢٢)، قبائل إسرائيل الاثنى عشر (سفر التكوين ٤٩ــ ٢٨)، ملوك وأنبياء إسرائيل الاثنى عشر وآبار إسرائيل الاثنى عشر (سفر الخروج ١٥ــ٢٧)، أعمدة الرب الاثنى عشر (سفر الخروج ٢٤ ــ ٤) الحجارة الاثنى عشر على درع الصدر (سفر الخروج ٣٩ ــ ١٤)، الكعكات الاثنى عشر للخيمة (سفر الاويين ٢٤ ــ ٥)، الأمراء الاثنى عشر لإسرائيل (سفر الأعداد ١ ــ ٤٤)، ثيران الخيمة الاثنى عشر (سفر الأعداد ٧ ــ ٣)، الصحون الفضيّة الاثنى عشر، الملاعق الذهبية الاثنى عشر، والزبديات الفضيّة الاثنى عشر (سفر الأعداد ٧ ــ ٨٤)، العجول الاثنى عشر والكباش الاثنى عشر والخراف الاثنى عشر والجدايا الاثنى عشر المقدمة كقربان (سفر الأعداد ٧ ــ ٨٧)، الصولجانات الاثنى عشر لأمراء إسرائيل (سفر الأعداد ١٧ ــ ٦)، حجارة

يوشع الاثنى عشر (سفر يوشع ٤ ــ ٨)، المدن الاثنى عشر (سفر يوشع ١٨ ــ ٢٤، ١٩ ــ ٢٥، ٢١ ــ ٧، ٢١ ــ ٤٠)، قضاة إسرائيل الاثنى عشر (سفر القضاة ٣،١٢،١٣،١٠،٦،٤،٣)، قطع الخليلة الاثنى عشر (سفر القضاة ١٩ ــ ٢٩)، خدام داوود الاثنى عشر (سفر صامويل[٢] ٢ ــ ١٥)، ضباط سليمان الاثنى عشر (سفر الملوك[١] ٤ ــ ٧)، أسود سليمان الاثنى عشر (سفر الملوك[١] ١٠ ــ ٢٠)، الاثنى عشرة قطعة لرداء جيروبوم (سفر الملوك[١] ١١ــ٣٠)، حجارة إلياس الاثنى عشر (سفر الملوك[١] ١٨ــ٣١)، الثيران البرونزية الاثنى عشر لسليمان (سفر جرمايا ٥٢ ــ ٢٠). في العهد الجديد نجد الرقم [١٢] يتكرر أكثر من مرّة وبصيغ مختلفة مثل: تلاميذ يسوع الاثنى عشر، سلات الخبز الاثنى عشر، العروش الاثنى عشر في السماء، الحشود الملائكية الاثنى عشر، بطاركة إسرائيل الاثنى عشر، النجوم الاثنى عشر لتاج المرأة، البوابات الاثنى عشر والملائكة الاثنى عشر واللآلئ الاثنى عشر لمدينة القدس، الثمار الاثنى عشر لشجرة الحياة.

فيما يلي أمثلة على ورود الرقم [١٢] في الثقافات الوثنية القديمة:

الأهازو (الشياطين) الاثنى عشر في النصوص السومرية. مغامرات جلجامش الاثنى عشر. آلهة مصر الاثنى عشر. أقسام الـ"تاوت" (العالم الآخر لدى المصريين) الاثنى عشر. الرفاق الاثنى عشر لأوزيريس/حورس. آلهة أوليمبوس الاثنى عشر. تحديات هرقل الاثنى عشر. بنات بريام (ملك طروادة) الاثنى عشر. الأولاد الاثنى عشر لـ"أمفيون" و"نيوبي" (أسطورة إغريقية). البنات الاثنى عشر لـ"بيوتا" و"ميتوب" (أسطورة إغريقية). الآلهة الاثنى عشر لكل من الرومان والاتروسكان. الأبناء الاثنى عشر للآلهة الأم لدى الاتروسكان. دروع المريخ الاثنى عشر. المذابح الاثنى عشر لجانوس. الديفاس الاثنى عشر الهندية. الأسماء الاثنى عشر لـ"سوريا" (إله الشمس الهندي). المظاهر المرعبة الاثنى عشر لـ"شيفا". الابناء الاثنى عشر لأم العوالم (الهندية). الأثقال الاثنى عشر لـ"أجورنا" المولود من عذراء (الهند). الجنرالات الاثنى عشر لـ"أهورا مازدا" (الفارسي). الآلهة الاثنى عشر لدى شعب النورس (اسكندينافيا القديمة). المقاتلين المسعورين لدى شعب النورس. جبال أبهلين الاثنى عشر. الخيول/الأولاد الاثنى عشر لـ"بورياس" (إله ريح الشمال). الخيول البيضاء الاثنى عشر لإله الشمس لدى الشعب البولندي. الحجارة الاثنى عشر لـ"سن كرويانش". الأنهار الاثنى عشر لـ"أليفاغار" (أيسلندا). خيول وكلاب الصيد الاثنى عشر للآلهة "غويدون" (السلتيين). الأقمار الاثنى عشر (الصين). الجنرالات الاثنى عشر للأطباء اليابانيين المقدسين. الـ"بيانتسيني" (الآلهة) الاثنى عشر لدى هنود النافاهو

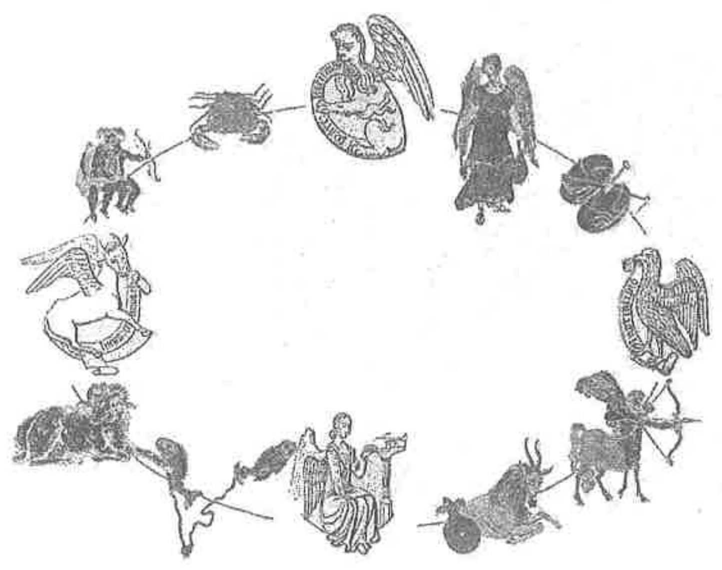
والبويبلو والإيروكويز (أمريكا الشمالية). الأجداد الأوائل الاثنى عشر لدى قبيلة نافاجو (أمريكا الشمالية).

يزعم الباحثون في علم الأساطير وعلم اللاهوت وغيرها من علوم تتناول هذا المجال بأن المعنى الخفي وراء كافة الصيغ التي ورد فيها الرقم [١٢] في الأساطير القديمة وكذلك النصوص المقدسة المختلفة هو ذاته ويمثّل مبدأ عام أو حقيقة كونية واحدة. لقد أصاب الباحثون في هذا الاستنتاج النهائي لكنهم لم يصيبوا في تعريف المبدأ الذي يمثله الرقم [١٢] إذ اكتفوا بإنسابه للأبراج الفلكية أو الأشهر الاثنى عشر للسنة أو الثريات الاثنى عشر أو العصور الاثنى عشر أو غيرها من أمور لا تتجاوز هذا المستوى من التفكير. الفيلسوف اليهودي/الإغريقي "فيلو جوداس" مثلاً اعتبر الرقم [١٢] بأنه رقم مقدس، ووصف (بشكل رمزي) كيف تسير الشمس عبر الأبراج الفلكية بالتسلسل كل شهر وتنتهي من رحلتها مع اكتمال السنة، وربطها (بطريقة رمزية) مع تقسيم سيدنا موسى لأمته إلى ١٢ قبيلة، وشكّل القطع الاثنا عشرة من خبز الفطير، ووضع الأحجار الثمينة الاثني عشرة على موشاة رئيس الكهنة اليهود.

لكن في الحقيقة، المعنى الباطني للرقم [١٢] المتكرر ذكره في النصوص والأساطير المختلفة له دلالة أعمق بكثير من الطريقة السطحية التي تناولها الباحثون عبر العصور. لقد توقفوا عند حدود الأبراج الاثنى عشر ووصف سماتها وخصائصها التي تميّزها عن بعضها، لكن لم يتناولوا القوى التي تقبع وراء هذه الأبراج الرمزية والمصدر الذي انبعثت منه أو الآلية التي نشأت وفقها هذه القوى حيث هنا يكمن المفتاح الذي سيكشف لنا الكثير من الحقائق والأسرار.

كما سبق وذكرت في موضوع "علم الفلك"، النظرية الشائعة اليوم حول أصل الكائنات التي تمثّل الأبراج الفلكية تقول بأنها نتاج خيال الرعيان الذين كانوا يمضون مُعظم ساعات لياليهم يحدقون إلى السماء هي نظرية بعيدة عن الواقع، والسبب الأكثر منطقياً وراء إنساب كائنات محددة للأبراج الفلكية هو أنها ترمز لخواص القوى المنبعثة من الشمس خلال فترات إيقاعية معيّنة، بالتالي فإن الثريات النجمية التي نُسبت لحيوانات معيّنة لا تشبه بأي حال من الأحوال هذه الحيوانات مما جعلها رموز مُتفق عليها وتم تبنيها لتمثّل مواقع معيّنة في السماء. لطالما ساد في الزمن القديم تقليد صياغة رموز مركّبة على شكل مخلوقات حيوانية أو بشرية أو الاثنين معاً. هذه طريقة مجدية للإشارة إلى الطبيعة المركّبة للإنسان، إذ هو مؤلف من مكونات ونوازع

وطبائع متنوعة. بهذه الطريقة صيغت رموز الأبراج الفلكية. وكل مخلوق يرمز له البرج الفلكي يمثّل خلطة أو معادلة معيّنة من هذه المكونات والنوازع.



القوى الاثنى عشر التي تم وصفها وتحديد تأثيراتها من قبل الحكماء القدامى اتخذت أشكالاً مختلفة تتناسب مع دورها في الطبيعة وتأثيرها على جوهر الإنسان



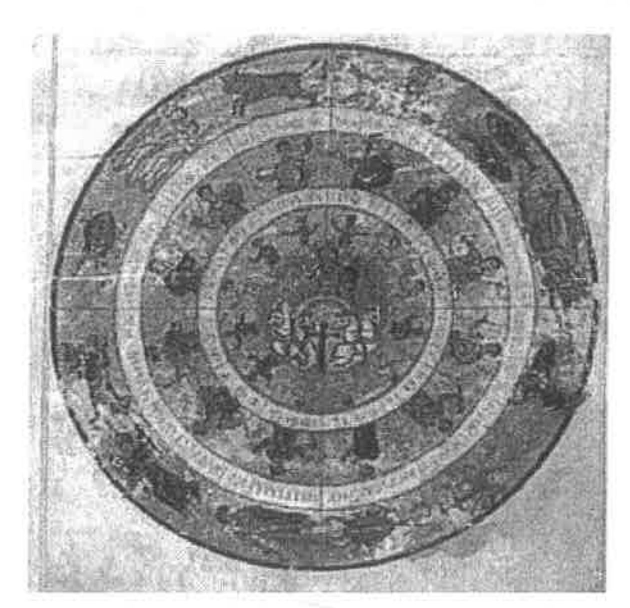
قرص حجري يصوّر الإله "دايونيسيوس" في مركز الأبراج الفلكية، يركب عربته التي يجرها أربع أحصنة. يعود تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد (إيطاليا)



دائرة فلكية مع إله الشمس، "هيليوس"، في مركزها. يعود تاريخها إلى القرن السادس ميلادي (فلسطين المحتلة).



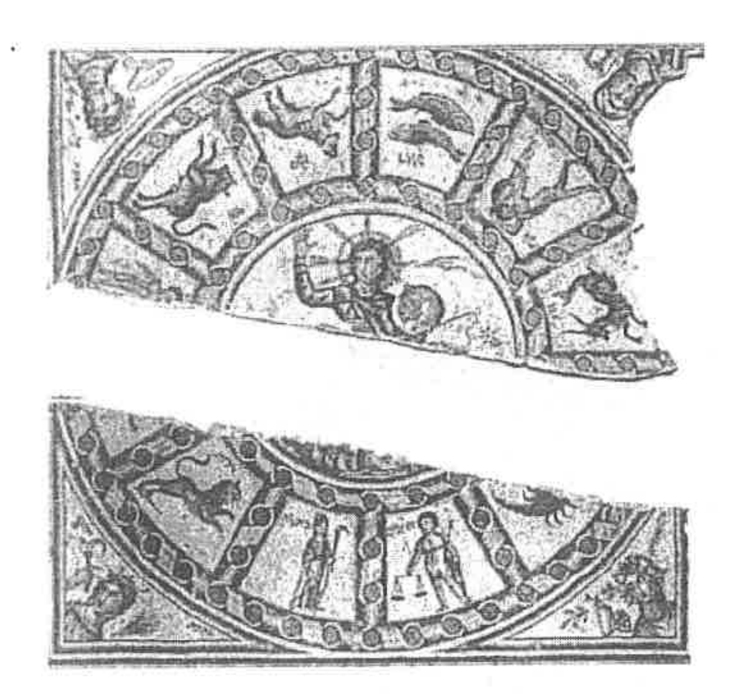
الإله "ميثرا" يذبح الثور وسط الدائرة الفلكية. منحوتة حجرية تعود إلى القرن الأوّل ميلادي. (المتحف البريطاني)



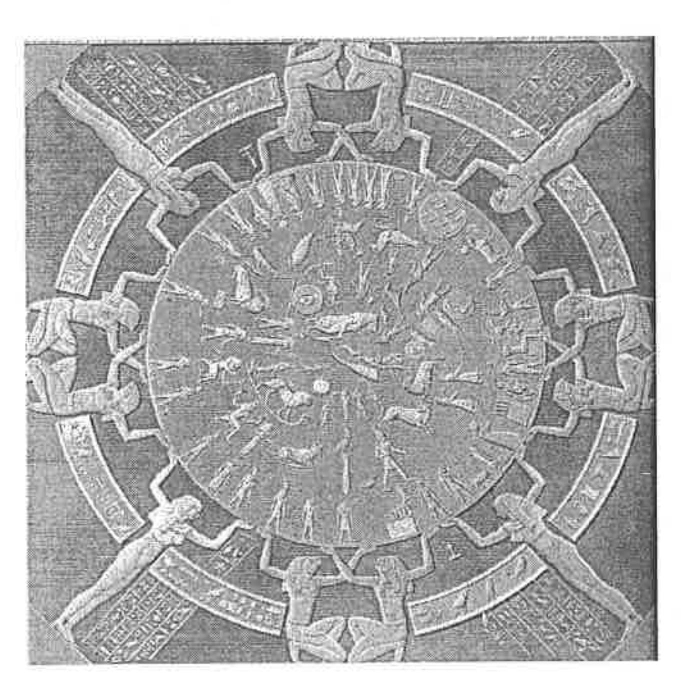
الإله "هيليوس" يركب عربته التي تجرّها أربع أحصنة، في مركز دائرة فلكية تشمل الأبراج الاثنى عشر وكذلك الرسل الاثنى عشر. القرن الثامن ميلادي. مخطوط ورقي محفوظ في الفاتيكان.



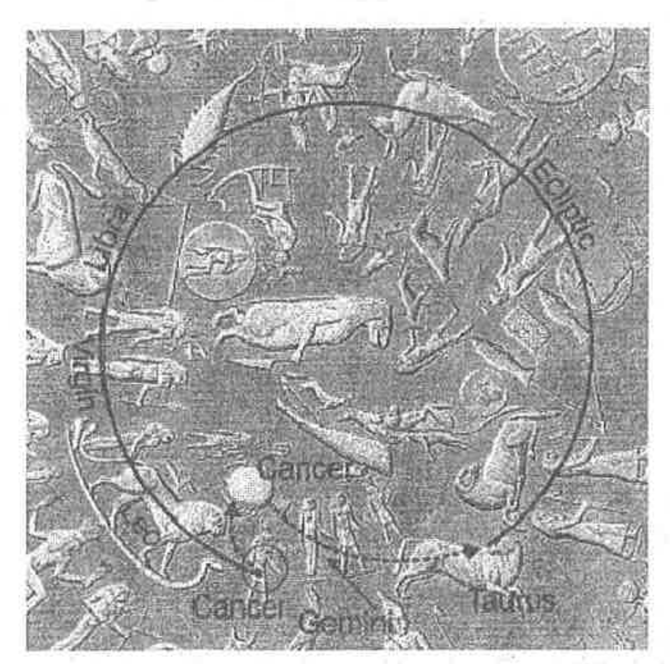
الإله "فانيز" وسط دائرة فلكية. منحوتة حجرية. ايطاليا.



لوحة فسيفسائي تصوّر الدائرة الفلكية ويقبع في مركزها الإله "هيليوس". تعود للقرن الرابع ميلادي



دائرة "دانديرا" الفلكية مأخوذة من معبد "هاثور"، موقع "دانديرا" في مصر، والموجودة الآن في معرض لوفر بفرنسا. تعود للقرن الأول ق.م، وتُظهر كافة الأبراج الفلكية المصرية



يمكن مشاهدة برج "الحمل" في الأعلى، وبرج "الثور" على يمينه مباشرة، ويظهر برج "الأسد" أسفلهما وعلى يمين مركز الدائرة، كما يمكن ملاحظة برج "العذراء" والميزان والعقرب.. إلى آخره.



صيغة أخرى للدائرة الفلكية المصرية، وهي متطابقة مع دائرة الأبراج التي نألفها

كما لاحظنا من خلال الدوائر الفلكية المختلفة التي أوردتها كأمثلة في الصفحات السابقة، المبدأ يبقى ذاته رغم اختلاف الشخصيات المحورية، حيث يحتل مركز الدائرة آلهة أو شخصيات مقدسة مختلفة، مثل هيليوس أو دايونيسيوس أو ميثرا.. إلى آخره، وجميعهم يمثلون آلهة الشمس. حتى اللاهوت المصري القديم ليس بعيداً عن هذا السيناريو، إذ نرى الإله "رع" (إله الشمس) ومساعديه الاثنى عشر أو "حورس" (إله الشمس) وأتباعه الاثنى عشر.. إلى آخره.

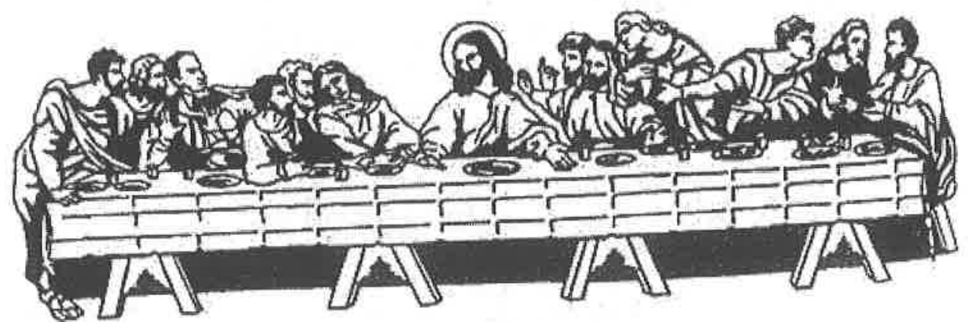


الإله "رع" في قاربه ويجرّه مساعدوه الاثنى عشر



حورس" يجلس على عرشه أمام أتباعه الاثنى عشر

أصبح الأمر واضحاً دون أي التباس، حيث كانوا من خلال هذا المفهوم الاثنى عشري الذي يتمحور حول شخصية مركزية مقدسة يقصدون الأبراج الاثنى عشرة والشمس.



قصّة الإله المقدّس وأتباعه الاثنى عشر تكررت بصيغ مختلفة في الأساطير الوثنية القديمة بحيث تتشابه الرواية بأدق تفاصيلها مما يدلّ على أنها حكاية رمزية تشير إلى أمر مختلف تماماً، إذ تبيّن أن القصة توصف سلوك الشمس والأبراج الاثنى عشر.



الشكل النهائي للدائرة الفلكية التي توصّل إليها القدماء عن طريق الاستنتاج الفلسفي، لكنها تستخدم اليوم بطريقة سطحية مجرّدة من المضمون الفلسفي

يبدو واضحاً من خلال النظر إلى صيغ مختلفة أخرى لمبدأ الرقم [١٢] في المخطوطات والمنحوتات القديمة بأن هناك المزيد عن هذا الرقم بحيث لا يتوقف الأمر عند الدائرة الفلكية أو أي شيء يخصّ الفلك. فمفهوم الدائرة الفلكية لا يتناسب مثلاً مع مفهوم آلهة أولمبوس الاثنى عشر أو الجبابرة الاثنى عشر حيث هذه الأخيرة لعبت أدوار مختلفة تماماً عن تلك التي لعبت دور أتباع أو رفاق شخصية محورية تمثّل الشمس مما يدفعنا إلى التعمق أكثر في هذا الموضوع لإيجاد الرابط المشترك بينها. بالإضافة إلى أنها لا تشبه المفهوم الاثنا عشري الذي عبر عنه أفلاطون في كتابه "تمايوس" Timaeus خلال وصف الكون وكيف نشأ من قبل الخالق [عزّ وجلّ] وفق قوانين هندسية، وأوّل شكل هندسي تشكّل خلال نشوء الكون هو الـ"دوديكاهيدرون" dodecahedron المجسّم الهندسي ذو الاسطح الاثنى عشر. وقد تكلمت تعاليم القبالة عن التحولات الاثنى عشر الكبرى للروح خلال مسيرتها نحو التجسيد المادي، إذ رمزوا لهذه العملية بالقول: المجسّم الهندسي ذو الاسطح الاثنى عشر يقبع محجوباً داخل مكعّب كامل، والمكعب هنا يرمز إلى التجسيد المادي. أما المدرسة الفيثاغورثية فقد جعلت المجسّم الهندسي ذو الاسطح الاثنى عشر رمزاً للكون الكامل التجسيد.

نحن إذاً نواجه مسألة دائرة مؤلفة من ١٢ قوة. علينا تحليل هذه المسألة قليلاً، ليس فقط من زاوية الميثولوجيا بل كمجهود يهدف إلى استيعاب معناها الممكن بالنسبة لنا اليوم. وجب أن يكون لدينا فهم عصري معيّن لها.

لقد ميّز القدماء نظام اثنى عشري للكون. ربطوا هذا النظام بالدائرة الفلكية ذات الاثنى عشر برج. بالتالي ميّزوا ١٢ نوع أو مظهر من القوة الإلهية للخالق [جلّ جلاله]. هذه المظاهر أو الخصائص الاثنى عشر تم تأليهها، وبالتالي أصبح لدينا ١٢ إله يعيش في رحاب طبيعة الإله الواحد العظيم. الإله الواحد العظيم أحاط بهذه الآلهة الأقلّ شأناً، أي هي تمثّل أعضاءه أو أجزاءه المختلفة. لكن لأسباب عملية أصبحت تعتبر آلهة منفردة بذاتها. في هذه الحالة لدينا مجموعة أو منظومة من الآلهة التي استحوذت تدريجياً على تفكير الفلاسفة القدامى، وقد تحوّلت إلى عناصر أو أحرف لنوع من الأبجدية الخاصة وتشرح لنا الطاقات والقوى الكامنة في كل منها وكيف تعيش وتتصرف جميعاً في الطبيعة الإلهية.

♑ ♈ ♋ ♌ ♎ ♐ ♏ ♉ ♍ ♊ ♓ ♒

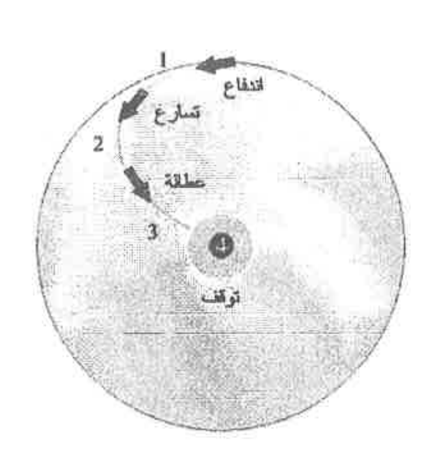
يقول "هسيود" بأن هذه الآلهة الاثنى عشر هي ينابيع القوى. صحيح أن المدارس الإغريقية المختلفة لم تتفق على طبيعة هذه القوى أو أسمائها (كل مدرسة لها شروحاتها المختلفة) لكن المبدأ وراء مفهومها يبقى دائماً ثابت وواضح. هذه القوى الاثنى عشر تمثّل ١٢ وعاء رئيسي أو ينابيع تجري بشكل مستمرّ في الفضاء الأثيري.

أصل القوى الاثنى عشر

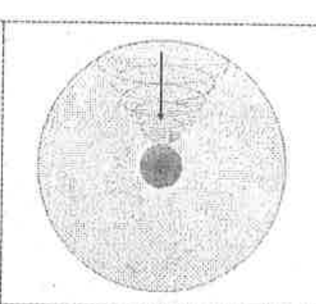
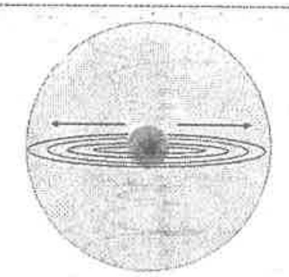
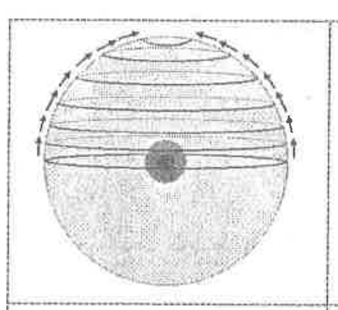
المبدأ الاثنى عشري وقصة الخلق

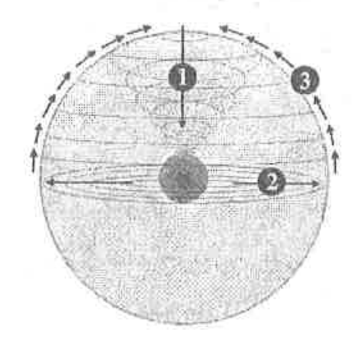
إذا عدنا إلى طريقة نشوء المبدأ الاثنى عشري في موضوع "قصة الخلق" الواردة في الجزء السابق سوف نجد ما يفيدنا حول الأصل الذي اشتُقت منه معاني القوى الاثنى عشر التي تحدث عنها الحكماء القدامى بصيغ مختلفة، أو الأبراج الفلكية كما نعرفها اليوم. نستطيع استنباط رواية كاملة عن كل برج من خلال دراسة موقعه في التسلسل الاثنى عشري لحركة المحتوى العقلي داخل البيضة الكونية. سوف أوضّح ما أقصده من خلال الشرح المصوّر لتالي:

قلنا بأن عملية التكاثف في مركز الكرة الكونية وفق مسار لولبي تخضع لقانون الحركة، بل هي أساس قانون الحركة أصلاً، لأنها تمثّل أوّل حركة في الوجود، وبالتالي تعتبر النمط الأوّلي الذي تحاكيه كافة التحركات في الكون مهما كان نوعها (تأرجح، دوران، تموّج، ذبذبة.. إلى آخره)، كافة الحركات في الوجود تتألف من ثلاثة مراحل ويتبعها مرحلة رابعة هي حالة التوقف، وحتى هذه المرحلة الأخيرة تحاكي النمط الأوّلي المتمثّل بالوقوف عند مركز الكرة الكونية.

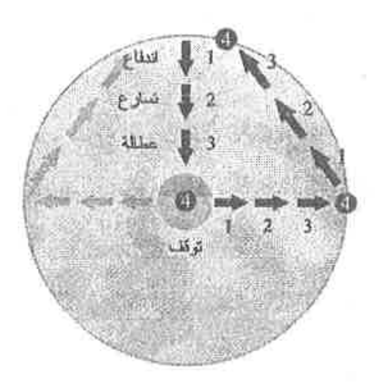


هذه الحركة رباعية الأطوار تكرّرت ثلاث مرات داخل البيضة الكونية بسبب خلق رد فعل طبيعي في محتواها، أي على الشكل التالي:

		
موجة متوجهة عمودياً من أعلى محيط الكرة نحو المركز	موجة طرد مركزي تسافر أفقياً من المركز إلى محيط الكرة	موجة صدمة تسافر مع محيط الكرة ومتخذة شكل قبة



من هذه المراحل الثلاثة جاءت الأنماط الثلاثة المعروفة في علم الفلك: أي [١] المرحلة الاستهلالية، وهي خاطفة وعنيفة، [٢] المرحلة النشطة، وهي قوية ومتوازنة، و[٣] المرحلة الناهية، وهي منتشرة وسريعة الزوال.



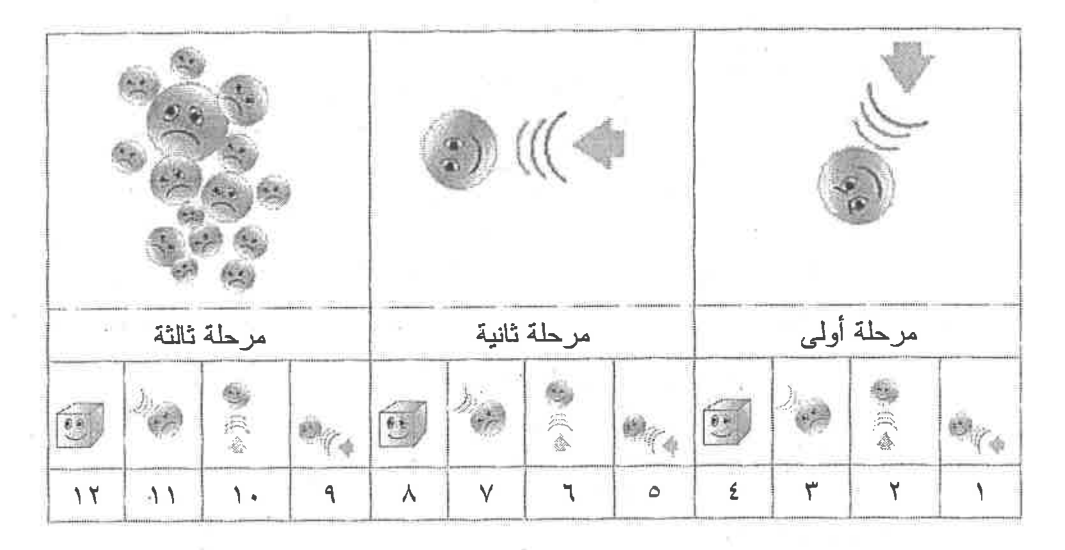
كل من هذه المراحل الثلاثة مؤلفة من حركة رباعية الأطوار، وبالتالي، على هذا الأساس نشأت الأسس الأولية لما نعرفها اليوم بـ "القوى الاثنى عشر" التي تجلّت بصيغ مختلفة أشهرها الأبراج الاثنى عشر.

يمكن التعبير عنها تصويرياً على الشكل التالي:

قلنا بأن عملية التكاثف في مركز الكرة الكونية تخضع لقانون الحركة، أي تتألف من أربع أطوار:

طور الاندفاع الخاطف والعنيف	طور الحركة الثابتة والمتسارعة	طور العطالة واحتواء الحركة	طور التوقف والتكتل

ـ لكن هذه الحركة رباعية الأطوار تكرّرت ثلاث مرات داخل البيضة الكونية بسبب خلق رد فعل طبيعي في محتواها، وكل من هذه المرات أو المراحل لها سمتها الخاصة التي تميّزها عن غيرها:



مرحلة أولى				مرحلة ثانية				مرحلة ثالثة			
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢

فبالتالي بعد تكرار الحركة الرباعية ثلاث مرات أصبح لدينا ١٢ طور. إذا أنشأنا جدولاً يصنّف الأطوار الرباعية ضمن مراحل ثلاثة سوف تتوزّع على الشكل التالي:

	طور الاندفاع	طور الحركة	طور العطالة	طور السكون
مرحلة الدفع	(الحمل)	(الثور)	(الجوزاء)	(السرطان)
مرحلة النشاط	(الأسد)	(العذراء)	(الميزان)	(العقرب)
مرحلة الانتشار	(القوس)	(الجدي)	(الدلو)	(الحوت)

فيما يلي بعض معاني ودلالات كل من الأطوار الأربعة:

[١] طور الاندفاع: يرمز للاندفاع، الانطلاق، الإرادة، التحفيز، الهيمنة.. إلى آخره.

[٢] طور الحركة: يرمز للنشاط، ثبات التوجّه، الحيوية، الإصرار، الاستقلالية.. إلى آخره.

[٣] طور العطالة: يرمز للاحتواء، الكبح، الليونة، تشتت، تقلّب، تغيير.. إلى آخره.

[٤] طور السكون: يرمز للجمود، الركون، التكتّل، التوقف، الانطواء.. إلى آخره.

ملاحظة: يمكن العودة إلى موضوع العناصر الأربعة للتعرف أكثر على خواصها التي تميزها عن بعضها، إذ الأطوار الأربعة تمثّل الأساس الذي أستند عليها مفهوم العناصر الأربعة.

أما معاني المراحل الثلاثة فهي كما يلي:

[١] المرحلة الأولى: بدء، استهلالية، دفع، تحفيز..

[٢] المرحلة الثانية: انبعاث، توازن، حيوية، نشاط، استقلالية، قوة...

[٣] المرحلة الثالثة: اتساع، انتشار، شمول، احتواء..

وفق توزيع الأبراج في الجدول السابق نجد أن كل برج يتسم بصفات وخصائص مختلفة عن غيره وذلك حسب موقعه في الجدول. هذه الخصائص والسمات هي ذاتها القوى الاثنى عشر التي تتكوّن منها الكينونة مهما كان مستوى تجسيدها المادي. هي الأبراج الفلكية التي نألفها في علم الفلك. هي آلهة أولمبوس الاثنى عشر في الأسطورة الإغريقية. هي الجبابرة الذين تمردوا على زيوس. هي أتباع الشخصية المقدسة التي تحدثت عنها الأديان وتمثّل الشمس. هي التحديات الاثنى عشر التي واجهها هرقل في الأسطورة، أي القيود التي تمنع الفرد الانعتاق من العالم الدنيوي والتحرر من مغرياته والخلاص من مآسيه (أنظر في موضوع التحديات الاثنى عشر في نهاية هذا البحث).

ملاحظة:

هناك أمر ضروري وجب التنبه له في الجدول السابق. إذا أعدنا النظر في العناصر الأربعة التي يُنسب إليها الأبراج، نستطيع تحديد مكان الخطأ في عملية الإنساب هذه. وفقاً للأطوار الأربعة التي تمثّل الأساس الذي بني عليه تشكّل العناصر الأربعة، نجد أن ترتيبها يختلف عن ترتيب العناصر الأربعة في الدائرة الفلكية التي نألفها. نظرة سريعة على المعاني التي ترمز إليها العناصر الأربعة تكفي لاكتشاف الخطأ:

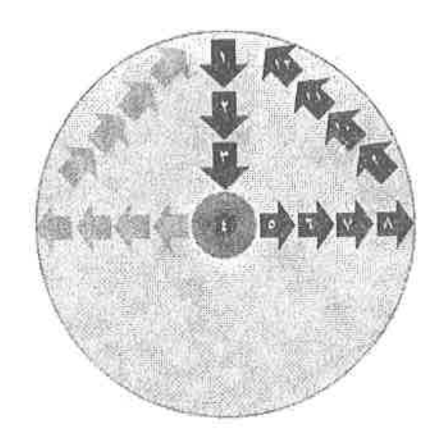
[١] عنصر النار يمثّل طور الاندفاع. [٢] عنصر الهواء يمثّل طور الحركة. [٣] عنصر الماء يمثّل طور العطالة. [٤] عنصر التراب يمثّل طور التوقف.

وفقاً لهذا الترتيب الجديد للعناصر، نجد أن الأبراج الترابية (ثور، عذراء، جدي) هي أبراج هوائية أصلاً، والأبراج المائية (سرطان، عقرب، حوت) هي أبراج ترابية أصلاً، والأبراج الهوائية (الجوزاء، الميزان، الدلو) هي أبراج مائية أصلاً.

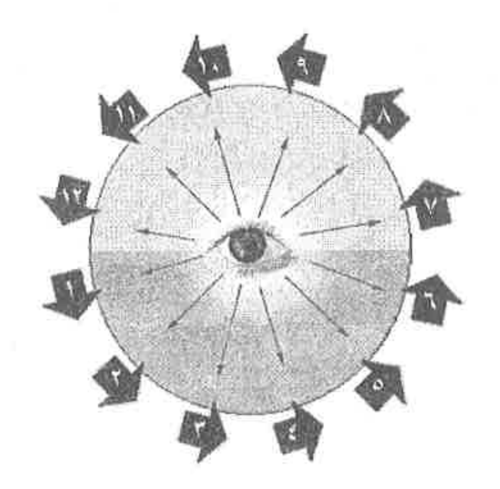
القوى الاثنى عشر في محيط الكرة الكونية

قال أفلاطون في كتابه "فايدو" Phaedo بأنه إذا نظرت إلى العالم من الأعلى فسوف يبدو لك كما الكرة المغطاة باثني عشر قطعة من الجلد المختلف الألوان. وفقاً للاهوت الإغريقي، لم تقبع الآلهة الاثنى عشر في مركز دائرة الكون بل في محيطها، لذلك يُقال بأن الآلهة العظماء يعيشون في حزام الدائرة الفلكية. وفقاً للمفكرين الإغريق والمصريين، الدائرة المحيطة بالقرص المركزي لمجال الشمس وقواها تجري باستمرار وبشكل دائم للأسفل والداخل، من المحيط نحو المركز، وفي مركز هذا الميدان الدائري تقبع الكأس أو الوعاء الذي تصب فيه كل تلك القوى وتختلط ببعضها، ومن هذا الوعاء يبرز الشكل الغريب والعجيب للجيني التابع للإنسان، وهو رمز الكيان الخفي للانسان والذي يتألف من خلطة تلك القوى.

بعد اطلاعنا على مراحل قصة الخلق في الجزء السابق لم يعد غامضاً بالنسبة لنا كلام الفلاسفة والمصريين والإغريق، إذ هم يتحدثون عن انتشار القوى الاثنى عشر إلى محيط الدائرة بفعل الطرد المركزي الناتج من ولادة عامل الزمن والتكرار المستمر لعملية التكاثف في المركز، وولادة الشمس المركزية. يمكن توضيح الفكرة من خلال الشرح المصوّر التالي:

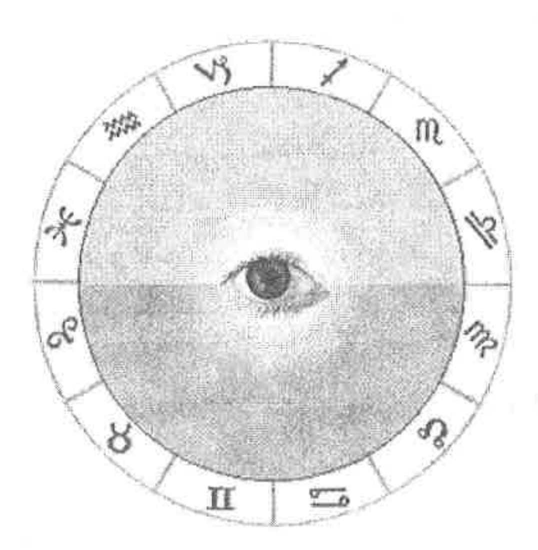


١ـ الشكل المقابل يوضّح آلية تشكّل المبدأ الاثنى عشري داخل البيضة الكونية خلال عملية الخلق. هذه العملية حصلت قبل ولادة عامل الزمن.



٢ـ بعد ولادة عامل الزمن، ومع تكرار عملية التكاثف في المركز مما أدى إلى ولادة الشمس المركزية، نشأت حالة طرد مركزي جعل الأطوار الاثنى عشر تنقذف إلى محيط الدائرة الكونية.

من هنا جاء المفهوم الذي يتحدث عن اثنى عشر مظهر أو نوع من القوة الإلهية للخالق [جلّ جلاله]. هذه المظاهر أو الخصائص الاثنى عشر التي تم تأليهها من قبل القدماء، إذ كل منها أصبح إله منفرد بذاته، فأصبح لدينا ١٢ إله يعيش في رحاب طبيعة الإله الواحد العظيم. هذه الآلهة تمثّل أعضاء الكون أو أجزاءه المختلفة.



القوى الاثنى عشر التي يرمز لها الجبارة في الأساطير الإغريقية تمثّل المكونات الرئيسية لكينونة الإنسان وتجلّت بأكثر من صيغة في كافة مستوياته الوجودية

تقول لنا أسطورة دايونيسوس Dionysus، في طبيعة الإنسان تقبع دماء الآلهة ورماد الجبابرة الاثنى عشر. الإنسان الآن يحوي في داخله كل التفاعلات التي توصفها الأساطير على شكل صراعات بين جبابرة أولمبوس. كافة إجراءات العصور غير المكتملة مزروعة في الإنسان ذاته. أن يفهم الإنسان هذه الحقيقة يعني أن يخلص نفسه من معركة الحياة. عندما ينظر إلى داخل نفسه يواجه صعوبة في إدراك هذه الحقيقة.

ينظر الإنسان إلى داخل نفسه ولا يرى سوى الغموض. ينظر إلى داخل نفسه ويعجز حتى التعرّف على ذاته الحقيقية.. عاجز عن إدراك وعيه بوجود أي منبع داخلي في طبيعته. ولأن ملكاته الإدراكية تنبعث خارجاً نحو العالم الظواهري، لا يمكن معرفة طبيعته السببية سوى بطريقة فلسفية أو رياضياتية أو بواسطة المعادلات والرموز.

من خلال إدراك القدماء لهذه المسألة، وبسبب أمل الإنسان في اكتشاف الطبيعة الباطنية لكيانه الداخلي، ما كان عليهم سوى استكشاف طبيعة العالم الأكبر (الكون) والذي تنشط فيه نفس العناصر التي تكوّن طبيعة الإنسان. فقدموا لنا هذه الأسطورة المفصلّة حول الخلق، والتي يمكن أن تتواجد داخل الإنسان وترمز إلى كامل وجوده النظير للعالم الأكبر.

وفقاً لباراسلسوس الذي كان حكيماً بهذه المواضيع أيضاً، الإنسان يمثّل دائرة فلكية بحد ذاتها، وتتألف من ١٢ نوع من الطاقة، وهذه الطاقات تشكّل مجاله الحيوي الذي يدير وظائفه الحيوية. وأن هذه الطاقات المتنوعة تجري ضمن نطاق هالته الطاقية والتي هي ذاتها "البيضة الكونية" لكن بشكل مصغّر. يمكن إدخال كامل هذه القصة إلى الحياة النفسية للإنسان.

تجلّت هذه القوى الاثنى عشر في الكينونة البشرية بأكثر من صيغة. الأمر لم يتوقف عند المستوى النفسي والعقلي بل على المستوى الجسدي أيضاً. فقد نسبوا مثلاً أجزاء مختلفة من جسم الإنسان للأبراج الفلكية، أي للقوى الكونية الاثنى عشر، وذلك وفقاً لخصائص كل من هذه القوى ودورها في جسم الكائن الكوني.



١ـ الرأس: يحكمه برج الحمل

٢ـ الحلق: يحكمه برج الثور

٣ـ اليدين، الرجلين، الرئتين: يحكمها برج الجوزاء

٤ـ الغدة الصعترية (منطقة الصدر): يحكمها برج السرطان

٥ـ القلب: يحكمه برج الأسد

٦ـ البطن والمران: يحكمه برج العذراء

٧ـ الكليتين: يحكمها برج الميزان

٨ـ الأعضاء التناسلية: يحكمها برج العقرب

٩ـ شرايين الفخذ الرئيسية: يحكمها برج القوس

١٠ـ الركبتين: يحكمها برج الجدي

١١ـ بطة الساق: يحكمها برج الدلو

١٢ـ القدمين: يحكهما برج الحوت

منذ بدايات القرن الماضي أكّد خبراء في الظواهر النفسية والبيولوجية بأنه في إحدى الفترات المستقبلية سوف يتوصلوا في النهاية إلى تقسيم كل الظواهر والانحرافات العقلية والنفسية إلى ١٢ نوع. هذه الأنواع الـ١٢ سوف تمثّل جميعاً إساءات رئيسية للطاقة النفسية الأساسية. إذا كان هناك ١٢ طريقة تتأذى بها الطاقة النفسية الأساسية، فلا بد من أن تكون هذه الإساءات الـ١٢ شبيهة بتمرّد الجبابرة في الأسطورة الإغريقية. وحقيقة أن هذه الطاقات الأساسية تمردت على الآلهة ما عدى الإله "أوشن" وهذا الأخير يمثّل الطاقة الحيوية النقية ذاتها، أي مبدأ الحياة، كل ما تبقى من طاقات فسدت.

خلال مسيرة تطور هذه القوى المفسدة، حيث تمثّل الجبابرة في الأسطورة والذين تمردوا على السماء والأرض، بعد شنّ حربهم الضروس التي دمرتهم في النهاية، وبعد هذا الصراع المرير ظهر المستوى التالي للإنسان، أي زيوس أو جوبتر (أو قوة الوعي الذاتي)، وخلف هذا الوعي الذاتي تجري الحروب الشرسة بين الجبابرة في المجال النفسي للإنسان ذاته. وبالتالي بعد تدمير الجبابرة أو الطاقات التي استنفذت تدريجياً وُضعت تحت سيطرة زيوس الذي انتصر على الجبابرة وجمع هذه الطاقات المتمردة في العالم الباطني الغامض (العالم النفسي الداخلي). إذا

أخذنا هذا العالم الباطني كرمز للاوعي أو العقل الباطن لدى الإنسان نعرف أن الوعي ممثل بالإرادة والفعل، وهذا يجعله الحاكم الواعي للعالم. لكن ضدّ هذا الحاكم الواعي نجد التمرّد الأبدي للجبابرة المحبوسون في العالم الباطني. ومجرّد أن امتنع زيوس عن إطلاق قوة الصاعقة أو الرعد أو البرق، أو يخسر بصيرة أو دقّة عينه الكلية الرؤية سوف يحصل فوراً صراع بحيث يحاول الجبابرة تدمير توازن العالم.

في إحدى المناسبات واجه زيوس حالة غير سعيدة، حيث تمرّد ١١ من الآلهة ضده. لقد هُدد بالحرب في السماء، فحمل قوة الصاعقة لديه ووقف عند حافة عرشه، وقال لهؤلاء الآلهة بأنه إذا رغبوا في فعل ذلك فيمكنهم التمرّد جميعاً وتركه وحده، وأنه يمكنهم النزول إلى أي مكان في العالم وفعل ما يرغبونه وإنشاء عوالمهم الخاصة وأكوانهم الخاصة، لكنه سوف يأخذ كامل الخلق الذي ساعدوا في تكوينه ويحيطها بزرد ذهبي ويربطها بقمة أولمبوس ويسحب هذا الجنزير إلى السماء ويترك كل الآلهة تتأرجح بين السماء والأرض.

من الناحية النفسية نحن نعاني من ذات الحالة. الجبابرة لم يموتوا بداخلنا، نحن نعلم ذلك طبعاً. نحن نعرف بأن قوى الجبابرة المختلّة في حياة الإنسان لم تمت. لكنها تحت سيطرة قوة الوعي والعقلانية (جوبتر).

لقد ميّز الهندوس القدامى ١٢ لفيفة للدماغ، وربطوا هذه المراكز ال١٢ بالآلهة ال١٢ لدائرة جبل ميرو (نظير جبل أولمبوس اليوناني)، وأنّ هناك آلهة معيّنين أو وظائف إجرائية معيّنة، تمنع الفوضى من التحكم بحياة الإنسان. وأن هذه الملكات قد تتمرّد وبالتالي على الآلهة أن تكون باستنفار دائم، كما الحال مع آلهة النورديين التي تمنع قوى الظلام الممثلة بالطاقة المتفجّرة للجبابرة من اختراق العالم التحتي وتحاول إحداث خلل في الأرض وتدمير السماء (قطبي الكرة الكونية).

يبدو أن الفلاسفة الإغريق أضافوا لمسة من علم النفس في تعاليمهم الفلسفية. لقد شعروا بالخطر الدائم للاندفاع، للغضب أو العواطف أو الكره أو الخوف التي لا يمكن السيطرة عليها.. هذه الأشياء بصفتها قوى أساسية وجب تحويلها تدريجياً إلى حالة متحضرة. أو بمعنى آخر، عبر إصلاح أو تخليص قوى الجبابرة. وتم بالتدريج إصلاح الجبابرة الأخيار، لكن مع ذلك لازال

الصراع قائماً لمنع وعي الإنسان من أن يُسحب إلى هاوية الفوضى كنتيجة لسيطرة عوامل اختلال على الحياة المنظّمة لعقل الإنسان (المنظومة العقلية للإنسان المؤلفة من ١٢ قوة).



آلهة أولمبوس وزيوس (جوبيتر) يتوسطهم جالساً على عرشه

بالتالي فإن المسرحية النفسية تم شرحها بطريقة جيّدة وبشكل مفصّل في الأسطورة الإغريقية. في الحقيقة لا يبدو أن الآلهة مشغولون طوال الوقت في هذه الأسطورة الأولمبية. الآلهة ليسو وسطاء أو محفزّين على أي شيء. بصفتهم يمثلون قوى وطاقات فهذا يجعلهم يمثلون طبيعتها. هذه الطاقات ليست أخلاقية أو غير أخلاقية، هي ليست جيدة أو سيئة، هي ليست أكثر أو أقل. هذه

الطاقات هي مجرّد ينابيع لإمكانية الحياة تحافظ من خلالها الأشياء على وجودها وتوجهها نحو تحقيق مصيرها.

لم يؤمن الإغريق بالأرواح الشريرة أو الخيّرة كما نفعل نحن. لقد آمنوا بالطبيعة، والتي من خلال استخداماتها المختلفة تجعل الطاقات تبدو سيئة أو جيدة. والطاقة هي شيء له غاياته وأسلوبه وقوانينه. عندما تخرق قانون الطاقة يعني أن تتعرض لعقاب هذه الطاقة. المحافظة على قانون هذه الطاقة يعني أن تشارك بشكل مستمر في تلك الطاقة وبالتالي تعمل لصالحك. هذا يعني أن من خلال الطاعة كل شيء يمكن إحرازه. ومسألة توازن وتكامل قوى هذه الصيغة من الطاقات هي التي تمثّل السرّ العظيم وراء الدين والفلسفة الإغريقية. (سوف نتعرف لاحقاً كيف نتعامل مع هذه القوى الاثنى عشر بطريقة سليمة لكي نستفيد من حسناتها وفضائلها).

كان كل من فيثاغور وأفلاطون وأرسطو على إلمام جيد بحقيقة أن الإنسان يملك ١٢ عامل ديناميكي، وعليه أن يجلبها إلى حالة نظام، ليس الاكتفاء باستخدامها بشكل اعتباطي بل القيام بإجراءات معيّنة من أجل منعها من أذية بعضها البعض خلال الاستخدام. عليه بالتالي ربط آلهة ألمبوس لديه ببعضها البعض في جسم واحد متناغم مؤلف من قوى متناغمة. يفعل ذلك من خلال جعل الحكم للعقلانية، إذ من خلالها يصنع علاقة سليمة بين كل الطاقات المختلفة.

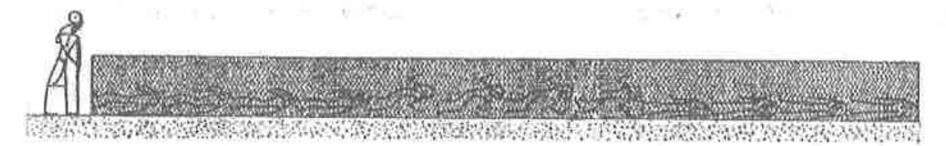
الفلسفة هي هذا العامل الموفّق بين جميع القوى الكامنة في الإنسان. من خلال الفلسفة يتعلم الإنسان كيف يوحّد المتنوعات، ويجمعها ضمن صيغة متناغمة وانسجام متبادل. بالتالي إنه فقط من خلال الفلسفة يمكن للفرد أن يتعلم أهمية الفواصل، وهي تعني المساحات بين الأشياء. بحالتنا هذه اقصد الفواصل النوعية. لدينا البديهة مثلاً كنوعية معينة. مقابل البديهة علينا موازنة الحكم السليم، وهو نوعية أخرى. مقابل البديهة والحكم السليم نثلّثها بنوعية ثالثة تتمثل بالجمال، وهو المفهوم الفني للحياة بالنسبة للإنسان. خلال استكشاف هذه الأشياء وجب أن لا تكون متناقضة بذاتها ولا على أحدها إجهاد الأخرى، ولا على خدمة أحداها أن تهمل الأخرى. هذا يعني أنه على الإنسان أن يوازن تدريجياً كل هذه الكوامن حتى يصل إلى مرحلة يعيش فيها وفق صيغة تكون فيها هذه الطاقات متناغمة ومتعاونة. هذا هو مفهوم فيثاغورث وأفلاطون، أي وجب على هذه الآلهة أو القوى أن تمرّ عبر الإنسان خلال التجلّي بشكل منتظم، وأن الإنسان المثالي الكامل، أو المواطن الآمن (وفقاً لمنطق أفلاطون) هو الفرد الذي تكون قواه المختلفة متوازنة جداً لدرجة

لم يعد هناك أي صراع في طبيعته. وإذا لم يكن هناك صراع في هذه الطبيعة فسوف يزول الصراع بين هذه الطبيعة وطبيعة أخرى أو طبيعة الكون عموماً.

الغاية النهائية للنظام الأولمبي الخارج من فوضى الجبابرة (وهي فوضى الجهل والتوحّش وعدم ضبط النفس) على الإنسان أن يرتقي بنفسه إلى مستوى النظام الأولمبي المتمثل بالتعاون والمساعدة المتبادلة والتفهّم والحكمة والمعرفة والسلام والجمال والحقيقة. من خلال تحقيق هذه الإمبراطورية أو المملكة من القيم في داخله يكون الفرد قد حقق الأمان الذي يحتاجه للمشاركة الفعلية في حياته اليومية.

في كل مكان في الوجود نجد أن هذه الطاقات متناغمة جيداً ما عدا عند الإنسان. لذلك يمثل الإنسان ساحة معركة بين الجبابرة والآلهة. وهنا بالذات وجب خوض معركة الأرمغدون المذكورة في الكتاب المقدس. هذا الصراع غير موجود على أرض الواقع، ليس في السماء ولا في الأرض، بل في الطبيعة غير السوية للإنسان بذاته. لذلك بدلاً من خوض هذا الصراع، على الفرد أن يهدأ إلى حالة من النظام. ليس أنه عليه القيام بالأشياء بشكل أفضل من المعتاد أو عدم القيام بأشياء معينة، لكن المفتاح للمسألة هو أنه عليه السير وفق قوانين هذه الطاقات دون أن يخدع نفسه، أي دون السماح للقيم المزيفة أن تحرفه بعيداً عن المسار الطبيعي الذي يسلكه. وبهذا تمنحه الآلهة قوتها وحمايتها، حكمة "بالاس أثينا" تصبح له، إذ هي تصارع في السماء من فوقه، طالما حافظ على بحثه البسيط والمباشر عن الحكمة. هذا البحث ليس عن حكمة معيّنة، أي أن يعرف الفرد المزيد عن هذا أو عن ذلك، بل نوع الحكمة التي لها القدرة البديهية على اكتشاف الخير في كل الأشياء. وهو استراحة طبيعية وبسيطة بعيداً عن الإفراط في الأشياء حيث لم يعد الإنسان ضحية للإفراط ويكون بذلك محافظاً على اعتداله. كل الأسرار السماوية متصلة بالاعتدال، حيث كل الأشياء تُستخدم باعتدال، لكن بالإفراط كل الأشياء تضرّ بعضها البعض.

إذاً بالنسبة للإغريق، الصراع الجاري بين الجبابرة داخل الإنسان هو محاولة إقامة النظام في تفكيره وعيشه وعلاقاته مع الآخرين. وأنه من خلال هذا النظام الأوليمبي يقول أفلاطون: "..سوف يبرز في النهاية حكومة العالم.."، وهذا يعني الحكومة الكونية التي وجب أن يحاكيها الإنسان بداخله. وإلى أن يحترم الناس الحكومة العالمية في حياتهم الشخصية سوف لن تدعمهم قواهم في وظائفهم المتبادلة. من هذه الصيغة إذاً يأتي أساس كل العلاقات وكل القوانين.



حورس يساعد الأرواح الاثنى عشر الغارقة لتجد طريقها إلى حقول المباركين. لوحة مصوّرة في قبر أمنحوتب الثاني (القرن ١٤ قبل الميلاد). هذا المشهد يرمز إلى عملية تخليص وتقويم القوى الاثنى عشر التي تتألف منها الكينونة والغارقة في بحر الفوضى الهائجة.

الدائرة الفلكية تمثّل صيغة أخرى لمفهوم الجبابرة الاثنى عشر الكامنة في كينونة الإنسان. قال فيثاغورث بأن الإنسان خلال سقوطه من حالة الألوهية الصافية إلى حالة التجسيد المادي يمرّ عبر الحيوانات الاثنى عشر. هذه الحيوانات التي تحدث عنها هي تلك التي تتكون منها الدائرة الفلكية. لذلك فإن قصة الجبابرة تمثّل أيضاً مصير الإنسان في العالم المتجلّي، بحيث من خلال ولادته عبر أجساد الحيوانات يصبح مستهلكاً من قبل الكون ما تحت الفلكي. فيصبح مأسوراً فيها وبالتالي يصبح ضحية القوى والطاقات الممثلة برموز الأبراج الفلكية أو الجبابرة. ومنها يتم إنقاذه في النهاية عبر الإجراءات التي توصفها أسطورة دايونيسيوس. فيعود دايونيسوس إلى صحوته الكاملة كممثلاً للنفس أو حياة الإنسان التي تولد من آلية اختبار الوجود المادي. الطبيعة الحقيقية للنفس هي في عهدة مينيرفا، التي تمثل مبدأ الحكمة. (سوف نتحدث عن أسطورة دايونيسوس لا حقاً).

أسطورة دايونيسيوس والجبابرة

المخلّص بالنسبة للإغريق هو دايونيسوس Dionysus الذي ولد نتيجة تجاوز الإله زيوس أو جوبيتر والمرأة الفانية "سيميلي". هذا الثالوث موجود في العديد من الأنظمة الدينية الأخرى. بالإضافة إلى أنه كان يوجد ثلاثة مستويات: الذين جاؤوا من الآله العريقة، والذين جاؤوا من مجموعة متوسطة، أي مستوى زيوس بذاته، والذين جاؤوا نتيجة تزاوج آلهة أوليمبوس مع كائنات خالدة أو شبه خالدة. دائماً ما تتصاع هذه الكائنات الشبه خالدة للسماء (القسم العلوي)، وقد تحولوا إلى ثريات وأبراج فلكية، وأساطيرهم تحولت إلى حكايا شعبية عن الأبطال الخرافيين للإغريق والشعوب الأخرى.

تبدأ قصة دايونيسوس من مرحلة ظهور الإله زيويس كصوت وطلبت منه "سيميلي" أن يظهر متجلياً بكامل قوته الكونية لكنها بهذا الطلب فقدت حياتها. أخذ زيوس الطفل وخلق له رحم مؤقت في جسمه ليحميه، ثم عاد إلى مهجعه واختار "أثينا" وفقاً لأحد المراجع (وهرمز وفقاً لمرجع آخر) بصفتها موكلة عليه. تم أخذ هذا الطفل إلى بلاد "نيسا" المباركة، وهي أرض جبلية في منطقة بعيدة، واسم المنطقة يعني ببساطة: "مهجع السلام". وهنا وُضع الطفل في عهدة "ساليناس" المسنّ. كان ساليناس حاضن لدايونيسيوس الطفل. يعني إسمه بطريقة معيّنة "التأمّل"، يعني الحياة الداخلية أو التعبير الداخلي، يعني يوغا. يأخذ الطفل إلى الكهف، والكهف هنا يمثّل حالة من المعرفة داخلية. وهذا الكهف موجود في الجبل وهو يرمز إلى مجد الحقيقة. دائماً يكون الجبل رمز المهجع المقدس. وهنا، محاطاً بأرواح الطبيعة، من قبل الحوريات nymph والساطير satyr، تربي الطفل الصغير على مخلوقات غريبة لا تنتمي لهذا العالم. لكن "هيرا" لم تكتفي، حيث ثأرها لم يكتمل، فتعرّض دايونيسيوس الصغير لمحنة رهيبة. وكانت المؤامرة بمساعدة الجبابرة الخالدين. جاؤوا بمرآة كبيرة بهدف استدراج الطفل الصغير. وبالفعل نجحوا في استدراج الإله الصغير نزولاً من بلاد نيسا المباركة وبعيداً من حالة السلام وهو يسعى إلى لقاء صورته المنعكسة في المرآة. لقد ظنّ بأن الصورة تعود لطفل آخر. ولأنه نشأ وحيداً بين المخلوقات الغريبة بحيث لا يوجد كائن من نوعه، ركض متلهفاً حاملاً ألعابه ليلعب مع هذا الطفل الآخر، ومع اقترابه من الموقع سحب الجبابرة المرآة وراح الطفل يركض وراءها حتى مسافة بعيدة إلى أقاصي الفضاء. وعندما وصلوا إلى مكان نائي انهال الجبابرة على الطفل محاولين القبض عليه. فما كان على دايونيسيوس سوى التحوّل إلى أشكال عديدة ومتنوعة، راح يتقلّب شكل الطفل من مظهر لآخر محاولاً خداع الجبابرة ومنعهم من رؤيته. لكن في النهاية، بعد أن اتخذ هيئة الثور، انقضوا عليه وذبحوه. وبعدها، من أجل إخفاء جريمتهم وعدم ترك أي أثر، قرّروا أكل الجثة، فطبخوها على نار الموقد، وخلال الطبخ تطايرت رائحة الطبخة إلى كافة أرجاء الفضاء، فاشتمّ زيوس من على عرشه هذه الرائحة الغريبة. من خلال النظر بعينه كليّة البصيرة، رأى فوراً كامل تفاصيل الحادثة. شاهد كيف قُتل ابنه من قبل الجبابرة. لذلك أطلق صواعقه الرعدية نحوهم فأدى إلى تفحمهم وصاروا رماد، وبعدها، بواسطة قدراته السحرية حوّل جسد ابنه إلى حالته السابقة وأعاده إلى أوليمبوس، وبذلك استودع رأس دايونيسيوس في عهدة أثينا وعيّنها حارسه الأمين. وبعد استعادة الطفل إلى الحياة مجدداً أطلقوا عليه اسم "المولود مرتين". أو "الذي مات وأحي من جديد". مع مرور الزمن، خلال اختيارهم للمواد التي يستخدمونها لخلق الإنسان، اختار الآلهة أن يصنعوا الإنسان من رماد الجبابرة، وبالفعل أصبح كل إنسان مؤلف ليس فقط من رماد

الآلهة الاثنى عشر بل من لحم دايونيسيوس الذي أكله الجبابرة. لهذا السبب كل جسد موجود مؤلف من طبيعة ظاهرية مؤقتة، وهي طبيعة الجبابرة المجنونة يتعذر السيطرة عليها، وهي مشتقّة من الجبابرة الاثنى عشر الخالدين. وفي تلك الطبيعة نجد أيضاً دماء إله الخلاص الخالد: "دايونيسيوس زاغروس".

هذه الأسطورة مهمة لسبب آخر. إذا درست المسألة بشكل جيّد، تجد أن دايونيسوس في هذه الأسطورة يصبح رمز انقطاع استمرارية الوعي البشري عبر غموض الولادة من جديد. يمثّل دايونيسيوس هنا المظاهر المتعددة للنفس في رحلتها عبر التجليات الدنيوية المتعددة، والهيئات المتنوعة التي تحول إليها شكل دايونيسيوس خلال تهربه من الجبابرة تمثّل مراحل مسيرة تطور الإنسان عبر مملكات الطبيعة صعوداً إلى مستواه الروحي الحالي. هذا يزيد الأمر أهمية لأن الجبابرة لا تمثل فقط القوى الأوّلية بل تمثل أيضاً العناصر الأولية لمنظومة الحياة والمنتشرة في كل مكان في الكون، والجبابرة بصفتهم مبادئ لها علاقة بالسماء أو أورانوس، فهي أيضاً لها علاقة بغايا أو العالم الأرضي. بالتالي فإن الأنظمة الاثنى عشر للأشياء المادية أو العناصر الاثنى عشر للطبيعة التي عرفها الإغريق أصبحت الجبابرة التي حاولت تدمير النفس وأكلها وقد نجحت في فعل ذلك بعد أن علقت النفس في شباك العالم الدنيوي، ويمكن معرفة تفاصيل هذه الحالة من خلال الاطلاع على "سرّ التناسخ" حيث الموت لا يمثّل خلاص للإنسان من شباك العالم الدنيوي بل استراحة مؤقتة قبل أن يعود إليه متجلياً بهيئة مادية مرة أخرى. لا يمكن الخلاص إلا عبر الانعتاق من شباك العالم المادي، وهذه العملية تتم بإرادة الفرد ومجهوده الخاص، حينها يوجّه زيوس صواعقه نحو عملية التبلور المادي مدمراً قوة المادة فينقذ ابنه ويعيده إلى الحياة مع مساعدة وتعاون أثينا. دراسة الألعاب التي اقتناها دايونيسيوس، خصوصاً الخشخش الذي حمله وكل ما حصل معه في القصة تشبه قصة نارسيسوس، إذ يقول أفلاطون بأنه من خلال قصة نارسيوس وجب أن نفهم كيف أن الإنسان المحدّق إلى المادة ومشاهدة انعكاس نفسه بحالة مادية فيقع في هذه الحالة المادية فيصاب بحالة تشوّش روحي، أي يقع تحت سيطرة القوى المادية فيتعرض حينها للأكل من قبل الجبابرة.

الوعي المركزي

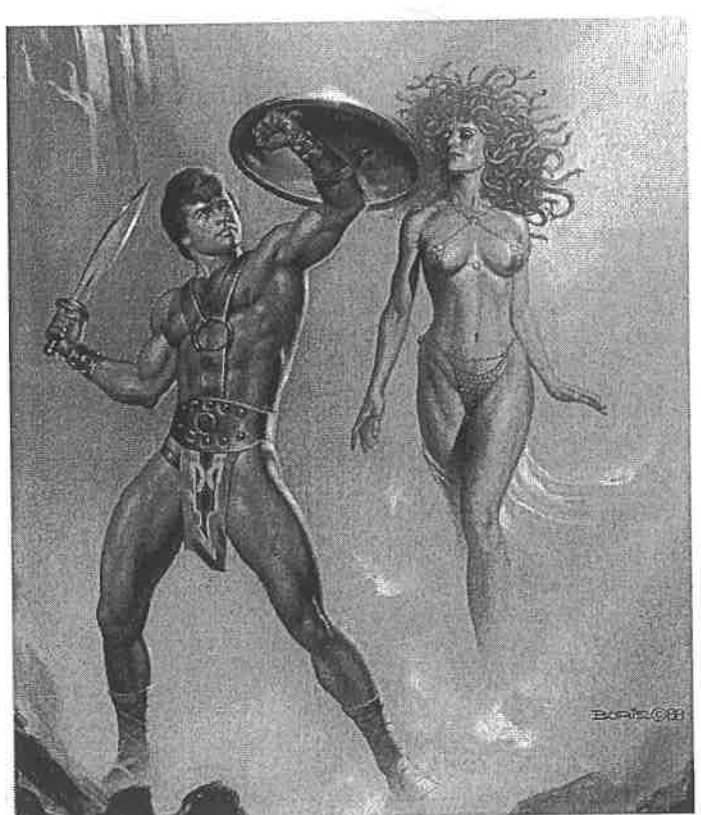
ورحلة الشمس عبر الأبراج الاثنى عشر

سبق وذكرت رحلة الشمس عبر الأبراج الاثنى عشر (في الجزء الثالث من هذه المجموعة)، بين المصريين والإغريق والفرس خصوصاً، تم محاكاة هذه الرحلة المضنية بعد ربطها بالنفس البشرية. صوّروا النفس وهي تخوض التحديات الاثنى عشر، وخلال رحلة الإنسان نحو مصيره الروحي النهائي، ومدة هذه الرحلة تُقاس بالفترة التي يستغرقها الفرد أثناء انتقاله من الجهل إلى الحكمة، من الوجود المؤقت إلى الخلود الأبدي. أحرز هذه الرحلة عبر اثنى عشر تحدياً أو عمل شاق، وهذه هي ذاتها تحديات "هرقل"، كما أنها مثلت رحلات سندباد البحار، ويمكننا رؤيتها محجوبة بشكل محكم وجميل في ملحمة "الأوديسا" Odyssey لـــلشاعر الإغريقي "هومروس". هذه الملاحم والأساطير والحكايا الرمزية مشتقّة جميعاً من أدبيات التعاليم السريّة.

في الشعائر المصرية القديمة كان هناك اثنى عشر إله رئيسي يؤلفون مجلس قضائي يصدر الأحكام المختلفة. هذه الآلهة الاثنى عشر تسبر وتتفحّص فضائل وخطايا النفس البشرية. كانوا المختبرون أو القضاة أو يُسمون أحياناً "حرّاس الدرب العريق". وفقط أولئك الذين ينجحون في الفحص يمنحهم هؤلاء الآلهة رخصة المرور إلى العالم المبارك. وطبعاً، هؤلاء الآلهة الاثنى عشر أو "حرّاس الدرب العريق" مرتبطون بمفهوم الشمس المركزية (الذات أو الوعي المركزي). بعد أن تطور علم الفلك وزادت معرفة الإنسان بأسرار السنة الشمسية، شبّه دورة حياته الروحية بقصة الرحلة السنوية للشمس. فبدأ الإنسان منذ البداية بقناعة راسخة تقول بأن هذا السرّ المتعلق بالرحلة السنوية للشمس يكشف له عن أشياء كثيرة وجب عليه إنجازها، حيث السؤال القديم يُطرح مرّة بعد مرّة: ماذا على الإنسان فعله من أجل الخلاص. وهذه المسألة المتعلقة بالخلاص تعني بالنسبة للقدماء أنه على الفرد أن يستحق هذا الخلاص.

إن للخلاص علاقة بالحفظ أو الصيانة، وللصيانة علاقة بخوض الإنسان مجموعة محددة من التحديات الخطيرة وينجو بشكل عجيب من هذه الاختبارات الخطيرة. ومن أجل تحقيق هذه الغاية عليه إظهار شجاعته، وفي الأساطير الإغريقية حول البطل "هرقل" نرى، ولأسباب كثيرة وجدت لإرضاء أحد الآلهة، أنه على البطل خوض مهمات خطيرة ومضنية تتجاوز مستوى تحمّل الإنسان العادي. هذه التحديات الشاقة التي صورتها الأسطورة بأنها تمثّل محاربة الوحوش

والمسوخ المتنوعة هي في الحقيقة تمثّل مجموعة من التحديات التي يواجهها الفرد خلال خوضْ حياته الدنيوية. فكّر بالأمر قليلاً واسأل نفسك: هل أستطيع عيش حياة مستقيمة وفاضلة وسط ضغوط هذه الحياة الدنيوية القاسية بكل ما فيها من مصاعب ومعوقات وظروف وتحديات؟ إن كفاحنا وسط هذه الضغوط الحياتية القاسية تشبه إلى حد كبير صراع هرقل مع "هايدرا" التي ينمو من رأسها الأفاعي. وقد ظهرت هذه الأخيرة باسم "مادوسا" في أسطورة بيرسيوس Perseus الذي قتلها بعد صراع مرير. كما هرقل الذي كلما قطع إحدى الأفاعي من رأس "هايدرا" نمت سبع أفاعي أخرى، الحال ذاتها مع الإنسان العادي الذي كلما تخلّص من عادة سيئة تنمو سبعة عادات سيئة مكانها. كل شيء نفعله خلال صراعنا مع تحديات الحياة له نظيره في الأساطير القديمة. هذا هو سرّ الأساطير الشعبية، حيث هي تتعامل مع الأنماط الأوليّة للأشياء، الأنماط الأولية المتعلقة بكفاح الإنسان لإحراز الأمان.. الخلاص.. السلام النهائي والأخير.



بيرسيوس (المريد) يواجه المادوسا التي تمثّل إحدى القوى الدنيوية للطبيعة والتي وجب التغلب عليها

إذاً، في الشعائر الإغريقية والفارسية والبابلية والمصرية التي كانت تُقام في المعابد، كانت الدائرة الفلكية تُرسم على القبة التي تعلو الصالة، وأحياناً تُنقش في الأرضية بطريقة فسيفسائية. كانت الشعائر تتمحور حول أساطير تتعلق بالرحلة المضنية للنفس مروراً عبر التحديات الاثني عشر التي وجب إنجازها قبل خلاص الإنسان. هذه التحديات كانت ممثلة بالكائنات التي ترمز لأبراج الدائرة الفلكية. كان كل من هذه الكائنات يمثّل رمز أو شعار لقانون رئيسي أو مبدأ كوني عام. كل من هذه الرموز أو الشعارات مثّلت صورة هيروغليفية لخاصية سلبية وإيجابية معاً. كل من هذه الكائنات مثّل قوة بناءة أو مدمّرة. كل منها لها نواقصها وزوائدها، كما كان لها اعتدالها. مهمة البطل تمثّلت بتجاوز الاختبار لكن دون اختراق أي من تلك المبادئ. إذا خرق قانون واحد في سبيل المحافظة على قانون آخر سوف ينتهي به الأمر عالقاً في متاهة يصعب الخروج منها. السر الكبير لا يكمن في الخروج منتصراً من الاختبار بل الانتصار مع عدم اقتراف أي خرق للقوانين، أي بمعنى آخر، يمكنك ذبح العدو بسهولة لكن السرّ يكمن في كيفية التغلب عليه دون أذيته! وهنا تكمن الصعوبة الكبيرة. تستطيع أن تغضب دائماً من الشرّ وتعاديه، لكن كيف عليك معاداته دون أن تكون شريراً؟ هنا يكمن التحدي الكبير. كيف تستطيع إنهاء سلسلة سببية طويلة دون إطلاق سلسلة سببية أخرى خلال العملية؟ كيف تتحكم بسلوكك بحيث لا تؤدّي عملية منع أحد الشرور في نفسك إلى إطلاق العنان لمجموعة من الشرور الأخرى؟ كيف تحلّ لغز "هايدرا" التي ينمو من رأسها الأفاعي والتي كلما قطع هرقل إحداها نمت مكانها سبعة أفاعي أخرى؟ الأمر بحاجة لقدر كبير من الحكمة والتفكير الفلسفي السليم.

أسطورة جاسون ورحلته البحرية

من بين الأساطير الإغريقية نجد أسطورة "الأرغونوت" Argonauts وهم مجموعة الأبطال الذين رافقوا "جاسون" Jason في رحلته البحرية على سفينة عملاقة تُسمى "أرغو" Argo وذلك سعياً للحصول على الصوفة الذهبية من غابة يحرسها تنين. هؤلاء الأبطال الاثنى عشر يمثلون أنماط أولية لدائرة الآلهة العظمى. لكن في الحقيقة هم أنماط أولية لاثنى عشر قوة تكمن في الذات البشرية (وكل الأشياء الأخرى). هي الخصائص الاثنى عشر، أو الطاقات الاثنى عشر، والتي لا يمكن للرحلة إحراز الصوفة الذهبية دون اكتمالها جميعاً. فتنطلق حملة البحث، ويُشاع بأنه رافقهم في حملتهم أحد أعظم الأبطال، وهو أورفيوس Orpheus. وقيل أيضاً بأن الإلهة "مينيرفا" رافقتهم في حملتهم. كل هؤلاء يمثلون خصائص الذات النفسية، وعالم الأنماط الأوليّة تجتمع جميعاً في

هذه الحملة البطولية. بالتالي يُصبح "جاسون" المريد الذي ينتقل من الطقوس الصُغرى إلى الطقوس الكبرى للتعاليم السرية. التحديات الاثنى عشر التي عليه مواجهتها تشبه تماماً تلك التي خاضها البطل "هرقل" الذي يُعتبر بطل الإله "أبولو".

سفينة "أرغو" إذاً هي سفينة الخلاص التي تبحر في الأسطورة متبعة خريطة السماء (النجوم)، وهذا يعني أن على المريد الالتزام بقوانين السماء ويتحلى بالإيمان خلال مواجهته الصعاب والمغريات الجمّة التي تفرضها الظروف خلال الرحلة البحرية، وجب أن تكون روحه عالية وقوية وإلا لن يستطيع النجاح.

التحديات الاثنى عشر

بعد كل هذه العصور التي مرّت على الإنسان، لازال عليه السير على الدرب الاختبارية للدائرة الفلكية. هو لا يسير عبر الدائرة في السماء طبعاً بل الخوض في سلسلة من التجارب النوعية التي تجري داخله خلال حياته اليومية. سوف نبدأ الآن من برج الحمل، المفتاح الكبير لتجلّي برج الحمل في الإنسان هو الإقدام. إذاً، الإقدام هو بداية الرحلة. دون الإقدام لا يمكن تحقيق شيء. جميع أبطال الأساطير لا يستطيعون تحقيق ما حققوه دون الإقدام، وجب على الساعي وراء الحقيقة أن يتحلى بالشجاعة والإقدام. أين يتجذّر الإقدام في الإنسان؟ ما الذي يمنح الإنسان الإقدام؟ الأمل أو الخيال أو الأحلام أو القناعات؟.. أو ربما أكثر من هذه الأمور حيث الدرب المجيدة التي سار عليه الشجعان؟ الإقدام متجذّر في التقاليد الشعبية، يأتي من سلطة الكتابات المقدسة. يأتي الإقدام من الكلمات الملهمة للمعلمين المقدسين. على الإنسان أن يتحلى بالإقدام. الجرأة على الفعل.. على السير قدماً. إذاً، من الإقدام عليه صنع أداته الأولى. لكن مع ذلك يترافق مع الإقدام مشاكل كثيرة لأن الحمل يرمز أيضاً للقتالية وهنا وجب إلغاء القتالية تماماً. لأن القتالية تقود إلى الحرب، وإلى الإجهاد. لذلك على الإنسان أن يتحلى بالإقدام لكن دون قتالية. عليه أن يتحلى بالعزم والشدّة لكن دون طموح دنيوي. عليه التحلي بالتكريس والالتزام لكن دون طغيان واستبداد. عليه أن يتحلى بالقدرة على تجاوز العقبات دون أي نزعة إلى استعباد الآخرين وتدمير حقوقهم. هذا هو الاختبار الدقيق للإقدام والشجاعة. كيف يكون الفرد قوياً لكن لطيف. كيف يكون جريء لكن بسيط. كيف يكون عظيم لكن متواضع. كل هذه الأسرار الغامضة تتلاعب في مسرح

الحياة الإنسانية بحيث علينا التمييز تدريجياً بين الرمز الغامض لهذا الحيوان المتحدّي والقتالي مع حمل الله الوديع الذي يمثّل رمز النقاء والحقيقة. وهكذا، فإن حيوان النار، حيوان الحرب.. الكبش، يتحوّل إلى رمز السلام.. الحمل، وهنا يكمن انتصارنا الذي وجب تحقيقه في وعينا وتجربتنا الحياتية. علينا أن نتحلى بالشجاعة لكن دون قتالية. علينا التمتع بالالتزام لكن دون صرامة، على الإنسان أن ينجز دون تدمير، عليه الإحراز لكن دون أذى، عليه حلّ اللغز لكن دون جلب الكارثة إلى أي شيء آخر في الوجود. هذا هو الاختبار، المسألة الغامضة التي عليه حلّها. بعد أن يحلّ هذا اللغز يكون قد قطع المرحلة الأولى من مشواره الطويل، فينتقل إلى البرج التالي، برج الثور.

تحت تأثير برج الثور، تتجلى تلك القوة المتمثلة بالثبات أو الجلد أو التحمّل. يمكن أن نوصف هذه الحالة بأنها ".. الإصرار على تحقيق الهدف..". لكن كيف نتسم بهذا الثبات دون حضور مظاهر سيئة مرافقة له، فمثلاً، كيف يمكننا أن نكون ثابتين لكن غير عنيدين؟ هنا تكمن المسألة. لقد طوّر القدماء فلسفة عظيمة حول إمكانية أن يبقى الفرد صادقاً مع نفسه لكن دون أن يكون غير صادقاً مع غيره. الفرد القادر على التحلّي بالإصرار المرفق مع هدوء النفس لكن بنفس الوقت غير مقيّد بطبع سيّء في عقله، كما حالة الإخلاص التي نألفها اليوم والتي هي مجرّد عناد. الإلتزام ليس دائماً كما يبدو لنا، بل هو مجرّد عادة. يقوم الفرد بذلك لأنه يفعله دائماً وليس لأنه صالحاً. إذاً، تحت تأثير الثور، تأتي هذه القوى الغامضة، تلك القوة الهائلة لهذا الكائن، قوة الاستمرارية، الجلد، كما ثور الفلاحة الذي يجرّ المحراث المغروس في الأرض القاسية، هذا الكائن الذي يرمز إلى الإصرار المستمرّ وجب تحليله روحياً وأخلاقياً ونفسياً وأي مفهوم آخر يمكن استيعابه من قبلنا. علينا الكفاح من أجل حلّ لغز "المنتور" (الرجل ذو رأس الثور) العالق في المتاهة. أحياناً نقول بأن ".. فلان له رأس ثور..."، مع أننا لم نقصد "المنتور" في أغلب الأحيان، بل نقصد العناد المتصلّب، لكن إذا نظرنا إلى رمز المتاهة التي يعلق فيها "المنتور" في الأسطورة الإغريقية (متاهة جزيرة كريت) متاهة القصر القديم، الذي يرمز هنا إلى العالم الدنيوي بكل متاهاته وكهوفه الغريبة، يعيش داخلها رجل له رأس ثور، مما يرمز إلى العناد والعجرفة. أنظر حولك.. الجميع على قناعة تامة بأنه على حق، رغم أن كل شيء يسير بشكل خاطئ. لا أحد يتنازل ليتحمّل أي نصيحة تنتقده. الكل مصرّ على حماية مصالحه. الكل أقفل عقله لكل ما يخالفه بالرأي. كل فرد يتخندق مستنفراً وراء تحصيناته الدفاعية موجهاً اهتمامه بشكل رئيسي نحو أمانه الشخصي وأمان جماعته المحسوبة عليه. ومع كل الأحكام المسبقة والمواقف المتحجّرة نسعى بكل ما عندنا لمنع

نمو المستقبل أو بقاء الحاضر. هذا هو "المنتور" الذي يحكم العالم بمتاهاته المتشعّبة. إنه ردّ الفعل الذي يبديه الغرور العنيد. إنه الفرد الذي يقاتل بدافع خوفه من التغيير، متسلحاً بإصراره العنيد على البقاء مخلصاً لمعتقداته الشخصية بدلاً من الحقيقة. بالتالي ما على البطل في الأسطورة سوى مصارعة هذه الحالة، وكان قتالاً مريراً ومديداً بين "هرقل" و"المنتور" داخل المتاهة بحيث مضى زمن طويل ولم تكن الغلبة من نصيب أي من الطرفين إلى أن انتصر هرقل في النهاية. وجب على المريد أن يتجاوز هذا التحدي الكبير قبل انتقاله إلى التحدّي التالي.

البرج الثالث الذي تخوضه النفس هو الجوزاء، وهنا نصل إلى مسألة مثيرة للاهتمام. إنها مسألة القطبية النفسية. هنا نصل إلى أغرب الأمور وأكثرها وضوحاً في عقل الفرد. كلما زادت حماقة الشخص زادت ثقته ويقينه. كلما كان متفكراً زاد عدم يقينه. إذا توجهت إلى الشخص المتفكّر بسؤال وقلت له أنك تريد جواباً حاسما، نعم أم لا، فسوف يُصاب بالإرباك، ثم يعطيك الجواب السياسي المشهور: نعم... ثم يتبعها بـــ.. لا..، أو قد يجيب بأن الأمر يبدو كذلك.. لكن.. ربما هو غير ذلك. سبب هذا الإرباك يعود إلى أن المجيب يدخل في حالة يخلط فيها بين عدم اليقين وكرم الأخلاق. نحن نود الاعتقاد بأننا ليبراليون لكننا في الحقيقة لا نملك الجواب. ولأن التفكّر يولّد الحذر نفقد التوجّه في حالات كثيرة. لذلك كل شيء في الحياة هو مستقطب، وبالتالي نلجأ إلى تكتيكات أرسطو الشهيرة الممثلة بالكلمتين: [..إما..] و[.. أو..]، الشخص في الحالة الطبيعية يبتعد عن الشرّ ويتقرّب نحو الخير لكن هذا العمل قد أنشأ قطبية معيّنة تساهم في تدمير الحقيقة. نرى أشخاص يسعون إلى مناصرة أمر معيّن ومعارضة أمر آخر، لكنهم يكتشفون في اليوم التالي بأنهم على خطأ في كلا الحالتين. نرى شخص ما يحاول أن يحكم بالعدل بين أمرين لكنه يفشل لأنه يجهل الحقائق المتعلقة بكلا الأمرين. كما نرى شخص ما يحاول المساعدة لكنه يفشل في المساعدة لأنه يجهل ما الذي يساعد، وأينما يمكن أن يكون مساعداً يصنع الأذى بدلاً من ذلك. القطبية تفعل فعلها حيث الحركة ذهاباً وإياباً بين القطبين. هذا الجانب من برج الجوزاء يمثّل الانقسام العقلي في الفرد. الإنقسام العقلي يؤدي إلى الاغترار وخيبة الأمل والتشكّك، كما يؤدي إلى الضعف، ويؤدي أيضاً إلى تفوّق وظائف العقل على غايات العقل. نقوم بإيجاد المفكّر من أجل التفكير وليس من أجل الفكرة. نوجد الكاتب الذي يؤلف عبارات جميلة لكنها لا تعني شيئاً. نرى الخبير اللغوي الذي يبني جملة فصيحة ومتكاملة لكن هذه الجملة لا تحتوي شيئاً يمكن أن يغيّر مجرى التاريخ. لقد أظهرت هذه العملية مهارة كبيرة لكنها عديمة الغاية أو الهدف. لذلك هذا الانقسام الناتج من فصل القوة المتوغلة للتركيز تترك الفرد معلقاً بين عمودي رمز الجوزاء. هو

عاجز عن التأكّد من أي شيء. أو عالقاً بين الصراع المستقطب للأشياء. الجوزاء إذاً تعطينا الانقسام والحكم المسبق والتطرف أحياناً في كل شيء. إنه يمثل مبدأ الثنائية وبالتالي الانقسام، وأينما وجد الانقسام وجدت الخسارة. وعندما يرغب الآلهة في تدمير شيء ما يقسمونه إلى قسمين. أينما وجد الانقسام لا بد من وجود حاجة للتوفيق بين طرفين، وهذه العملية الأخيرة هي نوع من الخداع المبطّن لأننا في الواقع نتعامل مع أشياء غير قابلة للتقسيم أصلاً. وجب أن يكون الاتحاد مدركاً وليس محققاً من قبلنا. لا يمكن إنجاز الوحدة لأن الوحدة قائمة أصلاً، وكل ما علينا فعله هو إدراكها وعيشها. هذه مسألة زئبقية وجب معالجتها بدقة وحذر.

ثم نصل إلى البرج التالي، وهو برج السرطان، حيث الميراث الغامض للقمر. القمر يمنحنا الميراث الغريب للأمزجة والحالات النفسية. القمر يمنحنا النور والظلام. يمنحنا التقلبات الغريبة بداخلنا. تسبب ذلك الضعف الغريب في طبيعة الفرد، جاعلته خادماً للتقلبات. دافعتها للإبحار في مياه متنوعة وسط العواصف كما السفينة التائهة. هذه المزاجية الغريبة في الإنسان.. مزاج العظمة ومزاج الفشل.. عدم قدرة الفرد الاعتماد على نفسه.. عدم قدرته على الارتقاء فوق أمزجته المتقلبة. لذلك على البطل أن يكون سيداً لمزاجه. عليه أن يسيطر على تقلباته المستمرة بحيث يتخذ مواقف مختلفة بين الحين والآخر. عليه تجاوز تلك الأمزجة التي تضعفه في فترات الحاجة.. أي أن مصادره الذاتية غير متوفرة لديه في أي وقت. القمر يذكرنا بحقيقة أن كل شيء في حالة دائمة من المد والجزر. أن كل شيء له بداية ونهاية. أن كل شيء يطوف على سطح بحر الحياة، معرّضاً للصعود والهبوط، للارتقاء والانحطاط، للتنامي والانحلال.. الحياة والموت، الولادة والتلاشي.. هذه الأشياء تسير ضمن دورات إيقاعية غريبة. وهذه الدورات تتكرّر باستمرار داخل الإنسان. في كل طور من أطوار القمر تنشط آمال الإنسان أو مخاوفه وذلك بتحفيز من قوى لا يستطيع فهمها. بالتالي من خلال مصارعة الإنسان مع تأثيرات القمر، إنما يصارع التقلّب المستمر بداخله، يصارع عدم الأمان الذي لا يمكن الاعتماد على طبيعته لمواجهته. عليه تطويع طبيعته المتقلبة لكي يتمكن من السيطرة على السفينة التائهة في البحر الهائج وسط العواصف. عليه اكتساب القدرة على إبقاء نوره الداخلي حتى لو أصبح القمر مظلماً. لطالما كان القمر يرمز للنور الأقل شأناً، يمثل رمز آمال الإنسان وأحلامه وإيمانه، بحيث تتقلب درجاتها بين الحين والأخرى. تكون قوية في إحدى الفترات ثم تضعف في فترات أخرى. تماماً كما أطوار القمر. هنا على الإنسان أن يسعى إلى الثبات، يسعى إلى السيطرة على مزاجه بحيث لا يبالغ في أفعاله ولا يقصّر فيها. عليه أن يراقب نفسه عند خضوعه للضغوط التي تحول

مثالياته إلى غرور تافه، تحوّل التزامه إلى تطرّف، تحوّل قناعته في خدمة المثل العليا إلى نفاق. مجرّد أن بدأ الإنسان يلاحق غايات دنيوية يقع مزاجه المتقلب مباشرة تحت تأثير أطوار القمر وتحولاته المستمرة.

التحدّي التالي هو صراع الأسد بحيث وجب على البطل التغلب عليه. وفقاً للأساطير القديمة، على البطل قتل الأسد دون سلاح.. عليه قتله بيديه.. ويفعل ذلك بعد كسر أنيابه. هذه هي قصة هرقل وكذلك قصة شمشون. برج الأسد هو موطن الشمس وبالتالي هو برج الطاقة، وبالتالي فإن قتل الأسد وجعل جلده ثوباً للبطل يرمز إلى التغلب على الكبرياء، التغلب على الهيمنة، التغلب على الإكراه، بكل ما لهذه الأمور من مظاهر مختلفة. نادراً ما يمضي يوم دون تعرضنا للإغراءات التي تدفعنا إلى فعل أشياء تتجاوز الحدود التي تسمح بها أخلاقيتنا. يراودنا دائماً الشعور بأنه مع القليل من الجهد الإضافي نستطيع تحقيق غاياتنا.. نستطيع التغلب على خصومنا.. نستطيع فرض أنفسنا على الآخرين.. نستطيع بيع السلعة للزبون رغم أنه لا يريدها. نستطيع الفرض، نستطيع بذل المزيد من الطاقة، لكن ليس لصالحنا بل لعدم صالح الآخرين. مجرّد أن تجاوزت الطاقة حدود فائدتها تتحول استخداماتها الطبيعية إلى بارود متفجّر. قد يساعد البارود المتفجّر في قلع جذع شجرة عملاقة في حقل المزارع، لكنه بنفس الوقت يغرق العالم في حروب مدمّرة. قد تمنحنا الطاقة النووية مصدر جيّد للحرارة والضوء والقوة المحرّكة، لكنها بنفس الوقت قادرة على تدمير العالم. إذا استُثمرت الطاقة داخل الإنسان بحيث تتوافق مع الضمير، إذا استُثمرت بشكل واعي وسليم، إذا استطاعت الرقّة أن تكبح جماح الأسد نستطيع حينها فهم شيء مهم جداً: لا يمكن تحقيق شيء خيّر عن طريق فرض القوة. مجرّد استخدامنا للقوة في أي حالة من الحالات تتحول هذه القوة إلى قوة شريرة. الغاية إذاً هي عيش حياة دون فرض قوة، بذل طاقة لكن دون ضغط، القيام بفعل لكن دون اعتداء.. هذه هي الأسرار التي حاول القدماء كشفها لنا، والتي وجب فهمها واستيعابها من قبل النفس خلال سيرها في الدرب الذي يجعلها أضحية ممنوحة للسماء.

بعدها ننتقل إلى برج العذراء، وهنا نصل إلى أقدم الرموز في منظومة الدائرة الفلكية، ونجدها مرتبطة بشكل وثيق مع فكرة رئيسية كانت سائدة في القدم، إنها تمثّل الغموض المتعلق بالخدمة. يمثّل مفهوم الخدمة أحد المسائل الكبرى المتعلقة بالعمل. من أجل إنجاز خدمة فعلية على الفرد فهم السر المتعلق بالعذراء الكونية. الخدمة في الحقيقة تعني الإحياء، أو جعل الشيء حيّ أو

الجلب إلى الحياة.. أي الخلق. هذا هو معنى الخدمة. عندما نقدم خدمة نكون قد جلبنا شيئاً إلى الحياة. عندما نلبي حاجة صديق نكون قد ساعدناه على الخروج من الظلمة إلى النور. الخدمة هي إطلاق الحياة. بعض المراجع الفلكية استبدلت رمز العذراء برمز السنبلة (رغم أن الرمز الحقيقي لهذا البرج يمثل عذراء حاملة سنبلة بيدها) لأنه من خلال خدمة الأرض يُكافأ الإنسان بالمحصول لكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد إذ خدمة الأرض هي مساهمة في استمرارية الحياة. الخدمة إذاً تعني تسهيل عملية الإحياء. المساهمة في فتح الطريق أمام سير الحياة لجعلها أكثر يسراً وسهولة. خدمة الأطفال الصغار هي تحضيرهم لعيش حياة سليمة.. تحضيرهم للتعبير عن الحياة بشكل ميسّر وسهل. خدمة البالغين أو الأقوياء يعني مساعدتهم على التعبير عن حيويتهم بشكل ميسّر وصحيح. لهذا السبب تتطلّب الخدمة حذر وتعقّل كبير، تتطلب الخدمة حكمة عظيمة تتجاوز أحياناً هذا العالم. لذلك يفرض علينا رمز الخدمة، وهو رمز العذراء، سؤال كبير: ماذا علينا فعله من أجل تحقيق ما هو خيّر وسليم؟ تتطلب الإجابة على هذا السؤال حكمة العصور بكاملها. عادةً ما تكون خدمتنا نابعة من دافع عاطفي. نحن كرماء ومتعاطفون ونفعل الأشياء بناء على هذه الدوافع. ولأننا نجهل ماذا نفعل أو لماذا نفعل ذلك نلاقي في نهاية المطاف خيبة أمل كبيرة، لأن الشخص الذي ساعدناه لم يقدر خدمتنا ولم يفهمها أصلاً وبالتالي تكون نوايانا الصادقة قد استُثمرت بطريقة سيئة. السبب يعود إلى أن نوايانا الصادقة لم تكن حكيمة بمستوى الخادم الحقيقي.. نحن لا نعلم كيف نخدم. لذلك فإن الصراع مع مسألة كيفية مساعدة الآخرين لكن دون أنيتهم يذكرنا مرة أخرى بأن الطريقة الوحيدة التي يمكننا فيها خدمة الآخرين هي مساعدتهم على فعل الأشياء الأقرب إلى ذاتهم الجوهرية، أي محاولة معرفة حاجاتهم ومساعدتهم على فعل ما يرغبون بفعله بدلاً من ما نريده نحن أن يفعلوه، وإلا تحولت خدمتنا إلى سيطرة وطغيان. مسألة الخدمة، أو المشاركة لكن دون أنية، أو العطاء لكن دون تجريد، أو المساعدة لكن دون توقع مقابل، تمثّل الأسرار المتعلقة بغموض العذراء الحاملة للسنبلة.

بعدها نصل إلى برج الميزان. كفتي الميزان تتأرجح بلطف صعوداً وهبوطاً ويمسكها ملاك قوي يحمل سيف برّاق. هنا يسعى الإنسان إلى حلّ مسألة التوازن. العدالة هي دائماً في حالة توازن. تأتي العدالة من الإنصاف والنزاهة. الإنصاف يأتي، ليس من قدرة الفرد على رؤية جانبي الأمر لأنه يوجد أكثر من جانبين لكل أمر، بل العدالة تأتي من إدراك القانون الذي يحكم كافة جوانب الأمر. أشار فيثاغورث إلى أن الفضيلة لا تحتل كفة واحدة من الميزان بينما الكفة الأخرى تحتلها الخطيئة، إذ نحن لا نوزن بين الحيّ والميّت، الخطيئة تحتل كفتي الميزان بينما الفضيلة والحقيقة

تكمنان في الوسط بين الكفتين. فقط الميزان الذي يوازن هو الحقيقي والجزء الحقيقي من الميزان يقبع في الوسط بين الكفتين المتأرجحتين. الإنسان الباحث دائماً عن البقاء وعن الحقيقة يسعى إلى التوازن في الوعي لديه، مدركاً بأنه في اللحظة التي يرجّح إحدى كفتيْ الميزان على حساب الأخرى سوف يخرق القانون. إن جلب كافة النهايات القطبية إلى حالة اعتدال يمنحه العدالة، والعدالة هي الاعتدال بذاته. العدالة لا توجد في أي شيء زائد أو ناقص. توجد العدالة في كل شيء حقيقي ومنتصر على الخطأ. قد يكون هناك خمسين خطأ بخوض أمر معيّن لكن لا يمكن أن يكون سوى حقيقة واحدة فقط بخصوصه. مهمة العدالة هي اكتشاف تلك الحقيقة الوحيدة. على الإنسان المُحاط بعوامل كثيرة للعيش أن يسعى إلى الموازنة فقط، أن يسعى إلى معرفة الحقيقة الكامنة وراء كل تلك الأجزاء المتنوعة والمتناقضة من حياته. لا يستطيع معرفتها جميعاً، هو لا يستطيع فهمها جميعاً، هو لا يستطيع إدراكها جميعاً، لذلك عليه البقاء صادقاً فقط مع الميزان، محافظاً على التوازن، وفي كل المسائل معتصماً بالقانون، لأن القانون يمثّل أمله وخلاصه. لذلك في مرحلة الميزان يتعلّم بأنه في كافة المسائل عليه أولاً أن يكون صادقاً مع المبادئ، وعندما يكون صادقاً مع المبادئ كافة الأمور الأخرى تتوازن تلقائياً.

ثم نمرّ على برج العقرب، يُمثّل أحياناً بصورة أفعى أو صورة نسر، هو البرج الوحيد الذي لديه ثلاثة رموز مختلفة. قالوا في الزمن القديم بأن العقرب هو رمز الموت. لكن في التعاليم السريّة العريقة هذا البرج الذي يمثله رمز العقرب محروس من قبل الإله "هاباكريتوس" وهو إله السكوت، وكانوا يصورونه دائماً واقفاً أمام المعبد وواضع أصبع السبابة على فمه مما يوحي للسكوت. وفقاً للشعائر السريّة القديمة، علمنا برج العقرب سرّ السكوت. يمثّل السكوت ظلمة غريبة وعميقة. لكن رغم أن الصمت يبدو أم الأسرار إلا أنه في الحقيقة يمثّل الولادة الأولى للحقيقة. حيث عن طريق السكوت وحده تُكشف كافة الأسرار والغوامض. كافة الأصوات تنتهي عند الصمت ومن الصمت تأتي كل الأصوات. وخلال بحث الإنسان عن الحقيقة الواقعية بالإضافة إلى وجوب تحلّيه بالشجاعة والبراعة والتفهّم، عليه أيضاً أن يتحلّى بالقدرة على التزام الصمت. وكما يقول المثل: الكلام من فضة والسكوت من ذهب. لكن هذا السكوت الذهبي لا يعني تحديداً عدم الكلام، بل هو السكون والهدوء في أعماق الوعي. هو مثّل مسألة البقاء هادئين لكي نتعرف على غموض الحضور المقدّس. لهذا السبب نرى برج العقرب مرتبط بشكل وثيق بشعائر وطقوس المدارس السريّة. كافة تلك الشعائر تتعلّق بمسألة الموت. كافة الإيحاءات الرمزية ممثلة بشعائر الموت. على المنتسب الجديد الذي يدخل إلى الحرم الداخلي للمعبد أن يمرّ عبر مرحلة

تتعلق بغموض الموت، وهو موت رمزي طبعاً، حيث كما يقول التقليد: ".. هو نزل إلى أعماق الصمت العظيم.."، نزل إلى الوحدانية، إلى هاوية الظلام، وعليه هنا أن لا يكون خائفاً. السكوت إذاً يمثّل بوابة إلى الحياة الداخلية. ولكل شخص يستطيع أن يتكلم بحصافة يوجد حكمة عظيمة لؤلئك الذي يستطيعون السماع. بشكل غريب، فإن قوة السماع هي أعظم بكثير من قوة الكلام. الذي يسمع يتعلم، بينما الذي يتكلم لا يعرف شيئاً سوى عن نفسه. بالتالي وفقاً للتقاليد القديمة، يعتمد البحث عن الصمت على قدرة الإنسان في البقاء متلقياً ومراقباً في داخله. قادراً دائماً على التقبّل والتلقّي، وعدم مقاطعة الخالق [جلّ جلاله] بصوته، حيث وفقاً للمدارس السريّة، يعتبر الكلام مقاطعة للخالق [عزّ وجلّ]. الخالق هو الحقيقة المطلقة القابعة وسط الصمت، وبالتالي عندما نتكلم بصوت عالي لن يعد بإمكاننا سماع صوت المطلق. لذلك من أجل أن نكون ساكنين ومتقبلين ومنتصرين على الصوت بداخلنا علينا السعي إلى التزام السكوت. هذا هو التحدي الذي علينا تجاوزه في برج العقرب. بعدها نتحوّل إلى أفعى الحكمة، ومن ثم إلى نسر (عنقاء) الإلهام.

البرج الذي يتصل بالطموح هو برج القوس. يُرمز له بالسنطور الذي كان معلّم أرخيليز. هو بالتالي يمثّل الطبيعة، يمثّل الكون. السنطور هو الكون الذي يعلّم الإنسان. بالتالي، خارجاً من المستويات العديدة من قوى الإجراءات الطبيعية تأتي التعليمات التي تخدم الإنسان، والتعاليم الأعظم هي الفلسفة والدين والعلم، والسنطور يمثلها جميعاً، لأنه خُلق من الغموض الثلاثي للكون. قسم منه بشري والقسم الآخر حيوان، وهو يصوّب سهمه نحو النجوم. في هذا الغموض المتعلّق ببحث النفس عن الواقع الحقيقي، يمثّل السنطور التعليمات. كلمة "تعليمات" هي كلمة غريبة. ماذا على الإنسان تعلمه؟ كيف عليه التعلم؟ كيف يعرف بأنه تعلّم؟ يقول سقراط بأن القدرة على تلقي التعليمات هي القدرة على تقبّل التوبيخ. الفرد الحساس جداً تجاه أي انتقاد يتناول طريقة تفكيره، والغير قادر على تغيير مواقفه، والذي يعتبره مهم جداً أن يبقى كما هو بدلاً من تقبل الإرشاد، لم يتعلم أبداً سرّ التعليمات. التعليمات هي النتيجة الحتمية لتواصل الإنسان المتنوّر مع الطبيعة، إن كانت طبيعة بشرية أو كونية. يمكننا تعلم شيئاً من أي إنسان آخر، حيث ليس هناك أي إنسان لا يعرف شيئاً نحن بحاجة إلى معرفته. بالطريقة ذاتها نستطيع التعلم من كل فرع من أفرع المعرفة، ليس بالضرورة تعليمات مباشرة بل استخلاص رسالة عظيمة، الرسالة المتعلقة بالكونيات. بمكننا رؤية كل المعارف تتدفق من رحم الوعي الكوني، وأن السماء والأرض والهواء تعلّمنا دائماً وأبداً، وأن شروق الشمس وغروبها تعلمنا دائماً وأبداً، وأن كل شيء يحصل في الطبيعة له رسالة، التنوّع والاختلاف والمشاكل والأحزان والمسؤوليات.. إلى آخره، هذه هي

تعاليم السنطور. هو الحياة والطبيعة اللتان تعلمانا لأن نكون أبطال. البعض قد يرفض هذا المعلّم لأن جسده جسد حصان، وآخرون يقولون بأن المعلّم ذاته هو مجرّد مخلوق غير كامل جاء من ظلامه الخاص. لكن الطبيعة هي كذلك، هي إله بجسم حصان.. الطبيعة هي المعلّم. هي تعلمنا كل من الطريقة البشرية والطريقة الإلهية. هي تعلمنا سرّ وجودنا الحيواني وبنفس الوقت مرتبتنا الكونية. أن نكون متقبلين وقادرين على تمييز التعليمات ورؤية المعلّم الكوني في أبسط الأشخاص أو ربما في أحد أولادنا الصغار، يعني أننا نستطيع فعلاً استيعاب التعليمات.

وراء برج التعليمات يقبع برج الجدي العريق. قسم منه سمكة والقسم الآخر تيس. السمكة تمثّل بيئة الوادي المنخفض والجدي يمثّل البيئة الجبلية المرتفعة. وبالتالي يرمز هذا البرج إلى العقلانية الأبدية للإنسان، حيث في كافة الأحوال على الإنسان أن يكون متعقّل ومتدبّر وحذر ولبيب. عليه أن يكون في حالة حذر دائمة من خطر الإفراط وتجاوز الحدود. عليه إدراك أنه حتى الفضيلة المبالغ بها تصبح رذيلة. عليه البحث عن الاعتدال وضبط النفس اللذان يجعلان العقلانية طبيعية ومنطقية. الفرد العقلاني هو الذي لا يبالغ في تقييمه للأمور ولا يستقلّ في تقييمه للأمور. لا يبالغ في تقدير قوته ولا في تقدير ضعفه. لذلك فإن للعقلانية صلة بتقدير الذات. ورمز الجدي/السمكة يروي لنا حكاية الإنسان وعقلانيته، حارساً الأجزاء العليا والدنيا لكينونته. من خلال الجمع بين انخفاض الوادي وعلو الجبل يصبح رمز الجدي مثلاً للنهايات المتعاكسة للشيء والتي وجب جمعها بواسطة العقلانية. وجب على الإنسان أن لا يرتفع كثيراً ولا ينخفض كثيراً. وهذه هي المسألة التي تعالجها العقلانية، حيث تجعل الإنسان لا يرتفع كثيراً ولا ينحدر كثيراً. ومهما كانت الجهة التي يتوسع نحوها، عليه دائماً أن يسعى إلى تجنّب التبعات الوخيمة للإفراط، وهذا يتطلّب العقلانية. فهذه الأخيرة تمنعه من النمو أكثر من حدود استطاعته. إحدى أهم المشاكل الناتجة من عدم العقلانية في حالة النمو هي مبالغة الفرد في تقييم إنجازاته، فيسرع إلى الأمام متلهفاً ويتحمّل مسؤوليات ومهمات أكبر بكثير من مستوى معرفته أو مستوى تحمّله فيلاقي في النهاية الكارثة الحتمية. لا تبالغ أبداً في تقييم نفسك.. لا تقلّل أبداً في تقييم خصمك.. لا تبالغ أبداً في تقدير ما تعرفه وتقلّل في تقدير ما تجهله. أبقى معتدلاً ومكرّماً ومتعقلاً في كل الأمور، استخدم ما تعرفه وطوّر نفسك في ما لا تعرفه، وسوف تجد في النهاية أمان كبير، تكامل كبير، بحيث تستطيع العيش مع نفسك دون شكوك. إذا كنت متعقلاً ومنطقياً سوف تتمتع بالإيمان بنفسك، لأنك على يقين بأنك حذر ومتيقظ وعقلاني في تصرفاتك.

البرج الحادي عشر هو حامل دلو الماء، يحمل على كتف الوعاء الذي ينسكب منه سيولة غريبة من الطاقة الكهربائية، هذا الرمز يوحي للباحث عن الحقيقة خلال سعيه للنمو إلى الإدراك الأبدي برغبته في بناء عوالم أفضل وطرق حياة أفضل للآخرين. لذلك فإن هذا الرج متصل بالطموح، والطموح يمثّل رمال متحرّكة غريبة. مرّة أخرى، على الإنسان مصارعة غيلان الوهم، حيث أينما يوجد فضيلة هناك وهم ملتفّ حولها. وكما قال أحد الفلاسفة التجاوزيين: في المروج الجميلة للعالم النجمي كل زهرة لديها أفعى سامة تلتفّ حول ساقها، ومجرّد أن قطفت الزهرة سوف تلدغك الأفعى. الطموح يشبه هذه الحالة. جميعنا نرغب في بناء عالم أفضل. نرغب في خلق ذلك العصر الذهبي الذي نبحث عنه دائماً. نحن نسعى إلى تحقيق مدن فاضلة ومجتمعات مثالية لكننا نعلم في أعماقنا بأن هذا مستحيل. نسعى إلى إلهام الآخرين برؤيا يعجزون عن استلهامها. نحن نتطلب من الآخرين التفهّم الذي يعجزون تقديمه. نجد العالم بأنه غير مثالي فنكتفي بإعلان الحرب عليه لكن دون فعل شيء. نحن نرفض المجتمع لأننا لا نؤيّده. وإذا فشل هذا المجتمع في الارتقاء إلى مستوى مثاليتنا العليا نذمّه في قلوبنا. وراء الطبقة الرقيقة لحب الآخرين نقع في حالة انتقاد واستنكار وأفكار تدميرية خفية، وجميع نفوسنا الطموحة هي في الحقيقة غير اجتماعية لأنها لم تفهم جيداً هذا العالم الذي تحاول مساعدته. لم تدرك بأننا جميعاً نتعامل مع أطفال، نحن نتعامل مع أطفال جيّدين وليس بالغين سيّئين. نتعامل مع أولئك الذي يعجزون معرفة أكثر مما يفعلون. وعلينا تحقيق أحلامنا حول العوالم الأفضل بناء على واقع الأشياء كما هي. علينا إدراك حقيقة أن التقدم هو عبارة عن خطوات بطيئة ومتأنية، وإذا اتخذنا خطوة واحدة بطريقة حكيمة سوف نرقّي العالم بطريقة أفضل من إذا كنا نتسارع إلى الأمام طالبين منه أن يتبعنا لكنه في الحقيقة لا يستطيع اللحاق بنا. لذلك على الطموح أن يكون متناسباً مع الإمكانيات المتوفرة، إن كانت إمكانياتنا أو إمكانيات الآخرين. إذا كان طموحنا كبير جداً فلا يمكننا أن نحققه وهذا يسبب الألم في نفوسنا. عندما ندّعي الفضيلة التي نعجز عن تطبيقها بأنفسنا فهذا سوف يجرحنا، وبالتالي على ادعاءاتنا أن تكون أكثر تواضعاً واعتدالاً. علينا دائماً أن نطمح نحو المرحلة القادمة فقط، أي التقدم خطوة خطوة، وإدراك حقيقة أن الرحلة الكبرى للحياة هي مؤلفة أصلاً من خطوات متسلسلة وليس قفزة واحدة. عندما نفهم ذلك سوف نتمكن بعدها من تحمّل كل شيء نعيشه في حياتنا الدنيوية.

نصل الآن إلى ذلك البرج الذي يرمزون له بالسمكتين، وهو برج الحوت. لقد جعله الحكماء القدامى رمزاً للصبر، وهو فضيلة يواجه معها الإنسان الكثير من المشاكل. كما يرمز إلى

التواضع، ويمثّل أمر سهل إذا كان الإنسان صبوراً. إذاً الصبر والتواضع والتوازن هي سمات تنتمي إلى هذا البرج، حيث غاية وجوده هي تعليم الإنسان سرّ التحمّل، إذ مع برج الحوت يأتي الطوفان الذي يمسح بطريقه كل شيء. لكن بعد الطوفان يأتي سماء جديدة وأرض جديدة. برج الحوت ينتظر دائماً حصول القيامة. هو ذلك الذي زرع البذور في الأرض وعليه الانتظار بصبر حتى يكمل الرب العمل. في هذا البرج إذاً يتعلم الإنسان بأن هناك أشياء يستطيع فعلها وأشياء لا يستطيع فعلها. وأنه لأمر سليم وصحيح أن يكدّ الإنسان ويجتهد، لكن على أعماله أن تُتوّج بحيوية الكون. دون تدخّل الكون في أعماله لا يستطيع الإنسان تحقيق شيء. لا يستطيع الإنسان استعجال الآلهة ولا تأخيرها. يستطيع التحضير لتدخّلهم لكن عليه انتظار هذا التدخّل، كما زرع البذور وانتظار نموها برعاية الطبيعة. الصبر إذاً يعني أنه على الإنسان أن لا يبقى واهماً، لا يبقى مهزوماً.. لا يبقى يموت بقلب مكسوراً لأن الأمور لا تسير كما يتوقعها. الصبر يمنح منظور واضح وسليم لمشهد الحياة، الصبر هو الأمل بالنسبة لمن يتمتع ببعد النظر. هو الحل الوحيد للمسائل الكبرى التي وجب إنجازها. فهذه المسائل لا يمكن إنجازها قبل مجيء موعدها المناسب وليس المواعيد المتوافقة مع آمال وطموحات الدنيويين. انتظار الموعد المناسب يتطلب الصبر.

إذاً، الصبر والتواضع يختمان الخصائص التي تتسم بها الأبراج التي بدأ بخاصية الشجاعة في برج الحمل، وهذا يعني أن كل الشجاعة تنتهي في الصبر، وكل القوة تنتهي في التواضع. ثم تبدأ دورة الأبراج مرّة أخرى حيث التواضع يكشف عن الشجاعة، ويمنح الولادة لبدايات الأشياء. من الصبر يأتي نوع غريب من الشجاعة حيث هي لا تنتمي لهذا العالم. لذلك قال القدماء بأنه على الإنسان، خلال سيره عبر الدرب الذهبي للأبراج، أن يتعلّم كل هذه الأسرار. وعلينا اليوم تعلمها كما كان على القدماء فعل ذلك. ومن خلال تعلّمها نحافظ على النمط العظيم للدرب الذهبي المؤدي إلى الأعلى نحو السماء. وهذا الدرب سوف يستمر في التوجّه عالياً مهما كانت الأحوال.

قد ينطلق الإنسان العصري عالياً نحو الفضاء ويسافر إلى أبعد النجوم، لكنه لا يستطيع إدراك الدرب الذهبي الغامض المؤدّي إلى السماء الحقيقية، وبالتالي كل فتوحاته ستفشل.. كل اكتشافاته سوف تكون مخيّبة للأمل. كافة الفتوحات الدنيوية، إن كان فتح البلاد أو فتح الفضاء، هي جميعاً مخيّبة للأمل. فقط نوع واحد من الفتح هو الأصيل، وهو فتح العالم الداخلي للنفس، والاكتشاف الحقيقي هو اكتشاف ذلك المحجوب في الأعماق التجاوزية للكينونة.

هكذا نكتشف بأن الفلسفة وعلم الفلك والدين تشكّل جميعاً منهج واحد بالنسبة للقدماء، لكن مع انحدارها عبر العصور تعرّضت للإنقسام والتشويه مما أدى إلى وصولها إلينا بهذه الصيغة المفتتة والمحرّقة. كان القدماء ضليعين جداً في علم النفس، يمكننا لمس هذه الحقيقة من خلال طريقة تناولهم لمقومات النفس البشرية. نستطيع الاستفادة من أساطيرهم إذا فهمناها جيداً وطبقناها على أنفسنا. من خلال ذلك نستطيع فهم رحلة الإنسان عبر الدرب الذهبية للأبراج الفلكية واكتشاف أسرارها العظيمة. هذه الدرب التي تقودنا إلى موطننا السماوي الأصيل. هذا يلخّص المفهوم الحقيقي وراء الفلسفة الفلكية/الدينية التي سادت في العالم القديم.

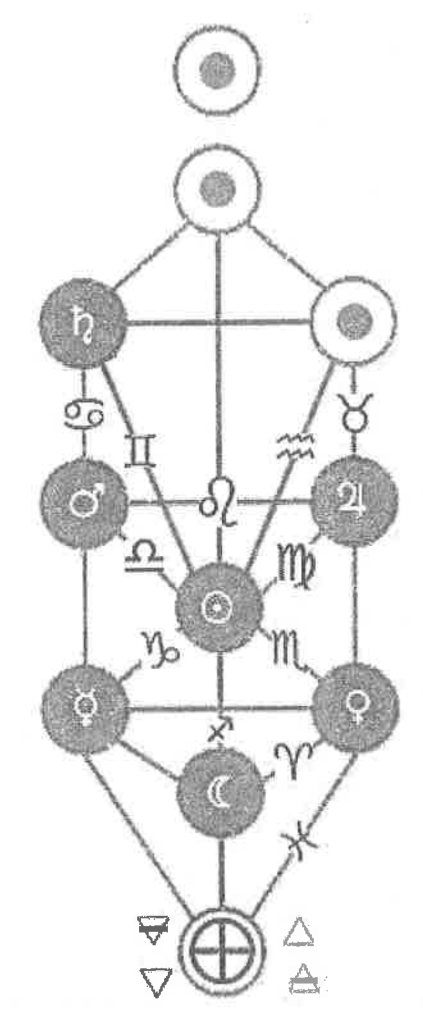
تعاليم شجرة الحياة

بعد تجلّيه بصيغة مادية تدنست الطبيعة النقية للإنسان بمجموعة من الملوثات الدنيوية التي قيّدتها وعطّلت توقها الباطني للحريّة والعودة إلى أصلها الحقيقي. لقد أدرك القدماء هذه الحقيقة وفهموها جيداً، وذلك من خلال التحليل السليم لآلية تجلّيه بحالته المادية (قصة الخلق) والتعرّف على القوى والطاقات التي مثلت موانع وقيود جبسته ضمن نطاق وجوده الدنيوي. وبناء على هذه المعرفة الدقيقة أنشؤوا منهج تدريبي خاص يساعد الإنسان على الانعتاق من هذه الحدود الدنيوية التي تعيق خلاصه.

اتطلعنا في الفصول السابقة على مجموعة من التعاليم المتنوعة التي توصل الإنسان إلى الخلاص، إذ نجد تعاليم تعالج الطبيعة السباعية للإنسان، وأخرى تعالج طبيعته الرباعية وأخرى تعالج طبيعته الاثنى عشرية.. إلى آخره. لكن يبدو واضحاً أن هذه التعاليم الفلسفية ليست مكتملة، حيث تم تحريفها أو تشويهها أو تجزئتها خلال انحدارها إلينا عبر العصور..

لكن هناك منظومة فلسفية واحدة يمكن استخدامها كمرجع أساسي لكل التعاليم الباقية، إنها منظومة تعاليم شجرة الحياة. فهي تجمع بين كل تلك الفلسفات المتنوعة، حيث تشمل كافة التعاليم المتعلقة بالمبدأ الرباعي ومبدأ القطبية والمبدأ السباعي والمبدأ الاثنى عشري وهي موزعة بطريقة منظّمة في مخطط الشجرة بحيث يستخدمه المريد كسلّم مجدي ومتين يتسلق عبره إلى موطنه السماوي الأصيل الذي انبعث منه. لقد أثبتت منظومة تعاليم شجرة الحياة جدواها بشكل عملي في مساعدة الإنسان خلال سعيه إلى الخلاص.

ارتبطت منظومة تعاليم شجرة الحياة بشكل وثيق بفلسفة القبالة، وهذه الأخيرة أصبحت تُنسب حصراً إلى أصول عبرية يهودية، لكن الحقيقة ليست كذلك، حيث تعاليم شجرة الحياة هي تعاليم عالمية وكانت سائدة بين كافة الحضارات الذهبية التي ازدهرت ما قبل التاريخ في كافة أرجاء العالم. واليهود جائوا بها من العبرانيين الذين يرتبطون بصلة وثيقة مع كهنة مصر القديمة.



شجرة الحياة بمقاماتها الممثلة للكواكب السبعة والمسارات الممثلة للأبراج الفلكية

سوف نتعرف في الجزء التالي كيف جمعت تعاليم شجرة الحياة بين كل هذه الفلسفات المتعلقة بالمبدأ الرباعي ومبدأ القطبية والمبدأ السباعي والمبدأ الاثنى عشري وكيف يستخدمها المريد كسلّم يتسلق عبره إلى موطنه السماوي الأصيل الذي جاء منه.

نور على الدرب

ظهر مخطوط صغير لأوّل مرّة إلى العلن بعد نشره عام ١٨٨٥م وقد تُرجم من اليونانية القديمة إلى الإنكليزية ويُزعم بأن المخطوط اليوناني يعود للفيلسوف إيامبليكوس. وتعتبره الجمعية الثيوسوفية من بين المخطوطات الثلاثة الأكثر أهمية في أدبياتها. ظهر المخطوط بعنوان "نور على درب" LIGHT ON THE PATH، وقد تبيّن أنه يحوي ذات العبارات التي تحويها مخطوطات مشابهة جاءت من مراجع مختلفة أهمها مصر والهند. وضع المخطوط بهدف إرشاد المريد عبر خطوات متتالية خلال تقدمه في الدرب نحو الانعتاق والتنوّر. هذه الخطوات المتسلسلة هي ذاتها التي كانت تُلقّن للمريدين في معابد مصر القديمة (المحافل الأخوية التي تحوّلت مع الزمن لتتخذ هيئة محافل ماسونية مختلفة). وهي الخطوات ذاتها التي كان يلقّنها المعلمون لتلامذتهم في الهند عبر الأجيال. ويزعم الثيوسوفيون بأنه ظهر في الهند بهيئة مخطوط سنسكريتي وكان عبارة عن مجموعة من أوراق شجرة النخيل ومكتوب على كل منها ثلاثة أسطر فقط. لكن يبدو واضحاً أن هذا المخطوط أقرب إلى المنهج المصري من الهندي وهذا ما يدعيه الماسونيون. على أي حال، الجميع اتفق على أن هذه المجموعة من الإرشادات المقتضبة تعود إلى تاريخ غابر لا يمكن تحديده بسبب بعده الزمني السحيق.

يُعتبر هذا المخطوط مرجع مهم جداً بين الروحانيين والمتصوفين والعاملين عموماً في مجال العلوم التجاوزية. لقد حجب مؤلفه معاني القوانين بطريقة مألوفة جيداً لدى المتصوفين الباطنيين لكنها لا تعني شيئاً بالنسبة لجاهل الحقيقة إذ تبدو له مجموعة من المتناقضات المجرّدة من المنطق. لكن بالنسبة لمن استرقَ لمحة ولو بسيطة من نور الحياة الداخلية سوف تبدو له محتويات المخطوط كنزاً من الجواهر النادرة، وكل مرّة يقرأ فيها المخطوط يجد مجموعة من الجواهر الإضافية.

أوردت المخطوط في الصفحات التالية بالصورة المختصرة التي نُشر فيها لكنني سوف أخصص له كتاب خاص ليتسنى لي شرحه بالتفصيل وتبيان معانيه الخفية. لقد اجتهد الكثير من المفكرين الصوفيين في شرحه ونشرت أعمالهم مثل المعلّم الشهير "أوشو" Osho (كتابه بعنوان: The New Alchemy to Turn You On) والكاتب الشهير "وليام أتكنسون" William Walker Atkinson (كتابه بعنوان: Advanced Course in Yogi Philosophy) لكن أعتقد بأنه يتطلب المزيد من الشرح

الإضافي. سبب ذكري لهذا المخطوط بهذه الطريقة المقتضبة يتعلّق بتوضيح فكرة مهمة وجب استيعابها جيداً ولها صلة وثيقة بالموضوع الرئيسي لهذه المجموعة من الكتب (من نحن؟) وسأشرحها لاحقاً بعد الانتهاء من ذكر المخطوط.

الجزء الأوّل

هذه القواعد مكتوبة لكل المريدين، توجّه إليها باهتمام.

قبل أن تتمكن العيون من الرؤية، عليها أن تصبح عاجزة عن ذرف الدموع. قبل أن تستطيع الأذن أن تسمع، عليها أن تفقد حساسيتها. قبل أن يستطيع الصوت الكلام في حضور الأسياد، عليه أن يفقد قدرته على الجرح. قبل أن تتمكن الذات من الوقوف في حضور الأسياد، وجب أن تكون قدميها قد غُسلت بدماء القلب.

١ ــ اقضي على الطموح.

ملاحظة: الطموح يمثّل اللّعنة الأولى. الوسواس الأكبر بالنسبة للإنسان الذي يصعد فوق أقرانه. هو يمثّل أبسط أشكال السعي وراء المكافأة. دائماً ما يقود العقلاء من أصحاب العلم والسلطة بعيداً عن إمكانياتهم الأصيلة الأكثر سموا. لكنه رغم ذلك يُعتبر معلّماً ضرورياً. فنتائجه تتحوّل في النهاية إلى غبار ورماد في الفم. هو كما الموت والجفاء، يبيّن للإنسان في النهاية أن العمل من أجل الأنا هو عمل من أجل خيبة الأمل. لكن رغم أن هذه القاعدة الأولى تبدو بسيطة وسهلة إلا أنه وجب عدم العبور عليها باستخفاف. فهذه العيوب العائدة للإنسان العادي تمرّ في عملية تحول خفيّة ثم تعود لتظهر بمظهر مختلف في قلب المريد. إنه من السهل القول "سوف لن أكون طموحاً"، لكنه ليس من السهل القول "عندما يكشف السيّد عن قلبي سيجده طاهراً تماماً". الفنان الذي يعمل بدافع حب عمله يكون أحياناً أكثر ثباتاً على الدرب الصحيح من المريد التجاوزي الذي يتوهّم بأنه ألغى اهتمامه بنفسه لكنه في الحقيقة لم يعمل سوى على توسيع حدود اختباراته ورغباته، وحوّل اهتمامه نحو الأشياء المتعلقة بحياته الكونية ذات النطاق الأوسع. المبدأ ذاته ينطبق على القاعدتين التاليتين اللتين تبدوان بسيطتين أيضاً. تأنّى في النظر بها ولا تسمح لنفسك أن تنخدع بسهولة من قبل قلبك. حيث الآن، عند وقوفك على العتبة، يمكن للخطأ أن يُصحّح. لكن إذا حملته معك بعيداً سوف ينمو ويثمر وسوف تتعذّب كثيراً ومريراً خلال اجتهادك في تدميره.

٢ ـ أقضي على الرغبة في الحياة.

٣ ـ أقضي على الرغبة بالمتعة.

٤ ـ لكن اعمل بحماسة كؤلئك الذين يعملون بدافع الطموح. احترم الحياة كؤلئك الذين يحترمونها بدافع الرغبة بها. كن سعيداً كؤلئك الذين يعيشون من أجل المتعة.

ابحث في قلبك عن مصدر الشرّ واقتلعه. فهو يعيش مثمراً في قلب المريد المخلص كما في قلب الإنسان المحكوم برغباته. فقط الأقوياء يستطيعون اقتلاعه. أما الضعفاء، فعليهم الانتظار حتى ينمو ويُثمر ويموت تلقائياً. إنه كالنبتة التي تعيش وتكبر عبر الأجيال. هي تُزهر فقط بعدما يكون الإنسان قد راكم في نفسه خبرات حياتية تعود لعدد لا يُحصى من التناسخات الدنيوية. على الذي يريد الدخول في درب القوّة أن يقلع هذا الشيء من قلبه. وسوف ينزف القلب بعدها، وكامل حياة الإنسان ستبدو أنها تلاشت تماماً. وجب تحمّل هذه المحنة القاسية. يمكن أن تحصل في الدرجة الأولى من السلّم المحفوف المؤدّي أخيراً إلى طريق الحياة. ويمكن أن لا تحصل حتى بلوغ الدرجة الأخيرة من هذا السلّم. لكن تذكّر أيها المريد بأنه وجب تحمّل هذه المحنة، وثبّت كامل طاقات ذاتك على هذه المهمّة الشاقة. لا تعِش في الحاضر ولا في المستقبل، بل في الأبدية. هذه النبتة العملاقة لا تستطيع العيش هناك. هذه اللطخة الوجودية سوف تُمسح تماماً بعد الدخول في مناخ التفكير الأبدي.

٥ ـ أقضي على كل إحساس بالانفصال.

ملاحظة: لا تتوهم بأنك تستطيع الوقوف معزولاً عن الإنسان السيّء أو الأحمق، فهما يمثلان نفسك لكن بأقل درجة من صديقك أو سيّدك. لكن إذا سمحت لفكرة الانفصال عن أي شيء أو شخص شرير تنمو في داخلك فبذلك تكون قد خلقت كارما، وهذه بدورها سوف تربطك قسراً بذلك الشيء أو الشخص حتى تتعلّم ذاتك بأنه لا يمكن عزلها عن باقي الأشياء. تذكر أن خطايا العالم وعيوبه هي ذاتها خطاياك وعيوبك، إذ أنت جزء منه. فالكارما الخاصة بك هي متشابكة تماماً مع الكارما العُظمى. وقبل أن تحوز على المعرفة عليك أن تمرّ على كافة الأماكن، القذرة والنظيفة معاً. لذلك تذكر أن الثوب المتّسخ الذي تنفر من لمسه قد يكون عائداً لك في البارحة، أو سوف يعود لك غداً. وإذا جفلت منه باشمئزاز عندما يُطرح على كتفيك فسوف يكون أكثر التصاقاً بجسمك. الإنسان الواثق من نفسه يصنع فراش سريره من الوحل. حافظ على نظافة الجسد لأنه من الصواب أن يكون كذلك، لكن ليس لأنه مفروض على نفسك أن تكون نظيفة.

٦ـ اقضي على كل شهوة حسيّة.

٧ـ أقضي على التوق للنمو.

٨ـ بل قف وحيداً ومعزولاً، لأن لا شيء متجسّد في هذا العالم المادي، ولا شيء يعيش منفصلاً عن باقي الخلق، ولا شيء خارج نطاق الأبدية، يستطيع مساعدتك.

تعلّم من الشهوات الحسيّة وراقبها، لأنه فقط بهذه الطريقة تستطيع الشروع إلى تعلّم المعرفة الذاتية وزرع قدمك على أوّل درجة في السلّم. أنمو كما تنمو الزهرة، دون وعي، لكن متلهّفة إلى الانشراح عالياً نحو الهواء الطلق. هكذا وجب عليك الاندفاع إلى الأمام لتنشرح ذاتك نحو الأبدية. لكن على الأبدية أن تجتذب قوتك وجمالك، وليس العكس حيث تكون مدفوعاً من قبل رغبتك في النمو. ففي الحالة الأولى تتطوّر في جزالة الصفاء والنقاوة، بينما في الحالة الثانية تقسى وتتصلّب بفعل قوة تفاعلك مع المكانة الشخصية.

٩ـ ارغب فقط بما يكمن في داخلك.

١٠ـ ارغب فقط بما هو متجاوز لذاتك.

١١ـ ارغب فقط بما يستحيل إحرازه.

١٢ـ فبداخلك يكمن نور العالم. النور الوحيد الذي يمكن أن يضيء الدرب.

إذا كنت عاجزاً عن إدراكه بداخلك فمن غير المجدي البحث عنه في أي مكان آخر. إنه يتجاوز ذاتك، لأنه عندما تحرزه تكون قد فقدت ذاتك. يستحيل إحرازه، لأنه يتراجع دائماً وأبداً أمام تقدمك نحوه. يمكنك أن تدخل إلى مجال النور، لكنك لن تلمس شعلته الملتهبة أبداً.

١٣ـ ارغب في القوة بحماسة.

١٤ـ ارغب في السلام باحترار.

١٥ـ ارغب باقتناء الممتلكات أكثر من أي شيء آخر.

١٦ـ لكن وجب أن تكون هذه الممتلكات عائدة للذات النقيّة فقط، ولكونها مملوكة من قبل كل الذوات النقية الأخرى بالتساوي، فهي بالتالي تمثّل ممتلكات خصوصية للـ"كلّ" بعد أن تتوحّد أجزاءه.

التوق إلى هكذا ممتلكات على أنها تعود للذات النقية يجعلك تراكم الثروة لحساب روح الحياة الموحّدة، والتي تمثّل نفسك الحقيقية الوحيدة. أما السلام الذي عليك أن ترغبه فهو ذلك السلام المقدّس الذي لا يمكن لشيء إزعاجه أو تعكير صفاءه، والذي تنمو الذات برحابه كما تفعل الزهرة المقدسة في البحيرة الساكنة. أما القوّة التي وجب على المريد اشتهاءها فهي تلك التي تجعله يبدو لا شيء في عيون الناس.

١٧ـ انشد الدرب.

ملاحظة: ربما تبدو هاتين الكلمتين واهيتين جداً لتمثلان قاعدة قائمة بذاتها. قد يقول المريد، هل علي دراسة هذه القاعدة أصلاً؟ ألم أسعى الآن ناشداً الدرب؟ لكن وجب عدم المرور على هذه القاعدة باستخفاف. تأنّى قليلاً وتفكّر لبرهة. هل ما ترغبه هو الدرب فعلاً؟ أم هناك أفكار خفيّة في أعماقك تصورك وأنت ترتقي عالياً وينتظرك مستقبلاً مجيداً؟ كن حذراً. أنت تسعى ناشداً الدرب من أجله هو فحسب، وليس من أجل قدميك التي تسير عليه.

١٨ـ انشد الدرب من خلال الانطواء إلى الداخل.

١٩ـ انشد الدرب من خلال التقدم بجرأة في الخارج.

٢٠ـ انشده ليس عبر طريق واحد فحسب. إلى كل من طبائعك المتعددة يوجد طريق خاص يبدو أكثر استحباباً.

لكن الدرب لا يمكن إيجاده عبر العبادة وحدها، ولا عبر التأمّل الديني وحده، ولا التقدم الحماسي وحده، ولا عبر العمل المتطلّب للتضحية الذاتية، ولا المراقبة المتمعّنة للحياة. ليس أي منها وحدها تستطيع التقدم بالمريد أكثر من خطوة واحدة إلى الأمام. كافة الدرجات مطلوبة ليتشكّل السلّم. سوف تتحوّل العيوب المختلفة للفرد إلى درجات مختلفة في السلّم، ويتم بعدها تسلّق السلّم عبر التغلّب عليها واحدة تلو الأخرى. فضائل الفرد أيضاً تمثّل درجات مختلفة، وضرورية، ووجب عدم عزلها في أي حال من الأحوال. رغم أنها تخلق مناخاً جميلاً ومستقبلاً سعيداً، إلا أنها تكون غير مجدية إذا كانت قائمة لوحدها. وجب التعامل بحكمة مع كامل الطبيعة الفردية من قبل كل من يرغب في دخول الدرب. كل إنسان يمثّل بالنسبة إلى ذاته الطريق والحقيقة والحياة. لكنه يكون كذلك فقط إذا سيطر على كامل مقومات شخصيته بإحكام، ويستطيع بفعل قوة إرادته

الروحية المستيقظة أن يميّز حقيقة أن هذه الشخصية لا تمثّل ذاته الفعلية، بل هي شيء خلقه على مضض لاستخدامه كوسيلة لتحقيق غايته الأساسية، إذ يعمل نموّه التدريجي على تطوير عقله ببطء بحيث يصبح قادراً في النهاية على الوصول إلى الحياة المتجاوزة للشخصية. عندما يعلم الفرد بأنه لهذه الغاية فقط وُجدت حياته الانفصالية المُركّبة، حينها بالفعل، وحينها فقط، يكون قد بدأ السير على الدرب. انشد الدرب عبر الغوص في الأعماق الغامضة والمهيبة لجوهر كينونتك. انشده عبر اختبار كل التجارب الحياتية، عبر استخدام الحواس من أجل فهم معنى الشخصية وآلية نموها، وجمال وغموض تلك الأجزاء المقدسة الأخرى التي تكافح معك جنباً إلى جنب، وتعمل على تشكيل العرق الذي تنتمي إليه. انشده عبر دراسة قوانين الوجود، وقوانين الطبيعة، وقوانين ما وراء الطبيعة. انشده عبر إحداث حالة تقدير عميق للذات تجاه تلك النجمة الباهتة التي تتوهّج بداخلك. وخلال مراقبتك المستمرة المصاحبة لتعبّدك، سوف يتنامى سطوع هذه النجمة فيقوى وهجها أكثر وأكثر. حينها تدرك بأنك وجدت بداية الدرب. وعندما تحرز آخر الدرب يصبح نور النجمة فجأة نوراً مطلقاً لا حدود له.

ملاحظة: انشد الدرب عبر اختبار كل التجارب الحياتية، وتذكر أنه عندما أقول هذا لم أقصد أن تخضع للإغراءات الحسيّة بحجّة التعرّف عليها. قبل أن تصبح مريد تجاوزي يمكنك فعل ذلك، لكن ليس بعدها. بعد أن تختار دخول الدرب لا يمكنك الإذعان لهذه الإغراءات دون الشعور بالخجل. لكن رغم ذلك تستطيع اختبارها دون الشعور بالرهبة. تستطيع موازنة هذه المسرات الحسيّة ومراقبتها واختبارها، وانتظر بصبر وثقة حتى تأتي الساعة التي لم يعد لها أي تأثير عليك. لكن لا تشجب الإنسان الذي يخضع لها. مدّ يدك إليه بصفته أخوك على الدرب لكن أُثقلت قدميه بالوحل. تذكر أيها المريد بأن الهاوية قد تكون كبيرة بين الإنسان الصالح والإنسان الآثم، لكنها أكبر بكثير بين الإنسان الصالح والإنسان الذي حاز على المعرفة. وهذه الهاوية عظيمة دون حدود بين الإنسان الصالح وذلك الذي وصل إلى عتبة الألوهية. لذلك كن حذراً كي لا تقيّم نفسك باكراً فترى نفسك مميزاً عن الناس. عندما تجد بداية الدرب سوف يكشف النجم بداخلك عن نوره، ومن خلال هذا النور ستكتشف كم هو عظيم ذلك الظلام الذي يشعّ وسطه. العقل والقلب والدماغ، كل هذه ستبقى مظلمة ومحجوبة حتى تكتسب أوّل المعارك الكبرى. لا تكن خائفاً أو مرتعباً من هذا المنظر، وابقي عينيك مركزتين على النور الواهن وسوف يكبر. لكن دع الظلام بداخلك يساعدك على فهم مدى عجز وبؤس أولئك الذين لم يشاهدوا أي نور، والذين يقبعون في كآبة عميقة. لا تلومهم، لا تجفل منهم، بل حاول أن ترفع بعض من أثقال الكارما الملقيّة على العالم. قدّم مساعدتك للأيدي القويّة القليلة التي تصدّ قوى الظلام ومنعها من تحقيق انتصاراً كاملاً. حينها تدخل في شراكة ملئها الفرح، والتي تجلب فعلاً مشقّة فظيعة وحزن عميق، لكنها تجلب أيضاً بهجة عظيمة ومتعاظمة دائماً وأبداً.

٢١ ـ ترقّب الزهرة حتى تتفتّح في ذلك السكون الذي يتبع العاصفة. ليس قبل ذلك.

سوف تنمو، سوف تتصاعد متفرّعة، سوف تشكّل أغصان وأوراق وتصنع براعم. كل ذلك مع استمرار العاصفة ودوام المعركة. لكن ليس قبل أن تذوب شخصية الفرد وتتلاشى تماماً، ليس قبل أن يمسك بها ذلك الجزء المقدّس الذي خلقها أصلاً كأداة لخوض التجارب والخبرات الدنيوية المهلكة. ليس قبل أن تستوي كامل الطبيعة الفردية وتصبح خاضعة تماماً للنفس العُليا، ليس قبل ذلك كله تتفتّح الزهرة. بعدئذ تأتي حالة سكون مشابهة لتلك التي تتبع المطر الغزير في بلد استوائية، حيث تعمل الطبيعة هناك بوتيرة سريعة تجعلها ملحوظة من قبل الفرد. هكذا يكون السكون الذي يأتي للروح المنهكة. وفي هذا الهدوء العميق تحصل تلك الحالة الغامضة التي تُكشف بأن الدرب قد وُجدت أخيراً. سمي هذه الحالة ما شئت من الأسماء، فهي صوت يتكلّم دون أن يكون هناك أي مُتكلّم. يمكن وصفها بحضور رسول. رسول مجرّد من أي شكل أو هيئة أو مادة. أو يمكن القول بأن زهرة الذات قد تفتحت. لا يمكن وصف هذه الحالة بكلمات. لكن يمكن الشعور بها، تحسسها، البحث عنها، الرغبة بها، حتى وسط هيجان العاصفة. يمكن لحالة السكون هذه أن تدوم للحظة من الزمن أو حتى لمدة ألف عام. لكنها ستزول في النهاية. مع ذلك سوف تبقى قوتها معك دائماً. سوف تخوض المعركة وتكسبها مرة بعد مرة، لأن الطبيعة لن تهدأ سوى لفترة وجيزة فقط.

ملاحظة: تفتّح الزهرة يرمز إلى اللحظة التي يصحو فيها الإدراك. معها تأتي الثقة والمعرفة واليقين. توقف الذات مؤقتًا يرمز إلى لحظة التعجّب، واللحظة التالية يملأها الرضا والإشباع والتي يُرمز لها بالصمت.

أعلم أيها المريد بأن أولئك الذين مرّوا عبر مرحلة الصمت واستشعروا سلامها واحتفظوا بقوتها يتوقون إلى أن تمرّ أنت عبرها أيضاً. لذلك، في قاعة المعرفة، عندما يتمكن المريد من دخولها، سوف يجد السيّد بانتظاره.

الذين يسألون سينالون. لكن رغم أن الإنسان العادي يسأل على الدوام إلا أن صوته غير مسموع. فهو يسأل بعقله فقط، وصوت العقل لا يُسمع سوى في ذلك المستوى الذي ينشط فيه. لذلك أقول، لا يمكن لأولئك السائلون أن ينالوا قبل المرور بنجاح على القواعد الواحد والعشرين المذكورة سابقاً.

القراءة بحواس تجاوزية يعني القراءة بعيون الروح. أن نسأل يعني أن نشعر بالتوق بداخلنا، يعني تلهّف الطموح الروحي. أن نستطيع القراءة يعني أن نحوز على أقل درجة من القدرة على إشباع توقنا وتلهّفنا. عندما يكون المريد مستعداً للقراءة حينها سيتم قبوله واستلامه وتقديره. هكذا وجب أن تكون الأمور، فهو قام بإشعال فانوسه ويستحيل بعدها أن يُحتجب هذا الفانوس. لكن يستحيل الاطلاع على المعرفة قبل اكتساب أوّل معركة كُبرى. يمكن للعقل أن يميّز الحقيقة، لكن لا تستطيع الروح استقباله. مجرّد أن تم المرور عبر العاصفة وإحراز السلام يصبح حينها ممكناً التعلّم، رغم أن المريد قد يتردد ويتذبذب ويدير وجهه جانباً. سيبقى صوت الصمت داخله مع أنه قد يتخلّى عن الدرب تماماً، لكن في أحد الأيام سيدوّي هذا الصوت بداخله ويمزّقه إرباً ويفصل رغباته الدنيوية عن إمكانياته الإلهية. حينها، رغم صرخات الألم واليأس من قبل نفسه الدنيا، سوف يعود.

لهذا أقول: "ليكن السلام معك". لا يمكن قول: "أمنح سلامي لك" سوى من قبل السيّد لمريده العزيز والذي يعتبره كنفسه. هناك البعض الذين يمكن أن تُقال لهم، حتى بين أولئك الذين يجهلون عن الحكمة الشرقية. يمكن أن تُقال لهم يومياً وبصيغة أكثر كمالاً وتماماً.

ما ورد في الجزء الأوّل من المخطوط يمثّل القواعد الأولى التي كُتبت على جدران قاعة المعرفة. الذين يسألون سوف ينالون. الذين يرغبون في القراءة سوف يقرءون. الذين يرغبون في التعلّم سوف يتعلمون.

ليكن السلام معك

الجزء الثاني

من رحم الصمت الذي هو سلام يصعد صوت رنّان. وهذا الصوت سيقول: ".. أنه ليس جيداً، لقد حصدت المحصول، والآن عليك زرع البذور..". ومع معرفتك بأن هذا الصوت يمثّل الصمت ذاته فسوف تطيع وتمتثل.

أنت الذي أصبحت الآن مريداً، قادراً على الوقوف، قادراً على السماع، قادراً على الرؤية، قادراً على الكلام، وسيطرت على رغباتك وأحرزت المعرفة الذاتية، وشاهدت ذاتك عندما أزهرت وتعرفت عليها، وسمعت صوت الصمت، توجّه الآن إلى قاعة المعرفة واقرأ ما هو مكتوب هناك من أجلك.

ملاحظة: القدرة على الوقوف يعني التمتع بالثقة بالنفس. القدرة على السماع يعني فتح أبواب النفس على مصراعيها. القدرة على الرؤية يعني إحراز قوة الإدراك. القدرة على الكلام يعني إحراز القدرة على مساعدة الآخرين. السيطرة على الرغبات يعني التعلّم كيفية استخدام والتحكم بالنفس. إحراز المعرفة الذاتية يعني الانطواء إلى الحصن الداخلي بحيث يمكن مراقبة الشخصية بتجرّد. مشاهدة الذات وهي تزهر يعني اكتساب لمحة وجيزة للتجلّي الحاصل بداخلك والذي سحوّلك في نهاية المطاف إلى ما هو أكثر من إنسان. أن تتعرّف على الذات عندما تُزهر يعني تحقيق المهمة الأكبر في التحديق إلى النور الساطع دون إغماض العينين نتيجة الإبهار والتراجع للخلف مذعوراً كما لو أنك أمام شبح مخيف. هذه الحالة الأخيرة تحصل أحياناً مع البعض فيخسرون المعركة بعد أن يكون النصر من نصيبهم.

سماع صوت الصمت يعني أن تفهم حقيقة أن الإرشاد الحقيقي الوحيد يأتي من الداخل. التوجّه إلى قاعة المعرفة يعني الدخول في حالة يصبح فيها التعلّم ممكناً. حينها سيُكتب الكثير من الكلمات من أجلك، وسوف تُكتب بأحرف نارية لكي يسهل عليك القراءة. حيث عندما يكون المريد جاهزاً يكون السيّد جاهز أيضاً.

١ــ قف جانباً في المعركة القادمة، ورغم أنك تقاتل إلا أنك لست المحارب الفعلي.

٢ــ ابحث عن المحارب بداخلك ودعه يقاتل عنك.

٣ــ خذ أوامره بخصوص المعركة وامتثل لها.

٤ــ لا تمتثل له وكأنه جنرال عسكري بل كأنه نفسك، وكلماته الملفوظة تمثّل تعبيرات لرغباتك الخفيّة.

هو يمثّل نفسك فعلياً، لكن حكمته وقوته غير محدودتين بالمقارنة معك. ابحث عنه جيداً، وإلا بسبب ضجّة المعركة وسخونتها وتسارع وتيرتها قد تمرّ به دون إدراكه. فهو لن يعرفك إلا إذا تعرّفت عليه أولاً. إذا وصلت صرختك إلى أسماع أذنيه فسوف يقاتل من خلالك ويملأ الفراغ بداخلك. وإذا تم هذا الأمر، ما عليك سوى دخول المعركة وخوضها ببرودة ودون كلل، والوقوف جانباً بينما هو يقاتل عنك. حينها سيكون مستحيلاً أن تضرب ضربة غير صائبة. لكن إذا لم تبحث عنه أو إذا مررت عليه دون إدراكه

فسوف لن يكون لديك من يحرسك ويحميك. رأسك سيترنّح وتنعدم الثقة في قلبك وستخونك حواسك ورؤيتك وسط غبار المعركة وتعجز حينها عن التمييز بين الأصدقاء والأعداء.

هو يمثّل نفسك فعلياً، لكن أنت محدود وقابل للخطأ، بينما هو غير محدود ونتائجه موثوقة. هو يمثّل الحقيقة الأبدية. مجرّد أن دخل إليك وأصبح محاربك سوف لن يهجرك بعدها أبداً، وفي يوم السلام العظيم سوف يندمج معك وتصبحان شيئاً واحداً.

٥ــ استمع إلى أنشودة الحياة.

ابحث عنها واستمع لها في قلبك أولاً. قد تقول في البداية بأنها غير موجودة، عندما أبحث عنها لم أجد سوى نشاز. لكن تعمّق أكثر في بحثك. إذا خاب أملك مرّة أخرى توقف ثم تعمّق أكثر. هناك لحن طبيعي، ينبوع خفي داخل قلب كل إنسان. قد يكون مخفياً ومحجوباً ومكبوتاً، لكنه موجود. في قاع قاعدة طبيعتك الحقيقية ستجد الإيمان والأمل والمحبة. الذي يختار الشرّ يرفض النظر إلى داخل نفسه، ويصم أذنه عن لحن قلبه، ويعمي عينيه عن نور ذاته. يفعل ذلك لأنه يجده أسهل أن يعيش منغمساً بالرغبات. لكن تحت كامل الحياة يجري تيار لا يمكن استشعاره. تلك المياه العظيمة موجودة فعلياً. جدها، وسوف تدرك بأنه حتى أكثر المخلوقات إرعاباً تمثّل جزءاً منه، لكنه يعمي نفسه عن هذه الحقيقة ويبني لنفسه شكلاً وهمياً خارجياً مرعباً. ما أقصد قوله لك هو حقيقة أن كل تلك المخلوقات التي تصارعها على الدوام هي عبارة عن أجزاء من الكيان الأسمى. والوهم الذي تعيشه هو مخادع جداً لدرجة أنه يصعب عليك التحزّر أين تستشعر الصوت الجميل في قلوب الآخرين. لكن أعلم بأنه في داخلك بكل تأكيد. ابحث عنه هناك، ومجرّد أن سمعته سوف تصبح قادراً على تمييزه أينما كان من حولك.

٦ــ خزّن في ذاكرتك اللحن الذي تسمعه.

٧ــ تعلّم منه درس التناغم والانسجام.

٨ــ تستطيع الوقوف شامخاً الآن، راسخاً كما الصخرة وسط الاضطراب الهائج، ممتثلاً للمحارب الذي هو ذاتك وسيّدك.

لا تكترث بخصوص المعركة بل فقط انتبه لإرشاداته، لم تعد تهتم بنتيجة المعركة لأن الأمر المهم هو يقينك بأن المحارب سوف يربح، وأنت على يقين بأنه لا يمكن أن يخسر. بالتالي قف هادئاً ومتيقظاً، استخدم حاسة السمع التي اكتسبتها بالألم وبعد القضاء على الألم. فقط أجزاء من الأنشودة تأتي إلى مسامعك بينما أنت لازلت إنسان. لكن إذا استمعت إليها تذكرها جيداً بحيث لا يضيع أي من الأجزاء التي

التقطتها أسماعك، ثم اسعى إلى التعلّم منها معنى اللغز الذي يحيط بك. مع الوقت سوف لن تحتاج إلى معلّم. إذ كما أن للفرد صوتاً، كذلك الحال مع ذلك الذي يقبع الفرد في رحابه. الحياة أيضاً لها صوت وتتكلّم وهي لا تسكت أبداً. كلامها ليس صراخاً كما تظنّ أنت الدنيوي الأصمّ، بل أنشودة. تعلّم منها حقيقة أنك جزءاً من حالة التناغم، تعلّم منها بأنه عليك الامتثال لقوانين التناغم.

٩ـ احترم جدياً كل الحياة التي تحيط بك.
١٠ـ تعلّم كيف تنظر بذكاء في قلوب البشر.

ملاحظة: أنظر إليهم من وجهة نظر مجرّدة تماماً، وإلا سوف يتلوّن المشهد لديك وتصبح متحيزاً. لذلك وجب استيعاب معنى التجرّد بشكل جيّد.

وجب أن يكون ذكائك غير متحيّز.. أي لا أحد عدوك، لا أحد صديقك. جميعهم سواسية، جميعهم معلّموك. عدوك يصبح لغز وجب حلّه، حتى لو تطلّب ذلك أجيال عديدة، إذ وجب على الإنسان أن يُفهم جيداً. صديقك يصبح جزءاً منك، امتداداً لنفسك، أحجية يصعب قراءتها. سيئاً واحداً فقط يصعب معرفته، وهو قلبك. ليس قبل حلحلة رابطات الشخصية يمكن بدء رؤية الغموض العميق للذات. ليس قبل أن تقف جانباً بعيداً عنها يمكنها حينها الكشف عن نفسها لك ووفق مستوى فهمك واستيعابك. حينها، وفقط حينها، تستطيع التقاطها وإرشادها. حينها وليس قبل حينها تستطيع استخدام كافة قواها وتكرّسها لخدمة غاياتك الجليلة.

١١ـ احترم جدياً قلبك وأكثر من أي شيء آخر.
١٢ـ حيث من خلال قلبك يأتي النور الوحيد الذي ينير الحياة ويجعلها واضحة أمام عينيك.

ادرس قلوب الناس بحيث تتعرّف على العالم الذي تعيش وسطه والذي تريد أن تصبح جزءاً منه. قيّم الحياة المحيطة بك والمتغيّرة والمتحركة على الدوام، حيث هي متشكّلة نتيجة قلوب الناس. وخلال سعيك إلى فهم تكوينها ومعانيها سوف تصبح قادراً في النهاية على قراءة العالم الأكبر للحياة.

١٣ـ يأتي الكلام مصحوباً فقط مع المعرفة. أحرز المعرفة وسوف تحرز القدرة على الكلام.

ملاحظة: يستحيل مساعدة الآخرين قبل أن تكسب ثقة معيّنة بنفسك. بعد تعلّم القوانين الواحدة والعشرين في الجزء الأول ودخول قاعة المعرفة وتكون قواك قد تطوّرت وحواسك الداخلية ثابتة حينها تدرك وجود ينبوع بداخلك بحيث يتدفق منه الكلام تلقائياً.

١٤ــ بعد إحراز استخدام الحواس الداخلية، بعد السيطرة على رغبات الحواس الخارجية، بعد السيطرة على رغبات النفس الفردية، بعد إحراز المعرفة، حضّر نفسك أيها المريد للسير على الدرب نحو العالم الحقيقي. لقد وجدت الدرب، حضّر نفسك للسير فيها.

١٥ــ استخبر من التراب والهواء والماء عن الأسرار التي تخبئها لك. إن تطوّر حواسك الداخلية سيساعدك على ذلك.

١٦ــ استعلم من أولئك المقدسين في الأرض عن الأسرار التي يخبؤونها لك. إن السيطرة على رغبات الحواس الخارجية ستمنحك الحق في فعل ذلك.

١٧ــ استجدي من الكنين الأعمق في كيانك، الواحد الأحد، السرّ النهائي والأخير الذي يخبئه لك عبر العصور والأجيال.

النصر الأصعب والأعظم، أي السيطرة على رغبات النفس الفردية، يُعتبر العمل العظيم، هو العمل الذي يُنجز عبر العصور. لذلك لا تتوقع اكتساب أي من ثمراته قبل مرور عصور على تراكم خبراتك أثناء تجلّياتك المتتالية. عندما يحين وقت تعلّم هذا القانون السابع عشر يكون الإنسان قد وصل إلى عتبة أن يصبح أكثر من إنسان.

١٨ــ المعرفة التي أصبحت بحيازتك هي كذلك لأن نفسك أصبحت واحدة مع جميع النفوس النقية وأيضاً مع الكنين الأعمق في كيانك.

إنها ثقة منوطة إليك من قبل الكائن الأعلى. إذا خنت الثقة، أي أسأت استخدام المعرفة أو تجاهلتها أو أهملتها، فسوف تسقط من تلك المرتبة العالية التي أحرزتها. لطالما سقط عظماء من هناك، حتى عند وصولهم العتبة، لأنهم عجزوا عن تحمّل عبئ المسؤولية الموكلة إليهم، فعجزوا عن متابعة التقدم. لذلك

أنظر إلى الأمام دائماً مع خشية ومهابة وتخوّف من هذه اللحظة الغادرة، وحضّر نفسك دائماً لهذه المعركة.

١٩ـ قُدّر لكل من وصل عتبة القدسية أن يتحرر من كل القوانين، وبالتالي لا وجود لإرشادات توجيهية هناك. لكن رغم ذلك، ومن أجل تنوير المريد، يمكن وصف تحضيره للمعركة النهائية بالإرشاد التالي: ".. تمسك جيداً بذلك الذي ليس له محتوى ولا وجود.."

٢٠ـ استمع فقط إلى الصوت الذي لا صوت له.

٢١ـ أنظر فقط إلى ذلك الذي يكون خفياً عن الحواس الخارجية والداخلية معاً.

ليكن السلام معك

نهاية المخطوط

في إحدى المراحل التي يحرزها المريد (في فقرة الإرشادات الأولى من الجزء الثاني) يوصف مؤلف هذا المخطوط كيف يظهر محارب من جوهر المريد ليستلم زمام الأمور ويخوض معركة الحياة بالنيابة عنه. على المريد أن يبحث عن هذا المحارب في داخله، أن يعترف بوجوده، فهو لا يظهر إلا إذا آمن بوجوده. يوصفه بأن حكمته وقوته غير محدودتين، وضربته صائبة دائماً. وإذا لم يبحث عنه ويجده فسوف يبقى المريد وحيداً في معركة الحياة، دون أي حراسة أو حماية. من هو هذا المحارب العظيم الذي يقبع في جوهرنا وينتظر اعترافنا به؟! ما هو السبيل الذي يساعدنا في التواصل معه؟ كيف نبحث عنه ونجده والتعرّف عليه وجعله يخوض معركة الحياة بالنيابة عنا؟ هل من سبيل آخر غير اتباع طريق الزهد والتنسك لاستنهاض هذا المحارب الخفي بداخلنا؟ في الحقيقة هناك وسائل كثيرة اتبعها القدماء لاستنهاض هذا الكيان الخفي بجوهر الإنسان وتسخيره لغايات مختلفة لكن مع الالتزام بأخلاقيات معيّنة بالإضافة إلى إجراء تغيير كامل في المنظومة الفكرية والاعتقادية للفرد، وهذا ما سوف نتعرف عليه في الجزء التالي.

الرسالة ذاتها في كل مكان وزمان

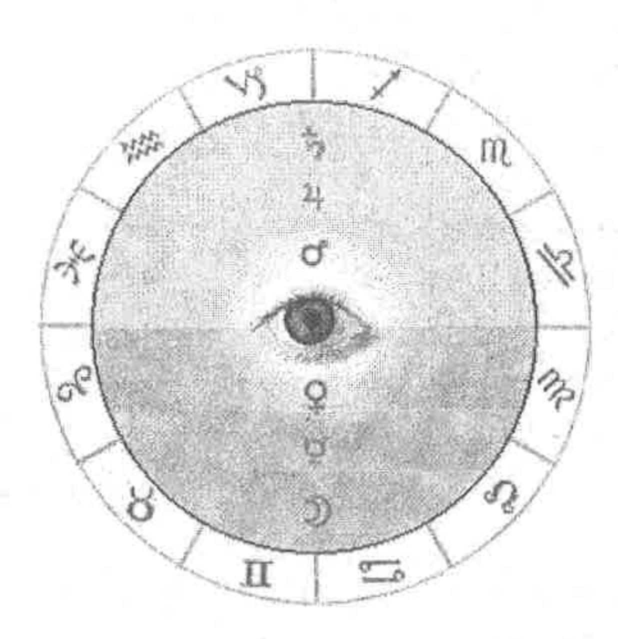
من كتابات الفلاسفة القدامى في كل الأعراق والحضارات، من أناشيد الشعراء من كافة الشعوب، من مواعظ الأنبياء من كل الأديان وفي كل الأزمان.. نستطيع جمع بقايا هذا التنوّر الذي أضاء كيان الإنسان.. هذا الانكشاف للوعي الروحاني الجليل. أحدهم عبّر عنه بطريقة معيّنة، والآخر عبّر عنه بصيغة أخرى، لكن جميعها في النهاية تروي نفس القصة. كل من اختبر هذا التنوّر، حتى بأدنى درجاته، أدرك التشابه الكبير بين تجربته الخاصة وهذه الرسالة أو هذه الفلسفة أو هذه المواعظ أو هذه الأنشودة، رغم القرون المديدة التي تفصلها عن بعضها.

هذه الرسالة متشابهة في كل زمان وكل مكان لأنها تمثّل أنشودة النفس، والتي مجرّد أن سمعتها مرّة سوف لن تنساها أبداً. رغم أنك قد تسمعها خارجة من أفواه شخصيات شبه همجية غير متحضّرة، أو من شخصيات مصقولة ذوي جودة عالية، لكن الأمر سيّان، حيث تبقى النبرات ذاتها ولن تفقد الرسالة معناها او رونقها أو تأثيرها.

قد تأتينا هذه الرسالة منبعثة من مصادر عديدة. قد تأتي كأنشودة جميلة من بلاد مصر القديمة، أو من بلاد الهند حيث لازالت تصدح ويتردد صداها عبر العصور، من فلاسفة اليونان وروما، من راهب مسيحي جليل قابع في صومعته في أحد الأديرة النائية، من متصوّف إسلامي مُكرّم يخطب في حضرة مريديه، من فيلسوف كنفوشيوسي أو طاوي في بلاد الصين، من أحد شعراء الهنود الأمريكيين خلال رواية إحدى مغامرات النبيّ الهندي البطل،... مهما كانت صيغة هذه الرسالة وكيفما تم إلقائها فسوف تبقى محافظة على ذات المضمون.

هذا المخطوط الصغير الذي عنوانه "نور على درب" يلخّص كامل الرواية. كافة التعاليم الروحية والفلسفية حول العالم، مهما كان نوع منهجها أو شكل شعائرها، تصبو نحو الهدف ذاته: الانعتاق من قيود الحياة المادية والانطلاق نحو عالم النور. لكن معظم المدارس الروحية أساءت تفسير التعاليم التي انتهجتها وراحت تمارس شعائر وتلتزم بفرائض منحرفة وبعيدة كل البعد عن الغاية الحقيقية. بخصوص الارتقاء الروحي وإحراز التنور فالأمر ليس بسيطاً كما نتصوره. إن الالتزام بفرائض معيّنة وممارسة شعائر محددة لا يكفي لإنجاز المهمة بل هناك المزيد.

كما رأينا في الفصول السابقة، فقد شبّه القدماء عملية الارتقاء الرّوحي بمصارعة الوحوش وهذا تعبيراً عن مدى صعوبتها لدرجة الاستحالة عند بعض الناس. إن مقاومة الإغراءات الدنيوية يشبه فعلاً مصارعة الجبابرة والمسوخ لأنها أكثر صعوبة مما نتصوره. لهذا السبب، لا أعتقد بأن الكثيرين سيهتمون بخوض هذا العمل الشاق لأن إنجازه يتجاوز حدود استطاعتهم، خصوصاً في هذا العصر المادي الاستهلاكي الذي لا يتمتع فيه الفرد بأي استقلالية فكرية أو روحية أو حتى غريزية، إذ جميعها واقعة تحت سيطرة الأبالسة القابعين في قمة هرم المنظومة العالمية، وبالتالي أنا واثق كل الثقة بأنه اليوم، ووفقاً لمفهوم الأساطير القديمة، لا يستطيع الفرد مصارعة فأرة! فما بالك تنين! الإغراءات الدنيوية التي يتعرض لها الإنسان العصري هي أكثر شراسة وقوة مما كان سائداً في الماضي وبالتالي فإن مقاومتها والتحرر منها يُعد من الأحلام صعبة المنال.



مثّل القدماء القوى الكونية خلال تجلّيها في الإنسان بصيغة دنيوية بالوحوش الشرسة التي وجب مصارعتها والتغلب عليها في سبيل الخلاص من سطوتها الطاغية



كل من الوحوش التي يواجهها البطل في الأسطورة يمثّل أحد القوى الكونية التي تمثّل عقبة فعلية في طريق الفرد إلى الانعتاق وبالتالي وجب عليه تجاوزها خلال كفاحه نحو الخلاص

لذلك، لا أتوقع من القارئ الكريم إيجاد مساحة كافية من الوقت (في هذا العصر السريع) لمحاولة السير في هذه الدرب الطويلة والشائكة والمضنية، لكني آمل بأن يستخلص حكمة عظيمة من المعلومات التي اطلع عليها في هذا الكتاب. هناك حقيقة رائعة وجليلة لا بد من أن يتعرف عليها بحيث تساعده في تغيير طريقة تفكيره إلى الأبد، كما تساهم في جعل حياته أكثر سهولة وبساطة وقابلة للعيش بسلام، يمكن تلخيص هذه الحقيقة بعبارة واحدة: ".. طريقة تفكيرك هي التي تصنع واقعك..". لكن السؤال هو: ".. ما هو السبيل المجدي الذي يؤدي إلى إجراء تغيير كامل في المنظومة الفكرية والاعتقادية للفرد لكي يحدث تغيير جذري في حياته اليومية؟..".

جميعنا نشأنا على الاعتقاد بأنه علينا الالتزام بفرائض معيّنة والابتعاد عن محرّمات محدّدة ليس لشيء سوى إرضاء رب السماوات. لقد صوّروه لنا بهيئة شخصية لئيمة وحقودة بحيث ليس لديه عمل سوى مراقبة أفعالنا وترقّب خطايانا لأنه متلهّفاً لمعاقبتنا. كيف يمكن لعاقل أن يتقبّل هذا الادعاء الملفّق؟! كيف يمكن لنا أن نسلّم بفكرة أن الإله الأعلى [جلّ جلاله] المسؤول عن إدراة مجريات الكون بكل تفاصيله هو سخيف لدرجة تجعله يجد متعة في مراقبة مجموعة تافهة من المخلوقات البشرية العالقة على هذا الكوكب الذي هو مجرّد حبّة من الغبار السديمي التائهة في رحاب الكون الواسع؟!



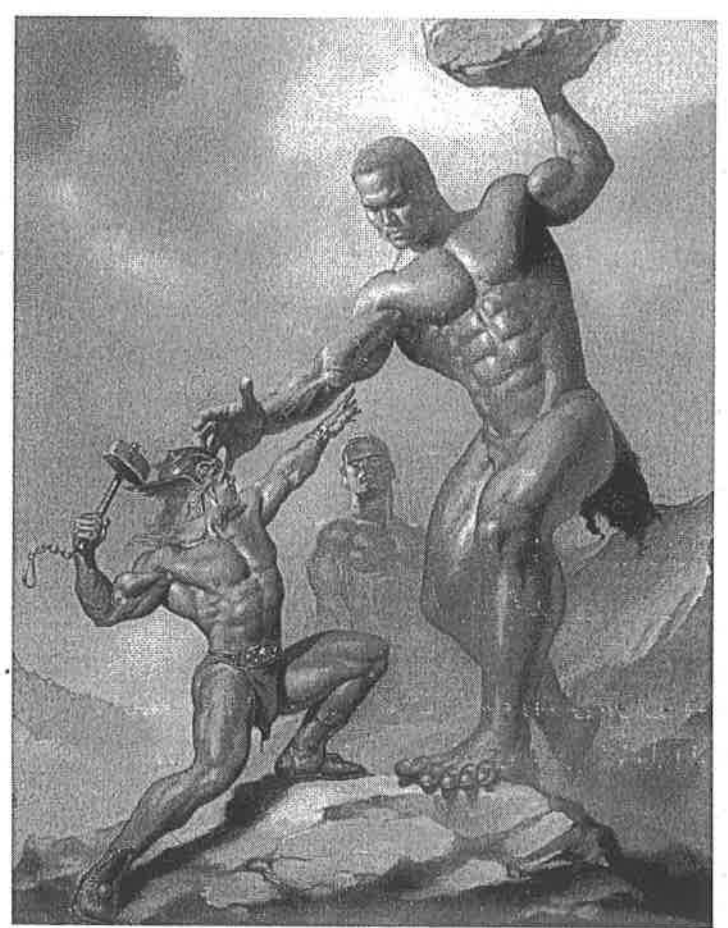
في التعاليم السريّة ليس هناك تهديد أو وعيد. ليس هناك مكافأة بالجنة أو معاقبة بالنار. ليس هناك سلطة سماوية لئيمة وحقودة. الكون محكوم بمجموعة من القوانين الواجب على الفرد مجاراتها لكي يسلم. هذا كل ما في الأمر. التعاليم السرية تضع المريد أمام مجموعة من الحقائق الكونية الثابتة، حقائق واضحة وجليّة بحيث لا جدال حولها، وما نعتبرها نحن محرمات وخطايا وفرائض مُلزِمة هي في التعاليم السرية نصائح وإرشادات لها أسبابها المنطقية والواقعية. التعاليم السرية لا تفرض شيئاً على أحد ولا تهدده بالامتناع عن شيء، بل تضع الفرد أمام تلك الحقائق الكونية وتقارنها مع سلوكه الدنيوي وتحدد مكامن الخطأ وتشير إلى سبب الخلل الحاصل في حياته الشخصية، فترشده إلى وسيلة ناجعة تمكنه من الخلاص من المتاهة التي أوقعته فيها رغباته الدنيوية وطريقة تفكيره الخاطئة وتوجيهه التربوي المنحرف.

كيف لك أيها الإنسان أن تخاف من ربّ السماء وأنت في الحقيقة جزء منه؟ كيف يمكنك أن تصدق كل تلك الأكاذيب التي جعلتك كائن ضعيف وغبي وبحاجة دائمة إلى توجيه وإرشاد؟! ما الذي جعلك أبله إلى هذه الدرجة التي تجهل فيها مدى عظمتك وقوتك الهائلة؟! هل تعلم بأنك المسؤول عن كل ما تواجهه من إحباطات وأحزان وخيبات في حياتك الشخصية؟ هل تعلم أن البهجة والنعيم هي أشياء قابلة للتجلّي في حياتك مجرّد أن عرفت كيف تضبط تفكيرك بطريقة صحيحة وسليمة؟

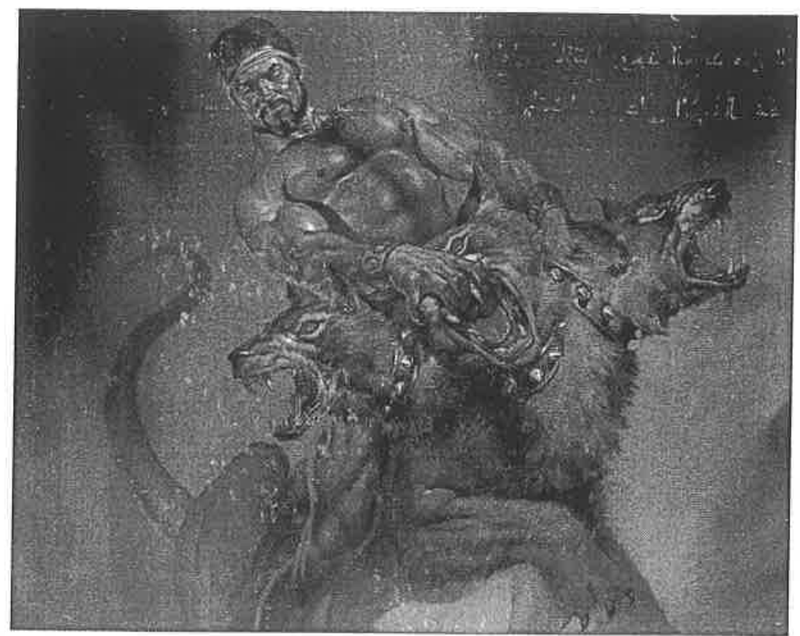
أنت من يقرر كيف تسير مجريات أحداث حياتك الشخصية. أنت الذي تخلق كل ما حولك من أشياء وأحداث وحالات وظروف. الأمر لا يتطلب الكثير، فقط التعرّف على سرّ هذه العملية الخيميائية التي تجريها في ذهنك ووجدانك، خصوصاً بعد أن أصبحت تملك كل المعرفة التي تمكنك من ذلك. وجب أن تعلم بأن كل فكرة تطرأ في ذهنك هي سبب بحد ذاته وكل حالة أو ظرف هو نتيجة حتمية لما تفكر به. كل القوة في الكون تنبع من داخلك وليس من الخارج. هذه القوة هي بكل تأكيد تحت سيطرتك، لكنها تتجلى وفقاً للمعرفة الحقيقية بمبادئ محددة والممارسة الصحيحة لتلك المبادئ. إذا أحرزت الاستيعاب الصحيح لهذه المعرفة واستطعت التحكم بمجرياتك الفكرية سوف تتمكن بعدها من صنع المعجزات.

إذاً، منظومتك الذهنية هي المسؤولة عن ما تعيشه وتختبره في حياتك الشخصية، وبالتالي فإذا حصل خطأ ما في حياتك فهذا يعود إلى طريقة أداء هذه المنظومة الذهنية. أي بمعنى آخر، وجب

إعادة برمجة طريقة تفكيرك بالكامل قبل إصلاح الخطأ في حياتك الشخصية. وهذه العملية طبعاً ليست سهلة إطلاقاً. قبل أن تعمل المنظومة الذهنية لديك بكامل طاقتها يوجد العديد من المعوقات والعقبات التي وجب إزالتها. هذه هي الوحوش التي صورتها الأساطير وعلى الأبطال مقارعتها والتغلب عليها.



البطل "ثور" Thor في أساطير الشعوب الاسكندينافية القديمة يواجه العمالقة، وهذا يرمز إلى المريد الذي عليه مواجهة ظروف الحياة الدنيوية القاهرة، والمطرقة المقدسة التي يتسلح بها دائماً ترمز إلى قوة الخلق والإبادة، هي القوة الضاربة التي تحسم مصير الأشياء في عقل الفرد، إما إزالتها تماماً من ذهنه (وبالتالي من مسرح حياته الشخصية) أو المحافظة على بقائها وتعزيزها والدفاع عن وجودها.



هرقل يصارع "سيربروس" Cerberus وهو كلب ثلاثي الرؤوس وله ذيل أفعى. يلعب في الأسطورة دور حارس العالم الأرضي، لكنه في الحقيقة يقبع في داخل كل إنسان دنيوي بحيث ترمز رؤوسه الثلاثة إلى الرغبات والشهوات والطموح الدنيوي، وذيل الأفعى يرمز إلى الأوهام الدنيوية التي تعيق التقدم في مسيرة التطور الروحي.

يوجد وعي واحد منتشر في كل مكان في الكون يحتل كل الفضاء ويتجلى جوهرياً بنفس الصيغة والنوع في كل نقطة من حضوره. هو كلّي القدرة وكليّ الحكمة وحاضر دائماً وأبداً في كل مكان وزمان. كافة الأفكار والأشياء تكمن ضمنه. هو "الكلّ" في الكل.

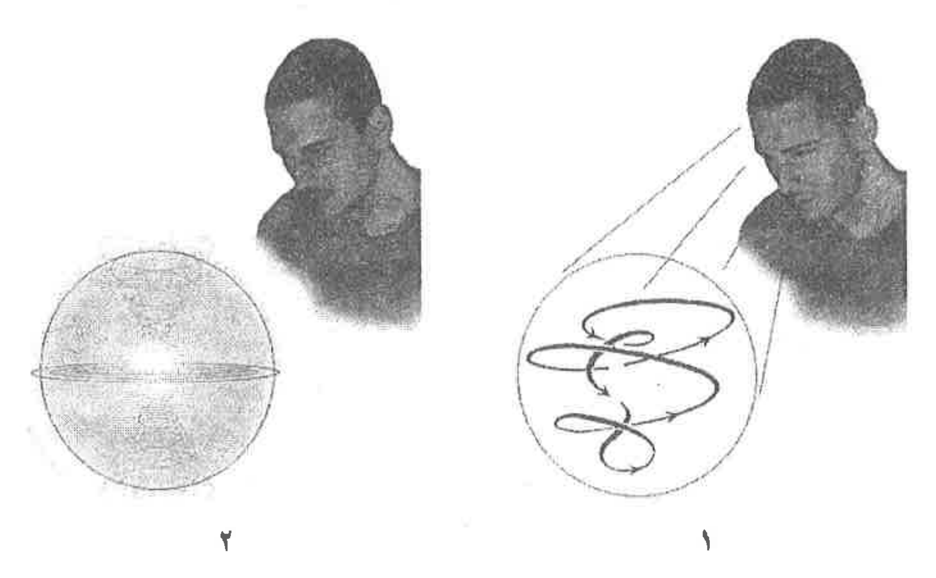
هذا الوعي الكوني الواحد قادر على التفكير، وعندما يفكّر تصبح أفكاره أشياء ملموسة بالنسبة له. بما أن هذا الوعي كليّ الوجود فلا بد من أن يكون حاضراً في كل فرد. لا بد من أن يكون كل فرد تجسيداً لهذا الوعي الذي هو كليّ القدرة وكليّ المعرفة وكليّ الوجود.

بما أن هذا الوعي الكوني يستطيع التفكير، فهذا يفرض بالتالي حقيقة أن الوعي لديك هو متماثل مع الوعي الكوني، أي بمعنى آخر، كل العقول هي أجزاء من عقل واحد شمولي. هذه حقيقة ثابتة لا يمكن تجاهلها، خصوصاً بعد أن أصبحت الطبيعة الهولوغرافية للكون مألوفة بالنسبة لنا.

الوعي الذي يتكاثف في كيانك هو ذاته الوعي الذي يتكاثف في كيان فرد آخر. كل فرد هو عبارة عن جزئية منفردة للعقل الكوني الشامل.

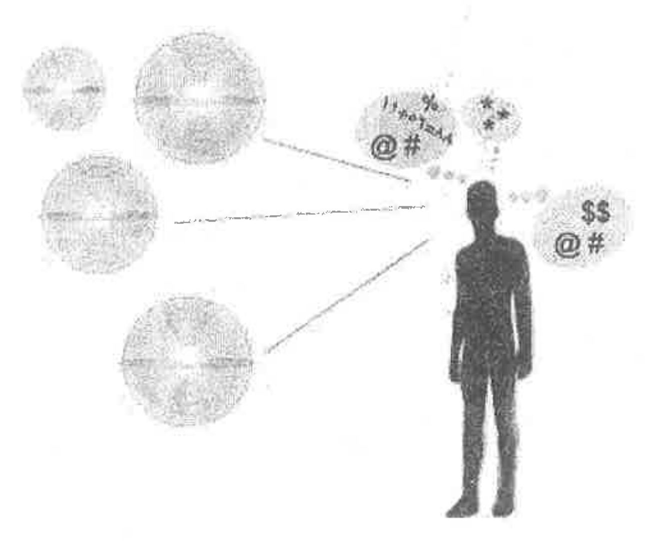
العقل الكوني هو طاقة كامنة في حالة سكون، هكذا يكون في حالته الطبيعية، لا يستطيع التجلّي سوى عبر الفرد، والفرد بدوره لا يستطيع التجلّي سوى من خلال العقل الكوني، كلاهما شيء واحد. إن قدرة الفرد على التفكير يعني قدرته على التفاعل مع العقل الكوني وإحداث حالة تجلّي للأفكار. يعتمد الوعي البشري جوهرياً على قدرته على التفكير. العقل هو طاقة ساكنة والفكر هو حركة هذه الطاقة الساكنة. الفكر إذاً هو عملية تحويل العقل الساكن إلى عقل متحرّك.

بما أن الخواص الرئيسية متضمنة في جوهر العقل الكوني، وهذه الخواص هي كليّة القدرة وكلية المعرفة وكليّة الوجود، فلا بد إذاً أن تكون حاضرة دائماً وأبداً في حالة كمون في كل فرد. لذلك عندما يقوم الفرد بالتفكير فلا بد لفكره أن يكون متضمناً للخواص المذكورة سابقاً لأنها متأصلة في طبيعته.



كل فكرة هي عملية خلق بحد ذاتها، لكن بسبب خضوع حياتنا الدنيوية لسيطرة عامل الزمن مما يفرض حالة التسلسل الزمني، لا تتجسّد الفكرة مباشرة بصيغة مادية بل تتطلب مساحة من الوقت. وبالتالي فالإنسان الذي يفكّر بحالة معيّنة لا يخلقها مباشرة بل يخلق البذور التي تنمو مع الوقت لتجسّدها لاحقاً.

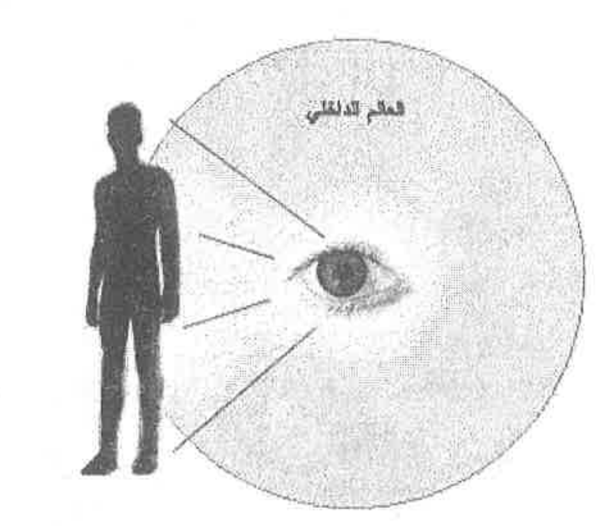
كل فكرة إذاً هي سبب بحد ذاته، وكل حالة أو ظرف هو نتيجة. لذلك فإنه لأمر أساسي وجوهري جداً أن تضبط أفكارك لكي تجسّد فقط الظروف والحالات الجيّدة في حياتك اليومية.



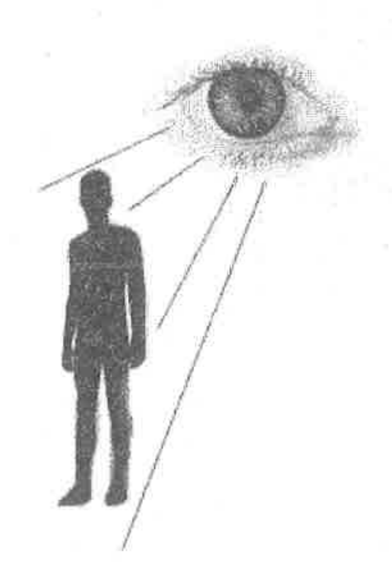
التفكير يشبه إلى حد كبير زرع البذور في تربة خصبة. خلال تفكيره المستمرّ والدائم، يجهل الإنسان بأنه بذلك ينثر الكثير من البذور في المحتوى الكوني والتي سوف تنتش وتنمو لاحقاً لتتخذ أشكالاً متطابقة لما يفكر به. الأفكار السيئة تمثّل بذور سيئة وبالتالي سوف تنمو مع الوقت لتثمر في النهاية ظروف سيئة. بينما الأفكار الجيّدة تثمر في النهاية ظروف جيّدة.

كل القوّة تنبع من الداخل، وهي بكل تأكيد تحت سيطرتك. هي تتجلى وفقاً للمعرفة الحقيقية بمبادئ محددة والممارسة الصحيحة لتلك المبادئ. إذا أحرزت الاستيعاب الصحيح لهذه المبادئ، واستطعت التحكم بمجرياتك الفكرية سوف تتمكن بعدها من تطبيقها على أي حالة أو ظرف، أي بمعنى آخر، تكون قد توصلت إلى تناغم كامل مع القانون الكليّ القدرة والذي يمثّل الأساس الجوهري لكل الأشياء.

غالبية الناس يعيشون في العالم الخارجي، بينما القلائل فقط وجدوا العالم الداخلي، هذا مع العلم بأن العالم الداخلي هو الذي يخلق العالم الخارجي. فهو بالتالي عالم خلاق، حيث كل ما تجده في العالم الخارجي تم خلقه من قبلك في عالمك الداخلي رغم أنك قد تجهل ذلك.

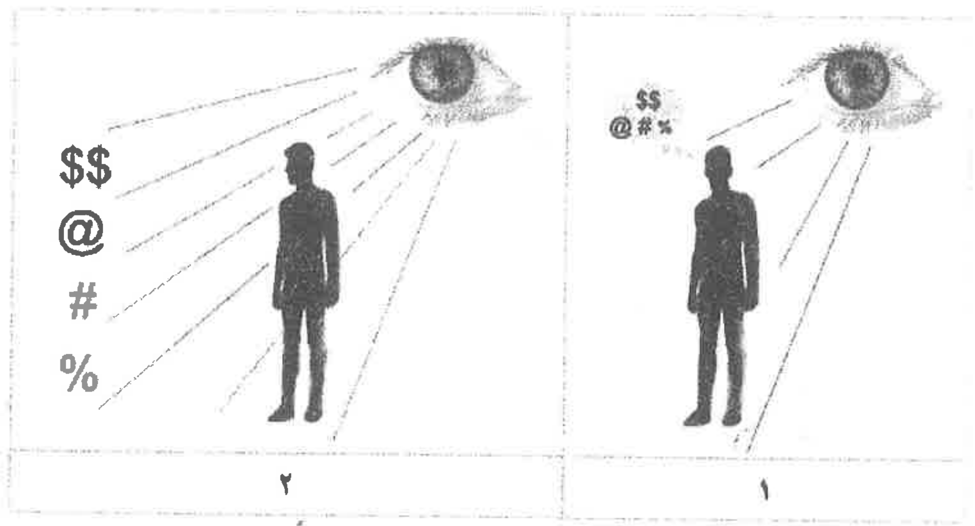


لا نستطيع تجسيد قوى لا نحوزها. الطريقة الوحيدة التي تمكننا من إحراز القوة هي أن نعي هذه القوة، ولا يمكننا أن نكون واعين لهذه القوة حتى نتعلم حقيقة أن كل القوة تأتي من الداخل. هناك عالم في داخلنا، عالم من الأفكار والمشاعر والقوة، عالم من النور والحياة والجمال، ورغم أنهـا غير مرئية لكن قوتها جبارة لو أنكم تعلمون.



العالم الداخلي يخضع لسيطرة العقل. عندما نكتشف هذا العالم سوف نجد كافة الحلول لمشاكلنا، السبب لكل نتيجة، العلّة لكل معلول. وبما أن هذا العالم الداخلي خاضع لسيطرتنا فهذا بالتالي يجعل كافة القوانين المتعلقة بالقوة والحيازة خاضعة لسيطرتنا أيضاً.

العالم الخارجي هو انعكاس للعالم الداخلي. ما يظهر هناك في الخارج هو ما موجود هنا في الداخل. في العالم الداخلي يمكن أن نجد الحكمة اللامحدودة، القوة اللامحدودة، الوفرة اللامحدودة لكل ما هو ضروري، جميعها تنتظر التجلّي والنمو والتعبير عن نفسها. إذا اعترفنا بوجود هذه الإمكانيات في العالم الداخلي فسوف تتشكّل حتماً في العالم الخارجي.



كل ما نراه في العالم الخارجي هو انعكاس لما نخلقه فكرياً في العالم الداخلي

الانسجام في العالم الداخلي سوف ينعكس في العالم الخارجي على شكل ظروف متناغمة ومحيط اجتماعي منسجم وغيره من أمور محببة.. أي بمعنى آخر، سوف تجد الأفضل من كل شيء. هذا الانسجام الداخلي هو أساس الصحة السليمة، ويمثّل ضرورة جوهرية للعظمة والمجد وكل القوة والإحراز وكل الإنجاز والنجاح.

الانسجام في العالم الداخلي يعني القدرة على ضبط أفكارنا والسيطرة عليها، ويعني أيضاً التحديد مسبقاً كيف تؤثّر علينا أي تجربة نختبرها في الحياة.

التعاليم السريّة تقرّبك من إدراك القوة التي ستصبح ملكك بعد أن تفهم جيداً هذه العلاقة الوثيقة بين العالم الداخلي والعالم الخارجي. العالم الداخلي يمثّل السبب، بينما العالم الخارجي يمثل النتيجة. من أجل تغيير النتيجة عليك أولاً تغيير المُسبّب.

سوف ترى في البداية بأن هذه الأفكار السابقة جديدة تماماً بالنسبة لك، لكنها تمثّل الواقع الحقيقي. معظم الناس يحاولون تغيير النتائج من خلال التعامل مع نتائج. إنهم يفشلون في إدراك حقيقة أن هذه العملية هي مجرّد تغيير في مظهر المشكلة وليس إزالتها تماماً. لهذا نراهم ينتقلون من مشكلة إلى مشكلة أخرى خلال سعيهم إلى الخلاص. لكن من أجل أن نزيل المشكلة من جذورها علينا إزالة مسبّبها الأساسي، ولا يمكن إيجاد هذا المسبّب سوى في داخلنا.

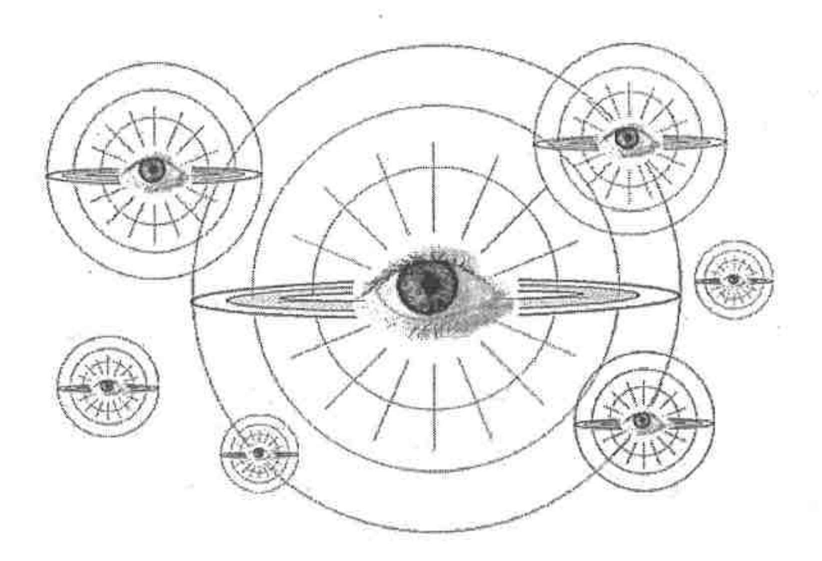
كل أشكال النمو تنبع من الداخل. هذه الحالة واضحة في كل أنحاء الطبيعة. كل نبتة وكل حيوان وكل إنسان يمثّل دليل حيّ على هذا القانون العظيم. عندما تنتش البذرة وتبدأ بالنمو ليس هناك قوة في العالم تستطيع إيقافها لأن القوة المحفّزة لنموها تنبع من داخلها. كل القوة تنبع من الداخل والخطأ الأكبر عبر العصور هو البحث عن القوة والمقدرة في الخارج.

العالم الداخلي يمثّل الينبوع الكوني للوفرة، والعالم الخارجي يمثّل المخرج لمجرى هذا الينبوع. إن قدرتنا على تلقّي البركة السماوية تعتمد على اعترافنا بوجود هذا الينبوع الكوني بداخلنا، هذه الطاقة اللامحدودة التي يمثّل كل إنسان مخرجاً لها.

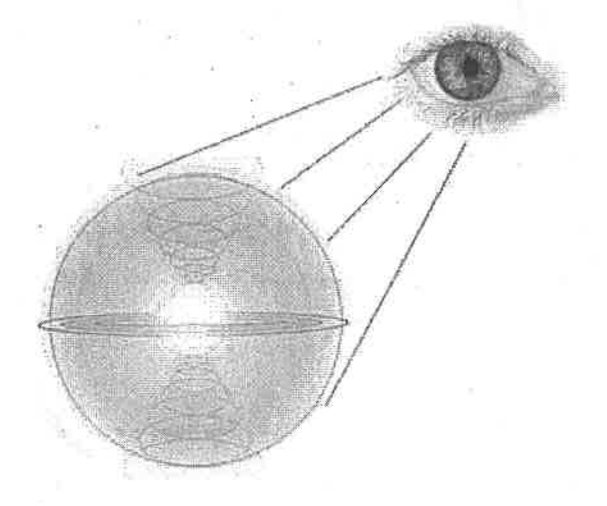
الاعتراف (الإيمان) هو عملية ذهنية، والعمل الذهني هو تفاعل بين الفرد والعقل الكوني، وبما أن العقل الكوني هو الوعي المنتشر في كل الفضاء حيث يحيي الكائنات الحيّة، فبالتالي إن التفاعل الذهني معه يمثّل أحد مظاهر قانون السببية، لكن هذا القانون الكوني لا يتجلى عند الفرد بل في العقل الكوني. هذا القانون لا يمثّل ملكة ذهنية مادية بل عملية ذهنية تجاوزية، لكن نتائجه واضحة وملموسة ويمكن رؤيتها في ظروف وحالات لانهائية متجلية من حولنا.

من أجل التعبير عن الحياة لا بدّ من وجود العقل. لا يمكن وجود شيء دون حضور العقل. كل شيء موجود هو تجلّي لهذه المادة الجوهرية التي خلقت منها كل الأشياء، وتستمر في الخلق دائماً وأبداً.

نحن نعيش في بحر لامحدود من المادة العقلية الطيّعة. هذه المادة هي حيّة ونشطة دائماً وأبداً. هي حساسة إلى أقصى حدود. هي تتخذ أي شكل وذلك وفقاً للطلب الذهني. الفكر يصنع القالب أو الرحم الذي تبعث منه هذه المادة الكونية لتتخذ الشكل المطلوب.



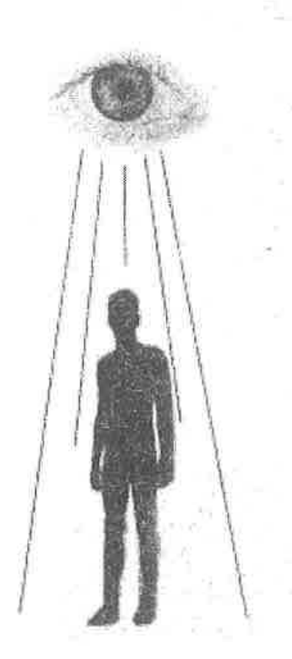
وفقاً لقانون التماثل، أي ".. الكل متماثل مع الجزء والجزء متماثل مع الكلّ.."، فهذا يجعل كل مخلوق في الكون، مهما كان صغيراً، يتمتع بقدرة طبيعية على الخلق، وهذه القدرة متماثلة تماماً مع قدرة الخالق الأسمى من حيث النوعية لكنها تختلف من حيث الدرجة فحسب.



تذكر أنه في التطبيق وحده تكمن القيمة، وأن الفهم العملي لهذا القانون الكوني العظيم سوف يستبدل الفقر بالوفرة والجهل بالحكمة والخلاف بالانسجام والاستبداد بالحرية، وبكل تأكيد، ليس هناك أي نعمة تظاهي هذه الحالات السابقة من الناحية الاجتماعية والمادية.

"الذات" الحقيقية لديك لا تمثّل الجسم المادي، فهذا الأخير هو مجرّد أداة تستخدمها "الذات" لإنجاز غاياتها المختلفة. كما أن "الذات" لا تمثّل المنظومة العقلية، إذ هذه الأخيرة هي مجرّد أداة تستخدمها "الذات" لتفكّر وتستنتج وتخطط.

"الذات" تمثّل شيء يسيطر على كل من الجسم والعقل. شيء يقرّر ماذا عليهما فعله وكيف سيتصرفان. عندما تتوصل إلى الطبيعة الحقيقية لهذه "الذات" سوف تتمتع بإحساس بالقوة لم يراودك مثله من قبل.



القوة الأعظم والأكثر روعة التي مُنحت لهذه "الذات" هي قوة التفكير، لكن القليل من الناس يعرفون كيف يفكرون بطريقة بناءة أو بشكل صحيح، وبالتالي نجد الأغلبية تحقق نتائج واهية أو غير هامة في أحسن الأحوال.

معظم الناس يسمحون لأفكارهم أن تلاحق غايات أنانية وهذه نتيجة حتمية للعقل الصبياني غير الناضج. عندما يبلغ العقل ويصبح راشداً سوف يفهم أن أصل الخسارة والهزيمة هو التفكير الأناني.

العقل المُدرّب بشكل جيّد يعلم جيداً بأنه على كل عمل أو إجراء أو تداول أن يفيد كل إنسان له علاقة بطريقة أو بأخرى بهذا العمل أو الإجراء أو التداول، وأي محاولة للاستنفاع من ضعف

وجهل وحاجة الآخرين سوف يؤدي بالفرد إلى ما يضرّ مصلحته النهائية. هذا لأن الفـرد يمثـل جزء من الكون، ولا يمكن للجزء أن يخاصم جزء آخر، بل بالعكس، فمصلحة كل جـزء تعتمـد على الاعتراف بأولوية مصلحة الكل.

الذات بداخلنا هي الشمس المركزية التي تحدث عنها القدماء، وهذه الأخيرة في كياننا تمثّل نقطـة التقاء الجزء مع الكل، أي هي بوابة الفردي إلى الكلّي، وبالتالي من خلالها فقط يتحوّل المحـدود إلى لامحدود، ويصبح اللامخلوق مخلوقاً، والكوني يصبح فردي، واللامرئي يصبح مرئي. هـي النقطة التي تتجلّى عندها الحياة وليس هناك أي حدود لهذه الحياة التي تستطيع الذات توليدها.



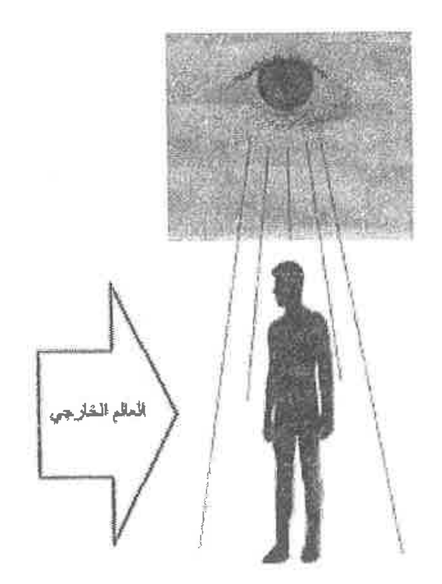
عبادة الشمس التي كانت سائدة في العصور القديمة جائت من تفسير خاطئ لوصف المكانة الجليلة للشمس المركزية (الذات) القابعة في مركز عالمنا الداخلي.

بعد أن علمنا بأن طريقة التفكير، أي العلاقة التناغمية بين العقل الواعي واللاواعي، تؤثر علـى أداء هذه الشمس المركزية، نستنتج بأنها تخضع بطريقة أو بأخرى لسيطرة الوعي. وبالتالي فـإن جودة الأفكار التي يجسّدها وعينا هي التي تقرّر جودة أداء هذه الشمس وقوة إشـعاعها ومـدى تأثيرها على جسمنا وعلى البيئة المحيطة بنا.

أصبح واضحاً بالتالي أن كل ما علينا فعله هو جعل شمسنا تشعّ بأقصى ما عندها، وكلما زادت الطاقة التي تبعثها كلما زادت سرعة قدرتنا على تغيير الظروف غير المرغوبة إلى مصادر للوفرة والهناء. لكن السؤال المهم هو: كيف نستطيع جعل هذه الشمس تشعّ بأقصى قدر من الطاقة؟

الأفكار الإيجابية تقوّي إشعاع شمسنا المركزية، بينما الأفكار السلبية تضعفها. الأفكار المحببة تقويها، بينما الأفكار غير المحببة تضعفها. أفكار مفعمة بالشجاعة والثقة والقوة والأمل تنتج حالة إشعاعية هائلة. لكن هناك عدو خطير لشمسنا المركزية وجب تدميره كلياً قبل أن نتوقع أي إمكانية لإشعاعاتها وهو الخوف. وجب القضاء على هذا العدو بشكل كامل. وجب إزالته تماماً. وجب إقصاءه إلى الأبد، لأنه يمثّل الغمامة التي تحجب نور الشمس المركزية وتسبب الظلام الدائم.

إنه هذا الشيطان الشخصي الذي يجعل الناس يخافون ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، يخافون من أنفسهم وأصدقائهم وأعداءهم، يخافون كل شيء وكل الناس. عندما يتم القضاء كلياً على الخوف سوف يسطع نورك وتزول الغيوم وتكون قد وجدت المصدر الحقيقي للقوة والطاقة والحياة.



يظن الإنسان بأنه يخوض معركة الحياة وحيداً في هذه الدنيا ودون أي مؤازرة أو إرشاد من أي جهة ماورائية أو سماوية أو تجاوزية.. وهذا يسبب له الخوف والإحساس بالضعف وعدم الأمان. هذا لأنه يجهل بأنه مدعوماً بكيان عظيم يلازمه دائماً وأبداً وينتظر الاعتراف به قبل أن ينشط بكامل قوته.

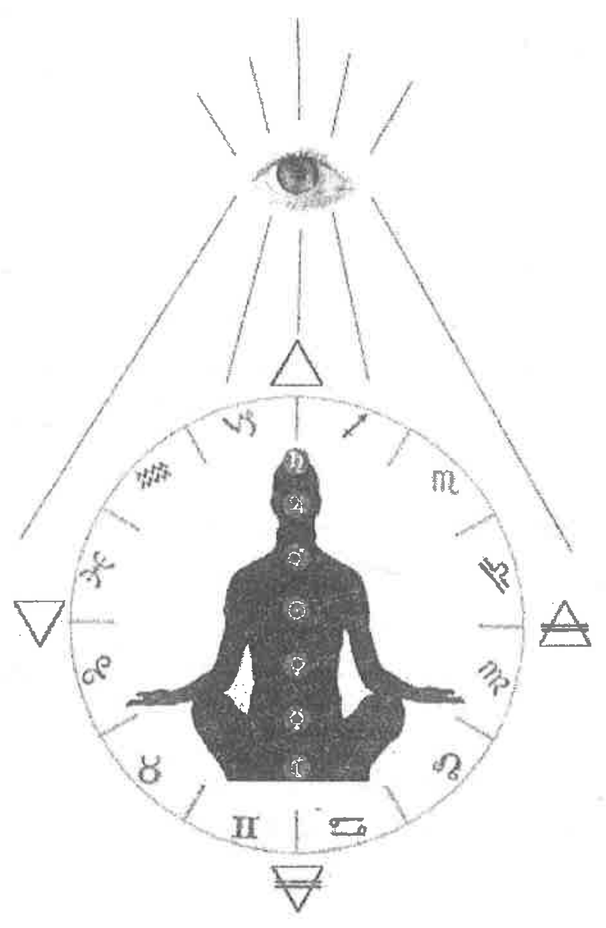
عندما تكتشف بأنك تمثّل فعلياً قوة لامحدودة، وعندما تتأكّد من واقعية هذه القوة من خلال تجربة عملية تمكنت فيها من التغلب على أي حالة أو ظرف سلبي بقوة تفكيرك، سوف لن يعود هناك شيئاً تخاف منه. يكون الخوف قد أزيل تماماً وتكون قد استعدت حقك الذي انتُزع منك منذ ولادتك.

الأمر ليس مستحيلاً كما يبدو لك، خاصة بعد أن تتذكر بأن العالم الداخلي يخضع لسيطرة "الذات" وهذه "الذات" تمثّل جزء أو وحدة مندمجة مع "الذات" اللامحدودة التي هي الطاقة الكونية أو الروح الكليّة أو سيد الكون. هذه ليست نظرية أو بيان عابر تم التصريح به لإثبات فكرة معيّنة، بل هو حقيقة واقعية وقد تم التأكيد عليها من قبل أعظم المذاهب الدينية وكذلك المذاهب العلمية.

الذات هي الابن المقدس للإله الأعلى. هي الشمس الباطنية التي تشعّ من داخلنا.. تشعّ بالطاقة الروحية الهائلة. هذه المكانة الجليلة للذات تجعلها قادرة على تجسيد أي حالة أو شيء أو ظرف يمكن التفكير به. كل ما علينا فعله هو إزالة الغمامة السوداء التي تحجب نورها عنا، ونقرر ماذا نريد وسوف يكون... قل لها كوني فتكون!

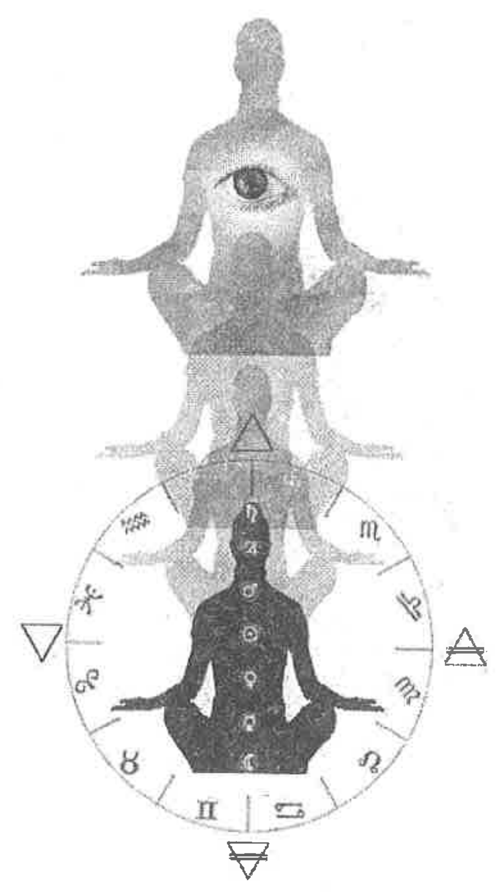
نحن نخلق واقعنا المعيشي لكننا نجهل ذلك ونظن بأن واقعنا تحلقه ظروف خارجة عن إرادتنا. لدينا أكبر قوة للخلق بداخلنا لكننا نجهل ذلك تماماً. نحن نخلق كل ما نفكر به، لكننا نجهل هذه الحقيقة.

لقد تنبّه القدماء إلى هذه الحقيقة الرائعة بخصوص عظمة الذات أو الشمس المركزية في الإنسان واستهدفوها بدراستهم وتحليلهم وبحثوا في خفاياها وإمكانياتها اللامحدودة لكنهم لم يكتفوا بذلك بل حددوا المعوقات التي تمنع إشعاعها بكامل قوتها، فوجدوا أنه من بين الأسباب التي تعيق هذا الإشعاع هي حالة الخلل في معايير المقومات التي تتألف منها كينونة الإنسان. بعد تحديد هذه المقومات عرفوا كيف يضبطوا معاييرها بحيث تسمح بعدها بإشعاع الشمس المركزية وتجلّي القوى الكامنة في جوهر الإنسان وبطريقة سهلة وميسّرة.



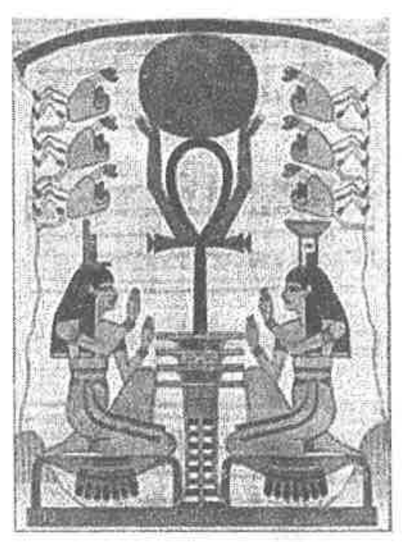
وفقاً للتعاليم السرية، الإنسان مقيّد بمجموعة من المعيقات التي تمنعه من التواصل مع الذات المركزية لديه، وهي مرتبطة بالمبادئ التي تدخل في عملية الخلق والتجسيد المادي (المبدأ السباعي، والمبدأ الاثنى عشري، والمبدأ الرباعي، ومبدأ القطبية) وقد شرحت بعض التفاصيل المتعلقة بهذه العملية في الكتاب. بناء على هذه الحقيقة تم تصميم منهج تدريبي يساعد الإنسان على التحرر من هذه القيود ليتمكن في النهاية من إزالة كافة المعيقات التي تمنعه من التواصل مع الذات المركزية لديه. هذا المنهج التدريبي يعتمد على المنظومة الذهنية لدى الفرد، فالمنظومة الذهنية هي المسؤولة عن ما يعيشه ويختبره في حياته الشخصية. هي التي تصيغ كيانه الجسدي والنفسي وحتى واقعه الدنيوي عموماً. تحدثت في أحد الأجزاء السابقة عن جودة الوعي وعلاقتها بالارتقاء الروحي للإنسان وزيادة شدّة الطاقة الحيوية لديه، والفكرة الحالية تساهم في إكمال الصورة إن لم تتوضّح في حينها.

إذاً، وجب إعادة برمجة طريقة تفكير الفرد بالكامل قبل أي إجراء آخر في مسيرة تطوره الروحي. لكن هذه العملية ليست سهلة إطلاقاً إذ يوجد العديد من المعوقات والعقبات التي وجب إزالتها وهي ذاتها الوحوش التي صورتها الأساطير وعلى الأبطال مقارعتها والتغلب عليها.

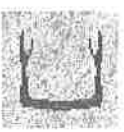


وفقاً للتعاليم السرية، الإنسان مقيّد بمجموعة من المعيقات التي تمنعه من التواصل مع الذات المركزية لديه وهي مرتبطة بالمبادئ التي تدخل في عملية الخلق والتجسيد المادي (المبدأ السباعي، والمبدأ الاثنى عشري، والمبدأ الرباعي، ومبدأ القطبية) وبناء على هذه الحقيقة تم تصميم منهج تدريبي يساعد الإنسان على التحرر من هذه القيود ليتمكن في النهاية من إزالة كافة المعيقات التي تمنعه من التواصل مع الذات المركزية لديه.

عندما يحرز الإنسان هذه المرتبة، أي التواصل مع الذات الحقيقية لديه، يُشار إليه بعـدها باسـم "كا..هن" أو "كا.. هنا" وهي كلمة مركّبة تعني بأن الفرد أحرز حالة الاندماج مع الـــ"كـا" KA وهذه الأخيرة تمثّل مصطلح مصري قديم يستخدم للإشارة إلى الذات أو الشمس المركزيـة فـي كيانه. هي ذاتها الـ"كا" التي تحدثت عنها في الجزء الخامس خلال شرح مصطلح "كـا بـا أخ"، والـ"كا" تعني أسمى مستويات الكينونة البشرية إذ يمكن اعتبارها الـنفس العليـا أو المـستوى الروحي في الإنسان وهذا ما قصده المصريون عندما رمزوا إليه في نصوصهم بيدين مـرتفعتين للأعلى.



تظهر الـ"كا" في اللوحات الفنية (أو النصوص) بصيغ مختلفة، كالتي في الشكل. تبيّن حالة الارتقاء إلى مستوى الـ"كا" (يدين ترتفعان للأعلى، ويعلوها شكل دائري يمثّل الشمس المركزية أو الذات الإلهية في الإنسان)



تصوّر الـ"كا" في النصوص المصرية على شكل يدين مرفوعتين للأعلى. وهو إشارة إلى شيء مقدّس، سامي، وتجاوزي. إنها الذات الإلهية للفرد.

إذاً، الكاهن في الزمن القديم لم يكن كما الكاهن الذي نتصوّره اليوم حيث يمثّل رجل الدين الـذي مهمته تسويق الخرافات. الكاهن الأصيل هو السيّد والحكيم الذي يتمتع بالمعرفة والقـوة الكافيـة لتطويع الطبيعة المحيطة به وكذلك السيطرة على ظروف الحياة التي يعيشها. هو المريـد الـذي أحرز التواصل مع الـ"الكا" أي النفس العليا أو الشمس المركزية في كينونته.

صحيح أن مصطلح "كا..هن" تأصّل في مصر القديمة، لكن انتشاره بين ثقافات عديدة حول العالم يشير بوضوح إلى أن منهج فلسفي/ديني واحد كان سائداً على نطاق واسع فـي أحـد العـصور الغابرة. يمكننا ملاحظة استخدام هذا المصطلح بصيغ وألفاظ متنوعة في معظم حضارات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إذ استخدمه الفينيقيون والكلدانيوين مثلاً للإشارة إلى رجال الدين لـديهم (كاهن). ويستخدمه البربر في شمال أفريقيا للإشارة إلى الساحر أو طبيـب القبيلـة (كـايهون). واستخدمه اليهود للإشارة إلى رجال الدين (كوهين). تم تعديل هذا المصطلح في بعض المنـاطق لاستخدامه للإشارة إلى مراتب سامية مثل "خان" (كهان) في أسيا الوسطى. وفي جـزر هـاواي استخدموا مصطلح "كاهونا" للإشارة إلى السحرة لديهم. وكذلك القبائل في جنوب ووسط أمريكـا استخدموا مصطلح "كونا" (كهونا) للإشارة إلى سحرتهم أو أطبائهم الشعبيين.. وهكذا إلى آخره.

إن البحث في هذا الموضوع يفيدنا كثيراً في التعرّف على بعض الحقائق المتعلقة بالذات الحقيقية لدينا والصيغ أو الآليات التي اتبعها الكهنة القدماء للتواصل معها والاستعانة بها لتحقيق معجزات حقيقية لا يمكن سوى اعتبارها سحرية. هذا ما سنستكشفه في الجزء التالي.

انتهـــــــى

المراجع

-Electro Fractal Universe WebVersion-Colin Hill- 2006
-The Secret Teaching Of All Ages- Manly P. Hall [1927]
-The Lost Keys Of Freemasonry- Manly P. Hall
-The Secret Doctrine- Helena Petrovna Blavatsky [1888]
- Isis Unveiled - Helena Petrovna Blavatsky [1877]
-The Biggest Secret- David Icke [1999]
-Ra Un Nefer Amen (1990). Metu Neter, vol. 1: The Great Oracle of Tehuti, and the EgyptianSystem of Spiritual Cultivation.
-Ra Un Nefer Amen (1996). Tree of Life Meditation System (T.O.L.M)
-A Cyclical History of the World- Stephen E. Franklin
-Atkinson, William Walker: *Advanced course in yogi philosophy and Oriental occultism* - The Yogi publication society, [c1937]
-Atkinson, William Walker: *A series of lessons in Gnani yoga : (the yoga of wisdom* - The Yogi publication society, [c1917]
-Atkinson, William Walker: *Fourteen lessons in Yogi philosophy and Oriental occultism* - The Yogi publication society, [c1904]
-The Divine Cosmos - A Breathtaking New View of Reality by David Wilcock - 2002
- THE SCIENCE OF ONENESS - A DISCLOSURE OF EXTRATERRESTRIAL PHYSICS AND SPIRITUALITY- 2003

Acharya S/Murdock, D.M. *The Christ Conspiracy: The Greatest Story Ever Sold.* Illinois: Adventures Unlimited Press, 1999. —*Suns of God: Krishna, Buddha and Christ Unveiled.* Illinois: AUP, 2004.
Allegro, John M. *The Dead Sea Scrolls and the Christian Myth.* Buffalo: Prometheus, 1992.
Allen, James P. *The Ancient Egyptian Pyramid Texts.* Atlanta: Society of Biblical Literature, 2005.
Assman, Jan. *Egyptian Solar Religion in the New Kingdom.* London/New York: Kegan Paul International, 1995. —*The Search for God in Ancient Egypt.* New York: Cornell University Press, 2001.
Athanassiadi-Fowden, Polymnia, and Michael Frede, eds. *Pagan Monotheism in Late Antiquity.* Oxford: Clarendon Press, 2001.
Balfour, Edward, ed. *Cyclopedia of India and of Eastern and Southern Asia*, V. Madras: Scottish and Lawrence Presses, 1873.
ben Yehoshua, Hayyim. —The Myth of the Historical Jesus.□ mama.indstate.edu/users/nizrael/jesusrefutation.html
Berger, A.L. —Obliquity and precession for the last 5 million years,□ *Astronomy and Astrophysics*, 51. 1976.
Berry, Gerald. *Religions of the World.* New York: Barnes & Noble, 1968.
Bertholet, Alfred. —The Pre-Christian Belief in the Resurrection of the Body,□ *The American Journal of Theology*, XX, 1. Chicago: University of Chicago Press, 1916.
Blank, Wayne. —Sunday is Not the Sabbath.□ www.keyway.ca/htm2002/20020524.htm

Bonwick, James. *Egyptian Belief and Modern Thought*. Colorado: The Falcon's Wing Press, 1956.
Botterweck, G. Johannes, and Helmer Ringgren, eds. *Theological Dictionary of the Old Testament*, II. Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans, 1975. —III. Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans, 1978.
Brier, Bob, and Hoyt Hobbs. *Daily Life of the Ancient Egyptians*. Greenword Press, Westport/London, 1999.
Bryant, Edwin F., ed. *Krishna: A Sourcebook*. New York: Oxford University Press, 2007.
Budge, E.A. Wallis. *Babylonian Story of the Deluge and the Epic of Gilgamish*. Montana: Kessinger Publications, 2005. —*The Egyptian Book of the Dead*. New York: Dover Publications, 1967. —*The Egyptian Book of the Dead*. New York: Gramercy Books, 1995. —*An Egyptian Hieroglyphic Dictionary*. New York: Dover, 1978. —*An Egyptian Hieroglyphic Dictionary*, I. Montana: Kessinger, 2003. —*Egyptian Ideas of the Future Life*, I. London: Kegan Paul, Trench, Trübner & Co., 1900. —*A Guide to the First and Second Egyptian Rooms*. London: British Museum, 1898. —*Legends of the Egyptian Gods*. Wildside Press, 2009. —*Legends of the Gods*. London: Kegan, Paul, 1912. —*On the Future Life: Egyptian Religion*. Montana: Kessinger, 2005. —*Osiris or the Egyptian Religion of Resurrection*, I. Montana: Kessinger, 2003.
Burchett, Bessie Rebecca. *Janus in Roman Life and Cult: A Study in Roman Religions*. Wisconsin: George Banta Pub. Co., 1918.
Busenbark, Ernest. *Symbols, Sex, and the Stars*. Escondido: The Book Tree, 1997.
Campbell, Joseph. *Masks of God: Creative Mythology*. New York: Arkana, 1991. —*The Mythic Image*. New Jersey: Princeton University Press, 1974.
Campion, Nicholas. *The Great Year: Astrology, Millenarianism, and History in the Western Tradition*. London: Penguin, 1994.
Carpenter, Edward. *Pagan and Christian Creeds: Their Origin and Meaning*. Harcourt, Brace & Co., 1921.
Carus, Paul, ed. *The Open Court*, IV. Chicago: The Open Court Publishing Company, 1900.
Catholic Encyclopedia, IV. ed. Charles Herbermann. New York: Universal Knowledge Foundation, 1913. —VI. New York: Universal Knowledge Foundation, 1909. —X. New York: Encyclopedia Press, 1913.
Cellarius, Andreas. *Atlas Harmonia Macrocosmica*.
www.phys.uu.nl/~vgent/cellarius/cellarius_plates.htm
Chaitanya, Satya. —Kunti and the Birth of the Sun God's Child.□
www.boloji.com/hinduism/117.htm
Chardonnens, László Sándor. *Anglo-Saxon Prognostics, 900-1100*. Leiden: E.J. Brill, 2007.
The Classical Journal, XXIX. London: A.J. Valpy, 1824.
Cooper, William R. *The Horus Myth in Its Relation to Christianity*. London: Harwicke & Bogue, 1876.
de Jong, Albert. Traditions *of the Magi: Zoroastrianism in Greek and Latin Literature*. Leiden: E.J. Brill, 1997.
Didron, Adolphe Napoleon. *Christian Iconography: The History of Christian Art in the Middle Ages*, I. London: Henry G. Bohn, 1851.
Diodorus Siculus. *The Antiquities of Egypt*. tr. Edwin Murphy. New Brunswick: Transaction, 1990.
Doane, Thomas W. *Bible Myths, and Their Parallels in Other Religions*. New York: J.W. Bouton, 1884.

Doherty, Earl. —JOSEPHUS UNBOUND: Reopening the Josephus Question.□ jesuspuzzle.humanists.net/supp10.htm — *Jesus Neither God Nor Man: The Case for a Mythical Jesus*. Ottawa: Age of Reason Publications, 2009. —*The Jesus Puzzle*. Ottawa: Canadian Humanist Publications, 2009.

Dupuis, Charles F. *Origine de tous les cultes ou Religion Universelle*, V. Paris: La Libraire Historique, 1822.

Edmunds, Albert J. *Buddhist and Christian Gospels*, I. Philadelphia: Innes & Sons, 1914.

Ellerbe, Helen. *The Dark Side of Christian History*. San Rafael: Morningstar Books, 1995.

Ellyard, David, and Wil Tirion. *The Southern Sky Guide*. Cambridge: Cambridge University Press, 2005.

Encyclopedia Britannica. ed. Hugh Chisom. New York: The Encyclopedia Britannica Company, 1910.

Eusebius. —Commentary on Luke.□ www.documentacatholicaomnia.eu/02g/0265-0339,_Eusebius_Caesariensis,_Fragmenta_in_Lucam,_MGR.pdf —*Eusebii Pamphili Evangelicae Praeparationis*, Libri XV, Tomus III. ed. E.H. Gifford. Oxford: E Typographeo Academico, 1903.

Evans, Arthur J. —The Palace of Minos,□ *Annual Report of the Board of Regents of the Smithsonian Institution*. Washington: Government Printing Office, 1902.

Ezquerra, Jaime Alvar, and R.L. Gordon. *Romanising Oriental Gods: Myth, Salvation and Ethics in the Cults of Cybele, Isis and Mithras*. Leiden: E.J. Brill, 2008.

Fairchild, Mary. —Resurrection of Jesus Christ—Bible Story Summary.□ christianity.about.com/od/biblestorysummaries/p/theresurrection.htm

Faulkner, Raymond O. *The Egyptian Book of the Dead*. San Francisco: Chronicle Books, 1998.

Frankfort, Henri. *Kingship and the Gods*. Chicago: University of Chicago Press, 1978.

Frazer, James George. *The Golden Bough: A Study in Magic and Religion*. New York: Collier Books, 1950. —*The Golden Bough, IV: Attis Adonis Osiris*, II. London, MacMillan and Co., 1919.

Gonda, Jan. *The Vedic God Mitra*. Leiden: E.J. Brill, 1972.

Goodman, George R. —Easter (3),□ *The Freethinker*, vol. 85. London, 1965.

Goyon, Jean-Claude, and Christine Cardin, eds. *Proceedings of the Ninth International Congress of Egyptologists*, I. Leuven: Peeters, 2007.

Graves, Robert. *The White Goddess*. New York: Farrar, Straus & Giroux, 1948, 1966.

Griffiths, John Gwyn. *The Divine Verdict: A Study of Divine Judgment in the Ancient Religions*. Leiden: E.J. Brill, 1991. —*The Origins of Osiris and His Cult*. Leiden: E.J. Brill, 1980.

Hall, Manly. *The Secret Teaching of All Ages*. New York: Jeremy P. Tarcher/Penguin, 2003.

Halsberghe, Gaston H. *The Cult of Sol Invictus*. Leiden: E.J. Brill, 1972.

Harari, Josue V. *Textual Strategies: Perspectives in Post-Structural Criticism*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1979.

Haught, James. *Holy Horrors: An Illustrated History of Religious Murder and Madness*. Buffalo: Prometheus, 1990.

Hazelrigg, John. *The Sun Book*. Washington: Health Research, 1971.

Heath, Dunbar Isidore. *Phoenician Inscriptions*, I. London: Bernard Quaritch, 1873.

Heilbron, John L. *The Sun in the Church: Cathedrals as Solar Observatories*. Cambridge: Harvard University Press, 2001.

Herodotus. *The Histories*. tr. Aubrey de Selincourt. New York: Penguin Books, 1972.

Higgins, Godfrey. *Anacalypsis, an Attempt to Draw Aside the Veil*, I. London: Longman, Rees, Orme, Brown, 1836.
Hinnells, John R., ed. *Proceedings of the First International Congress of Mithraic Studies*, II. Manchester University Press, 1975.
Hoffman, R. Joseph. *Celsus on the True Doctrine*. New York/Oxford: Oxford University Press, 1987.
Hornung, Erik. *Conceptions of God in Ancient Egypt*. tr. John Baine. New York: Cornell University Press, 1982. —*The Valley of the Kings: Horizon of Eternity*. tr. David Warburton, New York: Timken Publishers, 1990.
Hugh-Jones, Stephen, and James Alexander Laidlaw, eds. *The Essential Edmund Leach*, v. 1-2. Yale University Press, 2001.
Hunt, Patrick. "Titian's BACCHUS AND ARIADNE (1520-23) from Classical Art and Literature."
metamedia.stanford.edu/philolog/2006/10/titians_bacchus_and_ariadne_15.html
Jackson, John. *Christianity Before Christ*. Austin: American Atheist Press, 1985.
Jackson, Samuel M., and George W. Gilmore, eds. *The New Schaff-Herzog Encyclopedia*, VII. Funk & Wagnalls, 1910.
Jensen, Robin M. —Witnessing the Divine: The Magi in Art and Literature.□ www.bib-arch.org/e-features/witnessing-divine.asp
Kalmin, Richard, and Seth Schwartz, eds. *Jewish Culture and Society under the Christian Roman Empire*. Leuven: Peeters, 2003.
Kellner, Karl Adam Heinrich. *Heortology: a History of the Christian Festivals from their Origin to the Present Day*. London: Kegan Paul, 1908.
Kerenyi, Carl. *Dionysos: Archetypal Image of Indestructible Life*. New Jersey: Princeton University Press, 1976.
King, Charles W. *Plutarch's Morals*. Montana: Kessinger, 2006.
Krupp, Edwin C. *Echoes of the Ancient Skies: The Astronomy of Lost Civilizations*. New York: Dover, 2003. —*In Search of Ancient Astronomies*. New York: Doubleday, 1978.
LaBriolle, Pierre de. *Tertullien: De Praescriptione Haereticorum*. Paris: Librairie Alphonse Picard, 1907.

Lactantius. *Divine Institutes*. tr. Anthony G. Bowen. Liverpool: Liverpool University Press, 2003.
Lane, Eugene N. *Cybele, Attis and Related Cults*. Leiden: E.J. Brill, 1996.
Larson, Marisa. —Bethlehem of Judaea—or of Galilee?□
ngm.nationalgeographic.com/geopedia/Bethlehem
Larson, Martin A. *The Story of Christian Origins*. Washington: Village, 1977.
Leedom, Tim, ed. The *Book Your Church Doesn't Want You to Read*. Kendall/Hunt, 1993.
Leeming, David Adams. *Mythology: The Voyage of the Hero*. New York/Oxford University Press, 1998. —*The Oxford Companion to World Mythology*. New York; Oxford: Oxford University Press, 2005.
Legge, Francis. *Forerunners and Rivals of Christianity: From 330 B.C. to 330 A.D.* New York: University Books, 1964.
Lockyer, Norman. —Early Asterims.□ *Nature*, XLVIII. London/New York: MacMillan and Co., 1893.
Lundy, John P. *Monumental Christianity: Or, the Art and Symbolism of the Primitive Church*. New York: J.W. Boulton, 1876.
Macrobius. *The Saturnalia*. tr. PV Davies. New York: Columbia University Press, 1969.

Mangasarian, M.M. *The Truth About Jesus: Is He a Myth?* Chicago: Independent Religious Society, 1909.
Mansfield, Jaap, and David T. Runia. *Aëtiana: The Method and Intellectual Context of a Doxographer*. Leiden: E.J. Brill, 2009.
Maspero, Gaston. *History of Egypt, Chaldea, Syria, Babylonia and Assyria*, I. ed. A.H,. Sayce. London: The Grolier Society, 1906.
Massey, Gerald. *Ancient Egypt: Light of the World*, I. London: T. Fisher Unwin, 1907. —*Ancient Egypt: Light of the World*, II. London: T. Fisher Unwin, 1907. —*Gerald Massey's Lectures*. New York: A&B Publishers Group, orig. pub. 1900. —*The Historical Jesus and the Mythical Christ*. Escondido: Book Tree, 2000. —*The Natural Genesis*, II. London: Williams and Norgate, 1883.
Maxwell, Jordan, Paul Tice, and Alan Snow. *That Old-Time Religion: The Story of Religious Foundations*. Escondido: The Book Tree, 2000.
Mettinger, Tryggve N D. *The Riddle of Resurrection: "Dying and Rising Gods" in the Ancient Near East*. Stockholm: Almqvist & Wiksell Internat., 2001.
Meyer, Marvin W. *The Ancient Mysteries: A Sourcebook of Sacred Texts*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1987.
Mitchell, Logan. *The Christian Mythology Unveiled*. Private printing, 1842?
Mojsov, Bojana. *Osiris: Death and Afterlife of a God*. London: Blackwell, 2006.
Moor, Edward. *The Hindu Pantheon*. New Delhi/Madras: Asian Educational Services, 1999.
Mukerjee, Madhusree. —Circles for Space.□ www.scientificamerican.com/article.cfm?id=circles-for-space
Murdock, D.M./Acharya S. —The Jesus Forgery: Josephus Untangled.□ www.truthbeknown.com/josephus.htm ——The History of Mythicism.□ www.stellarhousepublishing.com/mythicism.html ——Mithra: The Pagan Christ,□ www.truthbeknown.com/mithra_4.htm ——The Mythicist Position Video.□ www.youtube.com/watch?v=YKW9sbJ3v2w ——The Nativity Scene of Amenhotep III at Luxor.□ www.stellarhousepublishing.com/luxor.html ——The Origins of Christianity and the Quest for the Historical Jesus Christ.□ www.stellarhousepublishing.com/originsofchristianity.pdf ——The Real ZEITGEIST Challenge.□ www.stellarhousepublishing.com/zeitgeist-challenge.pdf ——Was Horus Crucified?□, www.stellarhousepublishing.com/washoruscrucified.html ——Was Krishna's Mother a Virgin?□ www.freethoughtnation.com/forums/viewtopic.php?t=1597 ——What is a Mythicist?□ www.stellarhousepublishing.com/mythicist.html —*Christ in Egypt: The Horus-Jesus Connection*. Seattle: Stellar House Publishing, 2009.

—*The Gospel According to Acharya S*. Seattle: Stellar House Publishing, 2009. —*Jesus as the Sun throughout History*. www.stellarhousepublishing.com/jesusasthesun.html —*Who Was Jesus? Fingerprints of The Christ*. Seattle: Stellar House Publishing, 2007.
Murdock, D.M., and N.W. Barker. *The 2010 Astrotheology Calendar*. Seattle: Stellar House Publishing, 2009.
Nabarz, Payam. *The Mysteries of Mithras: The Pagan Belief that Shaped the Christian World*. Rochester, VT: Inner Traditions, 2005.
New Larousse Encyclopedia of Mythology. ed. Felix Guirand. New York: Putnam, 1968.
Olcott, William Tyler. *Sun Lore of All Ages*. Escondido: Book Tree, 1999.
Oort, H., and L. Hooykaas. *The Old Testament for Learners*. Boston: Little, Brown, and Company, 1900.

Origen. *Homilies on Genesis and Exodus*. tr. Ronald E. Heine. Catholic University of America Press, 2002.
Oxford Classical Greek Dictionary. Oxford: Oxford University Press, 2002.
Paine, Thomas. *The Theological Works of Thomas Paine*. Boston: J.P. Mendum, 1858.
Pandey, Lalata Prasad. *Sun-worship in Ancient India*. Delhi: Motilal Banarasidass, 1971.
Pathar, S. Viraswami. *Gayatri Mantra*. Chennai: Sura Books, 2001.
Pausanias. *Guide to Greece, Vol. 2: Southern Greece*. tr. Peter Levi. Harmondsworth: Penguin Books, 1979.
Pico della Mirandola, Giovanni, et al. *On the Dignity of Man*. Indianapolis: Hackett Publishing, 1999.
Plato. *The Republic*. ed. G.R.F. Ferrari, tr. Tom Griffith. New York: Cambridge University Press, 2000.
Plutarch. "Isis and Osiris.□ tr. Frank Cole Babbitt.
penelope.uchicago.edu/Thayer/E/Roman/Texts/Plutarch/Moralia/Isis_and_Osiris*/A.html
Prasad, Ganga. *The Fountainhead of Religion: A Comparative Study of the Principle Religions of the World*. Escondido: The Book Tree, 2000.
Prasad, Ramanand. *The Bhagavad Gita*. eawc.evansville.edu/anthology/gita.htm
Price, Robert M. *Deconstructing Jesus*. Buffalo: Prometheus Books, 2000.
Price, Theodora Hadzisteliou. *Kourotrophos: Cults and Representations of the Greek Nursing Deities*. Leiden: E.J. Brill, 1978.
Proceedings of the Society for Biblical Archaeology, XI. London, 1889.
Rāya, Pratāpa Chandra. *The Mahabharata of Krishna-Dwaipayana Vyasa*. Calcutta: Bharata Press, 1894.
Redford, Donald B., ed. *The Ancient Gods Speak: A Guide to Egyptian Religion*. Oxford/New York: University Press, 2002.
Remsburg (Remsberg), John E. *The Christ Myth: A Critical Review and Analysis of the Evidence of His Existence*. BiblioBazaar, LLC, 2009.
Rigoglioso, Marguerite. *The Cult of Divine Birth in Ancient Greece*. New York: Palgrave Macmillan, 2009.
Roberts, Alexander, and James Donaldson, eds. *The Ante-Nicene Fathers: Translations of the Writings of the Fathers down to A.D. 325*, I. New York: Cosimo, Inc., 2007.—*The Ante-Nicene Fathers*, IV. New York: Charles Scribner's Sons, 1926. —*The Ante-Nicene Fathers*, VI. Buffalo: The Christian Literature Company, 1886. —*The Ante-Nicene Fathers*, VIII. New York: Charles Scribner's Sons, 1903.
Robertson, John M. *Christianity and Mythology*. London: Watts & Co., 1900.
Robinson, B.A. —In what town was Jesus born?□
www.religioustolerance.org/xmaswwjb.htm
Roy, S.B. *Prehistoric Lunar Astronomy*. New Delhi: Institute of Chronology, 1976.
Schmidt, Orlando P. *A Self-Veriyfing Chronological History of Ancient Egypt from the Foundation of the Kingdom to the Beginning of the Persian Dynasty*. Cincinnati: George C. Shaw, 1900.
Schoch, Robert M. *Voyages of the Pyramid Builders*. New York: Jeremy P. Tarcher, 2004.
Sela, Solomon, tr. *Abraham Ibn Eza: The Book of Reason*. Leiden: E.J. Brill, 2007.
Sharpe, Samuel. *Egyptian Mythology and Egyptian Christianity: With their Influence on the Opinions of Modern Christendom*. London: Carter, 1896.
Showerman, Grant. *The Great Mother of the Gods*. Madison: University of Wisconsin, 1900.
Singh, Madanjeet. *The Sun: Symbol of Power and Life*. New York: Harry N. Abrams, 1993.

.Smith, George. *Assyrian Discoveries: An Account of Explorations and Discoveries on the Site of Nineveh*. New York: Scribner, Armstrong & Co., 1876.
Smith, Morton. *Studies in the Cult of Yahweh*, 1. ed. Shaye J.D. Cohen. New York: E.J. Brill, 1996.
Smith, William. *A Latin-English Dictionary*. London: John Murray, 1855.
Stein, Gordon. —The Jesus of History: A Reply to Josh McDowell.□ www.infidels.org/library/modern/gordon_stein/jesus.shtml
Stoler Miller, Barbara, tr. *The Bhagavad-Gita: Krishna's Counsel in Time of War*. New York: Bantam Classic, 2004.
Stone, Merlin. *When God was a Woman*. New York: Dorset Press, 1990.
Tacey, David John. *Patrick White: Fiction, and the Unconscious*. Melbourne/New York: Oxford University Press, 1988.
Taylor, J. Glen. *Yahweh and the Sun: Biblical and Archaeological Evidence for Sun Worship in Ancient Israel*. Sheffield Academic Press, 1993.
Teeple, Howard M. *The Noah's Ark Nonsense*. Evanston, Ill: Religion and Ethics Institute, 1978.
te Velde, Herman. *Seth, God of Confusion: A Study of His Role in Egyptian Mythology and Religion*. Leiden: E.J. Brill, 1977.
Thompson, R. Campbell. *The Epic of Gilgamish*. BiblioBazaar, 2008.
Thorburn, Thomas James. *The Mythical Interpretation of the Gospels*. New York: Charles Scribner's Sons, 1916.
Tirard, H.M. *The Book of the Dead*. Montana: Kessinger, 2004.
Toulson, Shirley. *The Winter Solstice*. London: Jill Norman & Hobhouse, 1981.
Turner, Patricia, and Charles Russell Coulter. *Dictionary of Ancient Deities*. Oxford: Oxford University Press, 2001.
Ulansey, David. *The Origins of the Mithraic Mysteries*. New York/Oxford: Oxford University Press, 1989.
The Universal Jewish Encyclopedia, VI. New York: UJE, Co., Inc., 1948.
van den Berg, R.M. *Proclus' Hymns: Essays, Translations, Commentary*. Leiden: E.J. Brill, 2001.
Van Ness Myers, Philip. *Ancient History*. Boston: Ginn and Company, 1916.
Vermaseren, Maarten Jozef. *Corpus Cultus Cybelae Attidisque*. Leiden: E.J. Brill, 1977. —*Cybele, Attis, and Related Cults: Essays in Memory of M. J. Vermaseren*. Leiden/New York: E.J. Brill, 1996.
Voss, Angela. *Marsilio Ficino*. Berkeley: North Atlantic Books, 2006.
Walker, Barbara G. *Man Made God*. Seattle: Stellar House Publishing, 2010. —*The Woman's Dictionary of Symbols and Sacred Objects*. HarperSanFrancisco, 1988. —*The Woman's Encyclopedia of Myths and Secrets*. HarperSanFrancisco, 1983.
Walker, Jim. —Did a historical Jesus exist?□ www.nobeliefs.com/exist.htm
Weigall, Arthur. *The Paganism in Our Christianity*. London: Hutchinson & Co., 1928.
Wells, George A. *Who Was Jesus?* Illinois: Open Court Publishing, 1991.
White, Donald. *The Extramural Sanctuary of Demeter and Persephone at Cyrene, Libya*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1984.
Whitehouse, David. —_Oldest Star Chart' Found.□ news.bbc.co.uk/2/hi/science/nature/2679675.stm
Wilkinson, John Gardner. *The Manners and Customs of the Ancient Egyptians*, III. ed. Samuel Birch. London: John Murray, 1878.
Willoughby, Harold R. *Pagan Regeneration: A Study of Mystery Initiations in the Graeco-Roman World*. Forgotten Books, 1929.

Wilson, H.H., tr. *The Vishnu Purana: A System of Hindu Mythology and Tradition*, IV. London: Trubner & Co., 1868.
Witt, Reginald E. *Isis in the Ancient World.* Baltimore: Johns Hopkins Press, 1997.
Wright, G.R.H. *As on the First Day: Essays in Religious Constants*. Leiden: E.J. Brill, 1987.

الفهرس

هذا الكتاب يتناول موضوع مهم جداً ساهم بشكل كبير في تشويه معرفتنا ووتحريف طريقة تفكيرنا عبر العصور. منذ عدة آلاف من السنين، وبعد انهيار الحضارات الذهبية، مرّت البشرية بفترة طويلة من الانحطاط المريع وهذا ما يرويه لنا كل ما انحدر إلينا من الماضي. سادت فترة زمنية مظلمة وكانت خلالها العلوم بأنواعها تتعرّض للقمع والتدمير. كانت اللوائح تُحطّم والمخطوطات تُحرق والنصب التذكارية تنهار وتندثر.. كل أثر يحمل مظهر يتعلّق بعظمة الحضارات السابقة كان يُطمس ويختفي بالكامل. لقد مرّت البشرية عبر عصور طويلة من الانحطاط الأخلاقي والفكري والحضاري.. زمن متوحش بكل ما تحمله الكلمة من معنى. زمن الغزوات والاحتلال والقتل والظلم والاستبداد والسيطرة المطلقة والعقائد الشمولية وغيرها من عوامل لا توفر جو مناسب للتفكير السليم. لهذا السبب معظم التفسيرات اللاهوتية التي جاءتنا من الماضي هي عبارة عن اجتهادات مفكرين ليس لديهم الأهلية أو المعلومات الصحيحة للتعامل مع الحقيقة الأصيلة. ربما استقوا معلوماتهم من مصادر محرفة أو جهات مغرضة، لكن المهم أنها كانت باطلة ولا تصلح لأن تمثّل ممارسة دينية سليمة. التعاليم السرية التي أتناولها في هذا الكتاب لا تعود إلى عصور الانحطاط والتخلف بل إلى ما قبلها بكثير. ما وصل إلينا من عصور الانحطاط هي التفسيرات المظللة للحكمة الأصيلة والممارسات المنحرفة لتعاليمها الرائعة والتشريعات المشوّهة لمبادئها الجليلة. آن الأوان للتسليم بهذه الحقيقة. إنها خطوة أساسية وجب اتخاذها في درب الممارسة الدينية السليمة. وجب علينا إعادة النظر في كل ما انحدر إلينا من ممارسات منحرفة وتشريعات مشوّهة وتفسيرات مظلّلة نشأت في عصور الانحطاط ومن ثم تقييمها بطريقة سليمة، ربما نستطيع حينها تقبّل واستيعاب الحقيقة النهائية التي قد تكون منافية لكل ما آمنا به من معتقدات وسلّمنا به من أظاليل.






ISBN 978-9933-405-40-3
9 789933 405403